



عنوان الخطبة	أبشر يا أبا البنات
عناصر الخطبة	1/ أهمية تربية الأبناء 2/ كراهية البنات من عادة الجاهلية 3/ الأجر في تربية البنات 4/ النظرة الإيجابية للبنات 5/ أثر التربية الصالحة للبنات 6/ مراعاة الحاجة النفسية للبنات في اللعب 7/ مفاهيم خاطئة في الإحسان إلى البنات
الشيخ	محمد بن صالح المنجد
عدد الصفحات	16
رقم الخطبة في الموقع	7642

الخطبة الأولى: إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد: فإن الأولاد من الأبناء والبنات، والذرية هم قرة عين للآباء والأمهات، ولهذا ذكر الله تعالى في دعاء عباد الرحمن: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) [الفرقان: 74]، وحتى يكون هؤلاء قرة أعين فلا بد من تنشئتهم تنشئة صالحة، ولذلك أمر الله برعاية الأهل والأولاد، وتنشئتهم على خصال الخير والرشاد، وأمر بحفظهم عن كل ما يؤدي إلى الفساد، فقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [التحریم:6]. إنها تربية تنطلق من المسؤولية، إذا علم كل إنسان منا أنه موقوف بين يدي الله ومسؤول: "كلكم راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم". كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-، والحديث في الصحيحين. وهذه التربية الصالحة للأولاد ينتفع بها الآباء والأمهات في الدنيا والآخرة، وتعود بالبركة على الأسرة بجمعها، أما في الدنيا فمعلوم، مما يحصل من البر منهم، وكذلك من فعلهم للحسنات وكونهم قدوة في الخير، وشامة بين الناس، يغبطك عليهم الآخرون مما يرون من صلاحهم ودينهم. وأما في الآخرة فهم حسنات جارية تكتب في صحائف أعمالك، فترتقي بها عند الله، ألم يقل النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث... أو ولد صالح يدعو له"، والولد يشمل الذكر والأنثى، إذاً هذا عمل لا ينقطع ويجري للأب في قبره، أن يكون عنده: "ولد صالح يدعو له"، بل حتى إذا دخل الجنة يستفيد، قال -عليه الصلاة والسلام-: "إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: أنى هذا؟! فيقال: باستغفار ولدك لك". وهذا كما أن الولد ينتفع بصلاح أبيه في الدنيا، وقد قال تعالى: (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) [الكهف:82]. فحفظ الله الذرية بصلاح الأب، وكذلك فإن الرجل

الصالح يحفظ في ذريته، وبركته تشمل أولاده من بنين وبنات، فالمنفعة متبادلة بين الأصول والفروع، يستفيد هؤلاء من صلاح هؤلاء، وأولئك من صلاحهم. عباد الله: إن التربية مهمة صعبة، خصوصاً في هذا الزمان الذي عمّ فيه الفساد وطمّ، ولا بد من الاهتمام، ولا بدّ من توجيه العناية للذكور والإناث، بل ربما كانت بعض الإناث في بعض الحالات أصعب، وقضية البنات خطيرة ومهمة. وكانت عادة الجاهلية الأولى كراهية البنات ودفنهن أحياء في القبور، قال -عز وجل-: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) [النحل: 58-59]. ومن الذي ابتدع هذه البدعة؟! قيس بن عاصم التميمي كان بعض أعدائه أغار عليه فأسر بنته فاتخذها لنفسه، ثم حصل بينهم صلح، فخيرّ ابنته فاختارت زوجها، ولم ترد أباه، فألى قيس على نفسه أن لا تولد له بنت إلا دفنها حية، فتبعه العرب في ذلك، سبحانه الله: "من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها". ولذلك يروي أحد التائبين المسلمين في العهد الأول حاكياً الحال المؤلم التي كانوا عليها: "إنّا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان، فكنا نقتل الأولاد، وكانت عندي ابنة لي، فلما أجابت وكانت مسرورة بدعائي إذا دعوتها، أحبّت أباه فكانت تلي طلباته ونداءه، فدعوتها يوماً فاتبعني، فمررت حتى أتيت بئراً من أهلي غير بعيد، فأخذت بيدها فرديت بها في البئر، وكان آخر عهدي بها أن تقول: يا أبتاه، يا أبتاه". رواه الدارمي. ومع ذلك لم يرحم

استغاثتها ففقدتها في ذلك البئر، وكانوا في صفة الوأد على طريقين، أحدهما: أن يأمر امرأته إذا قرب وضعها أن تطلق طلاقات النفاس بجانب حفيرة، فإذا وضعت ذكراً أبقتة أي: القابلة تستلمه، وإذا وضعت أنثى طرحتها في الحفيرة مباشرة. ومنهم من كان إذا بلغت البنت ست سنوات قال لأمها: طيبيها وزينيها لأزور بها أقاربها، ثم يبعد بها في الصحراء حتى يأتي البئر فيقول لها: انظري فيها، ثم يدفعها من خلفها ويطمها، هكذا كانت قبائل العرب تفعل، عرب بغير إسلام بهائم، بل هم أدنى من ذلك: (إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) [الفرقان: 44]. وكان بعض العرب فيهم بقية من عقل لا يفعلون ذلك وينهون عنه، بل ربما يفتدون البنات بالمال من آبائهن؛ قال الفرزدق:

وجدي الذي منع الوائدات *** وأحيا الوئيد فلم يوأد

وكان جده قد بقي إلى أن أدرك الإسلام: "أسلمت على ما أسلفت من خير". ومن المؤسف أن الجاهلية الأولى تطل بقرونها في عصر الحضارة والرقى، فعلى الرغم مما حصل من تقدم الأمم إلا أن هناك فئة غير قليلة، لا زالت تحتقر الأنثى ولا ترغب فيها، حتى في بلاد الصين والهند جريمة الوأد منتشرة، وهذه الصين الذي تحكم بالكفر لا يحق للأسرة إنجاب أكثر من طفل واحد، ولأن الأبوين يريدان ذكراً فإنهما بمجرد أن يعرفا من خلال الأشعة السينية أن الجنين أنثى يقومان بإجهاضه، وإذا ولدت دفنت، قتلت: (وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) [التكوير: 8-9]. فهكذا يفعل فقراؤهم الذين

لا يملكون قيمة إجراء الأشعة لمعرفة جنس الجنين، فإذا وضعتها أمها جعلتها في صندوق وألقته على قارعة الطريق؛ لئلا تحتسب من العائلة، وهكذا في بعض أنحاء الهند، عادة وأد البنات وإجهاضهن بأساليب متناهية في القسوة، حتى ربما استؤجر قاتل مأجور لكي يخنقها، وبقي عند بعضنا كره البنات، وتعيير الزوجة إذا أتت بأنثى، بل تطليق الزوجة إذا أتت بأنثى، وتهديد الزوجة إذا جاءت بأنثى أخرى، ما ذنب الزوجة في هذه الحال؟! ولذلك قالت القائلة لمن هرب عنها زوجها وتزوج غيرها؛ لأن عندها بنات:

ما لأبي حمزة لا يأتينا *** ينام في البيت الذي يلينا

غضبان ألا نلد البنين *** تالله ما ذاك في أيدينا

نحن كالأرض لزراعينا *** نبت ما قد زرعه فينا

عباد الله: لا شك أن الذكر أفضل من الأنثى في الجملة، أقوى وأقدر وأعقل، يدبر أمره ويعين أباه إذا كبر، وتبقى البنت عالة، فهي ضعيفة تحتاج إلى من ينفق عليها، بل مصروفها أكبر من مصروف الذكر من الحلي والثياب، وفسايتها أعلى وزواجها مكلف، وإذا طُلِّقت ورجعت إلى أبيها هم وغم كذلك، أو حدثت مشكلات بينها وبين زوجها، فيقولون: هم البنات إلى الممات. لكن -يا عباد الله-، لما علم الشارع سبحانه أن هذا ثقل فإنه جعل أجراً يقابله لأجل ثقله، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار". رواه البخاري. لماذا قال: "ابتلي"، لماذا سماه ابتلاءً؟ لأن العرب كانوا يكرهون البنات، وجاء

الشرع بزجرهم عن هذه الكراهية، ورغب في إبقائهن وترك قتلهن، فذكر الثواب الموعود به من أحسن إليهن، وجاهد نفسه في الصبر عليهن، إنه ابتلاء، يعني اختباراً؛ لينظر -عز وجل- ماذا تفعل مع ابتئك، أحسن إليها أم تسيء إليها، "فأحسن إليهن"، فسره في الحديث الآخر، قال: "فصبر عليهن، وأطعمهن، وسقاهن، وكساهن". وفي حديث ابن عباس عند الطبراني: "فأنفق عليهن وزوجهن، وأحسن أدبهن"، تربية، وفي حديث جابر عند أحمد: "يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن"، وفي حديث أبي سعيد عند الترمذي: "فأحسن صحبتهم واتفق الله فيهن". عباد الله: القضية الآن واضحة، من الذي ينال الأجر، من الذي يحجب عن نار جهنم، من الذي يوقى عذابها وحرها؟! من الذي يحصل له هذا الشيء العظيم والميزة الكبيرة: "كن له سترًا من النار"، من؟! هذا الذي يحسن بهذا الإحسان، وليست القضية أكلاً، وشرباً، ولبساً فقط، بل أدباً، ورحمة، واتفاءً لله، والكفالة، والتزويج، نجمع ألفاظ الوحي معاً لنعرف ما المقصود، وهذه فائدة جمع الروايات في الحديث. إن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد قال الحديث السابق: "من ابتلي"، في قصة جميلة روتها عائشة -رضي الله عنها- قالت: "دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل -فقيرة- فلم تجد عندي شيئاً". الله أكبر!! بيت النبوة، بيت قائد الأمة وعظيمها ومقدمها لا يوجد فيه شيء، "فلم تجد عندي شيئاً غير تمر"، هذا كل ما هو موجود في بيت النبوة، القائم على بيت المال، النبي -عليه الصلاة والسلام-، الذي يقسم ليس عنده إلا

تمرة، قالت: "فأعطيتها إياها"، وهذا الخليق بعائشة التي تربت في بيت النبوة، أنها تؤثر على نفسها: (وَيُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) [الحشر: 9]، فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي -صلى الله عليه وسلم- علينا فأخبرته فقال: "من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار". عباد الله: إن لفظة الإحسان كما فهم بعض شراح الحديث: "أحسن إليهن"، ليس فقط مقدار الواجب، وإنما الإحسان ما يزيد على الواجب، فهو مزيد اعتناء. وفي الحديث تأكيد حق البنات لما فيهن من الضعف غالباً عن القيام بمصالح أنفسهن، بخلاف الذكور الذين فيهم قوة البدن، وجزالة الرأي، وإمكان التصرف في الأمور، وهكذا. سئل الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- عن الإحسان المذكور في الحديث فقال: "الإحسان للبنات ونحوهن يكون بتزيتهن التربية الإسلامية، وتعليمهن، وتنشئتهن على الحق، والحرص على عفتهم، وبعدهن عما حرم الله من التبرج وغيره". وبذلك يعلم أنه ليس المقصود مجرد الإحسان بالأكل، والشرب، والكسوة فقط، بل المراد ما هو أعم من ذلك من الإحسان إليهن في عمل الدين والدنيا. عباد الله: القيام على الإناث مسؤولية، ولذلك جاء أجر عظيم بإزائه ومقابله، فروى مسلم عن أنس قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من عال جارتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو". وضم أصابعه. وهكذا في المجاورة وقرب المنزل من النبي -صلى الله عليه وسلم- في الجنة، من ربى بنتين صغيرتين -سواء

كانتا بنتين له مباشرتين، أم حفيدتين، أم أختين - من ربى بنتين صغيرتين وقام بمصالحهما من الكسوة، والنفقة، والتربية، والإحسان، والتأديب، دخل الجنة مصاحباً لي، وكان قريباً مني: "ما من رجل تدرك له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة". عباد الله: الأجر عظيم لكن لمن؟! لمن أحسن، وليس لمن أساء وأفسد. قال الحسن -رحمه الله-: "البنات حسنات، والبنون نِعَم، والحسنات مجزي عليها، والنِّعَم محاسب عليها". عباد الله: إن النظرة الإيجابية للبنات أن تراها من الناحية الأخرى التي لا يراها كثيرون، ولذلك لما ذكرت البنات عند أحد الخلفاء قال أحد الأعراب: دعهن عنك -يا أمير المؤمنين- فإنهن يقربن البعداء، ويلدن الأعداء، فقال له آخر ممن يفقه: "ويحك لا تسمع له -يا أمير المؤمنين-، فوالله ما قام بحق مريض، ولا رحم كبيراً، ولا أعان على نوائب الدهر إلا هنّ". ولذلك تجد اليوم في المدرسات، والعاملات من تنفق على أبوين شيخين كبيرين ما لا ينفق عليهما الأبناء الذكور، ويتفطن لهما في المرض ما لا يهتم به الذكور. عباد الله: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ) [البقرة: 216]، وكم من ذكر كان وبالاً على أبويه!! وكم من بنت كانت رحمة عليهما!! والإنسان إذا ربى الجميع على الطاعة فالغالب أنه سيحصل على نتيجة طيبة، فالجتهده له نصيب. كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يهتم بأمر البنات، فكان يحمل أمامة بنت زينب في الصلاة، هذه بنت ابنته، إذا

سجد وضعها، وإذا قام حملها. رواه البخاري. يريد عملياً أن يدفع ما كان عند العرب من كراهية البنات، وهكذا خالفهم حتى في الصلاة للمبالغة في ردعهم، وكذلك فإن عنده الشفقة والرحمة - صلى الله عليه وسلم -، ماذا كانت سيرته مع ابنته فاطمة، كيف كان احتفاؤه بها؟! عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي - صلى الله عليه وسلم - لا تخطى مشيتها مشيته، فقام إليها النبي - صلى الله عليه وسلم -، قام إليها وقال: "مرحباً بابنتي"، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثاً فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟! ثم أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزنٍ، فسألته عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، حتى قبض النبي - صلى الله عليه وسلم - فسألته فقالت: أسر إليّ أن "جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي"، فبكيت، فقال: "أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟!". فضحكت لذلك. وهكذا كان - عليه الصلاة والسلام - يأتي بنته التي لها ابن على فراش الموت، لما أرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبيهاً لها في الموت أمر الرسول أن يرجع إليها فيخبرها: "أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب"، وهذه أفضل صيغ التعزية، أن تقول لمن مات له ميت: إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فاصبر واحتسب.

فقال: إنها قد أقسمت لتأتينها، فقام النبي - صلى الله عليه وسلم - وقام معه سعد بن عباد ومعاذ بن جبل، وقال أسامة: انطلقت معهم، فرفع إليه الصبي ونفسه تقعقع كأنه في شنه، اضطراب الروح في الجسد عند الغرغرة عند الموت، ففاضت عيناه - صلى الله عليه وسلم -، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟! قال: "هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده...". من هم؟! "الرحماء". هل انتهت مسؤولية النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ابنته فاطمة لما زوجها ابن عمها؟! انقطعت العلاقة؟! كلا، بل كان يأتيهما، ولما شكت إليه ما تلقى من أثر الرحي فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - علمها أن تكبر أربعاً وثلاثين، وتسبح ثلاثاً وثلاثين، وتحمده ثلاثاً وثلاثين، وأن هذا خير لها من الخادم، وقال: "إن فاطمة بضعة مني، وإني أكره أن يسوءها". أي أحد، وهكذا عبر لابنته عن شعوره - صلى الله عليه وسلم -، وكان يقبل شفاعتها حتى فيما شجر بين أزواجه. عباد الله: إن إكرام البنات والعناية بهن، والقرب منهن، والتأديب، والرعاية، والشفقة عمل عظيم، فأحسن الله إلى من أحسن إليهن، وأكرم الله من أكرمهن، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان!! أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي المؤمنين، وأشهد أن محمداً رسول الله النبي الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته الطيبين الطاهرين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. عباد الله: يا ترى ماذا أنتجت تلك التربية النبوية لفاطمة -عليها السلام-؟! أنتجت شخصية عظيمة حتى في صغرها، جريئة، فيها عزة الإسلام، ولما سجد النبي -صلى الله عليه وسلم- عند الكعبة، واقترح أبو جهل ذلك الاقتراح الأثيم: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟! فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي -صلى الله عليه وسلم- وضعه بين كتفيه، فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض من الضحك والاستهزاء، قال ابن مسعود: وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والنبي -صلى الله عليه وسلم- ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت -وهي جويرية- فطرحتة عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم. وهكذا تفعل البنت، هذه الصغيرة، هذا الموقف الجريء، وتقبل على عظماء الكفار بهذه القوة -رضي الله عنها-، وهكذا كانت نعم الزوجة لعلي -رضي الله عنه-، وتحملت المشاق وجاءت تشتكي إلى أبيها مرة هذه الخشونة التي بيدها من أثر العمل في البيت، وليس عندها خادم. أيها الإخوة: هكذا تكون التربية تربية البنت مفيدة لها في المستقبل، معودة لها على تحمل

المسؤولية ومشاق العمل، ومن أمثلة ذلك: بنت سعيد بن المسيب، وما أدراك ما بنت سعيد بن المسيب!! خطبها عبد الملك الخليفة لابنه الوليد من أدبها وجمالها، فأبى عليه سعيد، فلم يزل يحتال عبد الملك عليه حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد، وصبّ عليه جرة ماء، وألبسه جبة صوف، نوع من التعذيب ليرضخ، فلم يرضخ سعيد، يقول ابن أبي وداعة تلميذ سعيد: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً، فلما جئته قال: أين كنت؟! قلت: توفيت أهلي فاشتغلت بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها؟! ثم قال: هل استحدثت امرأة؟! فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟! فقال: أنا، فقلت: وتفعل؟! قال: نعم، ثم حمد وصلى على النبي - صلى الله عليه وسلم -، وزوجني على درهمين، أو ثلاثة. وهذا محمول على أن سعيداً يعلم بأن ابنته سترضى بمن اختاره زوجاً لها، وتعرف أنه يعمل لمصلحتها، فهي لا تعارض أباه، قال: فقمتم وما أدري ما أصنع من الفرح؟! فصرت إلى منزلي وجعلت أتفكر فيمن أستدين ليكمل الزواج، فصليت المغرب، ورجعت إلى منزلي وكنت وحدي صائماً فقدمت عشائي أفطر، وكان خبزاً وزيتاً، هذا الموجود، فإذا بابي يقرع، فقلت: من هذا؟! فقال: سعيد، ففكرت في كل من اسمه سعيد إلا ابن المسيب، ما خطر بالبال أن يأتي الشيخ وقد قابله قبل قليل، فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فخرجت فإذا سعيد، فظننت أنه قد بدا له، سيتراجع، غير رأيه، فقلت: يا أبا محمد: ألا أرسلت إليّ فأتيك؟! قال: لا، أنت أحق أن تؤتى،

إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت، فكرهت أن تبتي الليلة وحدك، الفترة بين العقد والدخلة صعبة، زواج مع وقف التنفيذ، فكرهت أن تبتي الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم أخذها بيده فدفعها في الباب ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، أغلقتها بإحكام، ثم وضعت القصعة في ظل السراج لكي لا تراه، لكي لا ترى أن البداية خبز وزيت، ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجأؤوني قالوا: ما شأنك؟! فأخبرتهم ونزلوا إليها، وبلغ أمني فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها، فإذا هي من أجهل الناس وأحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأعرفهم بحق زوج. هذه بنت سعيد، حافظة للكتاب، عالمة بالسنة، عارفة بحق الزوج. قال: فمكثت شهراً لا آتي سعيد بن المسيب، ثم أتيته وهو في حلقتة، جلس يتعلم من البنت معلومات أبيها، انقطع شهراً مما رأى من العلم، كَفَّتُهُ، فسلمت فرد عليّ السلام ولم يكلمني حتى تقوَّض المجلس، فلما لم يبق غيري قال: ما حال ذلك الإنسان؟! قلت: خير يا أبا محمد، على ما يحب الصديق ويكره العدو، قال: إن رابك شيء فالعصا. فانصرفت إلى منزلي، فوجه إليّ بعشرين ألف درهم. اللهم ارحم سعيد بن المسيب، وارحم من يحسن إلى بناته يا رب العالمين. عباد الله: لم يكن ذلك المجتمع الأول يفرض فقط هذا الحفظ والتعليم الشاق على النفوس دون أن يكون هناك مراعاة للشعور، بل كانت هناك لعب للبنات، وعائشة كان لها

لعب، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يسرب إليها بنات في مثل سنها ليلعبن معها، وأصلاً عائشة من أين أخذت للزواج؟! كانت على الأرجوحة، كانت صغيرة. إذاً كان هناك اهتمام بلعب البنات وحاجة البنات النفسية للعب، كانت على الأرجوحة، قال بعض العلماء: هي مثل التي نعرفها اليوم، وقال بعضهم: هي الخشبة التي تجعل من وسطها على مكان مرتفع يجلسون على طرفيها يركونها فتنزل من جانب وتصعد من جانب، هذه الأرجوحة. إذاً كان هناك اهتمام بهذه الحاجة النفسية، لماذا أبيحت اللعب، مع أنها في الأصل ممنوعة في الشرع ذوات الأرواح؟! لكن هيكل رأس ويدين ورجلين، وهيكل بدون تفاصيل، لماذا؟! لأجل مراعاة حس الأمومة عند البنات، تنمية غريزة الأمومة عند البنات، تنمية قضية رعاية الأولاد عند البنات الصغيرات؛ لأنها هكذا سيكون لها شأن في المستقبل، تنتج ذرية، وليست تعمل في مصنع، ولا بنشر، ولا تسوق شاحنة كما يريد لها أعداء الله. عباد الله: الإحسان إلى البنات بعمل ما فيه المصلحة حتى في غرفتها، ترفيه بضوابط شرعية، وتعليم القرآن والسنة، وتعويد على كافة ظروف المعيشة، تاجر يستطيع أن ينزل بناته في فنادق خمسة نجوم ومع ذلك كان ينزلهن أحياناً إذا سافر في فندق متواضع ليعودهن الآن على مواجهة عيش في المستقبل لا يدرى كيف هو، كان بعض المشايخ يقتصر على نوعين من الفاكهة ويقول: أخشى أن يتعودن على الأصناف المتعددة، فتتزوج إحداهن بفقر فتقول: كان أبي يأتي وكان أبي يأتي بكذا، ويشترى كذا وكذا. هذه التربية والتهيئة

للمستقبل. عباد الله: ليست الرحمة بالبنات أن تتركها تذهب إلى السوق مع السائق بمفردها، ليست الرحمة بالبنت أن تتركها مع جوال، ومستقبل قنوات فضائية، ويعمل بالبطاقات، ليست الرحمة بها أن تتركها تذهب إلى بيت أي صديقة، ليست الرحمة بها أن تتمكنها من عمل الحفلات الماجنات، وأن تدعو البنات إلى الفنادق الفخمة والمطاعم لعمل حفلة نجاح، أو عيد ميلاد، ليست الرحمة بها أن تتركها تعبث بالقنوات، وتعجب بالمغنين والمغنيات، والممثلين والممثلات، وتستقبل من رسائل الجوال من البنات ما يشيب به الرأس اليوم، وتقول لصاحبته: أسرعي، أسرعي افتحي القناة الفلانية، فيها المغني فلان يقول: إني معجب بالبنات، وتلك تقص شعرها على حسب هذا المغني وتترك حتى في ميزان نقل الأخبار كما يتناقلن اليوم الإشاعات، والخوف، والوجل، والرعب في سفاح الخبر. اللهم إنا نسألك أن تعيننا على القيام بحقوق عبادك يا رب العالمين، اللهم أعنا على تربية أبنائنا وبناتنا، اللهم إنا نسألك أن تهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، وأن تجعلنا للمتقين إماماً. اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، سامحنا فيما قصرنا فيه من حقلك يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار ما قرب إليها من قول وعمل، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.



عنوان الخطبة	أثر القرآن في حياتنا
عناصر الخطبة	1/ مدارات القرآن الكريم الثلاث 2/ هدي النبي الكريم في مدارسة القرآن الكريم وتدبره 3/ شدة تأثير السلف بالقرآن الكريم 4/ عدم تأثرنا بالقرآن الكريم وتقصيرنا تجاهه 5/ ضرورة العودة للقرآن الكريم 6/ فرصة استغلال شعبان ورمضان للعودة للقرآن
الشيخ	الشيخ/ محمد بن صالح المنجد
عدد الصفحات	10
رقم الخطبة في الموقع	2806

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

(اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ) [الزمر: 23]، تشبه بعضها بعضا، يفسر بعضه بعضا، يثني بعضه على بعض، تقشعر منه جلود المؤمنين، جلود الذين يخشون ربهم، وبعد الاقشعرار تلين جلودهم وتقبل على ربها. (وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا) [الإسراء: 109]، فإذا مروا بآيات الله لم يخروا عليها صما وعميانا، لأنهم يعرفون المعنى، وكان بعض السلف إذا مر بهذه الآية وسجد فلم يبك يعاتب نفسه ويقول: هذا السجود فأين البكاء؟!.

أنزله الله - يا عباد الله - القرآن لتتدبره، مباركاً أنزله، ليدبروا آياته، فمن الذي يتدبر كتاب الله؟ المجتهد الحريص اليوم يحتمه ختمات، يتلو تلاوات، يجود، لكن المعنى هو الذي يقود إلى العمل، والنبي - عليه الصلاة والسلام - كان من سنته مع جبريل الرسول الملكي، مع الرسول البشري في رمضان في كل ليلة يتدارسان القرآن، يقرأ هذا ويسمع الآخر ويتبادلان ما فيه من الحكم والأحكام.

القرآن مداره يا عباد الله على ثلاثة أشياء: أولاً: التعريف بالله، وأسمائه، وصفاته، وعظمته. ثانياً: التعريف بأحكامه وشرعه، وحلاله وحرامه. ثالثاً: القصص عن بدء الخلق، وماذا كان، وماذا سيكون في المستقبل مما بعد الموت وبعد البعث، وأخبار الساعة والجنة والنار واليوم الآخر، مع قصص الأنبياء والسابقين. فمدار القرآن على: التعريف بالله، التعريف بأحكامه، التعريف بالأخبار والقصص السابقة واللاحقة.

عباد الله: إذا لم نعرف التفسير فكيف سنتدبر؟ وعندما كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يتدبر كان يطلب من ابن مسعود أن يقرأ عليه ويقول: إني أحب أن أسمع من غيري، لماذا؟ ليتدبره؛ ولذلك كان السلف في القرآن سماعاً واستقبالا، تفاعلا وعملا، في المرتبة العليا.

ولذلك كان الصديق -رضي الله عنه- لما منع النفقة عن مسطح؛ لأنه وقع في ابنته عائشة، أعاد النفقة لأجل قوله تعالى: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ)، يعني لا يمتنع، (أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى) [النور: 22]، فأعاد النفقة.

عمر -رضي الله عنه- تبرع بأحسن أمواله، قطعة أرض زراعية في خير؛ لأجل قوله تعالى: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) [آل عمران: 92]. أبو طلحة الأنصاري تبرع ببستانه العظيم لأجل هذه الآية! عبد الله بن عمر أعتق أحب الإماء إليه لأجل هذه الآية!.

عمر رضي الله عنه كان يسمع مرة قارئاً يقرأ: (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ) [الطور: 7-8]، فرجع إلى بيته مريضاً يعودده الناس شهراً لا يدرون ما به.

كانت الآيات تفعل فعلها في النفوس، كانت تدفع للعمل، عندما تنزل آية تحريم الخمر: (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) [المائدة: 91]، كل المجتمع ينفذ.

عندما تنزل آية في النساء: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوهِنَّ) [النور: 31]، نساء الأنصار يعمدن إلى ما عندهن من القماش فيقطعنه ليصير حجاباً ساتراً أسود يخرجن مثل الغربان إلى المسجد لا يُعرفن.

تمثيل، الآيات تنزل من هنا والعمل والتطبيق حاضر.

واحد من السلف عنده سبعة دنانير ذهبية أنفقها كلها في بُدْنَة، لماذا؟ قال: إني سمعت الله يقول: (وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ) [الحج:36]، فأنفق كل ماله من أجل تحصيل هذا الخير.

عندما يزوج أحد الصحابة أخته لشخص لا يكرمها ويطلقها، ثم بعد العدة يريد العودة فيقول: لا زوجتُك، وأكرمْتُك، ما رعيتِ النعمة! فلما تنزل آية فيها: (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [البقرة:232]، يقول: سمعا وطاعة يا ربي! أزوجك وأكرمك وأعيدها إليك.

عمر كان ذاهبا إلى الشام -نسأل الله أن يرفع البلاء عن الشام، وأن ينصر المستضعفين في الشام- مر بصومعة راهب فناداه فأطل عليه الراهب وهو سهران متعب في الجهد والعناء والتعب، رهبة وبدع ما كتبها الله عليه، نظر عمر إلى ذلك الوجه فبكى. قالوا: يا أمير المؤمنين! ما يبكيك؟ هذا مشرك! قال: أعلم. لكني ذكرت قول الله: (عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً) [الغاشية:3-4]، رأيت واحداً يعمل والعمل هباء، تصلى نارا مع أنها تعمل! لكن على شرك، على غير هدى من الله.

الإمام أحمد سامح كل واحد ضاره في محنة خلق القرآن، لما مر به قول الله: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) [الشورى:40]، قال: وما ينفعك أن يُعَذَّبَ أخوك بسببك! نعم، المظلوم سيأخذ من حسنات الظالم، لكن لو

المظلوم عفا أجره أكبر من الحسنات التي سيأخذها من الظالم يوم القيامة، لأن الله قال: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ).

كُلُّ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ كَانُوا فِي مَسْجِدِ قَبَاءَ تَحُولُوا مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى مَكَّةَ لَخَبِيرِ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، (فَلَنُؤَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) [البقرة:144]، والشام بيت المقدس عكس مكة، بالله عليكم! لو كنا في هذا المسجد إلى هذه القبلة وقيل لنا أثناء الصلاة: يا أيها الإمام ويا أيها المأموم تغيرت القبلة إلى الجهة الأخرى، ماذا سيحدث في المسجد من الاضطراب و"اللبخطة"، لكن الصحابة بكل فقه استداروا مع الإمام، وتحولوا جميعاً من قبلة الشام إلى قبلة مكة بكل هدوء وفقه وروية.

هذا قرآن يؤثر في النفوس، يحرك القلوب، عائشة في قوله تعالى: (فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) [الطور:27]، تقوم الواحدة في مُصَلَّاهَا ساعات طوالاً تردد الآية وتقول: اللهم مُنِّ عَلَيْنَا وَقِنَا عَذَابَ السَّمُومِ؛ لأن زوج عائشة -صلى الله عليه وسلم- تعلمت منه أنه ردد آية واحدة طوال الليل: (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ) [المائدة:118]. كيف يردد الواحد آية واحدة؟، لأن عقله يعمل فيها، يجول في المعاني، يفقه التنزيل، يعرف ماذا أراد الله.

اللهم اجعلنا من أهل القرآن، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار يا رحمان، اللهم بارِكْ لنا في القرآن العظيم، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا الله، وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله،
والله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين، وإله الأولين والآخرين،
ومالك يوم الدين، وديّان السموات والأرضين.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، الرحمة المهداة، البشير والنذير، والسراج
المنير، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وذريته، وخلفائه الميامين، وأزواجه
والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أشهد أنه رسول الله حقاً، بلغ الرسالة،
وأدّى الأمانة، وتركنا على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

عباد الله: كانت الآيات تسبب لدى سلفنا توبة من ذنب، أو منعاً من الوقوع
فيه، كان بعضهم وقع في الشراب وعنده تأويلات، فقرأ ابن أخته يوماً: (لِيَمِيزَ
اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) [الأنفال: 37]، فقال: يا خالي، إذا جمع الله الأولين
والآخرين، وميز الخبيث من الطيب، الخمر هذه التي تشربها من الخبيث أم
مع الطيب؟ فصمت! ثم قال: قم فأهرقها واكسر آنتيتها. فتاب إلى الله.

آية تعيد شاباً من مشوار حرام، كان صاحب عبادة فدعته امرأة ذات جمال
فأغواه الشيطان بالمسير إليها، فسار وفي الطريق سمع تالياً يتلو عن الذين
اتقوا: (إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)
[الأعراف: 201]، فوقف، ورجع، وحرَّ مغشياً عليه.

وكذلك تاب الفضيل وهو ذاهب لمعصية لأنه سمع مَنْ يقوم الليل ويقرأ: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) [الحديد:16]، قال: بلى، قد آن يا رب!.

عباد الله: لما نرى هذه الآيات تفعل فعلها في نفوسهم، معناها أنهم يفهمون المعنى ويعملون به، الواحد إذا أراد أن ينام بعد العناء والتعب من العبادة يتذكر قول الله: (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) [الذاريات:17]، فيقوم يصلي يكمل، فيعود لينام فيتذكر قول الله تعالى: (أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْأَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ) [الزمر:9]، فيقوم ويصلي. (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)، الآيات تقيمهم من فراشهم وتقيمهم في مُصَلَّاهُمْ، لماذا نحن ليس عندنا مثل هذا التفاعل؟ إيماننا بالقرآن قليل، نسأل الله أن يعفو عنا وعن تقصيرنا.

والله يا إخوان الواحد يتألم لما يرى شخصاً يضع ولده في مدرسة أجنبيه ليقتن اللغة الانجليزية ويبتعثه إلى الخارج في الصيف والشتاء ليدرس اللغة ويكون دقيقاً في لغة القوم، والولد لا يعرف كيف يقرأ القرآن؟!.

وهناك أخطاء -والله الذي لا إله إلا هو!- تدمي قلب المؤمنين، واحد يقرأ: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ!) وهي: (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ) [الأنبياء:37]، فالعجلة من طبعه وتكوينه، ثانٍ يقول: (إلهاكم التكاثر) إنما إله واحد وهي: (أَلْهَافُكُمْ التَّكَاثُرُ)، وعندما لا يعرف الولد أن يفرق بين الضاء والظاء ويقرأ (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه)!.

عباد الله: هل تعرفون ما حجم الإساءة إلى القرآن عندما لا تميز الحروف ولا اللغة العربية؟ ولا الفاعل من المفعول؟ ويأتي الواحد يقرأ (إنما يخشى الله من عباده العلماء)، يعني الله يخشى العلماء! وهي (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [فاطر:28]، مفعول به مقدّم، لفظ الجلالة والعلماء فاعل مؤخر، العلماء هم الذين يخشون الله، لكن هذا الرفع والنصب عنده بلا حساب. إذا كانوا لا يعرفون قراءة الحروف والإعراب فكيف سيعرف المعنى؟! فلو قلت: (غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) [الفلق:3]، فما معنى غاسق؟ وما معنى وقب؟ وما معنى (لَا يَلَافٍ) [قريش:1]، وما معنى (ضَبْحًا) [العاديات:1]، وما معنى (الصَّمَدُ) [الإخلاص:2]، لا جواب عند الكثيرين، ويقرؤونها في صلواتهم، وهي من قصار السور!.

بالله عليكم! ما حجم هذا التقصير في حق كتاب الله - عز وجل - وهو أهمُّ وثيقة لدينا في العالم؟! لا بد أن نعيد النظر في موقفنا من القرآن؛ ولذلك أثر القرآن علينا ضعيف، أثر الآيات في حياتنا ضعيف، تُرجع مَنْ؟ وتحمل على العمل مَنْ؟ وتكفُّ مَنْ؟!

ولأجل هذا لا بد أن نعود إلى أن نتلوه حق تلاوته، وإلى تجويد القرآن، وإلى معرفة المعنى، لتدبر - يا عبد الله - التفسير الميسر، التفسير الميسر يقدم لك المعنى الإجمالي للآية، والكلمات الصعبة، ثم - يا عباد الله - المدرسة، يتلون كتاب الله، ويتدارسونهم بينهم، نأخذ فوائدهم، نعرف أقوال المفسرين، كيف نطبق الآية على الواقع؟ ماذا يستفاد منها؟ تجول عقولنا في معاني كلام ربنا.

وبالمناسبة، شعبان كان عند السلف شهر القران، واستعدادات لرمضان،
ورمضان قادم، فهل يا ترى ستكون القضية فقط قراءة كالشعر، فقط لنختم،
أم سنفقه ما نقرأ؟.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من عبادك الأخيار، وأن تنزلنا منازل الأبرار، وأن
ترزقنا تلاوة كتابك آناء الليل وأطراف النهار.

أسباب العذاب

الأخذ بأسباب النجاة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أسباب العذاب

عباد الله:

لقد سأل صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نبيهم سؤالاً عظيماً لما قال لهم مرة: (لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه)، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، فكان السؤال من زينب -رضي الله تعالى عنها- زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما قالت: "أنهلك وفينا الصالحون"، فأجابها عليه الصلاة والسلام بقوله: (نعم)، وذكر متى يكون ذلك بقوله: (إذا كثرت الخبثات) [رواه البخاري 3346] والخبث في كلام العلماء الباطل، والشر، والفحش، وأولاد الحرام، وكذلك النجاسة فهذه أيضاً الخبثات كالخمر فهي أمها، والخبث الرديء، والفساد، والمكروه، والخبثات والخبث المعاصي عموماً، والفواحش خصوصاً كل ذلك من الأسباب، وقد ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- للهلاك أيضاً ما ورد في حديثه: (ما ظهر في قوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله) [رواه أحمد 3809].

ومن الأسباب أيضاً تطفيف المكيال والميزان فإن الله -سبحانه وتعالى- أهلك قوم شعيب بشركهم، وبمنكرهم هذا أيضاً وهو التطفيف، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ سورة الشعراء 183، وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: "إذا جنت أرضاً يوفون المكيال والميزان فأطل المقام فيها، وإذا جنت أرضاً ينقصون المكيال والميزان فأقلل المقام بها" أي: أنها على خطر من عذاب الله -سبحانه وتعالى-.

قال سعيد بن المسيب رحمه الله: "إذا جنت أرضاً يوفون المكيال والميزان فأطل المقام فيها، وإذا جنت أرضاً ينقصون المكيال والميزان فأقلل المقام بها" أي: أنها على خطر من عذاب الله -سبحانه وتعالى-.

وأعظم الخبث ولا شك خبث العقيدة وما تنطوي عليه القلوب من الشرك، والعقائد الباطلة، فإن هذا أعظم أسباب نزول العذاب ولا شك، وكثرة الخبث المجون والمنكرات، وكلمة كثرة تدل على الشيوع والظهور، فإنها ليست مستترة، وليست عند آحاد، بل إنها شائعة، وأعظم ذلك المجاهرة كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- (كل أمتي معافى إلا المجاهرين) [رواه البخاري 6069] قال بلال بن سعد رحمه الله: "إن الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها، فإذا ظهرت ولم تغير ضرت العامة" فيكون إهلاك الجميع عند ظهور المنكر وإعلانه، وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "كان يقال إن الله تبارك وتعالى لا يعذب العامة بذنب الخاصة، ولكن إذا عمل المنكر جهاراً استحقوا العقوبة كلهم" وهذا عمل المنكر جهاراً يؤذن بعقوبة الله -سبحانه- لهؤلاء الذين مروا ولم يغيروا، رأوا ولم ينكروا، وكذلك كثرة الخبث عبارة تدل على إقرار المنكر، والاعتراف به، وقد قال الله: وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً سورة الأنفال 25، وقد ذكر ابن عباس -رضي الله عنه- في تفسيرها أمر الله المؤمنين ألا يقرروا المنكر بين أظهرهم فيعصمهم الله بالعذاب، وعندما يصبح الكفر وتصيح الردة حرية، ويصبح العري ويصبح المجون والخنا والفحش والغناء فنوناً، وعندما تقع هذه الاختراقات لحدود الله -سبحانه وتعالى- فإن هذا ولا شك يعرض الجميع لعقاب الله، فإن الله أنزل شرعاً ليتبع، وحد حدوداً لتحتترم، ولا تنتهك له حرمان سبحانه وتعالى وهو يغار، (إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر

بين ظهرائهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة [رواه أحمد 17720]، وهذا الحديث رواه أحمد رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً، وحسنه الحافظ رحمه الله، وقال ابن عبد البر: وهذا معناه إذا قدروا وكانوا في عز وامتناع عن الأذى، يعني فاقروا ولم يغيروا، وفيه تحذير وتخويف عظيم لمن سكت عن النهي، فكيف بالمداهن، والمقر، والراضي، ولو لم يشارك، فكيف بالمعاون، فكيف بمن يعمل، فكيف برأس الشر، وعدم الاستجابة والاكتراث لدليل على ضعف الإيمان ووهنه، فإنهم يرون حدود الله تنتهك فلا يغارون، ويرون المعاصي تفعل فلا يغيرون، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمر ربنا سبحانه وأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا له نصيب واضح في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري) [رواه أحمد 5114] فإن الله يصيبهم بذلك، والناس أقسام في هذا فمنهم من يغير ومنهم من ينكر بالقلب لعدم القدرة على التغيير، ومنهم من يسكت، ومنهم من يداهن، ومنهم من يعاون ويشارك ويفعل، ويجب التفريق بين حالين في الصالحين إذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة، أو إذا لم يستطيعوا فكان الإنكار بالقلب ويعتبرهم على أعمالهم الصالحة حكم عدل، فهم إذا لم يغيروا مع القدرة يهلكون، ويكون عذابهم في الدنيا ما أصاب غيرهم وقد دخلوا فيهم ومعهم فيهلكون معهم ويبعثهم الله - سبحانه وتعالى - على أعمالهم ونياتهم، وعنده الميزان، وأما الذي لم يستطع فإن الله - سبحانه وتعالى - لا يؤاخذ، وقد سألت عائشة - رضي الله عنها - النبي - صلى الله عليه وسلم - لما قال: (إذا ظهر السوء في الأرض أنزل الله بأهل الأرض بأسه) قالت: "وفيهم أهل طاعة الله - عز وجل -" قال: (نعم، ثم يصيرون إلى رحمة الله تعالى) [رواه أحمد 24133] رواه أحمد قال الهيثمي: رجال إسناده رجال الصحيح. فهذا يدل على أن غير المنكرين لا ينجون كما قال الله: أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ سورة الأعراف 165 فإن الذي ينهى ينجو، والذي لا ينهى مع القدرة يشمل العذاب، ثم يبعث كل إنسان على ما مات عليه، وهذا العذاب أنواع فمنه الخسف، وخسف الأرض وذهاب ظاهرها أسفل وما عليها من الناس والبيوت والزراعة ونحوها فتذهب النفوس والأموال، وكذلك المسخ، وتغيير الصورة إلى أقبح كما فعل الله ببني إسرائيل من أصحاب السبت فإنه مسخ القوم قردة وخنازير، وكذلك القذف رجم بحجارة من السماء، وقد قال الله: أَقَامِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ سورة النحل 45، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (يكون في آخر الأمة خسف ومسخ وقذف) يكون في آخر الأمة وهذا آخر الأمة ولا شك يكون في آخر الأمة خسف ومسخ وقذف، قالت عائشة: "قلت يا رسول الله: "أنهلك وفينا الصالحون" قال: (نعم إذا ظهر الخبث) [رواه الترمذي 2185] رواه الترمذي وهو حديث صحيح وقد جاء الوعيد لأهل المعازف، والغناء، وشراب الخمر بهذا كما رواه البخاري في صحيحه معلقاً مجزوماً به. [رواه البخاري 5590]، وأن بعض الناس يتركون هؤلاء على لهو وغناء وقينات يعني راقصات وخمر، ثم يرجعون فلا يجدون، ومن العقوبات الإلهية كذلك الزلازل قال الله تعالى: أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ سورة الملك 17 وكذلك من العقوبات فساد الزروع والثمار والهواء والبيئة وهو ما يعرف اليوم بالتلوث، قال الله تعالى: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ سورة الروم 41 هذا التلوث ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس فلماذا فسدت زروعهم فسدت ثمارهم، فسد هواؤهم، فسد جواهرهم، فسدت صحتهم، ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ومن جراء هذا الفساد في البر والبحر أمراض السرطانات المتنوعة التي تحدث جراء ذلك، ظهر الفساد في البر والبحر هذا التلوث والتغير السيء إنما هو بما كسبت أيديهم، وهذا عقوبة من الله، ولذلك قال في الآية لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ولو أذاقهم كل الذي عملوا ما ترك على ظهورها من دابة، وكذلك من العقوبات الجماعية ما ذكره النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: (يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطواغيت والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا) فهذه طواغيت جديدة، وأوجاع لم يكن للبشرية بها عهد سابق بالإضافة إلى ما كان لها به عهد سابق قال: (ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين) أي القحط (وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم) فهذا التسلط للكفار على المسلمين المشاهد اليوم إنما هو من جراء نقض عهد الله وعهد رسوله وقد قال الله: وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا سورة النحل 91 قال: (وما لم تحكم أنتمهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم) [رواه ابن ماجه 4019] وهذا ما يكون من الاقتتال بين بعضهم البعض، وقد ذكر الله هذا النوع من العذاب في قوله: قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بِأَسْرِ بَعْضِ سورة الانعام 65 فهذه عقوبات للخروج عن المنهج الإلهي، وترك الأحكام الربانية، والتفريط في الواجبات، وغشيان المحرمات، فعندما تنتشر وتظهر ويهاجر بها تأتي هذه العقوبات، وترى في الأرض كثيراً منها، ولكن من المتعظ، والأمر كما قال الله: وَتَخَوُّهُمْ فَمَنْ يَمُرُّهُمْ إِلَّا نُفْسُهُمْ كَبِيرًا سورة الإسراء 60 ويصيب بعض الناس أشياء فترى الآخرين في غفلة، وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم سورة يس 45 أنتم ترونهم أمامكم ووراءكم اتقوا ما بين أيديكم وما

خلفكم من عذاب الله اتقوه نزل وحصل لعلكم تُرحمُونَ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ سورة يس46.

اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الحق في الغضب والرضى، ونسألك نعيماً لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، والنظر إلى وجهك الكريم في جناتك جنات النعيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله أشهد ألا إله إلا الله وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وذريته وأزواجه وصحابته وخلفائه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك الأمين.

الأخذ بأسباب النجاة.

عباد الله:

إن من سنن الله وقوانينه في العالم إهلاك القرى التي تخرج عن أمره -سبحانه وتعالى- وهذه سنة ماضية فلن تجد لسنن الله تبديلاً ولن تجد لسنن الله تحويلاً سورة فاطر43، إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ سورة يونس44فهو سبحانه لا يهلك قرية ولا يعذب أحداً إلا بعد الإعذار والإنذار ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون سورة الانعام131 فلا يهلكهم دون تنبيه ولا تذكير ولا إقامة حجة، ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب -سبحانه وتعالى- ليس بظلام للعبيد، وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ * ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ سورة الشعراء 208-209، وقال: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً سورة الإسراء15 فإذا عصوا الرسل وخرجوا عن منهج الله أتاهم الله بالعقوبة وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون سورة الأعراف4 إما في مبيت نوم الليل، أو القيلولة نوم النهار، وهذا معنى قائلون من القيلولة فما كان دعوهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ سورة الأعراف5 وهذا الإهلاك للقرى سببه الكفر بالله، والتكذيب بآياته ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون سورة الأعراف96 وهكذا فإنه -سبحانه وتعالى- يضرب الأمثال القرى التي تجحد نعمة الله وتترك شكرها وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون سورة النحل112 فهو لاء لم ينسبوا النعمة إلى المنعم ولم يشكروه عليها باستعمالها في طاعته، بل استعملوها في معصيته، وحصل فيهم الأشر والبطر، ولذلك قال ربنا: وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ سورة القصص58 كانت هنالك أم وممالك بلدان وعواصم إرم ذات العماد أين هي، وكذلك حاضرة قوم ثمود أين هي، وأين حاضرة قوم لوط، وقوم شعيب، وغيرهم من الأمم أهلك الله من اليونان والرومان وغيرهم من الفينيقيين، والآشوريين، والبابليين، والفارعة، وأقوام باليمن كسبأ، ونحو ذلك في العالم بسبب ظلمهم منهم من سلط عليه الطوفان والسيول، أغرق قوم نوح وفرعون، وكذلك سبأ بالماء، وبظلمهم وبغيهم، وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ سورة القصص59 ويملي الله لهذه القرى، والمقصود بالقرى المدن على مختلف أحجامها واتساعها كلها في لغة العرب قرى، وأم القرى مكة لتندثر أم القرى ومن حولها وكأين من قرية أُمِّلَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ سورة الحج48 فيؤخر منها ما يؤخر فتبقى سنوات طويلة، ولكن في النهاية يأتيها ما يأتيها، وقد حصل في الحربين العالميتين من إهلاك عواصم وقرى ومدن كثيرة في الأرض بسبب ما حصل منهم من الكفر والفجور وكأين من قرية أُمِّلَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَاهَا وَالْيَمِينِ سورة الحج48، وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا سورة الكهف59 هذه سنة حتمية نازلة سبق قضاء الله تعالى بها ما من قرية كما ذكر الله -سبحانه وتعالى- وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أو إذا لم يحصل الإهلاك العام الشامل أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً سورة الإسراء58 لا ينجي إلا طاعة الله، نينوى قرية قوم يونس نذر العذاب بدأت وانعدت فخرجوا خلف نبيهم يجارون إلى الله إلا قوم يونس لما آمنوا كشف الله عنهم ذلك لأنه لم يحصل النزول الحقيقي المباشر، وانعدت النذر للعذاب ولم ينزل فلو نزل لا يرفع أبداً وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً سورة الإسراء16، ولذلك فإنه يجب على المسلمين وهم يرون ماذا يحل بالعالم من فساد، وخراب، وما يحل من حروب، واضطرابات، وفوضى أن يرجعوا إلى الله -سبحانه وتعالى-، وأن يأمرُوا

بالمعروف، وأن ينهوا عن المنكر، وإن الله شديد العقاب قذفاً وخسفاً ومسحاً وإغراقاً، وصيحة، وما هي من الظالمين ببعيد، وطاعوناً، وأوبئة يرسلها وفساداً في التربة والبيئة وتسليطاً، وكذلك فتنة تكون بينهم فيقتل بعضهم بعضاً

يجب على المسلمين وهم يرون ماذا يحل بالعالم من فساد، وخراب، وما يحل من حروب، واضطرابات، وفوضى أن يرجعوا إلى الله سبحانه وتعالى، وأن يأمروا بالمعروف، وأن ينهوا عن المنكر، وإن الله شديد العقاب قذفاً وخسفاً ومسحاً وإغراقاً، وصيحة، وما هي من الظالمين ببعيد، وطاعوناً، وأوبئة يرسلها وفساداً في التربة والبيئة وتسليطاً، وكذلك فتنة تكون بينهم فيقتل بعضهم بعضاً

لقد أبقى الله أطلالاً من آثار المدن السابقة يراها من بعدهم ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد، فتشاهد آثاراً للفراعنة وآثاراً لأقوام بادوا الأحقاف مدائن صالح آثار باليمن، وأخرى بالشام، وتركيا، والعراق، وغيرها في أنحاء الأرض فكأن من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد سورة الحج45 بناء بلا سكان آثار، وأطلال، وأبار لا يستقي منها أحد لم يحلم أهل ذلك البناء على شدة بأن ينزل بهم البأس فنزل، وكان الله تعالى يعظ كفار العرب ومشركيهم ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشوراً سورة الفرقان40 وكانت الآيات تقررهم وتقول: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ سورة الصافات137-138 أبقى الله السفينة مدة من الزمن وأبقى جثث فرعون مدة من الزمن وليس لأحد عند الله عهد أن ينجي من عذاب إذا كان من الخارجين عن شرعه ولذلك قال لكفار العرب: أَكْفَرُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيكُمُ أَي الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ سورة القمر43، وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ سورة يوسف110، وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَاسِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ سورة الأنبياء10-15، وقد يأتي العذاب فجأة، أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ سورة الأعراف97-99 وقد يأتي العذاب على توقع وقد انعقدت نذره، قال تعالى: أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ سورة النحل47 ما معنى على تخوف توقع نزل العذاب ولذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف في وجهه يقول: (يا عائشة ما يؤمني أن يكون فيه عذاب عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا) [رواه البخاري4829] ولذلك لا بد من الأخذ بأسباب النجاة من رأى سنن الله وما حصل في الماضي وما يحصل في الحاضر لا بد وأن يأخذ بأسباب النجاة؛ الإيمان، ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ سورة يونس103، وقال -سبحانه: فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا سورة يونس98، وأيضاً الاستغفار وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ سورة الأنفال33 فالاستغفار أمان والتضرع إلى الله أيضاً فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا سورة الأنعام43 جأروا ألقوا على الله دعاء مع خشية تضرع دعاء مع خوف تضرع، ومن أعظم الأسباب الواقية من نزول العذاب المهلك المدمر من أعظم الأسباب الإصلاح وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون سورة هود117 إصلاح الفساد تغيير المنكر الدعوة إلى الله الأمر بالمعروف النهي عن المنكر فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس سورة الأعراف165 وهذا حديث السفينة إذا أرادوا أن يخرقوا فتركوهم غرقوا وغرقوا جميعاً (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب) [رواه أبو داود4338] فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم سورة النور63.

اللهم إنا نعوذ بك من سخطك وعقابك يا رب العالمين، اللهم هيء لنا من أمرنا رشداً، اللهم أصلحنا يا أرحم الراحمين، اللهم اجعلنا عاملين بشرعك، قائمين بأمرك منتهين عما حرمت، اللهم إنا نسألك الأمن والإيمان لبلدنا هذا، وبلاد المسلمين، اللهم اجعلها قائمة بأمرك، محكمة لشرعك، عامرة بذكرك، يا أرحم الراحمين، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وارحم ضعفنا واجبر كسرنا اللهم أصلح أمرنا اللهم أرشدنا وتب علينا وتولى أمرنا يا أرحم الراحمين اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب اللهم ارفع البأس عن إخواننا المستضعفين، اللهم ارفع البأس عن إخواننا المستضعفين ليس لها من دونك كاشفة، فاكشف ما نزل بهم من ضر يا أرحم الراحمين، اكشف ما نزل بهم من ضر يا رب العالمين، اكشف ما نزل بهم من ضر إنك على كل شيء قدير، اللهم آمناً في الأوطان والدور، وأصلح الأئمة وولاة الأمور، واغفر لنا يا عزيز يا غفور، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.



عنوان الخطبة	أسباب صلاح البال
عناصر الخطبة	1/ مناقب الصديق رضي الله عنه 2/ خصوصية علاقته بالنبي الكريم 3/ استخلاف النبي الكريم له في الصلاة بالناس عند مرضه 4/ وفاته رضي الله عنه
الشيخ	محمد صالح المنجد
عدد الصفحات	12
رقم الخطبة في الموقع	2614

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله.

عباد الله: يقول ربنا - سبحانه وتعالى - في سورة محمد - صلى الله عليه وسلم -: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) [محمد:2]؛ وتكفير السيئات ثواب أخروي عظيم، يبني عليه دخول الجنة والوقاية من النار.

وهذا نتيجة الإيمان والعمل الصالح، فما معنى قوله (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ)؟ ما هو البال؟ وما معنى صالح البال؟ وما قيمة هذه القضية حتى جعلها مكافأة ونعيماً لمن آمن وعمل صالحاً: (كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ)؟ هل سألت نفسك يا مسلم، يا عبد الله، مرة وأنت تمر بهذه الآية في الحتمة (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ): ما هو صلاح البال؟.

البال - يا عباد الله - قال العلماء هو الأمر، وقالوا هو الحال، وقالوا هو الشأن، وقالوا هو القلب، وقالوا هو النية؛ أصلح شأنهم.. أصلح حالهم.. أصلح نيتهم.. أصلح قلوبهم.. أصلح عقولهم ونفوسهم.

البال في اللغة هو الحال والشأن، فماذا يترتب على صلاح الحال والشأن (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ)؟ إذا فحالك - يا أخي المسلم، ويا أيتها الأخت المسلمة - إذا صلح الحال صلحت الحياة والأمور حصل الفوز والفلاح، حصلت الراحة والطمأنينة، حصلت النعمة والنعيم النفسي، استقام الأمر، ورضي القلب، واستمتع الإنسان بالحياة.

(سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) [محمد: 5-6]، نلاحظ أن صلاح البال في الآية الأخرى معطوف على الهدى، وصلاح البال إذاً يحتاج إلى سلوك سبيل الله - سبحانه وتعالى -.

هل هناك ناس بالهم مشتت؟ بالهم مُعسر؟ بالهم معكر؟ نعم، كيف ينتقل الإنسان من تعكير البال وتعسير الحال إلى صلاح البال وتيسير الحال؟

الجواب المذكور في قوله تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [الأنفال: 53]؛

فإذا نفسك أو مزاجك معك، إذا حالك مُعسر، فلا بد من إجراء تغيير، ما هو التغيير؟ حسب الآية الأولى: الإيمان، العمل الصالح؛ الهداية في الآية الأخرى، إذاً فلا بد من البحث في أسباب صلاح الحال؛ لذلك -يا عباد الله- تحسين العلاقة مع الله، وما تقرب إلي عبد بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، فإذا بالفرائض أولاً.

الطريق واضح، والمعالم نيرة، ماذا بعد الفرائض؟ وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا النوافل بعد الفرائض؛ ماذا أيضاً؟ تقوى الله: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * هُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ...) [يونس: 62-64].

إذاً، فالمؤمن أطيب الناس عيشاً، وأنعمهم بالاً، وأشرحهم صدرأً، وأسرهم قلباً، يدخل جنة الدنيا قبل أن يدخل جنة الآخرة؛ وفي الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل الجنة الآخرة.

لأن الإيمان والعمل الصالح والاستقامة والذكر وحفظ العلاقة مع الله تعالى لا بد أن تنتج نعيماً، لا تظن يا مسلم أن قول الله (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) [الانفطار: 13، المطففين: 22] تعني نعيم الآخرة فقط، بل هنالك نعيم في الدنيا، وهو راحة البال، وصلاح الحال.

(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ): نعيم في الدنيا قبل أن يدخلوا نعيم الآخرة، نعيم الدنيا هو انشراح الصدر، اللذة النفسية؛ ليس نعيم الدنيا دائما في القصور والمراكب والمآكل اللذيذة، وهذا يحصل لكثير من الناس ثم ينتحرون! فلماذا ينتحر بعض أصحاب الثروات؟ لأنهم لم يذوقوا نعيم الدنيا الذي هو راحة البال، وصلاح الحال، وطمأنينة النفس، وانشراح الصدر، ونور القلب؛ هذه معانٍ لا يعرفها غير المسلم؛ كيف سيعرفها وهو لا يركع لله ولا يسجد له ولا يذكره ولا يمس له كتابا ولا يعرف له حلالا من حرام؟!.

(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) [البقرة: 45]، الصلاة هذه من جنة الدنيا فعلاً، وذكر الله من نعيم الدنيا حقيقة، (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: 28]. كان لأحد الصحابة وردٌ فيه أدعية وأذكار له، فسمع النبي -عليه الصلاة والسلام- مرة يذكر فضل الصلاة عليه، فقال: أبي يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ (من الورد هذا، عنده ورد يجلس يذكره حتى ينقضى)، قال: "ما شئت"، قلت: الربع؟ قال: "ما شئت، وما زدت فهو خير لك"، قلت: النصف، قال: "ما شئت، وإن زدت فهو خير لك"، قلت: الثلثين؟ قال: "ما شئت، وإن زدت فهو خير لك"، قلت: أجعل لك صلاتي كلها (كل الورد أجعله صلاتي عليك)، قال: "إذن (يعني في هذه الحالة) تُكْفَى همّك، ويغفر لك ذنبك" رواه الترمذي وهو حديث حسن وصحيح.

من أسباب صلاح الحال - يا عباد الله - القناعة بالرزق، صلاح البال هذا والهدوء والطمأنينة لا يتأتى إلا بأن يقنع الإنسان بما قسم الله له، "مَنْ أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا"، آمناً، معافى في البدن، عنده طعام اليوم، هذا كل ما يحتاجه الآن لهذا النعيم الدنيوي؛ ولذلك قال: فكأنما حيزت له الدنيا، وبعض الناس لا يقنعون بما قسم الله لهم، لماذا ليس عندي ما عند فلان؟ "اشمعي" فلان؟ هذا إذا لم أستطع الحصول عليه فهل يمكن نزعه من فلان حتى أرتاح! هكذا يفكرون في سلوك سبيل الراحة، نزع النعمة من فلان وفلانة ليرتاح هو، لماذا؟ لأن النفس قلقة؛ لماذا؟ لأن النفس لم ترضَ بما قسم الله.

هل كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يدعو بشيء فيه من هذا القبيل في قضية صلاح البال؟ نعم: "يا حي يا قيوم! برحمتك أستغيث! أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين". قوله: أَصْلِحْ لي شأني كله هو موضوعنا؛ البال هو الشأن والحال، أَصْلِحْ لي شأني كله. وكذلك قال: "اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي".

فمرة للدين، ومرة للدنيا، والثالثة للآخرة؛ ركز على الآخرة وعلى الدين والدنيا ستأتي تبعاً، واعمل للدنيا بالأسباب، نعم! لكن لا تجعل جُل الوقت للدنيا، ولا أكثر العمل للدنيا، ولا غالب سعيك للدنيا، وإنما الغالب والأكثر والنسبة الأكثر للدين والآخرة، ألا تراه قال: "اللهم أصلح لي ديني

الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنيائي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي".

صلاح البال مذكور في الأذكار المتبادلة بين المسلم وإخوانه، أين يا ترى مذكور هذا؟ شيء يحصل من كل واحد منا ولا بد، فيدعو لهم أخوه بهذا: "صلاح البال"، إذا عطس أحدكم يقول: الحمد لله. وليُقْلَلْ له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، وإذا قال له يرحمك الله يقول: يهديكم الله ويُصْلِحُ بالكُم.

كأننا أحيانا ننتبه لمعاني الأذكار لأول مرة، هذه هناك في العطاس، متى؟ كيف؟ لأننا أحيانا لا نتدبر في الأذكار فيأتينا المعنى كأننا نسمعه لأول مرة، عجباً! الموضوع مذكور في أذكار العطاس: يهديكم الله ويصلح بالكم. اليهود كانوا يتعاطسون عند النبي -صلى الله عليه وسلم- ليقول الواحد منهم: يرحمكم الله؛ ليقول: يهديكم الله ويصلح بالكم؛ ولكن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يفوّت عليهم هذا، فلا يقول لليهودي يرحمك الله. يتعاطسون عنده يرجو أحدهم أن يقول له النبي -عليه الصلاة والسلام-: يهديكم الله ويصلح بالكم. لكن الهداية عندنا وصلاح البال عندنا وليست عند اليهود!.

عباد الله: صلاح البال يمكن الحصول عليه عند صلاة الاستخارة عند الحيرة لمن كان يريد أن يتخذ قرارات في هذه الحياة، خطبة امرأة، إقبال على وظيفة، تسجيل في جامعة، انتقال من بلد إلى بلد... قرارات كثيرة؛ قال:

"إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة - يعني يمكن تكون سنة راتبة-، ثم يقول دعاء الاستخارة قبل السلام أو بعد السلام.

دعاء صلاة الاستخارة هذا من أسباب راحة البال، أيما كانت النتيجة تقول أنا استخرت ودعوت ربي، ولو جاء الأمر في بادئه وفي ظاهره على خلاف ما تشتهييه فلا ضير، (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة:216].

وكذلك فإن راحة البال مجموعة في حديث: "من كانت الآخرة همَّ جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة؛ ومن كانت الدنيا همَّ جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأتها من الدنيا إلا ما قدر له".

نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يجعلنا في راحة بال، وأحسن حال، إنه هو الرحيم المتعال.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله مالك الملك ذي الجلال والإكرام، الحي القيوم الرحيم الرحمن، العزيز الديان، مالك الملك رب السموات والأرض؛ أشهد أن لا إله إلا هو الحي القيوم وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، أمينه على وحيه، ومصطفاه من خلقه، الشافع المشفع، وحامل لواء الحمد يوم الدين، إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين، وأزواجه وذريته وخلفائه الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

يا عبد الله: "رَبِّحْ بالك" بأن يكون حبك لله، وخوفك لله، ورجاؤك لله، وتوكلك على الله، واستعانتك بالله والتجاؤك إلى الله؛ إذا أعطيت أعطى الله، وإذا منعت امنع الله، أخلص لله، وأتبع أمر الله، فكن لله وبالله وعلى الله؛ الله في العمل والاخلاص، بالله في الاستعانة، وعلى الله في التوكل.

ولذلك بعض الناس يقول: أنا أثق بنفسي؟! لا، الثقة بالله، فأنت تعمل بالأسباب، ما عندك التردد، ما عندك التواكل، ما عندك الآفات النفسية؛ لكن الثقة بالله وليست بالنفس، كن واثقاً بربك، لا بنفسك ولا بغيرك.

الأشخاص الذين يعملون الصالحات من العبادات، يقول عنهم الأطباء النفسيون الذين أجروا التجارب بأنهم في حالة نفسية أحسن وأفضل، لماذا؟ بعدما قاموا بالعينات والتجارب قالوا: هذه المجموعة التي تقوم الليل، وتهجد، وتذكر، وتدعو، وتتلو الكتاب العزيز، هذه بالاستقراء الطبي

والتحليل النفسي في الوضع الأحسن. إن هذه القضية لا تحتاج إلى استقراء طبي وتحليل نفسي؛ لأنه قد جاء في الحديث: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً".

لأنك لمَّا تثق بالله - يا عبد الله - أنت مطمئن أن تدبير الله خير لك من تدبيرك لنفسك، واختيار الله لك خير من اختيارك لنفسك، ورضاك لما قدر الله لك - سبحانه وتعالى - هو مُبتغاك لا تريد غير ذلك أبداً؛ ولأجل هذا كي ينشرح صدرك وتعرف معنى عبارة السلف: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها.

ما هو أطيب ما فيها؟ إنه طمأنينة القلب، انشراح الصدر، لذة النفس بالقرب من الله وبمناجاته - سبحانه وتعالى -، وأن الله يجمع لهم شأنهم، ويرضيهم بما آتاهم، ويفرغ عليهم صبراً، وينزل عليهم السكينة، ويغشاهم بالرحمة، وينزل الملائكة لتحفهم، ويكون معهم بمعيتهم، وأن الله مع المؤمنين، وأن الله يدافع عن اللذين آمنوا، إذ يغشيكم النعاس أمانةً منه؛ قالها الله للمؤمنين في بدر، هذه الأشياء من الذي يذوقها؟.

الذي يتصدر قائمة أثرى أثرياء العالم ليسو من المسلمين! الذين يتصدرون القائمة الأوائل ليسوا من المسلمين! وسيموتون ويخرجون من الدنيا ولا يذوقون أطيب ما فيها! قطعاً يا عباد الله قطعاً: (وَلْيُمْكِّنْ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلْيُبَدِّلْهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) [النور: 55]؛ هذه محرومون منها، (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَ حَيَاةً طَيِّبَةً)

[النحل:97] هذه محرومون منها؛ (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) [الانفطار:13]،
 [المطففين:22] هذه محرومون منها. هكذا إذا يذهبون ويخرجون من الدنيا
 وما ذاقوا أطيب ما فيها!.

كان بعض السلف إذا سئل: لماذا أنت في نعيم وفي هدوء بال؟ قال: كنت
 لا أتكلم في ما لا يعني، وكان قلبي سليماً للمسلمين. كان الفقيه أبو
 إسحاق الشيرازي نزع عمامة له بعشرين دينارا ونزل يتوضأ في نهر دجلة،
 فجاء لص فأخذها وترك عمامة رديئة بدلها، فطلع الشيخ فلبس العمامة،
 وما شعر حتى سأله في الدرس، فقالوا له: يا شيخ! أخذت عمامتك
 وسُرقت، وهذه باليه، فانتبه! قال: لعل الذي أخذها محتاج.

وهكذا - يا إخواني - يكون حال المؤمن: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ)
 [الأعراف:43]، مبني على أنهم في الدنيا كان يبيت أحدهم على سريره
 وما في صدره غل لأحد؛ ومشكلة كثير من الناس أن عندهم حسداً أو غلاً
 أو بغضاء أو حقداً أو غيره؛ فلذلك لا يرتاحون نتيجة أحد هذه العوامل.

واذكروا - يا عباد الله - هذا الكلام: أكثر أسباب المشكلات العائلية، هذه
 قضية، ليه فلان عنده وليس عندي؟ حقد، بغضاء، كره، وهكذا... هذا
 شيء طبيعي لمن لا يعمل بأمر الله - سبحانه وتعالى -: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ
 عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) [النساء:54]، هذه آية واحدة تحل القضية.

إذاً - يا عباد الله - ينبغي علينا أن نتعد عن هذا الحسد وهذا الحقد،
 والغضب جمرة من جمرات الشيطان، وأيضا الظلم؛ لأن الظالم لا يمكن أن

يرتاح في النوم أبداً، كيف يرتاح في نومه وسهام الليل صاعدة؟ كيف؟. ظلم وزير امرأة فأخذ بيتها ومزرعتها - كما تقول كتب التاريخ الإسلامي -، فهددته أن تشكوه إلى الله، فقال مستهزئاً: لا تنسَيِ الثلث الأخير من الليل، كثري من الثلث الأخير من الليل، فقامت تدعو عليه شهراً، فابتلاه الله بحاكم فوقه فأخذه وقطع يده وسجنه، وكان يضربه كل يوم، كل يوم يخرج به ويعاقبه بالجلد.

فمرت المرأة به فرأته فشكرته على وصيته وقالت:

إِذَا جَارَ الْوَزِيرُ وَكَاتِبَاهُ *** وَقَاضِيَ الْأَرْضِ أَجْحَفَ فِي الْقَضَاءِ

فَوَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ *** لِقَاضِيَ الْأَرْضِ مِنْ قَاضِي السَّمَاءِ

لا يمكن للظالم أن ينعم براحة بال، والمظلوم يدعو عليه، وعين الله لم تنم.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا في نعيم في الدنيا والآخرة يا رب العالمين.



عنوان الخطبة	أسرانا في أيدي الكفار
عناصر الخطبة	1/ تكريم الله للإنسان بستر عورته 2/ عداوة الكفار قائمة إلى قيام الساعة 3/ معاناة الأسرى المسلمين على أيدي الصليبيين 4/ حال الأسير في الإسلام 5/ حقيقة التناقض الغربي
الشيخ	الشيخ/ محمد بن صالح المنجد
عدد الصفحات	17
رقم الخطبة في الموقع	3511

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: 102]، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء: 1]، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب: 70، 71].

أما بعد:

فإن الله - سبحانه وتعالى - قال في كتابه العزيز: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) [الإسراء: 70].

فكرمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وكرمهم بالماكل والمشارب والمناكح وفضلهم على كثير ممن خلق من أنواع المخلوقات. ومما كرمهم به ذلك اللباس الذي أنزله عليهم يواري سوءاتهم، وكذلك أنزل عليهم ريشًا: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا) [الأعراف: 26]، وذكرهم باللباس الديني بعد لباس الدنيا، ولباس الدنيا فيه واجب يستر العورات وفيه زيادة وزينة وهو الرياش.

هذا مقتضى التكريم الذي كرم الله به بني آدم، وأخبرنا الله - عز وجل - أنه قد قسمهم إلى قسمين مؤمنين وكفار، وأن العداوة بينهما إلى قيام الساعة، وحذر المؤمنين من الكفار فقال: (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) يعني بالقدرة والسلطة (لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) [التوبة: 8] لا يرحمكم، لا عهد ولا قرابة، بل يسومونكم سوء العذاب، ولا يغرنكم منهم ما يعاملونكم به في وقت الخوف منكم، فإنهم (يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ)، تأبى محبتكم

بل ينصبونكم العذاب، ولو استطاعوا وقدروا وتسلطوا عليكم (لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً)، وأولئك هم المعتدون.

إنهم يعادونكم في الدين فكيف سيرحمونكم؟! ومن أين ستأتي الشفقة منهم عليكم؟! هذا لا يكون أبداً، لا يرقبون فيكم إلا ولا ذمة.

ولذلك حذرنا الله من تقريبيهم ومن اتخاذهم بطانة فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا) [آل عمران: 118]، لا يقصرون في الإساءة إليكم، ولا في المكر بكم، ولا في الإضرار بكم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً: (لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا) لا تتخذوهم أصدقاء، ولا تسروا إليهم بالأسرار، ولا تفوضوهم بالأمر؛ إنهم أعداء.

قال -عز وجل-: (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) [آل عمران: 118].

عباد الله: لقد طفحت الأخبار في هذه الأيام بما يلقاه إخواننا الأسرى من أذى الصليبيين، لقد ساموهم سوء العذاب، قتلاً وتعذيباً وتشويهاً وتعرية وأنواعاً من الإيذاء النفسي والجسدي الذي صبوه عليهم.

وهذا لا استغراب منه؛ لأنهم كفرة لا يؤمنون بالله ولا يخافونه؛ لأنهم كفرة، حقد الصليب على أهل الإسلام؛ لأن الله أخبرنا عنهم فليس هناك جديد، الله لما قال: (لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً)، إذا قدروا عليكم وتسلطوا، فهؤلاء

قد تسلطوا ولما سجنوا المسلمين ماذا فعلوا بالأسرى المسلمين؟! أهانوا الكرامة الإنسانية وقد قال الله: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) [الإسراء: 70].

حتى اللباس نزعوه عنهم، وقد قال الله لبني آدم: (قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَآتِكُمْ) [الأعراف: 26]، لكن هؤلاء أزالوا هذا اللباس.

يا ترى كيف يكون حال الأسير في الإسلام؟! كيف يعامل الأسير في هذا الدين؟!

إن هذا الحقد الصليبي، إن هذه الوحشية، إن هذه القاذورات التي ألقيت على المسلمين في بلاد المسلمين تبين بجلاء ووضوح حجم العداوة والحقد الذي ينبعث من تلك النفوس العفنة عباد الصليب الأرجاس الأنجاس، أهل الوقاحة والدناءة والخسة هكذا يفعلون بالمسلمين.

أولاً: لقد بين ربنا في كتابه أنه لا بد من فكاك الأسير المسلم فقال -عز وجل-: (وَإِنْ يَأْتِوكُمُ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ) [البقرة: 85].

فيجب فك الأسير المسلم، ولا بد من استنقاذه من أيدي الكفار.

قال القرطبي -رحمه الله- في تفسيره في الجامع لأحكام القرآن في المجلد الثاني: "ولعمر الله لقد أعرضنا نحن عن الجميع بالفتن، فتظاهر بعضنا على بعض! ليس بالمسلمين، بل بالكافرين! حتى تركنا إخواننا أذلاء صاغرين يجري عليهم حكم المشركين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

قال ابن خوير منداد من فقهاء المالكية: "تضمنت الآية وجوب فك الأسرى، وبذلك وردت الآثار عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه فك الأسارى وأمر

بفكهم، وجرى بذلك عمل المسلمين وانعقد به الإجماع. ويجب فك الأسارى من بيت المال، فإن لم يكن فهو فرض على كافة المسلمين، ومن قام به منهم أسقط الفرض عن الباقيين".

وقال الجصاص في الآية: "تدل على أن فداء أسراهم كان واجباً عليهم". قال مالك: "على الناس أن يفدوا الأسارى بجميع أموالهم".

وقد حثَّ الله - سبحانه وتعالى - على الجهاد في سبيله من أجل هذه المسألة: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) [النساء: 75]. (وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا) ينقذنا، و(نَصِيرًا) ينصرنا ويحامي ويدافع عنا.

قال ابن العربي - رحمه الله - قال علماؤنا: "أوجب الله سبحانه في هذه الآية القتال لاستنقاذ الأسرى من يد العدو مع ما في القتال من تلف النفس، فكان بذل المال في فدائهم أوجب؛ لكونه دون النفس وأهون منها".

عباد الله: كيف يكون حال الأسرى في الإسلام؟! وعندما يأسر المسلمون قومًا ماذا يفعلون بهم؟!

إن الله - سبحانه وتعالى - لما أمر بالكفار أن تضرب أعناقهم؛ لأن هؤلاء الصناديد الكفرة سيستمر شرهم إذا لم تضرب أعناقهم، فإذا أخذهم المسلمون في المعركة قال: (فَشُدُّوا الوثَاقَ) لكي لا يهربوا (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً)

[محمد: 4]. إذا مجرد التقييد لكي لا يهربوا، ثم بعد ذلك ينظر في المن عليه أو المفاداة به، إذا لم يكن في قتله الفائدة للإسلام وأهله.

أما مسألة تعذيب الأسير، وتعرية الأسير، وتجويع الأسير، فما حكمها في شريعة الله؟! وكيف يخاطب الأسير؟!

إن الأسرى في الإسلام يعاملون معاملة حسنة، بل إنه توجه إليهم الدعوة، قال تعالى في سورة الأنفال: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَعْفُزْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [الأنفال: 70]. إذا أخذ منكم الفدية فإن الله سيؤتيكم بعد ذلك خيراً مما أخذ منكم، ويغفر لكم، والله غفور رحيم، فإذا أسلمتم عوضكم الله خيراً.

فإذا أخذ الأسير في الإسلام فإنه يجب على المسلمين إطعامه ولا يجوز تجويعه، استجابة لأمر الله في سورة الإنسان: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) [الإنسان: 8].

وقد قام المسلمون بإطعام أسراهم، وكان أحد أسرى بدر -وهو أبو عزيز بن عمير- يقول حول معاملته: "كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خَصَّوْنِي بالخبز، لوصية رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها؛ فأستحيي فأردّها فإردّها عليّ ما يمسهّا!

وقد أوصى النبي - صلى الله عليه وسلم - بالأسرى خيراً، وقال - عليه الصلاة والسلام - في أسرى بني قريظة بأن يتركوا للقليلة حتى يبردوا، ولا يجمع عليهم حر اليوم وحر السلاح.

وسئل مالك - رحمه الله - : "أيعذب الأسير إن رجا أن يدل على عورة العدو؟!" فقال: ما سمعت بذلك".

إذاً فالأسير إذا وقع فإن كانت المصلحة في قتله كـ"أرناط" الذي قتله صلاح الدين بيده لأنه كان يقتل الحجاج الذين يذهبون من الشام إلى مكة، ويحرك بواخر الحجيج، فيكون المسلمون بين الغرق والخرج، لما كانت المصلحة في قتل عدو الله عَجَل به إلى الله، ولم يكن في الإسلام التعذيب ولا التعرية ولا التجويع ولا الجرح ولا وضع الملح عليه ولا إدخال العصا في الأدبار، ولا تعرية السجناء وتكويم بعضهم فوق بعض كما يفعل هؤلاء الأرجاس الأنجاس، هؤلاء الحاقدون على أهل الإسلام.

عباد الله: ليس من الإسلام في شيء أن يجعل على عينه رباط، وعلى سمعه رباط، وعلى فمه رباط، حتى يصاب بالجنون:

أَلَا نَفُوسٌ أَبْيَاتٌ لَهَا هَمٌّ *** أما على الخير أنصارٌ وأعوانُ

وهكذا غمضت أعين المسلمين، ووضع القيد والحجاب على الأذن وعلى الفم.

يا نائمين على الحرير وما دروا *** أنا ننام على فراش قتاد

يا نائمين وما دروا أنا هنا *** لسنا نذوق اليوم طعم رقاد

وهكذا تعرف أخبار إخواننا المسلمين الذين يستنجدون ولا يجدون من ينجدهم، والذين يستغيثون ولا يكادون يجدون من يغيثهم.

عباد الله: لقد أفرد فقهاؤنا في أحكام الأسير المسلم، وصنفوا في ذلك لأجل أهمية هذا الأمر؛ حتى يعرف كيف يعبد ربه، وليكثر الذي صار في يدي العدو بما حصل من الابتلاء.

ولما سجن الإمام البويطي -رحمه الله- ووضع الغل في عنقه والقيد في رجله قال: "ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدتهم".

وكان يغتسل كل جمعة ويتطيب ويصلي، وكتب البويطي إلى الذهلي: "أسألك أن تعرض حالي على إخواننا أهل الحديث، لعل الله يُخَلِّصني بدعائهم، فإني في الحديد، وقد عجزتُ عن أداء الفرائض؛ من الطهارة والصلاة، فضجَّ الناس بالبكاء والدعاء له لما قرأت رسالته عليهم".

ولما سجن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- سبع مرات، وكان سجنه أسوأ من سجن النصاري الذين يسجنهم المسلمون، لما تفنن أعداؤه به من أذيتهم قال: "ثم النصاري في حبس حسن، يشركون فيه بالله، ويتخذون فيه الكنائس، فيا ليت حبسنا كان من جنس حبس النصاري، ويا ليتنا سُويْنَا بالمشرَكين وعبَاد الأوثان! بل لأولئك الكرامة ولنا الهوان، وبأي ذنب حُبس إخوتي في دين الإسلام؛ غير الكذب والبهتان؟!".

وقال ابن القيم يحكى حال شيخه في سجن القلعة: "وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت لهم ملء هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة. أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا به من الخير".

ولما كان هناك أسرى من المسلمين عند ترجوان ملك قبرص النصراني كتب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية الرسالة المشهورة بالرسالة القبرصية، يدعو فيها إلى إطلاق أسرى المسلمين، وقال له: "ولو أسرنا حربيًا لأجل تخليص مَنْ أسروه منّا جاز اتفاقًا".

وكان يقول له: "إنه في المسلمين من الفداوية من يقتل الملوك على أسرتها". ترهيبًا له.

ويقول له: "وأنت تعرف حال سجنائكم لدينا وأسراكم عندنا". يعني كيف نكرمهم ونعتني بهم، كيف نبذل لهم ونهتم بهم"، يعني بقوله له: ألا تستحي أننا نحسن إلى أسراكم عندنا ثم تهينون أسرانا لديكم؟!

ولما قدر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- على إطلاق الحافظ المزني من الحبس ذهب إليه وأخرجه من الحبس بيده، وقال شيخ الإسلام -رحمه الله- : "يجب على القريب افتكاك قريبه من الأسر".

وأيضًا فقد بين الفقهاء ماذا يعمل الأسير المسلم، وقالوا: إنه لا يجوز عند أحد من المسلمين تجريد السجين من ثيابه أو حبسه مكشوف العورة مهما كانت جرمته، ويجب تمكينه من فكها ومن أسباب الصلاة، وإذا لم يجد ما يغطي به عورته صلى عاريًا، وإن صلى يستحب له القعود، وإن صلى واقفًا

صحت له صلاته، وإن اجتمع عراة في الظلام صلوا عريانين جماعة استحباباً
بركوع وسجود كالمستورين، ويقف إمامهم في وسطهم، وإلا إذا لم يقدرُوا على
ذلك ابتعدوا وجوباً وصلوا فرادى، وإن لم يمكن تفرقهم ولم يكن ظلام صلوا
قعوداً غاضين أبصارهم، أو قياماً غاضين أبصارهم، فيكونون متفرقين؛ لأنه
ما دام الحال أنهم عراة فإنهم لا يكونون متماسين.

وإذا جهل المحبوس القبلة فعليه أن يتحرى جهتها ويصلي، وكذلك يتحرى
في مواقيت الصلاة، وإذا كان السجين يعجز على الركوع والسجود فله أن
يصلي بحسب استطاعته قائماً أو قاعداً أو مستلقياً ولو على جنبه، ولو أوماً
برأسه، ولا يترك الصلاة ما دام عقله باقيًا.

والأصل في هذا قوله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [البقرة:
185]، وأيضاً فإنه إذا مرض السجين فإنه يعالج، ولا يمنع من الطبيب، بل
والخادم إذا احتاجه.

وقد قال أحد الأسرى: "لما مرّ النبي -صلى الله عليه وسلم- ناداه أحد
الأسرى: يا محمد يا محمد، فأتاه فقال: "ما شأنك؟!"، فقال: إني جائع
فأطعمني، وظمآن فاسقني، فأمر له النبي -صلى الله عليه وسلم- بقضاء
حاجته. رواه مسلم.

فيمكن إذاً من أي شيء يحتاجه إذا دعت الحاجة إليه.

وقال الفقهاء بأن هؤلاء يطبّون ويعالجون، بل قالوا بأنه -أي الأسير- يوفّر
له رؤية زوجته والخلوة بها.

ونصّ الفقهاء على عدم جواز تعذيبه أو كسر شيء من عظمه؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن التمثيل بالأسرى وقال: "لا تمثلوا". رواه مسلم.

ولا يجوز تعذيبه بالنار أو خنقه أو غطسه بالماء، أو تجويعه أو تعريضه للبرد، أو إطعامه ما يضره، أو منعه من اللباس أو تجريده منها.

وكان الخليفة علي - رضي الله عنه - يتفقد السجن ويشاهد المسجونين بنفسه ويفحص أحوالهم، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: "انظروا من في السجون وتعهدوا المرضى". وجعل الخليفة المعتضد العباسي ألفاً وخمسمائة دينار لنفقة المسجونين وحاجاتهم وعلاجهم.

وكذلك فإن الناظر في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - لما قال: "فكوا العاني"، يعني الأسير، والنبي - عليه الصلاة والسلام - لما أمر بهم خيراً أطلق ستة آلاف أسير من قبيلة هوازن دفعة واحدة.

وفي غزوة بني المصطلق أكرم الصحابة الأسرى إكراماً لني الله - صلى الله عليه وسلم -، مع أنه يجوز استرقاقهم.

عباد الله: كل ذلك يبيّن كيف حرص هذا الدين على إكرام البشرية الإنسانية، ثم السجين المسلم كيف يعامل؟!!

اللهم إنا نسألك أن ترحم موتانا، وتشفي مرضانا، وتفك أسرانا، وتقضي ديوننا، وتستر عيوبنا، وتكبت عدونا، وأن تثبت أقدام المجاهدين وتنصرهم على القوم الكافرين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، اللهم صل وسلم وزد وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وخلفائه وذريته وزوجاته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله: إن هذا الحقد الذي ترشح به نفوس هؤلاء الأعداء لا يستغرب لمن تأمل قوله تعالى: (وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً).

هكذا عندما يتبجح هؤلاء بأنهم جاؤوا لإطلاق الحريات، هكذا عندما يتبجح هؤلاء بأنهم جاؤوا لتحرير الإنسان، هكذا عندما يتبجح هؤلاء بأنهم جاؤوا لنشر الديمقراطية، فقد أكذبهم الله تعالى على الملاء وفضحهم ونقل ممارساتهم التي تجري بعلمهم، وقدر - سبحانه وتعالى - أن يرى العالم كله ما هي هذه الحرية، وأن يرى العالم كله عندما يتسلط الكافر ماذا يفعل في الأرض؟! إن الأرض لتئن اليوم من هؤلاء الطغاة، ولتحن إلى وقت كان المسلمون يقودون فيه العالم.

لا يصلح العالم إلا بهذا الدين، ولا يمكن أن تسعد البشرية إلا بنور الإسلام، والدنيا ملعونة إلا ما أشرقت عليه شمس هذه الرسالة.

عباد الله: إن الاستخفاف الذي يحصل اليوم الذي يقول فيه القائد لجنديه القلق من ظهور الفضيحة: لا تقلق بشأن ذلك.

هؤلاء الذين لا قيمة عندهم حتى للجثة، تبقى لتتحلل، وإذا أخرجوها ووضعوها في صندوق وألقوا عليها شيئاً من الثلج، وأخذوها لتدفن بغير أن

يعلم من هو ولا يخبر أهله، وعندما تسمع أخبارهم اليوم التي تنقلها وكالاتهم هم عن إبقاء السجناء مستيقظين ممنوعين من النوم والراحة، بل إنهم يجبرونهم على الوقوف ويعزفون أمامهم الموسيقى الغريبة، ويجبرونهم على الرقص ساعات طويلة، ويا ويله إذا توقف عن الرقص.

هؤلاء الذين يجردون الأسرى ويجعلون بعضهم فوق بعض، أو يجبرونهم على فعل الفاحشة، أو يفعلون هم بهم الفاحشة، هذا هو المبدأ، وهذا هو الذي قدموا من أجله.

وأما في الإسلام فقد قال الله: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) [المؤمنون: 5]، قال الله - سبحانه وتعالى - في تكريم بني آدم: إنه أنزل عليهم لباساً يوارى سوءاتهم، غطّى عورتك، وجاء الأمر بتغطيتها.

والأسير - حتى من الكفار - إن كانت مصلحة الإسلام في ضرب عنقه يعجل به إلى الآخرة، فإنه لن يعذبه أحد مثلما يعذبه الله، لا يعذب مثل عذابه أحد، ولا يوثق مثل وثاقه أحد، فلا مصلحة لنا إذاً في تعذيبه وإبقائه، والله سيعذبه أعظم وأشد.

بل إن الإسراع في ذلك هو في الحقيقة شفاء صدور قوم مؤمنين، وإن كانت المصلحة في إبقائه يحسن إليه ويدعى إلى الإسلام ويدعم ويهدى، ويعالج كما تقدم.

وأما هؤلاء، فإنهم يسكبون عليهم السوائل الفسفورية، ويوثقونهم إلى الأعمدة الباردة، ويضربونهم بالكراسي والمطارق، ويهددونهم بالاغتصاب، ويسلطون

عليهم الأضواء شديدة السطوع من المصادر الكيماوية، وهكذا يجعلون في رقابهم سلاسل الكلاب ثم يسحبونهم عراة على الأرض، ويضعون الواحد فوق الصندوق وهو مربوط بالأسلاك الكهربائية ليقولوا له: إنك لو نزلت أو جلست فإن الدائرة الكهربائية ستغلق وتصعق وتموت. فيبقى مسكيناً واقفاً طيلة الوقت حتى يحدث له الانحيار.

وهكذا الأصوات والأضواء التي تسلط عليهم تعذيباً، فهل يسمحون لهم بستر عورتهم؟! كلا، هل يسمحون لهم بالطهارة والوضوء؟! كلا، هل يسمحون لهم بأداء الصلاة؟! كلا، فضلاً عن أن يدلّوهم على القبلة أو يخبروهم بوقتها!! ثم إنهم لإهدار الكرامة الإنسانية يبولون عليهم، فهل رأيت حقارة هذه الأمة الذي تزعم اليوم أنها الرقم واحد في العالم!! هل رأيت حجم الأخلاق التي عند هؤلاء الذين يقولون اليوم: إن الله قد بعثهم لقيادة البشرية؟! فكيف يقود البشرية أمثال هؤلاء الذين هم أقل مستوى من البهائم كما قال الله: (إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ).

وأيضاً فإن المسلم يقول: لم نجد إلا أن نواري عوراتنا بأيدينا، وإذا كان هذا حال الذكور المسلمين فما بالك بالنساء المسلمات وما يفعل بهن من هتك الأعراض، وما يفعل بهن من مثل هذا!! هل هكذا تكون حتى معاملة البشر!! لكن عندما يستلم القيادة الكفار فإنها جاهلية وبربرية، والذي لا إله إلا هو لا يصلح العالم ولا البشرية إلا أن تقاد بالإسلام، هؤلاء الذين قالوا: جئنا لإنقاذ ذلك الشعب وتجنيب العالم الفوضى، وأن يلعب دوراً حراً، وأنه قد

عانى بما فيه الكفاية، وأنا جئنا لوحده، وأنا نريد إنشاء نظام ديمقراطي يحترم حقوق الإنسان، وأن السلام في العالم مضطرب وقد جئنا لتشيته، وأن يوم تحريركم قد أرف.

هذه أقوالهم، فماذا كانت الأفعال؟!!!

عباد الله: إننا حقيقة لنأسف لهؤلاء المنافقين من جلدتنا، الذين يعجبون بهذه الحضارة العفنة، الذين عندهم اغترار وانخداع بالقوم الكافرين، ويريدون من المسلمين أن يمشوا على منوالهم.

اختلاط الرجال بالنساء، والتحرير كما يقولون، والتحرر من كل القيود، وأن نسير مثل سيرتهم حتى نصل مثل ما وصلوا إليه، فهذا هو ما وصلوا إليه!! لقد فصحت القضية ليست حالة أو حالات فردية، بل إنها كثيرة جداً، ولذلك لم يستطيعوا إخفاءها ولا محاصرتها، فانتشرت حتى وصلت إلى وكالات الأنباء العالمية والصحف والمجلات الغربية نفسها، وهي تدور الآن في العالم في هذه الموجات والمطبوعات شاهدة على ظلم أولئك القوم: (وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً). فكيف يمكن الوثوق بهم أو الإعجاب بحضارتهم أو التشبه بهم!!

فيا معشر الشباب الذين تتشبهون بلباسهم وقصاتهم، وتسمعون أغانيهم وتشاهدون أفلامهم وتعجبون بممثلهم ومغنيهم ولاعبيهم، هذه أخلاق القوم فكيف تعجبون بهم؟! كيف تتشبهون بهم؟! كيف تقلدوهم؟! رأيتم المستوى الذي هم عليه؟! رأيتم هذه المعاملة؟!!

وهكذا يحن العالم فعلاً إلى يوم يرجع الإسلام إلى قيادة البشرية.
اللهم إنا نسألك أن تجعل الأمن في بلادنا وفي بلاد المسلمين، ثبت علينا
الأمن يا رب العالمين، اللهم ارزقنا الأمن والإيمان، والسلامة والإسلام يا رحيم
يا رحمن.



عنوان الخطبة	أعراضنا إلى أين؟!
عناصر الخطبة	1/ من صفات المنافقين إشاعة الفاحشة بين المسلمين 2/ التقنيات الحديثة ونشر الفواحش 3/ حكم التصوير 4/ ظاهرة تصوير النساء ومآسيها 5/ الغيرة على الأعراض
الشيخ	محمد صالح المنجد
عدد الصفحات	17
رقم الخطبة في الموقع	6394

الخطبة الأولى: أمّا بعد: فيا عبادَ الله: إذا كانت أعراضُ المسلمين في حَظَرٍ، إذا كانتِ الفاحِشَةُ تشيع في الذين آمنوا، إذا كانتِ التّقنية الحديثة تُستعمل لمعصية الله، إذا كانتِ روائح الفضائح تزكم الأنوف، إذا هُتكت الأعراض وعمّت البلايا واخترقت الحرمات، فمن هو المسؤول؟! وماذا نفعل في هذا الحال؟! نشكو إلى الله تعالى ظلمَ الظالمين. قال الله - سبحانه وتعالى -: (إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ تَشِيَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النور: 19]. (أَنْ تَشِيَعَ): أن تظهر وتنتشر، يحبّون ذلك ويعملون له، ويختارون ويقصدون ظهور القبيح، ظهور الفاحشة، يحبّون أن يذيع الزنا في المجتمع، كما قال قتادة - رحمه الله -: "أن

يظهر الزنا وفعل القبيح". ومن أعانَ على نشرها فهو كالذي يقود النساء والصبيان إلى الفاحشة، وكذلك كلّ صاحبِ صنعةٍ تعين على ذلك. عباد الله: إنّ الله يغار، وغيرُهُ الله أن تتَهَكَّ حرَماته، (يُجِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ) منه ما يكون بالقول، ومنه ما يكون بالفعل. قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "وأما ما يكون من الفعل بالجوارح، فكلُّ عملٍ يتضمّن محبةً أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا داخلٌ في هذا، بل يكون عَذابه أشدَّ، فإنّ الله قد توعّد بالعذاب على مجرّد محبة أن تشيع الفاحشة، فكيف بالذي يعمل على ذلك؟! فإذا كان الذي يحبّ فقط أن تشيع له عذابٌ أليم في الدنيا وفي الآخرة، وليس فقط في الآخرة، فكيف إذا اقترن بالمحبة أقوال وأفعال لإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا؟! حَسَرَ الله امرأةً لوطٍ مع قومها في العذاب لأنها رَضِيَتْ بفعلهم". عباد الله: إنّ هذه من صفات المنافقين، ولماذا نهى العلماء، لماذا نهوا عن الشّعْرِ الفاضح والغزل الذي فيه التشبيب بالنساء ووصفهن؟ لأنّه يثير الغرائز، ولأنّه يدعو إلى إشاعة الفاحشة، ماذا لهم؟ عذابٌ أليم موجعٌ في الدّنيا والآخرة، (وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)، الله يعلم ولذلك شرع الأحكام، الله يعلم المفسد من المصلح، الله يعلم شدة العذاب، وأنتم لا تتخيّلونه، ولا تقدرون أن تتصوّروا عذاب الله في الآخرة. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

[النور: 21]. لا لَطْرُقُ الشيطان، لا لَحُطُوات الشيطان التي يُدخِلُ فيها العبادَ في المعاصي. عباد الله: نحن في زمنٍ إشاعةِ الفاحشة. تجارةُ الجنسِ في العالم تقدرُ بـ 57 بليون دولار في العام الماضي، منها أربع ونصف بليون دولار لتجارة الجنس عبرَ الهاتف، وأربعة بلايين عبرَ الإنترنت وأقراص الحاسوب، 12 في المائة من إجمالي مواقع الشبكة لتجارة الجنس ونشره، 372 مليون صفحة، وتحمل حركة البريد الإلكتروني يوميًا قرابة 2 بليون ونصف رسالة تتضمن مواضيع وإعلانات جنسية، لإثارة الشهوات ونشر الفاحشة.

25 في المائة من إجمالي عدد طلبات مستخدمي الشبكة في محركات البحث في موضوعات في الفاحشة والحرام والجنس، وأكثر من 100 ألف صفحة إنترنت توفر صورًا فاضحة للأطفال. وهكذا جاءت جوالات الباندا وغيرها لتعلن انضمامها إلى مسلسل القذارة في نشر هذه الفواحش، صورًا ثابتة، وأخرى متحركة، وأنواع التصوير من الكِمِرات الثابتة، وتصوير الفيديو، والتصوير التلفزيوني. وعندما كانت كِمِرا الجوال تنقل خمس عشرة ثانية فقط في التصوير ظهرت البرامج التي يصوّر بها الآن ثلاث ساعات. وتقنية البلوتوث التي ترسل مقاطع الفيديو والصوّر في أشخاص في محيط هذا الجوال بعشرات الأمتار، وستمثد المسافة بتقدّم هذه التقنية، ليكون كلّ من في محيط جوالٍ من هذه الجوالات يلتقط هذه اللّقطات المختلفة. وتقول الأخبار: أنتجت "كوداك" طابعة تعمل بتقنية البلوتوث

لدى معظم أجهزة الجوال الحديثة بالتعاون مع شركة "نوكيا"، ليصبح بالإمكان تحقيق الاتصال بين الطابعة وأي جوال لديه هذه التقنية، ليستفيد -بزعمهم- أصحاب أجهزة الجوال ذات الكمر المدججة. وظهرت لهم مواقع تشجّع على الإبداع -بزعمهم- في مجال التصوير، وتمكّن صاحب الجوال من حفظ ألبوم إلكتروني من الصور الفوتوغرافية. انتشارٌ عجيب لهذه التقنية التي ظهرت في عام 2001م، ثم انتشرت في العالم انتشارًا عجيبًا. إن المبيعات تزداد. وفي عام 2008م يتوقع أن يكون نصف الجوال في العالم في الكرة الأرضية مزودًا بهذه الكمرات، وربما قبل ذلك. وبعض الشركات لن تنتج أصلاً في موديلاتها الجديدة جوالاً بغير كمر. 90 مليون هاتف محمول من هذا النوع في أمريكا الشمالية وحدها. و60 في المائة من جوالات اليابانيين مزودة بالكمرا. وماذا لدينا نحن؟! ربما نسبة أكبر من هذا. فإننا نتسارع ونسارع -بزعمنا- إلى اقتناء التقنية في أحدث صورها تباهاً واختيالاً وتظاهراً. وهذه المظاهرة التي ذبحت الكثيرين. عباد الله: إن التقنية نعمة، لكنهم يجعلونها نقمة، إنها تحوّل إلى وسيلة اليوم لنشر الفاحشة والفضيحة في الذين آمنوا. وطلعت الأخبار، وتناقلت المواقع، وعمّت الصحف وساحات الحوار، تلك الأحداث الأليمة التي تحدّث لبنات المسلمين في بلدان المسلمين. لا إله إلا الله، "ويل للعرب من شر قد اقترب"، قالت زينب -رضي الله عنها-: أهلك وفينا الصالحون؟! قال: "نعم، إذا كثر الخبث". أهلك وفينا الصالحون؟! "نعم إذا كثر الخبث"،

فسروه بالزنا وبالفسوق والفجور وهكذا. أين إقامة دين الله والغيرة على حرّمات الله؟! يا عباد الله: إنّ القضية خطيرة جداً، وإنّ سفينة المجتمع ستغرق إذا لم نقم لله بالحجة، إذا لم نقم بما أمرنا به. عباد الله: لماذا التساهل في التصوير أيضاً؟! وماذا قال العلماء في التصوير؟! إن الذي يتمعن في كلام العلماء في التصوير ليجد حكماً عجيبة، كلّما تقدّم الوقت تدلّ الأحداث على أن هذا الحكم جدير بالعناية والاهتمام والحِرص. إنّ هذا التصوير هذا التشكيل جعل الهيئة الإتيان به على صفة معينة، هذه السمة والعلامة هذه الصورة سواء كانت مرسومة أو مطبوعة أو منقوشة منحوتة، نافرة أو مستوية، سواء كانت بكمر عادية أو فيديو أو دجتالية أو تلفزيونية ونحو ذلك، كانت مرسومة أو بالآلة، كلها صور وتصوير في الحقيقة، وماذا ستقول عنها غير التصوير؟! عباد الله: إنّها كارثة عظمت كبيرة عندما ينتشر بحاجة وبغير حاجة، إنّ النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: "إن الذين يصنعون هذه الصور يُعذبون يوم القيامة، ويُقال لهم: أحيوا ما خلقتم"، وقال: "إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوّرون" متفق عليه، وقال: "لعن الله المصوِّرين"، وقال: "كل مصوِّر في النار". وكذلك فإنّ العلماء قد بيّن كثيرٌ منهم أن ذلك يشمل جميع أنواع الصور، إلّا ما كان ضرورة أو حاجة، إلّا التصوير لغرض التعليم في الحالات الطيبة وغيرها، أو لأجل الإثباتات في الأمور الأمنية وغيرها، أو لأجل التصوير على التدريبات العسكرية والتقاط ما ينفع المسلمين من صور الأعداء ونحوها،

وغير ذلك من أنواع التصوير للحاجة أو للضرورة، كتشبع المجرمين ونحوهم. إن هذا التصوير للحاجة أو للضرورة قد بين العلماء جوازه، لكن الآن يتم التصوير لحاجة ولغير حاجة، وتنتشر الصور، وتنقل الصور، وعلى من تعرض الصور؟! يا عباد الله: صور نساينا وبناتنا وصور الجنس والخلاعة وأثر هذه القنوات والمجلات واضح، وفعل الصورة في النفوس واضح. إنها ليست صورًا تنقل جراحاتنا ومآسينا لنستعملها في الجهاد الإعلامي، ولكنها صور تنقل عوراتنا، إنها صور تنقل أجساد نساينا. عباد الله: وكم فعلت هذه الصور من الأفاعيل في الأسر، وكم افثري بها على المظلومين والمظلومات، وحصلت بها أنواع الفتن والويلات، حتى الداعيات إلى الله لم يسلمن من ذلك، فتلقت صورهن في محاضرات النساء لتركب في الشبكة. وتؤخذ هذه الصور أيضًا من قبل الذين يصطادون البنات في هذه الصور للفتيات في الأعراس، ليتزوهن بها بعد ذلك. وهذه أخت تتألم من أنها فوجئت بقيام من صورها أثناء قيامها بالوضوء في المدرسة، وأخرى فوجئت بطلاق زوجها، فإذا هي مكيدة مدبرة، نتيجة صورة التفتت بكمرها الهاتف المحمول. خمس وخمسون كمرًا جوال تم ضبطها في ليلة زفاف واحدة!! عباد الله: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا) [النور: 19]. ثم بعد ذلك عندما تلتقط وتنشر فهل يجوز النظر إليها؟ (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) [النور: 30]، يغضوا من أبصارهم عن النظر إلى العورات والنساء

الأجنبيّات وكلّ من لا يجوز النظر إليه، ويحفظوا فروجهم عن الحرام. "يا عليّ، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى -أي: نظرة الفجأة-، وليست لك الآخرة". عباد الله: حتى النساء لا يجوز لهن النظر إلى الرجال نظر الفتنة، ولذلك فإنّ العلماء قد يبنّوا من أحكام النظر ما هو مهمّ جدًّا في هذا الباب، فيقولون: إنّ الصورة التي لا يجوز التقاطها لا يجوز النظر إليها. ويقولون أيضًا: إنّ الصوَر التي تُعلّق حرمتها أشدّ من الموضوعة في مكانٍ خفيّ، وإنّ الصوَر على الملابس من ذوات الأرواح محرمة كذلك، بدليل أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما رأى في بيت عائشة ستارًا فيه تصاوير لم يدخل وقام على الباب، وعُرفت الكراهية في وجهه، حتى قالت عائشة: "يا رسول الله، أتوب إلى الله وإلى رسوله، ماذا أذنبْتُ؟". فقال: "ما بآل هذه النمركة؟!" قلت: اشتريتها لك، قال: "إن أصحاب هذه الصوَر يُعذَّبون يوم القيامة، ويُقال لهم: أحيوا ما خلقتُم، إن البيت الذي فيه صور لا تدخله الملائكة". عباد الله: إننا نجد اليوم أن من النساء من فتنّت بالنظر إلى صوَر الرجال، ولذلك فإنها إذا كانت تنظر نظرًا يفتن فلا يجوز لها ذلك، وأما الرّجل فأمره واضحٌ في هذه القضيّة. عباد الله: إنّ التوسّع في التصوير قد أدّى بنا إلى مآسٍ أليمة، وكذلك فإنّ على المؤمن أن يطهّر نفسه، وأن يحصّن فرجه. عباد الله: إنّ قضية نشر صوَر النساء التي تحدث الآن وتبادلها في الجوّالات واضح التحريم، ولعلك -يا عبد الله- تمعّن في هذا الحديث: قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري: "لا تباشر المرأة المرأة فتنتعها

لزوجها كأنه ينظر إليها". ما معنى "فتنتها لزوجها"؟ أي: تصفها لزوجها في بدنّها ونعمته، وجسدها أو ليونته، وما فيها من أنواع الجمال كصفة الوجه والكفين ونحو ذلك، كأنه ينظر إليها، الوصف الدقيق. فما بالكم إذا كانت صورةً تنقله بدقته، وتأخذه بتمامه، فأيهما أولى بالتحريم؟! إذا كان قال: "لا تبأشر المرأة المرأة فتنتها لزوجها"، وهو متزوج عنده امرأة، لا تنعتها كأنه ينظر إليها، فما بالكم بالصورة التي تغني عن الوصف تمامًا وتزيد عليه، أيهما أولى بالتحريم؟! إذا تناقل صور النساء ولو كانت عمّا يُسمّى بالفضائح أو غيرها أمور محرّمة لا تجوز. اللهم إنا نبرأ إليك مما فعل السفهاء منا، ونعوذ بك من هذا الباطل والفحشاء، ونجأرك إليك أن تطهر قلوبنا وبيوتنا ومجتمعاتنا من الرذائل والفواحش يا رب العالمين. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: الحمد لله على كلِّ حال، أشهد أن لا إله إلا الله، وأصلي على محمد وآل، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ما ترك خيرًا إلا دلنا عليه، ولا شرًّا إلا حذرنا منه. هذه الشرور قد حذرنا منها محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم-. وهي تسوق في أساليب جذابة في العرض لكي يجمّلها في الأعين، ثم يتلقف هذه التقنية من الفسقة والفسقات ما يريدون به إشاعة الفاحشة بيننا، وتبتز النساء. تصوّر النساء في الأعراس والحفلات والمدارس والكلّيات، وتركّب على صور خليعة من الشبكة، ثم يحدث الابتزاز وإرادة هدم البيوت، وهذه انتحرت، وهذه أصيبت بمرضٍ مستمرّ، وتلك اعتزلت في بيتها سنّة أشهر، وأخرى طلقها زوجها، وبعضهنّ بريئات، وبعضهن ظالمات مفتريات. فالبريّة من الذي يصدّق براءتها وأن هذه مركبة وأنها التّقطت بغير علمها ونحو ذلك؟ تُخزّب البيوت، وتعطلّ النساء عن الزواج، وتحصل الفضائح في المجتمع. يقوم شباب مسعورون من الذين يريدون أن تشيع الفاحشة بالتصوير والنقل والفضح دون مراعاةٍ لحرّيات الله، إنهم ينتهكون حدودَ الله، وقد قال عليه السلام والصلاة: "إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدّ حدودًا فلا تعتدوها، وحرم حرّيات فلا تنتهكوها". لقد كان عليه الصلاة والسلام يبطش، متى كان يبطش؟ ما انتقم لنفسه قطّ، إنما كان ينتقم عندما تنتهك حرمة الله، لقد أمر بإخراج من كان يصف النساء من البيوت، وحذّر من الدخول، قال: "لا يدخلنّ هذا عليكن" فحجبه، مع أنه مريض ليس فيه شهوة النساء أصلاً، لكن

لأنّه صار يلتفت إلى معالم الجمال في المرأة، وينقل ذلك الوصف. وتأتي الفتاة الخبيثة الموكّلة بأخذ الصّور لتجلس بين المدعوّات، وقد امتلأ قلبها حقّداً على هذه العائلة المحترمة، بيدها الجوال لتصوّر وتنقل للعروس وغيرها من النّساء الحاضرات، وتنقل الصور وتوزّع في الأسطوانات وفي مواقع الإنترنت، ليفاجأ هذا بصورة زوجته قد أخذت خلسة، والآخر بصورة زوجته أو ابنته أو أخته ونساء أهل بيته. أسفّرت القضية عن قطيعة للأرحام، أسفّرت القضية عن ترك بعض المخلصين لحضور الزّواجات. وفعلاً إنه قرار صائب عندما لا تكون هناك الاحتياطات، فأعرض العدد من الرّجال عن اتّفاقهم مع نسائهم على عدم حضور حفلات الزفاف مع أنّها لأقارب خشية هذه القضية. وكذلك صارت هناك الحاجة حقيقة للاحتياطات الكثيرة، إذا كان الكفّار يحتاطون، مخاوف -هم يقولون- مخاوف لدينا في مراكز اللياقة البدنيّة من لوس أنجلوس إلى تورنتو من قضية الهاتف المحمول، وامتدّت المخاوف إلى الشركات التي تخشى عملية التجسّس الصناعي، ومنعت شركة "تويوتا" ضيوفها وزائريها من حمل الهواتف ذات الكاميرات. وكذلك اشترطت حكومة كوريا الجنوبيّة على الشركات أن يصدر الجهاز المزود بكاميرا صوتاً عاليّاً عند التقاط أيّ صورة. فإذا كان البوذيّون عندهم شيء اسمه الاحتياط، والعمل على منع ما ينتهك الخصوصية، نحن عندنا قضية أعلى من الخصوصية، لأن خصوصيتنا في هذه الشريعة، في هذه الأحكام، في هذا الدين، في الأمانة التي حُمِّلناها. إنّ

هذا الأمر الذي يخشون منه لأجل السرقات الرقمية نحن عندنا أغلى من الأشياء العلمية والمعلومات والمستندات التي يخشون تصويرها، عندنا أعراضنا، إنها أثن من ذلك. عندما تقوم جمعية "حاملي أجهزة الاتصالات والنشر" اليابانية بتوزيع 300 ألف ملصق في مكتبات البلاد تحذر من القيام بالسرقات الرقمية، فإنّ عندنا ما يدعو إلى أكثر من ذلك بكثير، لأنه أثن، وأشدّ حرمة من تلك الأشياء العلمية. وإذا كان يساورهم القلق في برك السباحة وأندية اللياقة وغرف تبديل الملابس، فعندنا القضية شرعية دينية، مرتبطة برب العالمين وبكتابه وبنبيه وبدينه، مرتبطة بالفضيلة، مرتبطة بشرف المسلم. يا عباد الله: مطاعم تمنع دخول الجوّالات لمنع الإزعاج، مطاعم راقية في باريس، ومساجدنا تنتهك حرمتها بالجوّالات الموسيقية! عباد الله: صارت القضية إذاً الآن بحاجة إلى حارسات عند أبواب المدارس والكليات والصالات والاستراحات وتفتيش المدارس، إنّ القضية حتى في الحرم. إن مسألة التصوير الذي يقوم به هؤلاء شيء عجيب. إن إنساناً في الصلاة لما رنّ جواله وأخرجه رأى الذي بجانبه صورة "نانسي مجرم" على الشاشة داخل المسجد. يضعون صور الفنانات وذوات الفسق والفجور لتظهر! إنّ ولاء هذه الجريمة وذلك الفاسق وتلك الداعرة وهذا الخبيث، ولاء شبابنا، كثير من هؤلاء المراهقين والمراهقات. لماذا توضع هذه الصور المحرمة؟! لماذا توضع في واجهات الجوّالات؟! ومشرف يأخذ جوالاً من طالب متّهم بالتصوير ليرى فيه الويلات من الصور الفاضحات. وهذا

يسرق يخطف جوال سائق سيارة من يده ويهرب، فيتصل سائق السيارة على الحرامي، ويقول: عيب عليك، صوّر بناقي في الجوال، قال: تستاهل. عباد الله: المسألة الآن في هؤلاء المتساهلين في التصوير الذين يحتفظون بصوّر بناتهم وزوجاتهم وأخواتهم لتنقل بعد ذلك وتختلس وتُنسخ وترسل، ثم الفساد الذي انتشر بسبب هذا شيء لا يعلمه إلا الله، القضية خطيرة، ووصلت إلى المجاهرة، فبعضهم يفعل الفاحشة ويصوّر وينشر الصور. "كل أمي معافى إلا المجاهرين"، "إلا المجاهرون" كما في رواية أخرى. بليّة عمّت، وفضائح طمّت، ثم بعد ذلك تنتقل الصور لكي تظهر أن المجتمع كلّ هكذا، مع أن المجتمع فيه أخيار كثير وأفاضل كثير وأطهار كثير، لكن هكذا يُعمّم أن المجتمع كله هكذا، يُقال للذي ليس بفساد: لا مناص من الفساد. محاولة إجبار الجميع على أن يكونوا هكذا. ثم عندما نسمع بأن هناك من خرجت عمدًا مع شبابٍ أو شابٍ وتمّ التصوير، فإننا نقول: يا عباد الله، قوا أنفسكم وأهليكم نازًا، "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته". فتيات في عمر الزهور يخرجن بما جاهرن الله به، يُشاهدن في الليل من شارع إلى آخر، وعلى متن الطائرات وفي المطارات من بلدٍ إلى آخر، قد تزينن بالملبوسات الشفافة والعطورات الجذابة التي تريد أن تقول للشاب من أول وهلة مرحبةً: أين أنت؟ تعال اتبعني وهلم، والخطوات والالتفات والحركات تدعو ورمش العين والإشارات، خروج الفتيات، خروج البنات، والجولات، مع السائقين، ويريدون الآن سائقات! وعبارات

الإعجاب بعربون الصداقة والورقة والإشارة، و"البلوتوث" الذي صار يُغني عن الأوراق، ثم يقول بعض الناس: نثق في البنات، بناقي أثق بمن! تنصحه: يا أخي، بناتك يخرجن -أنت جاري- بمنظر لا يرضاه الله، قال: أنا واثق، واثق من ماذا؟! واثق من عقوبة الله التي ستنزل عليك لتساهلك؟! واثق بماذا؟! أين الآباء؟! أين الإخوة؟! أين العقلاء؟! أين هؤلاء الرجال؟! أين الرجولة؟! ما معنى الرجولة؟! يا عباد الله: كميرات وجوالات ورسيفرات ودشات، وفتيات هكذا يخرجن متبرجات! أين الغيرة؟! الغيرة: الحمية والغضب لمحارم الله، الغيرة: تغَيّر القلب وهيجانه أنفة وحمية لله. "لا أحد أغير من الله، ولذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن". إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرّم الله، يغار إذا رأى الناس يعصون الله. لما أرادوا الدخول على عثمان لقتله، وأحاط به أعداؤه، جاءت امرأته نائلة ونشرت شعرها أرادت أن تستره لتحميمه، قال: "خذي خمارك، فلعمري لدخولهم عليّ -يعني لقتلي- أهون عليّ من حرمة شعرك". وعليّ بن أبي طالب لما رأى شيئاً من الاختلاط في السوق قال للناس: "ألا تستحون؟! ألا تغارون أن يخرج نساءكم؟! فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق، يزاحمن الرجال والعلوج". كان فتى على عهد النبي -عليه الصلاة والسلام- حديث عهدٍ بعُرس، يستأذن النبي -صلى الله عليه وسلم- أثناء حفر الخندق في وسط النهار ليذهب إلى امرأته، ثم يرجع إلى الحفر، فوجدها واقفة بين البابين لما ذهب إليها، فأهوى إليها بالرمح مباشرة ليطعنها به -

أصابته الغيرة على امرأته- قالت: اكفف عليك رمحك، وادخل البيت لتنظر ما الذي أخرجني..، فدخل فإذا هو بحیة عظيمة منطوية على فراشه..

الحديث. هذا الذي تعلّق قلبه بامرأته، وليطمئن إليها؛ ليس عنده مانع أن يخرقها برمحٍ لأنه رآها بين البابين، فما بالكم الآن؟! أين كثير من الفتيات في هذه المجمعات التجارية؟ بين البابين؟! عباد الله: حتى بعض الكفرة الذين عندهم شيء من سلامة الفطرة عندهم غيرة، فما بال أهل الإسلام؟! نحن لا نوافق على فعل بعض الكوبيين الذين تمّ الإبلاغ في بلادهم عن اثني عشرة هجومًا بمحض الكبريتيك على بعض الأجساد التي تعرّت في الشارع غيرةً! لكن عندنا غيرة إيمانية أقوى من هذا -يا عباد الله-، ونرى الطرق الشرعية من النصيحة والموعظة وإنكار المنكر والقيام لله بالحجة. الله يغار، والأنبياء يغارون، والمؤمنون يغارون، ومن عنده شهمة وغيرة يغار، بل حتى ذكور الماعز تغار والديكة والإبل والقرود يغارون، فلو جعلت اثنين من الديكة بين الدجاج لرأيت قتالاً شنيعاً تدمي منه الريش، فكيف بالحال بين البشر؟! يا عباد الله: البخاري روى في صحيحه حديثاً عجيباً يبيّن حتى الغيرة بين القرود، عندما روى عمرو بن ميمون الأودي -والحديث في صحيح البخاري- عن قردٍ جاء بقردةٍ فاضطجع، ثم مدّ يده لها، فاضطجعت بجانبه، فلما نام انسلّت، وجاء قردٌ آخر فذهب معها، -إذاً الأول الزوج، والثاني هو الغريب-، ثم شعر زوجها فانتفض وأزعجه، ثم صارت المطاردة، واجتمعت القردة، فتجمّعت وقاموا برجمها، قال عمرو بن

ميمون الأودي - من كبار التابعين، من تلاميذ عبد الله بن مسعود الثقة الصادق - يقول: وكنتُ ممن رجمها. والحادثة وقعت في اليمن في زمن النبوة. إذا كانَ هذا القرد عنده غيرة، فما بال أهل الإيمان؟! أين ذهبت غيرتك عندما تأمر امرأتك أن تصافح أقارب من الرجال، وأن تجلس مع الرجال سواء كانوا من إخوانك أم لا وهي كاشفة، ينظر إليها هذا وهذا، ثم يدي هذا بنظارته لينظر إليها ضحكت من نكتة فلان أم لا؟! لماذا تجعلها أصلاً في مجلس الاختلاط؟! يا أخي، يا عباد الله: هؤلاء الذين يرضون لنسائهم أن يخرجنَ بالعباءات المزخرفة المزينة المطيَّبة، هؤلاء أين الغيرة؟! هل يريدون أن يجعلوا من نسائهم لوحات فنية ينظر إليها الغادي والرائح، يستمتع بمنظرها غيرك؟! أين ذهبت الغيرة من الرجال الذين يسافرون بنسائهم إلى خارج البلاد إلى أماكن السفور والتعري والتبرج؟! أين الغيرة عند الذين يتركون بناتهم يسافرن إلى بلاد بعيدة من أجل الدراسة والتعليم كما يُقال، لا محرم ولا حسيب ولا رقيب؟! أين الغيرة من الذين يتركون بناتهم وأخواتهم يسافرن المسافات الطويلة بلا محرم؟! أين الغيرة من أولئك الرجال الذين تتكلم نسائهم مع اللاعبين و المطربين والفنانين على القنوات الفضائية أمام الله وخلقه؛ لإبداء الإعجابِ بالفنان والمطرب والمشاركة في برامج الواقع، والتصويت بالصوت المباشر للملكات الجمال، وما يسمَّى بهذا من القبح والخلاعة؟! أين الغيرة ممن يسمح لامرأته أن تداخل مداخلة على الهواء مباشرة وتكلم المذيع لأجل ساقطٍ من الساقطين؟! والذي يأخذها إلى

السوق متبرّجة، عباءة مخصّرة ضيّقة جدّاً، وغطاء شفاف، وعندما يناصحه مناصح يقول: أنا ما وضعتها لك، الذي يريد أن ينظر ينظر!! رجلٌ يجيء مع أخته في غاية التبرّج بهذه الأصباغ، وعندما يُنكر عليه يقول: يا أخي لا تنظر أنت، لماذا تنظرون؟! الوقح الذي جاء بها الآن، ثم يُنكر على غيره النظر. أعرابيٌّ من الأعراب في القديم لما رأى رجلاً ينظر إلى زوجته ويقلّب نظره فيها طلقها! ونحن لا نقول طلقها لأنه لا ذنب لها، لكنّ الأعرابي طلقها، ولما عُتِب في ذلك قال:

وأترك حبّها من غير بغضٍ *** وذلك لكثرة الشركاء فيه
إذا وقّع الذباب على طعامٍ *** رفعت يدي ونفسي تشتهيهِ
وتجتنب الأسود ورودَ ماءٍ *** إذا رأت الكلابَ ولغن فيه
هكذا، يؤتى إلى أبٍ يُقال له: هناك فتاتان تمشيان تعاكسان في المنتزه، يقول: أنا قلت لهن لا تروحوا بعيداً! عباد الله: عندما نسمع هذا التساهل الفاضح وقلة الغيرة، عندما نسمع اللامبالاة، والله القلب يحترق. ثم بعد ذلك يُقال: كيف ضُبطت فلانة مع فلان في استراحة؟! كيف ظهرت صورة فلانة مع فلان في كميرا، في الجوّالات، في المواقع؟! مررت على المروءة وهي تبكي *** فقلت لها: لم تبكي الفتاة؟ فقالت: كيف لا أبكي وأهلي *** جميعاً دون خلق الله ماتوا

عباد الله: مشية الرجل مطأطئ الرأس وامراته بغاية التبرّج، وعندما ينكر عليه يقول: أنا كلمتها يا شيخ، كلّمها أنت!! ما هذا الضعف؟! ما هذا الخور؟!

أين الرجولة عندما يترك الرجل زوجته تعرض لَوْنَ الجلد على الصائغ وعلى غيره من صاحب الإكسسوارات والملابس؛ ليختار اللون المناسب لبشرتها؟! إذا كان زوج وزوجة في العصر العباسي لما تقدّما للشكاية، طالبته بخمسائة دينار من صداقها، فأنكر الزوج، فجاءت الشهود، فطلب القاضي من المرأة أن تكشف وجهها للشهود ليعرفوا أنها فلانة، فقال لها: فقط: كفى يا شيخ، أُعطيها المهر كله؛ لأنه غار أن تكشف المرأة للشهود في مجلس القضاء، في شيء يجوز النظر إليه، في حال الاضطرار. لماذا يحدث هذا؟! كثرة الذنوب والمعاصي، قال ابن القيم: "من عواقب المعاصي أن تطفئ في القلب نار الغيرة". لماذا يحدث هذا؟! انسياق وراء العواطف، فإذا عرف وقيل له ورأى من بعض أهل بيته ما لا يرضاه الشرع لأنّ والتمس الأعذار والتمس المخارج وغض الطرف. لماذا قلة الغيرة وانتشار المنكرات؟! سوء التربية، يتربى الصغير وينشأ وهو يرى أمه تخرج بلا ضوابط شرعية وأبوه لا يغير، وأخته تفعل ما شاءت وأبوه لا يمنع. وتأثّر بحياة الغرب، ونقدّم اليوم سيدات المجتمع اللاتي يقلن: نحن من المهتمّات بالسفر والتنقل من بلد وآخر للتعرف على الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم. والبرامج ما قصّرت، والقنوات الفضائية، ومناظر العري، ودعاة الفتنة، وأعداء الفضيلة. إلى من نشكو؟ إلى من نلجأ؟ والله لا ملجأ إلا الله، لا ملجأ إلا إلى الله، هذا دين، وهذه أعراضنا.



عنوان الخطبة	أفعال الله وقدرته وجبروته
عناصر الخطبة	1/ بعض صفات الله تعالى العُلى 2/ أفعاله تعالى قائمة على العلم والحكمة والرحمة 3/ الرضاء بقضاء الله تعالى وقدره 4/ أخذهُ الطغاة 5/ بعض تصرفات الله تعالى المطلقة في خلقه
الشيخ	محمد صالح المنجد
عدد الصفحات	9
رقم الخطبة في الموقع	3516

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله. أما بعد: فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. أشرقَت السموات والأرض بنور الله، وصلحت عليه جميع المخلوقات، لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، ويرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، حجابُه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من

خَلَقَهُ، أفعاله عظيمة، كما أن أسماءه عظيمة، أفعاله حكيمة، كما أنه - سبحانه وتعالى - له الصفات الحسنى، فكَذَلِكَ أفعاله حسنة وحُسنٌ وجميلة، له ما سكن الليل والنهار، يُطْعِمُ ولا يَطْعَمُ. وهو - سبحانه وتعالى - يكشف الضر، ويَجِيبُ دعوة المضطرين، (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا...) [الأنعام: 59]، وهو الذي يتوفاكم بالليل والنهار، وهو القاهر فوق عباده، وهو الذي ينجيكم في ظلمات البر والبحر. لا يلهيه شيء عن شيء، ولا تختلف عليه اللغات، ولا تشتهه عليه الأصوات، تأتي الوفود المختلفة والجموع المتباينة فيلجؤون إليه في يوم عرفة، وينادونه بمختلف اللغات على تنوع الحاجات، فلا يشغله شيء عن شيء، ولا يغلط بتنوع هؤلاء واختلاف حاجاتهم، فيسمع دعاءهم، ويعرف نداءهم، ويميز أصواتهم، ويدرك لغاتهم، ويقضي حاجاتهم. "يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحدٍ مسأله ما نقص ذلك مما عندي"، له الحكمة البالغة - سبحانه وتعالى -، (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) [الرعد: 33]، (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ) [البقرة: 255]. هو الحي لا يموت، والإنس والجن يموتون، له ما في السماوات وما في الأرض، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط وينفضه، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، (يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ)

[فاطر:41]؟. وهو - عز وجل - الذي تقوم السماء والأرض بأمره، وأفعاله فضلٌ وعدلٌ، حكمةٌ ورحمةٌ، دائرة بين الفضل والعدل، معللة بالحكمة، فلا يوجد فيها عبث: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ) [الدخان:38-39]، وقال: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) [ص:27]. خلق السماوات والأرض ليعلم العباد قدرته وسعة سلطانه، خلق هذا الكون ليعبد فيه، وليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بما عملوا، يجزى الذين أحسنوا بالحسن، وكذلك ليجزي كل صاحب سوء بما عمل، (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) [المؤمنون:115]؟. أفعال الله تعالى قائمة على العدل والرحمة، (وَمَا رُبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) [فصلت:46]، (وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [البقرة:57]، (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) [الأعراف:156]، ومن رحمته إنزال الكتب، وإرسال الرسل، وبيان الحجج. لا يُسأل الله عن أفعاله، كما قال في كتابه: (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) [الأنبياء:23]، كل يوم هو في شأن - سبحانه وتعالى -، يغني فقيراً، ويجبر كثيراً، يعطي قوماً ويمنع آخرين، يحبي ويميت، يرفع ويخفض، لا يتبرم من إلحاح الملحين في الدعاء، ولا من طول مسألة الداعين، وهكذا فإنه - سبحانه وتعالى - يحاسب العباد ولا يحاسبونه، ويسألهم ولا يسألونه، (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) [الحج:14]. أفعاله - تعالى - تتعلق بمشيئته: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي

الْمُلْكُ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ
الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [آل عمران: 26]. يرزق من يشاء بغير
حساب، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، يؤتي ملكه لمن يشاء، يغفر
لمن يشاء، ويعذب من يشاء، والله يؤيد بنصره من يشاء، ويتوب الله على
من يشاء، يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور، وربك يخلق ما يشاء
ويختار. أفعاله ليست كأفعال المخلوقين، ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير، يا عبد الله: هل تستطيع أن تكلم ثلاثة أشخاص في وقت واحد؟
هل تستطيع أن تمسك بأربع سماعات هاتف وترد عليهم في وقت واحد؟. الله
يسمع كلام الناس في العالم في البر والبحر، بالعربية والسريانية، بالأعجمية،
باللغات المختلفة، يعلم ما يقولون، هذا يطلب ولدا، وهذا مغفرة، وهذا مالا،
وهذا شفاء مرض، وهذا قضاء دين، وهذا دفع عدو، وهو يعلم ما يطلب
هذا وهذا، وهم يطلبون في صعيد عرفات في يوم واحد، في ساعة واحدة،
وهو يعلم ما يقول هذا وما يقول هذا، فيعطي هذا ويؤخر هذا ويعجل لهذا
ويمنع هذا؛ لِحَكَمِهِ، ويعوض هذا من عنده - سبحانه وتعالى - .يجب الرضا
بأفعال الله - عز وجل -، وهذا من الرضا بالقدر؛ لأن القدر هو فعل الله
تعالى، ما هو القدر؟ فعل الله في الخلق، أخذ، قبض، حرمان، إعطاء، مرض،
صحة، أفعاله في خلقه، يسلب ويهب، يمنح ويحرم، يعطي ويأخذ... -
سبحانه وتعالى - يزيد من يشاء وينقص من يشاء، ويأخذ ممن يشاء. ولذلك
عندما تحدث حالة وفاة نقول: "إنا لله"، كم لك من مالِك؟ فإذا كنا مِلَكًا

له فليأخذ مَنْ يشاء، ويترك من يشاء، يُبقي مَنْ يشاء، ويؤخر من يشاء - سبحانه-. أفعاله مبنية على قدره السابق الذي كتبه في اللوح المحفوظ، كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وقال: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [الحج:22]. نسأل الله -عز وجل- أن يحفظنا بحفظه، وأن يرحمنا برحمته، وأن يرزقنا وهو الرزاق، نسأله -عز وجل- أن يعطينا وألا يحرمننا، وأن يعزنا ولا يذلنا، وأن يكرمنا ولا يهيننا، سبحانه! إنه أكرم مسؤول. أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا هو، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، ومصطفاه، أمينه على وحيه، وصفيه من خلقه، وخليله من عباده، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وذريته الطيبين، وأزواجه وخلفائه الميامين، صلى الله عليه وعلى آله والتابعين بإحسان إلى يوم الدين. عباد الله: أفعال الله مدهشة، فمن أفعاله الاستدراج ثم الأخذ على حين غفلة، قال ربنا: (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) [الأعراف: 182]، (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ الْقَلَم: 44]، (لَا يَشْعُرُونَ) [المؤمنون: 55-56]، إن الله يملي للظالم، يمهله يؤخره يؤجله، حتى إذا أخذه لم يفلته. (فَلَمَّا أَسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) [الزخرف: 55]، (أَخَذْنَاَهُمْ بَعَثَةً فَإِذَا هُمْ مَبْلُسُونَ) [الأنعام: 44]، (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) [آل عمران: 178]، (وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) [هود: 102]. وقال: (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ)، فبينما هم في الطغيان، والدنيا الملهية، والغنى المشغل، والسلطان المطغي، إذا بأمر الله يأتي، (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام: 45]. وهكذا يرينا في الواقع من أفعاله ما يجعل المؤمنين يسبحونه، والناس أجمعين قد أصابتهم الدهشة من تقديره وما يفعله بالظلمة في أخذه توقيتاً وطريقةً وكيفيةً وأسلوباً، ليقول لنا ربنا إنه قوي عزيز، وإنه مالك الملك،

يأخذ من يشاء - سبحانه وتعالى-، وليقول لنا إن له ملك السماوات والأرض، وإن ملك العباد زائل، وإنه الحي الدائم -عز وجل- لا يبقى إلا وجهه -سبحانه وتعالى-. ولذلك كان السلف إذا أخذ الله ظالما سجدا شكرا لله، وقد سجد أبو بكر الصديق شكرا لله لما جاء خبر مقتل مسيلمة الكذاب، وسجد علي بن أبي طالب شكرا لله لما رأي جثة ذا الندية في قتلى الخوارج، وتأكد بالآية النبوية الموصوفة له أن هؤلاء هم الخوارج الذين قاتلهم علي بحق. وسجد عدد من السلف لله شكرا لما جاء مقتل الحجاج الظالم سفك الدماء، وتلا بعضهم قول الله تعالى: (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). فأما من استهزأ بشيء من الدين والشرع المبين، واعتدى على سنة النبي الأمين محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم-، وعادى أولياء الله، فإنه لا يجوز الترحم عليه؛ فكيف يُدعى بالمغفرة والرحمة لمن اعتدى على سنة محمد -صلى الله عليه وسلم-؟. عباد الله: إن ربكم ثواب رحيم، ذو الفضل العظيم، عزيز حكيم، ابتلى إبراهيم بكلمات، وسمع نداء يونس في الظلمات، واستجاب لركريا فوهبه على الكبر يحيى هاديا مَهديا، وحنانا من لدنه وكان تقيا. أزال الكرب عن أيوب، وألأن الحديد لداود، وسخر الرياح لسليمان، وفلق البحر لموسى، ورفع إليه عيسى، وشق القمر لمحمد -صلى الله عليه وسلم-. نجى هود وأهلك قومه، ونجى صالحا من الظالمين فأصبح قومه في دارهم جاثمين، وجعل النار بردا وسلاما على إبراهيم، وفدى إسماعيل بذبح عظيم، وجعل عيسى وأمه آية للعالمين، ونجى

لوطاً وأرسل على قومه حجارة من سجيل منضود، ونجى شعباً برحمته، وأهلك مدين بعدله، ألا بُعدا لمدين كما بعدت ثمود! أغرق فرعون وقومه، ونجاه ببدنه ليكون لمن خلفه آية، وخسف بقارون وبداره الأرض، ونجى يوسف من غياهب السجن وجعله على خزائن الأرض. أضحك وأبكى، وأمات وأحيا، وأسعد وأشقى، وأوجد وأبلى ورفع وخفض، وأعز وأذل، وأعطى ومنع، ورفع ووضع، هدى نوحاً وأضل ابنه، واختار إبراهيم وأبعد أباه، ولعن فرعون وهدى زوجته، وأنقذ لوطاً وأهلك امرأته، واصطفى محمداً -صلى الله عليه وسلم- ومقت أباً لهب عمه، وجعل من أنصار دعوته أبناء منهم من اقترب أبوه كأبي سفيان، ومنهم من مات كأبي جهل. والله -جل وعلا- يُرغم أنوف الطغاة، ويمزق شمل الجبابرة، ويخفض رؤوس الظلمة، دمر سد مأرب بفأرة، واهلك النمرود ببعوضة، وهزم أبرهة بطير، وعذاب امرأة في هرة حبستها، وغفر لبغي في كلب سقته، نظر في عين الاختيار إلى آدم فحظي بسجود الملائكة، وإلى ابنه القاتل، وإلى نوح فنجاه من الغرق، وإلى إبراهيم فكساه حلة خلته، وإلى إسماعيل فأعان الخليل في بناء كعبته. وأعرض عن إبليس فخري ببعده ولعنته، وعن نمرود وفرعون وقارون، وهو -عز وجل- يفعل ما يشاء، يرفع أوليائه ويخفض أعداءه، وله الجبروت، -سبحانه وتعالى-، حبيب الطائعين، وملأ الهارين، وملجأ الملتجئين، وأمان الخائفين، يحب التوابين، ويحب المتطهرين. اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، اللهم إنا نسألك

في مقامنا هذا أن تكتبنا من عتقائك من النار، وأن تدخلنا الجنة برحمتك يا
غفار.

أهمية الأمثال في القرآن

مثل من يعمل بطاعة الله، ثم ينحرف

مثال الحور بعد الكور

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أهمية الأمثال في القرآن

عباد الله:

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه فيه كل شيء يحتاجه الناس، ما فرط فيه من شيء، فيه الإيمان والتوحيد، والحلال والحرام، والقصص والأمثال، والعبر والعظات، أنزله نوراً وبركةً، وهدياً للناس، أنزله تبياناً لكل شيء، جاء فيه موعظةٌ من ربنا وشفاء، ومما أنزل الله في كتابه "الأمثال"، ضربها لعننا نعلم، قصها لعننا نتعظ، أوردناها لعننا نتذكر، ومن هذه الأمثال العظيمة في القرآن، ولا يعقلها إلا العالمون، وكان بعض السلف إذا لم يعرف معنى مثل في القرآن بكى، فقيل: ما يبكيك، قال: لست بعالم، وقد قال الله: وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ سورة العنكبوت 43، عن هذه الأمثال، فاتني العلم.

مثل من يعمل بطاعة الله، ثم ينحرف

يقول ربنا سبحانه: أَيُودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ سورة البقرة 266، إذا المسألة تحتاج إلى تفكير، فلنتفكر يا عباد الله، ولن نتبين الآيات إلا بالتفكير، أيود أحدكم : أياحب أي واحد منا، الكلام موجه للجميع، لي ولك وله، أيود أحدكم بهذا الاستفهام الذي فيه تلطف أيود أحدكم أن تكون له جنة، بستان عظيم ملفف الأشجار، ما هي أنواع الشجر التي فيه؟

من نخيلٍ وأعنابٍ، وهذه من أجود الثمار، وأرقاها، وأعلاها، وأغلاها، وأنفعها، هذه التي يكون منها القوت، والغذاء، والدواء، وتؤكل رطبةً وباسيةً، وتُدخِر، وتجتنى من الثمر، وهي أنواع متنوعة، وألوان وأشكال، وهي فاكهة وغذاء في وقتٍ واحد، يُتفكّه بالرطب، ويُتغذى بالتمر، يتفكه بالعنب ويتغذى بالزبيب، هذه الأشجار من الأنواع التي تنفع باستمرار في ثمرها، في خوصها، في ليفها، في جريدها، في سعفها، ويُصنع من ثمرها أنواع من الأطعمة، أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيلٍ وأعنابٍ تجري من تحتها الأنهار فلا يحتاج إلى مونة في سقيها، ولا إلى كلفة في استخراج ما فيها، ولا إلى جهدٍ في إجرانه بين أشجارها؛ لأن الأنهار تجري من خلالها، تجري من تحتها الأنهار، لم يتعب في استخراج الماء، لم يتعب في السقي، جنة نفيسة، ليس فقط في وجود أرقى الثمار، النخيل والأعناب، ولا فقط في جريان الماء خلال أشجارها، ولكن أيضاً له فيها من كل الثمرات، الثمرات الأخرى، أنواع متنوعة غير النخيل والأعناب، وله فيها من كل الثمرات، كل الثمرات، كل الأشجار، كل الأنواع على ما يشتهي يأكل ببضع البستان يغطي نفقاته ونفقات أهله، ويفيض ويزيد، البستان هذا مصدر رزقه، ومصدر عيشه، ومصدر ادخاره فيما يأكل، وفيما يبيع، يكفيه ويغنيه وزيادة، وعلى ما يحب ويشتهي من كل الثمرات هذه الجنة، وهذا البستان نفيس للغاية في التنوع، في السهولة، حتى المنظر الجذاب الأخاذ الجميل للنخيل والأعناب والثمرات الأخرى، هذا وضع البستان.

فما وضع الرجل؟ وما هي حالته الاجتماعية؟

قال الله تعالى: وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ تَقَدَّمتْ بِهِ السِّنُّ، لَانْ مَا شَتَدَ، واشتد ما لَانْ، تَقَدَّمتْ بِهِ السِّنُّ، وَوَهْنَ الْعِظْمُ، واشتعلَ الرأسُ شَيْباً، أصابه الكِبَرُ فِي ضَعْفِهِ وَوَهْنِهِ، فلم يعد قادراً عَلَى الْكَسْبِ كَمَا كَانَ فِي شَبَابِهِ، وَالْإِنْسَانُ فِي آخِرِ الْعُمُرِ يَحْتَاجُ إِلَى مَصْدَرٍ سَهْلٍ لِلرِّزْقِ، يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ يُدْرِكُهُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ وَجَهْدٍ لِأَنَّهُ قَدْ أَصَابَهُ الْكِبَرُ، فَكَيْفَ يَكُونُ الْبِسْتَانُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ فِي الْحَاجَةِ، وَسَدِّ الْحَاجَاتِ، لَقَدْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهَذَا الْبِسْتَانِ مِنْ جِهَتَيْنِ: مِنْ جِهَةِ نَفَاسَةِ الْبِسْتَانِ، وَمِنْ جِهَةِ تَقَدُّمِ سَنِهِ، وَيَشْيِبُ الْإِنْسَانُ وَتَشْبُ مَعَهُ خَصْلَتَانِ: حُبُّ الْمَالِ، وَحُبُّ طَوْلِ الْعُمُرِ.

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه: كلما تقدمت السن بالإنسان يشيب يضعف إلا خصلتان لا تشيبان ولا تضعفان: الحرص على المال، والرغبة في طول العمر، إذا اشتد حرصه على المال، لكبر سنه وحاجته

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه: كلما تقدمت السن بالإنسان يشيب يضعف إلا خصلتان لا تشيبان ولا تضعفان: الحرص على المال، والرغبة في طول العمر، إذا اشتد حرصه على المال، لكبر سنه وحاجته

، وكذلك نفاسة هذا البستان وجودته، ليس هذا فقط، بل وله ذريةٌ ضعفاءٌ، أصابه الكبر وله ذريةٌ ضعفاءٌ، صغار، عجزه، زمني، مطلقات، نساء لا يقوين على العمل، له ذريةٌ ضعفاءٌ لو مات صاروا أيتاماً مثلاً، ذريةٌ ضعفاءٌ غير قادرين على الكسب، فهو يريدُ البستان له ولهم، وهذا مصدر العيش لهم من بعده، ومما يطمئنه نفسياً على ذريته، كل واحد فينا لو كان عنده ذريةٌ وأولاد وتقدمت به السن، يخشى عليهم من بعده، ويتمنى أن يترك لهم مصدراً داراً كعقارٍ ومزرعةٍ ونحوها، ليأكلوا ويعيشوا منها، أصابه الكبر وله ذريةٌ ضعفاءٌ فازداد الأمر في الحرص قوة وفي التعلق شدة بهذا البستان، صار الأمل فيه كل الأمل، وبينما هو كذلك في هذه الحاجة وهذا التعلق وهذا الانجذاب وشدة الحرص، حصلت مفاجأةٌ بل مصيبةٌ وكارثةٌ كبرى، بل فجيحةٌ عظيمةٌ وداهيةٌ دهياء ما هي؟

فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ، الإِعْصَارُ: عمود الريح والزوبعة الشديدة، الإِعْصَارُ أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ، كَمَا قَالَ فِي الْمَثَلِ "إِنْ كُنْتَ رِيحاً فَقَدْ لَاقَيْتَ إِعْصَاراً"، عمود بين السماء والأرض بشدة، وينتقل مدمراً مخرباً، إِعْصَارٌ لَا يَأْتِي عَلَى شَيْءٍ إِلَّا جَعَلَهُ دِمَاراً، وليس هذا فقط، بل فيه نار، إِعْصَارٌ دَمَارٌ نَارٌ عَلَى هَذَا الْبِسْتَانِ، إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ، قَلَعَتْ، وَاخْرَبَتْ، وَمَا بَقِيَ لَا يَصْلُحُ أَنْ يُتَّخَذَ شَيْئاً؛ لِأَنَّ النَّارَ قَدْ أَحْرَقَتْهُ حَتَّى الْحَطَامَ لَمْ يَبْقَ مَقِيداً، إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ فَكَيْفَ تَكُونُ الْخَبِيَّةُ، وَكَيْفَ يَكُونُ انْهِيَارُ الْأَمَالِ وَكَيْفَ يَكُونُ وَقَعُ الْمَصِيبَةِ، كَيْفَ تَكُونُ حَالَتُهُ النَّفْسِيَّةُ، هُنَا قَالَ اللَّهُ: كَذَلِكَ الْآنَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْآيَاتِ لِلنَّاسِ، يَضْرِبُ الْأَمْثَالَ يَقُولُ: لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ، لَيْسَتْ الْقِصَّةُ فَقَطْ أَنْ يَذْكُرَ لَنَا مَأْسَاءً تَنْتَهِي بِهَذِهِ النِّهَايَةِ الْمَفْجَعَةِ، دُونَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ وَرَاءَ هَذَا شَيْءٌ، فَمَا هُوَ الشَّيْءُ يَا عِبَادَ اللَّهِ؟ مَا هُوَ؟

هذا مثل ضربه الله لشيء ليست فقط قصة مؤلمة وخيبة أمل مدوية، لكن وراء القصة هذه معنى عظيم، لابد أن يكون هناك مرادٌ كبير من وراء إيراد هذه القصة وهذا المثل، فما هو؟

هذا مجال تفكر الذي يريده الله منك يا عبد الله، هذا مجال التدبر الذي يريده الله منك يا عبد الله فكر وتدبر، هذا المثل ضربه لأي شيء؟

عمر رضي الله عنه كان جالساً مع أصحابه، وفيه ابن عباس ذلك الشاب الصغير، فسأل عمر عن الآية، قالوا: الله أعلم، قال: قولوا نعلم أو لا نعلم، قال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال: تكلم يا ابن أخي، قال: هو مثل ضربه الله لشيء، ضربه الله لعمل، قال: ما هو، قال: لعمل، فأخبره عمر رضي الله عنه أن هذا مثل ضربه الله لرجل كان يعمل بطاعة الله مدة من الزمن، ثم انتكس، وانحرف، وانجرف، وعمل بمعصية الله، سينات أذهبت الحسنات، وأحببت ما سيق، وانهار كل شيء، قال المفسرون: هذا مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لهذا المنتكس الذي كان يعمل بالحسنات ثم انتكس فصار يعمل بالسينات فأحببت الحسنات، ذهبت الحسنات، الحسنات كانت مونة مودة ياتعة أنواع وأشكال من الحسنات، مزهرة جميلة ذات طعم، لكن إِعْصَارُ الْإِنْتِكَاسِ وَالنُّكُوصِ عَلَى الْعَقِيبِ وَالرَّدِّ وَعَمَلُ السِّينَاتِ يَبْدُ الْحَسَنَاتِ وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ وَالرُّجُوعِ أَذْهَبَهَا أَحْبَطَهَا أَتْلَفَهَا، وَهَذَا مِثَالٌ أَيْضاً لِلْمُرَانِي، يَعْمَلُ حَسَنَاتٍ فَيَظْهَرُ لِلنَّاسِ، أَوْ يَبْدَأُ مَخْلَصاً، ثُمَّ يَدْخُلُ فِي الرِّيَاءِ، فَيُغَيِّرُ عَلَى حَسَنَاتِهِ بِإِعْصَارِ الرِّيَاءِ، فَيَمْحُوهَا، أَوْ إِنْسَانٌ صَاحِبُ صَدَقَاتٍ لَكِنْ يَمُنُ فِي الصَّدَقَةِ وَيُوْذِي، فَيَهْبُ إِعْصَارُ الْمَنِّ وَالْأَذَى عَلَى حَسَنَاتِ صَدَقَاتِهِ، فَيَتْلَفُهَا وَيُذْهِبُهَا، فَإِذَا جَاءَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً سورة الفرقان 23.

أيود أحدكم أن تكون له حسنات ثم ينتكس فيعمل بالسيئات، فيذهب ما سبق، أيود أحدكم أن تكون له صدقات فلا يزال يُغير على حسنات صدقاته بالرياء والمن والأذى، حتى لا يبقى منها شيئاً، فإذا جاء يوم القيامة أحوج ما يكون إليها وقد قربت الجنة والنار، وجمع المؤمنون والكفار والبررة والفجار، ووضع الكتاب وجيء بالنبيين، وحاصرت الملائكة بأطواقها الثقلين من الجن والأنس، وضع الكتاب والميزان، وجاء وهو يرى ما أمامه من نار تلظى، يسمعون لها زفيراً وشهيقاً، الآن أشد الحاجة أشد الحاجة إلى الحسنات، حسنات تنجيها، ومن النار تقيه وفي الجنة تدخله، لكن لا شيء هباءً منثوراً، فيقول لنا: "أيها العباد أثبتوا على الطاعة، يا أيها المسلمون استمروا على الدين لا تغيروا، لا تبدلوا، لا تنتكسوا، لا تنكسوا على العقبين، لا ترتدوا، اعملوا أعمالاً خالصة له حتى تلقوها عنده، وهو كريم يضاعف لمن أخلص له.

اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، اللهم اجعلنا ثابتين على الحق حتى نلقاك يا رب العالمين، نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد، اللهم إنا نسألك أن تجعلنا بدينك مستمسكين، ربنا لا ترغ قلبونا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله أشهد أن لا إله إلا الله، وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، والله أكبر، وأشهد أن محمداً عبد الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداة البشير والنذير والسراج المنير، صاحب الحوض المورود، والمقام والشافع المشفع في اليوم المشهود اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى ذريته الطيبين وآله وأصحابه الميامين وأزواجه وخلفاءه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض اللهم عنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

مثال الحور بعد الكور

عباد الله:

هذه قضية الثبات على الدين، وعدم التغيير والتبديل، هذه قضية التمسك بالدين وعدم الضلالة بعد الهداية، هذه قضية الاستعاذة من الحور بعد الكور، الذي كان عليه - عليه الصلاة والسلام - يقوله في دعائه : "والحور النقص والكور الزيادة"، هذه قضية خطيرة جداً، كم من الناس اليوم يضلون، يسافر الخارج ينحرف، يدخل في سن المراهقة ينتكس، يكون مستقيماً فيتعرف على امرأة فتزله في النار، يقرأ رواية من الروايات، يشاهد فلماً من الأفلام، يدخل على موقع من المواقع، ما بالنا اليوم نجد في بعض المسلمين إحاداً وانتكاساً، لماذا؟

فتزل قدماً بعد ثبوتها، وأثُلَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا حَفِظَ الْقُرْآنَ، فهم الآيات، آتيناه: أعطيناه، وهيناه، يسر لنا له، آتيناه آياتنا، ما ينقصه علم، لكن ما الذي حصل بعد الإتياء وبعد النعمة العظيمة، آتيناه آياتنا فأنسلخ منها، أرايتم انسلخ الحية من جلدها، أرايتم ذلك الخروج الكلي، آتيناه آياتنا فأنسلخ منها، ما ترك آية أو آيتين أو سور، أو بعض الأحكام، انسلخ، والآن بعض المسلمين ينتصر، أو يكفر انسلخ، فأنسلخ: تعبير قرآني مدهش، فأنسلخ منها، ترك كلي، فإذا انسلخ منها هل ستركه الشيطان بمفرده؟ لا، أول ما يقرر لما غوا أو غويناهم، وإلا الله ما يغوي بدون إرادة الشر من العبد، الله لا يكافئ من آتاه آياته، يوتي رجل آياته ثم يضلّه، لا هو، وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى سورة فصلت 17، فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ سورة الصف 5، ولذلك انسلخ منها فاتبعه الشيطان، وتأمل في كلمة: "اتبعه" ما يترك الشيطان أبداً مثل هذه الفرائس، اتبعه، اتبعه، حذو الفذة بالقذه، واتبعه في اللغة: "يعني لحقه فادركه وليس مجرد سار وراءه، وفرعون وجنوده، قال الله: فَأَتْبَعُوهُمْ سورة الشعراء 60 يعني: لحقوهم وأدركوهم، فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، في فرق بين عصي ربه وغوى، وبين الغاوين، هذا غاوي لنفسه ليس غوى مرة، أو غوى جزئياً، لا فكان من الغاوين، اسم فاعل: الغاوين، غوى غاوي غواية، أثيمة، أليمة، مصيبة، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا، يعني: بالآيات، فالقرآن يرفع، والانتكاس هذا والضلال يهبط بالإنسان، ولو شئنا لرفعناه بها في الدنيا وفي الآخرة، القرآن يرفع في الدنيا وفي الآخرة، وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ الذي أراد ذلك، الله يريد العلو، هذا يريد السفول، الله يريد الارتفاع، هذا يريد النزول، ولو شئنا لرفعناه بها، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه، فمثله هنا، هنا لا بد أن تتفتح الأسماع والأبصار والبصائر والعقول والقلوب؛ لأن فيه ضرب مثل، لأن الله يضرب مثلاً، فمثله كمثل الكلب أخس الحيوانات، وأحطها، وأنذلها، وأشدّها حرصاً وهلعاً، فمثله كمثل الكلب إن تحمّل عليه يلهث أو تتركه يلهث سورة الأعراف 175 الكلب من صفاته: أنه يلهث إذا جاع، ويلهث إذا شبع، ويلهث إذا عطش، ويلهث إذا ارتوى، ويلهث إذا مرض، ويلهث إذا صحّ، في جميع الحالات يلهث، إن تحمل عليه يلهث، وإن تتركه يلهث، لزوم الحالة السينة لهذا الإنسان، خلاص مثله كمثل الكلب، في الخسة في أحوال سيئ، إنسان سيئ في كل الحالات لا يرجي منه خير أبداً، لا في صحة، ولا في مرض، ولا في غنى، ولا في فقر، ولا في مجيء، ولا في إتيان، لا إذا آتيته ولا إذا تركته ما في

فائدة، إن تحمل عليه يلهث، وإن تتركه يلهث، هذا مثل آخر يصب باتجاه المثل الأول، الانتكاس والرجوع إلى الضلالة بعد الهداية، وإلى الزلل بعد الثبات، إلى البدعة بعد السنة، وإلى الكفر بعد الإسلام، وإلى الشرك بعد التوحيد، وهكذا ما عاد العلم له أثر، ولا الآيات لها أثر، كان واحد من المسلمين في غزوة من الغزوات أتوا على حصن للروم فحاصروه، فاستعصى عليهم، وظال الحصار أياماً، فبرزت فتاة من الروم النصرى متزينة لشاب من هؤلاء، فأغوته، فأخذ بجمالها وجعلت تشير إليه ومن بعيد، فراسلها كيف الطريق إليك، قالت: أن تتنصر فأواعدك مكاناً فادخلك، فأشار لها بالإيجاب، ففتحت له فدخل فلم يفجأ المسلمين، إلا صاحبهم معها من فوق، فنادوه حاولوا ذكره وعظوه لا فائدة، هو الضلال يحدث والزيف إذا أراد الله في لحظات ينتكس الإنسان فلما ينسوا ذهبوا، فمروا عليه بعد سنة على الحصن، فوجدوه فأشاروا إليه، وكان هذا حافظاً، كان يحفظ القرآن، قالوا له: يا فلان، ما فعلت صلاتك، ما فعل صيامك، ما فعل قرآنك، فقال لهم: نسيت كل هذه: رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ سورة الحجر 2.

اللهم إنا نسألك الثبات حتى الممات يا رب العالمين، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمةً، إنك أنت الوهاب، اللهم إنا نعوذ بك من الحور بعد الكور، ونعوذ بك من الضلالة بعد الهداية، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، يا رب العالمين ارحمنا واغفر لنا، اللهم اقض ديوننا، وارحم موتانا، واشف مرضانا، واستر عيوبنا، واغفر ذنوبنا، واجمع على الحق كلمتنا، اللهم هب لنا من لدنك رحمة، هب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب، اللهم أصلح نياتنا وذرياتنا، وهب لنا من ذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إماماً، اغفر لنا ولوالدينا يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نسألك لإخواننا المستضعفين في الشام وبورما، وسائر الأرض، الرحمة رحمتك يا أرحم الراحمين، ليس لها من دونك كاشفة، اللهم إنه قد أصاب إخواننا من الضراء ما لم يعلمه إلا أنت، اللهم نزل بهم من البأساء ما لم يعلمه إلا أنت، ولا يحيط به إلا أنت، اللهم اكشف البلوى، اللهم اكشف الضر، اللهم ارفع البأس، يا رب العالمين، اطعم جائعهم، وآوي شريدهم، واحمل حافيتهم، اللهم أمن خائفهم، وارحم ميتهم، واشف مريضهم، وأبرئ جريحهم، واجمع على الحق كلمتهم، وانصرهم يا رب العالمين، أنزل عليهم نصرك، اللهم عليك بالمجرمين، اللهم دمرهم تدميراً، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، اللهم إنا نسألك أن تأخذهم أخذاً أليماً شديداً يا جبار، اللهم آمناً في الأوطان والدور، وأصلح الأئمة وولاة الأمور، واغفر لنا يا عزيز يا غفور، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، يعظكم لعظم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون، وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

أهمية العلم الشرعي

عدم العمل بالعلم من صفات اليهود

شبهة حول طلب العلم والرد عليها

فضائل العلم، ووسائل تثبيته

العلم النافع هو ما عمل به

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله،

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أهمية العلم الشرعي

عباد الله: لقد خلقنا الله -سبحانه وتعالى- لعبادته، ولم يتركنا هملًا، وإنما علمنا كيف نعبد؟ وكيف نعبد لا نكون إلا بالعلم، ولذلك أنزل علينا آيات ووحى من السنة نعبد بها، ويرشدنا إلى كيفية عبادته -سبحانه وتعالى- وهذا هو العلم، والعلم آيات بينات في صدور الذين أوتوه، والعلم فقه وفهم لما أنزل الله -سبحانه وتعالى-، وعندما يتعلم العبد تكون عليه الحجة التامة؛ لأن عدم تعلمه حجة عليه، الجهل مصيبة يدفعه بالعلم، فإذا تعلم سينتقل إلى العمل،

العلم آيات بينات في صدور الذين أوتوه، والعلم فقه وفهم لما أنزل الله -سبحانه وتعالى-، وعندما يتعلم العبد تكون عليه الحجة التامة؛ لأن عدم تعلمه حجة عليه، الجهل مصيبة يدفعه بالعلم، فإذا تعلم سينتقل إلى العمل،

-وهنا يا عباد الله-، أمر عظيم، وهو أنا نتعلم ثم لا نعمل، ولذلك عاب الله هذا فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ النبي الكريم الذي قال لقومه: وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ إِنَّه يبين لهم بوضوح، أنه يعمل بالعلم الذي يعلمهم إياه، وأنه لا يخالف ذلك، وأنه لا يمكن أن يأمرهم ويترك، وينهاهم ويفعل،

عدم العمل بالعلم من صفات اليهود

وقد ذم الله تعالى أهل الكتاب اليهود، لماذا؟ قال لهم: أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ فهذه من طبائعهم وأخلاقهم، أنهم يأمرون بالخير أحيانًا ولا يفعلونه دائمًا، وهؤلاء أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ هذه أفة خطيرة جدًا يا عباد الله، وعندما ترشد أهلك، وتعلم أولادك، وتكون قدوة لأسرتك تكون بالكلام دون فعل فإن هذا يخل، والكلمة تنبعث ميتة من الفم حتى يصدقها الفعل فتسري فيها الروح، ولا يكون القدوة قدوة حتى يعمل بما علم وبما يقول، ونحن اليوم يا عباد الله- في عصر انتشار الثقافة والمعلومات، والانفجار المعلوماتي، وهذه المواقع الكثيرة اليوم، مواقع التواصل وغيرها فيها كثير من المعلومات، وتأتي على رسائل الواتساب، وأنواع الرسائل الإلكترونية كثير من المعلومات، إذا تأكدنا من صدق هذه المعلومات، ماذا ينبغي علينا؟ الآن نسمع مواعظ كثيرة، في الخطب هناك دروس منتشرة مقاطع صوتية، لكن ما هي نسبة العمل بالعلم؟ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا* وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا الأحزاب: 30-31 فلماذا يضاعف لها العذاب ضعفين؟ الذي يعلم ثم يخالف هذا ذنبه شديد.

خلق النبي صلى الله عليه وسلم.

عباد الله: النبي -صلى الله عليه وسلم- كان خلقه القرآن، ما معنى كان خلقه القرآن؟ يعني كان يعمل بالقرآن، كان يسير بهذا القرآن بين الناس، كان يسير وفق هذا القرآن في حياته، كان خلقه القرآن يعمل به دائماً، هذا ليس مجرد مرة ولا مرتين، هذا خلق، والخلق العادة المستمرة، وقد حدثنا النبي -صلى الله عليه وسلم- عن رجل (يلقى في النار فتندلق أقتابه يعني أمعاه، فيطيف بها كما يطيف الحمار بالرحاء، فينظر إليه أهل النار ثم يقولون: أي فلان، ألسنت كنت تأمر بالمعروف، وتنتهي عن المنكر؟ فيقول: إني كنت أمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله) [رواه البخاري: 3267، ومسلم: 2989] والحديث في الصحيحين. وهذا منظر فظيع، ووعد مخيف، بالنسبة للذي يأمر ويخالف وينهى ويرتكب، وقد كان الصحابة يستعينون على التعلم وعلى حفظ القرآن بالعمل به، ولا يجاوزون عشرة آيات حتى يعملوا بما فيها، والإنسان لا تزول قدماه يوم القيامة حتى يسأل عن أمور ومنها: ماذا عملت فيما علمت؟ ما معنى حديث: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع)؟ [رواه مسلم: 2722] من ضمن المعاني: علم لا يعمل به، ولذلك قال بعض السلف: "حسبك أن يكون علمك حججك عند الله يوم القيامة!"

شبهة حول طلب العلم والرد عليها

فإذا قال بعض من خف عنده ما خف: أنا لا أريد أن أتعلم حتى لا يكون العلم حجة عليّ فيقال: ستعاقب على جهلك، ستعاقب على رفض التعلم، ولم يعذرك الله بالجهل؛ لأنك كنت تستطيع أن ترفعه بالتعلم ولم تفعل، فليس القضية إذاً هي هروب من التعلم حتى لا يكون حجة لا، هذا سيعاقب عليه، ولكن لا بد أن يتعلم ولا بد أن يعمل، وإلا فما هو الدين إذا لم يكن الدين علم وعمل، فماذا سيكون إذا؟ بلا علم معلومات باردة، بلا عمل- كلا والله- والنبي -عليه الصلاة والسلام- ضرب مثلاً قال: (مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه، كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه) [رواه الطبراني: 1681] السراج ذو الفتيلة ماذا يحصل فيه يوقد يضيء لكنه يحرق نفسه وتذبل هذه الفتيلة شيئاً فشيئاً تزوى، ولذلك النبي -عليه الصلاة والسلام- أخبرنا يوم القيامة عن ناس (تقرض شفاهم بمقاريض من نار يأمرؤن الناس بالبر وينسون أنفسهم) [رواه أحمد: 12211] ومرة أخرى لو قال: أنا لا أمر بالمعروف، ولا أنهى عن المنكر، حتى لا تقرض شفتي بمقاريض من نار، فيقال: قد ازدت سيئة على سيئتكم، إذا كنت من قبل تأمر وتخالف، وتنتهي وترتكب، فأنت الآن لا تأمر ولا تفعل، ولا تنهى وترتكب، فصار عندك بدل من السيئة الواحدة صار على ظهرك سيئتان، ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك العمل بذلك، فسيكون وضعك أسوأ، ولذلك لا يخذل عن الشيطان أناساً يقولون: نحن نسكت حتى لا نعاقب يوم القيامة، فيقال لهم: ستعاقبون مرتين، مرة على ترككم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك التعلم، وترك التعليم، ومرة على المخالفة.

عباد الله: كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ، لا خيار لنا في المسألة، لا بد أن نتعلم ونعمل، ونأمر وننهي ونلتزم، وعندما لا يعمل بالعلم هذا من أوصاف الغربية، غربة الدين، ومن صفات آخر الزمان، والعبادة علم وعمل متلازمان، ولذلك فإننا كل واحد في نفسه لا بد أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق، ثانياً: يجاهدها على العمل بعد التعلم ثالثاً: أن يجاهدها على الدعوة إلى ما تعلمه وعمل به، ورابعاً: أن يصبر على الأذى في سبيل ذلك. هذه المراتب الأربع التي من حازها فقد حاز الخير والفلاح والله.

وهذا التعلم وهذا العمل زينة، إذا العلم لم تعمل به كان حجة عليك، ولن تعذر بما أنت حامله

فإن كنت قد أبصرت هذا، فإنما يصدق قول المرء ما هو فاعله.

والعلم ليس بنافع أربابه ما*** لم يفد عملاً وحسن تبصر

سيان عندي علم من لم يستفد*** عملاً به وصلاة من لم يظهر

فاعمل بعلمك توفي نفسك وزنها*** لا ترض بالتضييع وزون المخسر

فضائل العلم، ووسائل تثبيته

العلم بالعلم يا عباد الله، يرفع الإنسان درجات عند الله يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ الْحديد: 11 (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين) [رواه مسلم: 817].

والذي يعمل بالعلم لا يضل ولا يشقى كما أخبر الله: فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى الْأَنْبِيَاء: 123 والذي يعمل بالعلم ينجو يوم القيامة، وتكون إجاباته عن الأسئلة أسئلة المحاسبة، عمره فيما فناه، شبابه فيما أبلاه، ماله في أي شيء أنفق؟

عن علمه ماذا عمل فيه أو به؟ هذه الإجابات المسددة من سبل النجاة يوم القيامة، أما الإعراض هذا عدم العلم إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا الكهف:57 ذكر الله وصفا معيبي في كتابه لليهود أيضا مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجمار يحمل أسفار الجمعة:4 ما بال الحمار الذي يحمل أسفار؟ لا يفقه ولا يعمل.

وعالم بعلمه لا يعملن *** معذب من قبل عباد الوثن

وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ محمد:17؛ لأنهم عملوا بالعلم.

ثم أيها الإخوة، أيها الأحبة، إن من أعظم وسائل تثبيت العلم في الصدور العمل به، كانوا يستعينون الصحابة على تثبيت الحفظ بالعمل بهذا المحفوظ

العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل، ولنحذر أشد الحذر أن يأتي الواحد يوم القيامة وقد خالف فعله قوله، وصار على سنن هؤلاء اليهود، اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الإخلاص، وكلمة الحق في الغضب والرضى، ونسألك نعيما لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ونسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ونسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضره، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزین الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الرحمة المهداة البشير والنذير والسراج المنير .

عباد الله،

العلم النافع هو ما عمل به

العلم والد والعمل مولود، العلم شجرة والعمل ثمرة، رأس الفقه العمل بالعلم، وهذا العمل زكاة العمل، فهو أثره، وقليل من العلم مع العمل به، خير من كثير من العلم بلا عمل، وإنما يراد العلم للعمل به للنجاة عند الله يوم القيامة،

العلم شجرة والعمل ثمرة، رأس الفقه العمل بالعلم، وهذا العمل زكاة العمل، فهو أثره، وقليل من العلم مع العمل به، خير من كثير من العلم بلا عمل، وإنما يراد العلم للعمل به للنجاة عند الله يوم القيامة،

وهل سعد السلف وأدركوا وفضلوا إلا بحسن الاعتقاد والإيمان، وبحسن العلم والتعلم وبحسن العمل.

أيها المسلمون ليغتنم كل واحد منا وقته، فإن العمر قصير والرحيل قريب، والحساب شديد، والخطر عظيم، والناقد بصير، والله تعالى بالمرصاد، وإليه المرجع والمعاد، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره* ومن يعمل مثقال ذرة شرا يرهالزلزلة:8-8، العلم ليس للمباهاة، الشهادات، ليست للمباهاة المحفوظات والمعلومات ليست للمباهاة، وإنما للعمل بها، تعلموا فإذا علمتم فاعملوا، ومثل علم لا يعمل به ككنز لا ينفق منه، ولن يكون الإنسان عالما حتى يكون عاملا، ومن أوثق صفات العلماء الذين يؤخذ عنهم، أنهم يعملون بعلمهم، الإمام أحمد- رحمه الله- لما ألف المسند، وضع فيه أربعين ألف حديث قال: "ما من حديث إلا وعملت به، ولو مرة، حتى أنه قرأ أن النبي صلى الله عليه وسلم- احتجم وأعطى أبا طيبة الحجام ديناراً قال أحمد: فاحتجمت وأعطيت الحجام ديناراً، والدينار: مثقال أربع غرامات وربيع، والغرام الآن إذا كان على مائتين فانظر أو قريب منها، كم يكون الدينار؟ أربع غرامات وربيع، أكثر من الأجرة العادية مثلاً، لكن لأنه قرأ أن النبي صلى الله عليه وسلم- وصل إليه العلم أنه احتجم وأعطى الحجام ديناراً أعطى الحجام ديناراً، أبو داود- رحمه الله- سمع رجلاً عطس وحمد الله، ولم يكن ذلك الرجل ليسمعه، لأن هذا كان في المركب وهذا كان في الشاطئ، فاكثرى قارباً بأربع دراهم، وذهب إليه وشتمته، كله من أجل أن يعمل بحديث (فإذا حمد الله فشمته) [رواه مسلم:2992] وقصصهم في العمل بالعلم كثيرة جداً، قصصهم في العمل بالعلم، وحرصهم على ذلك، وهذا ما يجب علينا نحن أن نقوم به .

اعمل بعلمك تغنم أيها الرجل *** لا ينفع العلم إن لم يحسن العمل

والعلم زين وتقوى الله زينته *** والمتقون لهم في علمهم شغل.

وحجة الله يا ذا العلم بالغة *** لا المكر ينفع فيها لا ولا الحيل.

تعلم العلم واعمل ما استطعت به *** لا يلهينك عنه اللهو والجدل

وعلم الناس واقصد نفعهم أبداً *** إياك إياك أن يعتادك الملل

وعظ أخاك برفق عند زلته *** فالعلم يعطف من يعتاده الزلل

وإن تكن بين قوم لا خلاق لهم *** فأمر عليهم بمعروف إذا جهلوا

فإن عصوك فراجعهم بلا ضجر *** واصبر وصابر ولا يحزنك ما فعلوا

فكل شاة برجليها معلقة *** عليك نفسك إن جاروا وإن عدلوا

تقول الحكمة: تبتغيني يا ابن آدم وأنت تجدني في جملة من، تعمل بخير ما تعلم، وتذر شر ما تعلم.

كيف يكون الواحد منا قدوة لأهله وهو يأمرهم بالصلاة، والله أمره أن يأمرهم وأمرُ أَهْلِكَ بالصلاة [طه:132] ثم لا يواظب عليها، بعض الناس لا يصلي إلا الجمعة، وبعض الناس يصلي فروضاً ويترك أخرى، وبعض الناس ينام عن الصلاة المكتوبة، إذا كان عقوبة الذي ينام عن الصلاة المكتوبة متعمداً أن يشدخ رأسه بصخرة في القبر، غير عذاب النار، غير ما يكون في أرض المحشر؛ لأن هناك عذابات بعد الموت، العذاب عند نزوله، الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، هذا عند نزول الموت، وفي القبر كما جاء في الأحاديث في الزناة والزواني في تنور من نار، وأكل الربا الذي يسبح في نهر الدم، ويلقم الصخور، وما أخبر عنه -عليه الصلاة والسلام- في أحاديث كثيرة التي منها والأحوال هذا الذي يرفض القرآن، وينام عن الصلاة المكتوبة، فكيف ستكون عقوبته إذا ترك صلوات؟ وترك بالكلية واحد من خمسة وثلاثين، ما يصلي إلا الجمعة، واحد من خمسة وثلاثين؟ وكيف إذا كان يأمرهم بالعفة ولا يرضى من زوجته وبناته أن يرتكبن الحرام، ثم هو يشغل أفلام الحرام، ومقاطع الحرام، وقنوات الحرام، وينظر إلى الحرام، فأى تأثر وأي انزجار، أو أي قبول سيكون عند أولاده من بنات وزوجة وأبناء، إذا كان هذا هو الحال ما في عمل بالعلم، لا يوجد يقول أبو الدرداء: إن أخوف ما أخاف على نفسي أن يقال لي يوم القيامة: يا عويمر -وهذا اسم أبي الدرداء- هل علمت؟ فأقول: نعم، فيقال لي: فماذا عملت فيما علمت؟ هنا اللهم إنا نسألك أن تصلح أحوالنا، اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من المفlichen، وأهل السعادة الناجين، اللهم ارزقنا الفلاح في الدنيا والآخرة، اللهم علما ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، اللهم إنا نسألك أن تفقهنا في الدين، وأن ترزقنا العمل بسنة سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله أجمعين .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين، ربنا اجعلنا مقيمي الصلاة ومن ذرياتنا، ربنا وتقبل دعاءنا، ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، اللهم أوزعنا أن نشكر نعمتك التي أنعمت علينا وعلى والدينا، وأن نعمل صالحاً ترضاه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أدخلنا الجنة مع الأبرار، وقنا عذاب النار، أعتق رقابنا من النار، واجعل الفردوس الأعلى مأوانا يا أرحم الراحمين.

عباد الله: إن لإخواننا علينا حقاً عظيماً، وإنهم في كرب عظيم والله، ونحن نسأل الله سبحانه وتعالى أن يفرج كربتهم، وأن يرفع البأس عنهم، وأن يكشف ما نزل بهم من ضر، اللهم إنا نسألك لإخواننا، وأنت الرحمن الرحيم، وأنت الحكيم، أنت على كل شيء قدير، وأنت أعلم بالحال، اللهم إنا نسألك أن تفرج همومهم، وتنفس كربهم، وتكشف غمومهم، وتجمع على الحق كلمتهم، وأن تنصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم اجمع كلمتهم على الحق، وألف بين قلوبهم، اللهم أوهم، اللهم داوهم، اللهم أطعمهم، اللهم اكسهم، اللهم املهم، يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين، اللهم عليك باليهود والباطنية، اللهم زلزلهم، اللهم اقذف في قلوبهم الرعب، اللهم أنزل بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللهم خالف بين كلمتهم، واجعل دائرة السوء عليهم، اللهم انتهم من حيث لم يحتسبون، واجعلهم وأموالهم غنيمة للمسلمين، اللهم اهزمهم وشردهم وزلزلهم واخسف بهم يا رب العالمين، يا قوي يا عزيز يا متين، أنت تنتقم لعبادك الصالحين، اللهم إنهم أدوا لإخواننا، وأفسدوا في البلاد، وأكثروا الفساد، فصب عليهم سوط عذاب، اللهم إنا نسألك لبلدنا هذا وبلاد المسلمين الأمن والإيمان، والأطمئنان يا رحمن، اللهم اجعلها عامرة بذكرك، عاملة بشرعك يا أرحم الراحمين .

اللهم من أراد بلدنا هذا بسوء فأشغله بنفسه، ورد كيده في نحره، اللهم من أراد ديننا وإيماننا بسوء فعليك به، آمنا في
الأوطان والدور، وأصلح الأئمة وولاة الأمور، واغفر لنا يا عزيز ياغفور، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام
على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

أيها المؤمن لا تكره لعله خير

المحن والمصائب في أعماقها المنح والרגائب

المكافآت الربانية في الصبر على المصيبة

دعاء المصيبة وأثره على المصاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسينات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المؤمن لا تكره لعله خير

عباد الله:

يقول ربنا سبحانه وتعالى في كتابه مبيناً علمه وجهل المخلوقين، مبيناً أنه مطلع على الغيب والمخلوقون يجهلون، مواسياً عباده فيما يصيبهم، ويؤملهم في مستقبل أمرهم وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ سورة البقرة 216. فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا سورة النساء 19. الله سبحانه وتعالى علام الغيوب، وربنا سبحانه علمه كامل فيعلم الماضي والحاضر والمستقبل وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ سورة آل عمران 179. وعندما يقول لعباده وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ سورة البقرة 216. فإنه يبين لهم عجزهم عن إدراك المستقبل، وهذا الغيب الذي طواه عنهم، وأنه قد يجعل في المحن منخاً، وأن المضرة قد يكون في عاقبتها مسرة، المسرة في قلب المضرة وذلك من أفعال الله سبحانه وتعالى في خلقه، فيحصل للعبد قدرٌ يكرهه؛ لأن فيه مصيبة، لأن فيه فقدٌ لمال، أو نفس، أو ألم نفسي، وحزن، وخوف، يحصل له ما يكرهه لكن المؤمن يعلم بأن الله سبحانه وتعالى علام الغيوب فيتوكل عليه، وينتظر الخير من ربه، ولا يصاب بالإحباط والاكتئاب، وإنما يؤمل فيما عند الله

قد يحصل للعبد قدرٌ يكرهه؛ لأن فيه مصيبة، لأن فيه فقدٌ لمال، أو نفس، أو ألم نفسي، وحزن، وخوف، يحصل له ما يكرهه لكن المؤمن يعلم بأن الله سبحانه وتعالى علام الغيوب فيتوكل عليه، وينتظر الخير من ربه، ولا يصاب بالإحباط والاكتئاب، وإنما يؤمل فيما عند الله.

، وربنا سبحانه يجعل العواقب أحياناً بخلاف المنظور تختلف عنه اختلافاً تاماً، ولذلك العبد لا يقترح على ربه بل يفوض الأمر إليه، ويتوكل عليه، ثم يا عباد الله! نحن عاجزون عن الحسابات الصعبة، نحن عاجزون عن معرفة كل الاحتمالات في المستقبل، ولذلك يحصل لك الأمر فتتوكل عليه، وتعلم بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْزِلَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ سورة الحديد 22. كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، ما شاء كان ولم يشأ لم يكن، قال الله عز وجل: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْةٌ لَكُمْ سورة البقرة 216. كان المسلمون في بدر يريدون غنيمة سهلة، تلك القافلة التي خرجت للمشركين معها حراسة محدودة، فخرج من المسلمين أكثر من ثلاثمائة مجاهد في سبيل الله، يرجون فضل الله، وتعويض شيئاً من الأموال التي فقدوها في مكة وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ سورة الأنفال 7. فماذا قدر الله؟ لقاء جيش عرمرم من الكفار يفوقهم بثلاثة أضعاف، خرج إليهم واقترب من موقعهم، فكره ذلك بعض المؤمنين خرجنا للقافلة فإذا بالقافلة فاتت، ويقدر الله أن يأتي جيش ثلاثة أضعافنا، ولكن الله يريد أن يحق الحق بكلماته، لو أخذ المسلمون القافلة لكانت شيئاً محدوداً لكن الآن أن ينتصروا في أول مواجهة مع قريش أمام العرب، أمام الدنيا، وأن يهزم هذا الجيش من الكفار، وأن يأخذ المسلمون من الغنائم أضعافاً مضاعفة، وأن ينكسر من الكفر من انكسر، وأن يقتل من صناديدهم وطواغيتهم من

قتل، أو أن يكون نصرًا مبينًا، وأن يتسامع بذلك العرب، وأن تبلغ قوة المسلمين ما بلغت، فرفقنا وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان سورة الأنفال 41. أولها كانت مكروهة وآخرها كانت منحة عظيمة، ومسرة كبيرة، ونصر مؤزر لأهل الإسلام، أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل، يأخذهم المسلمون سبيًا وهم كفار فيسلسلونهم، وهؤلاء المسلسلين بالتأكيد يكرهون ذلك لكن عندما يكونون بين المسلمين فيفتح الله عليهم، ويدخلون في الدين تكون عاقبة الأسر والسلسلة الهداية والسعادة.

المحن والمصائب في أعماقها المنح والרגائب

وكم من محنة كانت في طياتها المنحة، فاطمة بنت قيس رضي الله عنها استشارت النبي صلى الله عليه وسلم في النكاح، فقال: (انكحي أسامة) فكرهته -لعل ذلك للونه فقد كان أبوه زيد بن حارثة أبيض من القطن وابنه أسود من الفحم ومع ذلك فهو ابنه وكلاهما كان حب رسول الله صلى الله عليه وسلم- ثم استشارته ثانية، فقال: (انكحي أسامة) فنكحته قالت: فجعل الله فيه خيرًا كثيرًا واعتبطت به [رواه مسلم 1480]. وكذلك لما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم جليبيب الفقير إلى عائلة من الأنصار لتزويجه تمنعوا في البداية، والبنت لما علمت أن هذا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم أصرت على الزواج منه، وبالرغم من أن جليبيب قد قتل شهيدًا إلا أن المرأة كانت أنفق امرأة في المدينة من رزق رزقها الله تنفق، أو تسارع إليها الخطاب فلم تلبث بعد زوجها إلا وقد تزوجت فعسى أن تكثر هوأ شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا سورة النساء 19. عسى أن تكثر هوأ شيئًا قد تقع في امرأة فإن كرهتموهن بعدما قال: وعاشروهن ذكر للزواج أنه فعسى أن تكثر هوأ شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا سورة النساء 19. فعسى أن يكره شيئًا في المرأة من شكلها مثلاً، أو حدة في طبيعتها، ولكن يجعل الله فيها خيرًا كثيرًا من ولد صالح يأتيه منها ينسبه كل عيوب أمه، كما قال المفسرون بتفسير هذه الآية، يصاب الإنسان بالمصيبة فيفقد ولدًا مثلاً لا يدري الخير أين هو، ألم يقل ربنا في كتابه في قصة موسى والخضر وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا سورة الكهف 80. يعني إذا كبر فأردنا أن يبدلهم ربهم خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا سورة الكهف 81. ولد بدل ولد، كان الأول لو عاش سيكون شقاء على أبويه فاختر الله أن يقبض، وهذا فيه مصلحة للولد المقبوض وكذلك مصلحة لأبويه؛ حتى لا يرهقهما طغيانًا وكفرًا، وأبدلهم خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا، وقد لا يكون العوض ولد بولد فقد يكون العوض شيئًا أخروياً عظيماً جداً لا يتصور، كان رجل يحضر حلقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابن له يقعه في حضنه فيداعيه، فقال له عليه الصلاة والسلام: (تحبه؟) قال: "أحبك الله كما أحبه" حبي له شديد حتى أنني أسأل الله أن يكون حبه عز وجل لك كحبي لهذا الغلام من شدة الحب، ففقد النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عنه، فقالوا: بنيه الذي كان يأتي معه في الدرس هلك، ففقيه عليه الصلاة والسلام فعزاه وسأله: أحب أنه عندك أو لا تأتي يوم القيامة إلى باب من أبواب الجنة إلا ولقيته سبقك إليه يفتحه لك؟ [رواه النسائي 1870]. لا تأتي إلى باب من أبواب الجنة إلا ووجدته سبقك إليه يفتحه لك، اختار الصحابي هذا؛ لأن ما عند الله خير وأبقى.

المكافآت الربانية في الصبر على المصيبة

وهكذا يا عباد الله! لا بد أن يعطي ربنا، ولذلك وعد بثلاثة على ثلاثة في ثلاثة، في أحوال ثلاثة، إذا تصرف العبد بثلاثة أمور يعطيه الله ثلاث مكافآت يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين سورة البقرة 153. ثم قال: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ سورة البقرة 155-156. ذكر المصائب عز وجل ذكر خمسة تعود إلى ثلاثة أنواع، مصيبة نفسية مثل الخوف، مصيبة بدنية النفس، مصيبة مالية الثمرات، هذه الأنواع الثلاثة من المصائب النفسية والبدنية والمالية إذا تصرف العبد حيالها عند وقوعها بثلاثة أعمال فله ثلاثة أنواع من الجزاء عند الله، ما هي الأعمال الثلاثة من العبد؟ قلبي، وقلبي، وجمع بينهما نوع ثالث، فأما القلب فالصبر يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر وأما القولي إننا لله نحن ملك له اللام لام الملك إننا لله، يأخذنا يبقينا، يمرضنا يشفيها، يفرقنا يغنيها، يمرضنا يشفيها إننا لله يفعل فينا ما يشاء وإننا إليه راجعون هذه موعظة أن الملتقى عنده فلتلقي أنت وأحبائك، يا عبد الله! أحبب من شئت فإنك مفارقه، عش ما شئت فإنك ميت إنك ميت وإنهم ميتون سورة الزمر 30. فعمل قلبي وهو الصبر، وعمل قلبي وهو الاسترجاع، وإذا صار معه الحمد هذه عدة بناء بيت الحمد في الجنة، وعمل جامع لهما وهو الصلاة استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ثم قال: الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ما هي الجزاءات الثلاثة؟ أولئك عليهم صلوات من ربهم يذكركم الله في الملاء الأعلى الشرف العظيم بين الملائكة ورحمة يغفر بها ذنوبهم، يربط على قلوبهم، ينزل فيها السكينة، يغشاهم بما يغشاهم من رحمته، يكفر بها سيئاتهم، يضاعف بها

حسناتهم، يرفع بها درجاتهم، يعوضهم بها خيراً في الدنيا وفي الآخرة، الثالث: وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ سورة البقرة 157. إلى طريق الحق، ثم إلى طريق الجنة.

الجزاءات الثلاث: {وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ} يُذكر عنده في الملاء الأعلى الشرف العظيم بين الملائكة {وَرَحْمَةً} يغفر بها ذنوبهم، يربط على قلوبهم، ينزل فيها السكينة، يغشاهم بما يغشاهم من رحمته، يكفر بها سيئاتهم، يضاعف بها حسناتهم، يرفع بها درجاتهم، يعوضهم بها خيراً في الدنيا وفي الآخرة، الثالث: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} إلى طريق الحق، ثم إلى طريق الجنة.

اللهم بارك لنا فيما أتيتنا واجعله عوناً لنا على طاعتك يا رب العالمين، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، وأدخلنا الجنة مع الأبرار.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا الله، وسبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وأشهد أن محمداً عبد الله، الرحمة المهداة، البشير والنذير، والسراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعلى أزواجه وخلفائه، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، والشافع المشفع يوم يقوم الشهداء، اللهم صل وسلم وبارك عليه.

دعاء المصيبة وأثره على المصاب

عباد الله:

كان الصحابة ينزل عليهم القرآن فيأخذون ما فيه من المعاني والعبر والعظات، وكانوا يواجهون الأقدار بالإيمان، فكان هنالك صبر، وكان هنالك رجاء من الله، والله كريم لا بد أن يأتي بالعوذ، أم سلمة أسلمت وزوجها أبو سلمة في مكة من أوائل المسلمين، وكان أبو سلمة رجلاً كريماً عاشرها عشرة طيبة تعلقت به، ثم صارت الهجرة فكان بيت أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، وحصل ما حصل من تفريق الكفار بين أبي سلمة وأم سلمة، حتى أن المرأة أوديت رضي الله عنها في نفسها وفي أولادها، وهاجرت، وتحملت، وبذلت، ثم اجتمعت مع زوجها في المدينة، وبعد مدة يجري قضاء الله تعالى فيأخذ الله أبا سلمة، تتذكر أم سلمة الحديث الذي علمهم إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها) [رواه مسلم 918]. أرادت أن تقولها لكن فكرت وقالت في نفسها من خير من أبي سلمة؟ هذا الزوج الكريم، هذا المؤمن القديم، هذا المهاجر الذي يبتغي فضل الله العظيم، قالت: لكنني قلتها إيماناً بموعود الله- فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصارت أم سلمة أمنا جميعاً، أم المؤمنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة، أم طلحة كانت من أعظم صاحبة مهر في الإسلام؛ لأنها رضية أن يكون مهرها الإسلام، أم سلمة هذه أيضاً هاتان امرأتان أم طلحة لما تزوجت أنجبت غلاماً ولم يلبث هذا الغلام أن مرض وتوفاه الله عز وجل وأبوه غائب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت لأهلها: لا يخبر أحد أبا طلحة بولده حتى أكون أنا الذي أخبره، ثم لفته كأنه نائم، ثم تصنعت وتزينت لزوجها، فلما جاء سأل عن الولد قالت: هو الآن أسكن ما يكون، ففهم أنه الآن مرتاح وحاله جيدة، ثم أتى أهله، وبعد ذلك سألتها يا أبا طلحة لو أن قوماً أعاروا قوماً عارية -أعطوهم إعاره- ثم سألوهم إياها هل لهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، قالت: إن الله أعارك ابنك ثم قبضه فاحتسبه، قال غاضباً: تركتني حتى إذا تلطخت بما تلطخت به ثم أخبرتني بابني؟ ثم ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعا لهما بالبركة اللهم بارك لهما في غابر ليلتهما (بارك الله لكما في غابر ليلتكما) فحملت فأتت بولد يقول الراوي: خرج هذا الولد فأعطته لأنس لم ترضعه حتى يكون أول ما يفتح فم الولد هذا وريق الولد هذا ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء أنس بأخيه من أمه جاء أنس الآن بهذا الولد للنبي عليه الصلاة والسلام وعنده ميسم يسم الصدقة إبل الصدقة، يعلمها بالعلامات التعليم المعروف، فقال: لعل أم طلحة ولدت، فوضع الميسم ثم أخذه من أنس فمضغ تمره حتى لينها ثم أوجرها فم الصبي فجعل الولد يتلمض، فقال عليه الصلاة والسلام متعجباً يخبرهم عن حب الأنصار التمر ثم سماه عبد الله [رواه مسلم 2144]. قال الراوي فكان لعبد الله سبع بنين كلهم قد حفظ القرآن، واستشهد عبد الله بفارس في سبيل الله وكان له ذرية عظيمة، إذن قد يذهب ما أخذ ويجعل الله بدلاً منه شيئاً عظيماً من عوض في الدنيا أو أجر في الآخرة لا يحلم الإنسان به، ولذلك لا مفر للمعبد من التوكل على الله، وتسليم الأمر إليه، وعدم الاقتراح

على ربه بل هو مستسلم بين يديه، كما مات لبعض السلف سبعة في الطاعون سبعة من الأبناء دفعة واحدة في الطاعون فقال: اللهم إنا مسلم مسلم، هذا حال المؤمن، والدنيا طبع على كدر وأنت تريدها صفوا من الأقداء والأكدار؟ لا يمكن فما هو موقف المؤمنين؟ التسليم، الصبر، احتساب الأجر، والله لا يخلف الوعد وقد وعد بالعوض فلا بد أن يأتي.

اللهم إنا نسألك أن تغفر لنا ذنوبنا، وتكفر عنا سيئاتنا، وأن تدخلنا الجنة مع الأبرار، وأن تحرم وجوهنا على النار، اللهم اجمع كلمتنا على الحق يا رب العالمين، اللهم نسألك الثبات حتى الممات، اللهم إنا نسألك نعيما لا ينفذ وقرة عين لا تنقطع، ونسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت، ونسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين، اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمانلنا ومن فوقنا ونعوذ بعظمتك أن نغتنل من تحتنا، يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث، يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث، اللهم أغث إخواننا المستضعفين، اللهم أغث إخواننا المستضعفين، اللهم أغث إخواننا المستضعفين في الشام وسانر الأرض يا رب العالمين، اللهم أطعم جائعهم، واكس عاريهم، وآو شريدهم، وأبرأ جريحهم، واشف مريضهم، وارحم ميتهم، ووحد صفوفهم، واجمع على الحق كلمتهم، اللهم أيدهم بتأييدك، اللهم تول أمرهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم يا رب العالمين، يا أرحم الراحمين أنت على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، اللهم إنا نسألك الأمن والأمان لبلدنا هذا وسانر بلاد المسلمين، اللهم اعملها بالإيمان والأمن يا رب العالمين، اللهم آمنا في الأوطان والدور وأصلح الأئمة وولاة الأمور واغفر لنا يا عزيز يا غفور، لا تفرق جمعنا هذا إلا بذنب مغفور وعمل مبرور وسعي مشكور يا حلیم يا غفور يا شكور.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

إستسلام الخليل إبراهيم- عليه السلام

الإمتثال حقيقة التسليم

التسليم لله تعالى بتحكيم شرعه

شكر النعمة سبب بقاءها وبركتها

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسينات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إستسلام الخليل إبراهيم- عليه السلام.

عباد الله:

نحن مسلمون، والإسلام ديننا، والإسلام هو لاستسلام لله سبحانه وتعالى، والالتقياد له، هذا الأمر الذي لو حققناه؛ لصرنا في أول أهل الأرض، والله هذا المعنى الذي ذكره ربنا -سبحانه وتعالى- في كتابه مراراً، وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ سورة النساء:125 هذا المعنى الذي تمثل في إبراهيم الخليل -عليه السلام- فإنه لما بلغ من الكبر عتياً، وقد بلغ ثمانين سنة، واشتافت نفسه للولد، وليس ثم ولد، لكنه ما ينس من سؤال ربه، فأجاب الله دعاءه، ورزقه بغيلاً حليم، كما رزقه بغيلاً عليم، وكان إسماعيل أولاً، وقد تعجبت زوجة إبراهيم -عليه السلام-، أَلِدْ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي سَورَةُ هُودٍ:72، لكن إِمَّا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ سورة يس:82، فلما رزقه الله بالولد، وبلغ معه السعي، وأطاق وشب، وصار يعاون أباه، وصار في القلب شعبة من الولد، أراد الله أن يسلم قلب إبراهيم له، فأمره بأمر عظيم، وابتلاه ببلاء شديد، وهو رؤيا، ورؤيا الأنبياء حق، أنه يذبح ولده، فما كان من الخليل إلا أن استسلم لربه، وقال لولده: يا بني إني أرى في المنام أنني أذبحك فأنظر ماذا ترى سورة الصافات:102، وكان الخليل قد عقد أمره، ولكن ليستجلب طاعة الولد فماذا كانت نتيجة التربية؟ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ الصافات:102، قال تعالى -وهذا موضع الشاهد-: فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْجَبِينِ سورة الصافات:103 أطيعا وإنقادا، واستجابا واستسلما، قال قتادة -رحمه الله-: أسلم هذا بذبح ولده، وأسلم هذا بتسليم نفسه لأبيه، {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْجَبِينِ} أضجعه وجعله على وجهه وظهره إلى الأعلى؛ لنلا يرى ألم الذبح على وجه الولد فربما يتردد، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْجَبِينِ ووضع السكين؛ ليشرع في الذبح لم يعد هناك فائدة من الذبح؛ لأن الاستسلام قد حصل والاستجابة قد تحققت، ففداه الله، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْجَبِينِ * وَتَادَيْتَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ سورة الصافات:103-105 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سورة الصافات:108 سنة الأضحية إلى يوم يبعثون.

الإمتثال حقيقة التسليم.

00:04:46

عباد الله، هذا المعنى، الاستسلام لأمر الله، هذا الذي حققه الصحابة -رضوان الله عليهم-، فملكهم الله الدنيا، وفتح عليهم كنوز الأرض لما نزلت آية تحريم الخمر، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ سورة المائد:91 ماذا فعلوا؟ كسروا دنان الخمر وأراقوها مباشرة، فجرت في السكك والطرقات

الاستسلام لأمر الله، هذا الذي حققه الصحابة -رضوان الله عليهم-، فملكهم الله الدنيا، وفتح عليهم كنوز الأرض لما نزلت آية تحريم الخمر، {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}، ماذا فعلوا؟ كسروا دنان الخمر وأراقوها مباشرة، فجرت في السكك والطرقات

، لما نزلت آية الحجاب، والأمر بالاستسلام، وتحقيق معنى الاستسلام والطاعة موجود للرجال والنساء، وَلَيُضْرِبَنَّ بِخُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ سورة النور: 31 نزلت الآيات: وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ، نزلت الآيات: وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى سورة الأحزاب: 33، نعم النساء نساء الأنصار، أول ما رجع الرجال إلى نساكنهم، يتلون عليهن آيات، الله والأمر بالحجاب، مباشرة عمدن إلى مروطهن فشققنها، وجعلنها خمرًا، احتجبن بها، ما في وقت للتفصيل ولا لخياطة، أخذت الأقمشة مباشرة، وشققت تشقيقًا على حجاب الجسد كله، فاختمن، يعني: تغطين، وخمر أي: غطي مباشرة، عندما تنزل الآية بتحويل القبلة، وكانت القبلة إلى الشمال، إلى بيت المقدس، والمسلمون بالمدينة، والتحويل إلى الجنوب، إلى مكة، جاء رجل ممن صلى مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في مسجده المسجد النبوي إلى القبلة الجديدة، للتو، إلى قوم من المسلمين يصلون بمسجد قباء، ما بلغهم تحويل القبلة، متوجهين إلى الشمال، إلى بيت المقدس، فشهد بالله أن القبلة قد حولت، فماذا فعل هؤلاء المسلمون؟ هؤلاء الجماعة، الصحابة، هؤلاء الإمام والمأمومون، استداروا في الصلاة فتحولوا كما هم من الشمال إلى الجنوب، من بيت المقدس إلى الكعبة، بالله عليكم لو كنا في هذا المسجد، وقيل لنا: تحولوا والإمام إلى جهة والمأمومون خلفه، والقبلة صارت بالعكس، تنظيم، تحول هذا، كم سيأخذ؟ فضلًا عن التردد في البداية واستصعاب الأمر، وماذا فعل؟ وكيف الصحابة مباشرة بطاعتهم وفقههم تحولوا من الشمال إلى الجنوب في المسجد، في الصلاة، أثناء صلاة العصر، عندما يستوي النبي -صلى الله عليه وسلم- على المنبر يوم الجمعة، ويقول للناس: اجلسوا، وعبد الله بن مسعود عند الباب، فيجلس عبد الله بن مسعود عند الباب، لمجرد سماع كلمة اجلسوا، فيقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: تعال يا عبد الله بن مسعود رواه أبو داود، وهو حديث صحيح، تنفيذ فوري، تطبيق مباشر، استجابة بلا تردد، عندما يرى النبي -صلى الله عليه وسلم- في أصبع أحد أصحابه خاتمًا من ذهب، وربما لا يكون هذا الصحابي يعلم أن الذهب قد حرم، قال -عليه الصلاة والسلام-: (يعدم أحدكم إلى جمره من نار فيضعها فيده) [رواه مسلم: 2090]، ويخلع الخاتم ويرمي به، ويذهب فيقول الصحابة للرجل: خذ خاتمك، انتفع به، الحرام لبسه، لكن بيعه، إعطاؤه لامرأة ليس بحرام، فيقول: لا آخذ شيئًا ألقاه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندما يتكلم من تكلم في عرض عائشة بنت أبي بكر الصديق، ومنهم رجل ليس من المنافقين، لكن استزلوه، قريب لأبي بكر الصديق، مسطح بن أثاثه، -رضي الله عنه- وكان مهاجرًا فقيرًا، غضب الصديق، وكان ينفق عليه، وكان من قراباته، فألى وأقسم وحلف الصديق ألا يعطيه شيئًا، بعد أن تكلم في ابنته، فنزلت الآية: وَلَا يَأْتَلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ سورة النور: 22، مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَالسَّعَةِ فِي الْمَالِ، الَّذِينَ وَسِعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ هؤلاء المهاجرين، هؤلاء الفقراء، فقال الصديق: سمعًا لربي وطاعة، وأعاد النفقة إلى مسطح تغلب على الموقف النفسي، عندما يزوج أحد الصحابة معقل بن يسار، -رضي الله عنه- أخته لرجل، ويتساهل معه في المهر والشروط، ثم إن هذا الرجل بنزغة شيطان طلق المرأة، فغضب هذا الأخ لأخته، أنه أكرمه، وسهل عليه الأمر وزوجه أخته ثم يطلقها بعد انتهاء العدة، الرجل هذا ندم وأراد أن يعود لزوجته، والعود طبعًا بعقد جديد، والعقد الجديد لا بد من موافقة الولي، ذهب يخطبها مرة أخرى من أخيها، من وليها، فقال: زوجتك وأكرمتك ثم طلقتها، لا والله، لا ترجع إليك، فأنزل الله ينهى: فَلَا تَغْضُّوهُنَّ أَنْ يَتَكَحَّنَ آزْوَاجُهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ سورة البقرة: 232، بعد انقضاء العدة، يريد أن ينكحها بعقد جديد، ولم يطلقها ثلاثًا، واحدة أو اثنتين، لا تمنعوا بناتكم وأخواتكم -يا أيها الأولياء- من الأزواج إذا أرادوا أن يعيدوا إليهن على الدين والمعروف، قال معقل: سمعًا لربي وطاعة، وزوجه إياها، كانت قضية الاستسلام، وعدم الاعتراض، والمسارعة الفورية، كانت علامة واضحة، وسمة بارزة في ذلك المجتمع، اللهم اجعلنا لشرعك منقادين، وبسنة نبيك آخذين، وعلى الشريعة مستقيمين، يا رب العالمين، أحيينا مؤمنين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، البشير والنذير، والسراج المنير، -صلى الله عليه- وعلى آله وصحبه، وأزواجه، وذريته الطيبين، وآله وخلفائه وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك؛ سيدنا وأسوتنا، وقُدوتنا، وإمامنا، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

التسليم لله تعالى بتحكيم شرعه.

00:13:05

عباد الله، هذا المعنى، معنى الاستسلام لله، هذا المعنى الطاعة، الإخبات، الاتقياء، فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ سورة النساء: 65، هذا عليه مناط الإيمان، مدار الإيمان، حَتَّى يُحْكَمَوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا يحكموك ولا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت، ويسلموا تسليماً، لا بد، ما معنى رضيت بالله

رباً؟ إلهاً واحداً أعبد، لا أعبد غيره، رضيت بالله رباً، يحكم فيّ، وفي أولادي، وفي أموالي، وفي أحوالي، وبمحمد، نبياً صلى الله عليه وسلم-، يأتي بالوحي، ويبلغنا فننفذ من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلىنا التسليم، هذا المعنى، هذه أهم قضية في عالم المسلمين، أكبر قضية في حياة المسلمين أن يستسلموا لله رب العالمين، لا يعترضوا على حكم شرعي، ولا على قضاء كوني، يتلقون للعمل، ويسمعون للاستجابة، ويأخذون للتنفيذ، لا يوجد اعتراض

أكبر قضية في حياة المسلمين أن يستسلموا لله رب العالمين، لا يعترضوا على حكم شرعي، ولا على قضاء كوني، يتلقون للعمل، ويسمعون للاستجابة، ويأخذون للتنفيذ، لا يوجد اعتراض

، ولما حدث بعض الصحابة رجلاً عن النهي عن الخذف، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- (نهى أن توضع الحصة بين أصبعين ويرمى بها) [مسلم: 1954]، وأنها لا تتكا العدو ولا تقتل الصيد، بل تفقأ العين، وتكسر السن، رآه بعد ذلك يخذف، قال: أحدثك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم تخذف؟ لا أكلمك أبداً، هجر العاصي، حدث بعض بحديث (الحياء لا يأتي إلا بخير) [البخاري: 61، مسلم: 3717]، فقال بعضهم: نجد في بعض الكتب إن منه وقراً، وإن منه سكينه أو ذل، فقال: أحدثك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الحياء خير كله، ثم تقول: منه ومنه، لم يكن الالتزام بالدين أمراً فردياً، في العهد النبوي الرسول -صلى الله عليه وسلم- ربي المجتمع على الاستجابة الجماعية؛ ولذلك لما تخلف الثلاثة من المؤمنين عن الغزو بلا عذر، وأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بمقاطعتهم، وهجرهم، وتركهم، والإعراض عنهم، وعدم الكلام معهم، من الذي استجاب؟ كل المدينة الأقارب والأبعاد، قال كعب: حتى تنكرت لنا الأرض فما هي بالتي نعرف وفي رواية لأحمد: حتى تنكرت لنا الحيطان، يعني: البساتين، فما هي بالحيطان التي نعرف، وضافت عليهم الأرض بما رحبت، وضافت عليهم أنفسهم، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، واعتقدوا بذلك ثم تاب عليهم ليتوبوا سورة التوبة: 118.

هارون الرشيد -رحمه الله- كان رجلاً معظمًا للسنة، وقافاً عند الحديث، وكان يستدعي أبا معاوية الضرير، محمد بن خازن؛ ليسمع منه الحديث، وربما كان يبكي عند سماع الحديث ويقول: صدق سيدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم من الأيام حدث عنده بحديث، وعم الخليفة عم هارون الرشيد جالس والحديث في الصحيح، رواه البخاري وغيره، (احتج آدم وموسى) [رواه البخاري: 6614، ومسلم: 2652] في القصة المعروفة وقال: آدم، وقال: موسى، كذا الحوار فقال عمه: يا أبا معاوية، احتج آدم وموسى، أين التقيا؟ يعني هذا مات من أول البشر خلقه الله، وذاك بعده، ربما بآلاف السنين، أين التقيا؟ ما سمع هارون الكلمة قد فار وثار، وقال: علي بالسيف والنطع، الجلد الذي تقص عليه الرؤوس، علي بالسيف والنطع، فقام القوم يهدؤونه، يا أمير المؤمنين، يا أمير المؤمنين، قال: قال: يقول قال رسول الله ثم تقول أين التقيا؟ يعني: الله على كل شيء قدير: يعني إذا أراد أن يلتقيا سيلتقيا: ولا زالوا يهدؤونه، وما رضى هارون قال: حتى تفر من الذي ألقى إليك هذه الشبهة؟ وهو يحلف بالله، ما هدا هارون حتى حلف بالله، بالأيمن المغلظة أنها مجرد خاطرة، وما سمعها من أحد، وهارون يقول هذه زندقة، لما جاء أحد هؤلاء الملاحدة المشككين إلى عالم يقول له: جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ قال يا خبيث لو شاء لجعلها في عينك، يشككون، يلغون بالشبهات، في قنات، في مجالس، يلغون بالشبهات، هذه وظيفتهم، الطعن والتشكيك الذي عنده استسلام حقيقي، وإيمان قوي يتأثر بهذه الشبهات، كلا والله؛ لأنه يعتقد بشيء مهم جداً، إن الله على كل شيء قدير سورة البقرة: 20، ثم ببساطة يقال لهذا: الله ما خلق إلا السموات والأرض؟ ما خلق فوق السموات ماء؟ ثم فوقه العرش والكرسي، وأن نسبة السموات والأرض كلها إلى الكرسي مثل حلقة ألقيت في صحراء،

شكر النعمة سبب بقاءها وبركتها.

00:19:27

عباد الله: المسألة مسألة تلقي واستجابة، نسأل الله -سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المؤمنين، إخواني أذكر نفسي وأذكركم بأن نذكر نعمة الله علينا، اذكروا نعمة الله عليكم، نعمة الله طبعاً أولها الإيمان والإسلام والدين، فكم في الأرض من الكفرة يعبدون شجر وحجر وبقراً! نعمة الله علينا بدين الإسلام، وكثير من الناس في الأرض كفرة، كم من السبعة مليار مسلم يدين الله بالتوحيد؟ اذكروا نعمة الله الذي جعلكم آمنين في بيوتكم، تطعمون من رزقه، وتاكلون، فلا ننسب النعمة إلى غير المنعم، ولا نقول هذا يعبريتي، وهذا من خيرك يا فلان، هذا من فضل الله، هذا من رزق الله، ولا نبظر، الأشر والبطر رمي النعمة، اذكروا نعمة الله عليكم، في بعض بلدان القرن الإفريقي، يا جماعة بلغ قبل نحو ثمانين سنة

عندهم من الترف والنعيم والنعمة والخير والثراء والعطاء والزرع والضرع، حتى كان الواحد منهم يذبح الخروف يأخذ الكبد ويرمي الباقي في الزباله ما حالهم الآن؟ في 1327-1909 سنة الجوع هل تعلمون ماذا حصل؟ كان الناس في الجزيرة يتسابقون على الفطيسة، ويطاردون الجراد، ويخطون ورق الشجر، فيغطونه بالماء، ويشربونه ما لهم إلا هذا، يطوف الأولاد على البيوت بالليل، يطرقون الأبواب؛ لعلهم يأخذون كسرة خبز فلا أحد يفتح لهم؛ فيصبح أصحاب البيوت صباحاً يفتحون الببان، يجدون هؤلاء الأطفال موتى على الأبواب! المرضعة ترى على الأرض مستلقية ميتة وعلى صدرها طفلها قد مات معها من الجوع، والله تقول المرأة لواحد: خذ ولدي يخرج معكم؛ لعله يصيب شيئاً، نحن نموت من الجوع، فما أصابوا شيئاً، فوجد من نظراتهم أنهم يريدون أكل الولد، ما أنقذه الله منهم إلا بقلب عابر، لحقوه، فأمسكوه، وذبحوه، وسلخوه، وأكلوه، قالوا: ماتركنا عظماً لا كراعاً، تأتي المرأة إلى قريبها جالس مع الرجال، تقول: يا فلان، تملك عليّ، على سنة الله ورسوله، فيسكت، قد أهمته نفسه من الجوع، فتقول: يا أيها الأجواد ما فيكم من أحد يعقد عليّ؟ أخرجه الجوع، فيطرقون برؤوسهم جميعاً، هذا الكلام يا عباد الله ليس بعيداً جداً، يا ترى ماذا يجب علينا للمنع؟ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ سورة إبراهيم:7، اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجأة نقمتك، وجميع سخطك، نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، اللهم اجعل هذا البلد آمناً مستقراً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك القصد في الغنى والفقر، ونسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، ونسألك نعيماً لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ونسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ونسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، اللهم ارحم إخواننا المستضعفين، اللهم ارحم إخواننا المستضعفين، اللهم ارحم إخواننا المستضعفين، اللهم أغنهم، وأطعمهم، وآوهم، واحملهم، وانصرهم وصبرهم يا رب العالمين، اللهم إن في بلاد المسلمين من اللأواء والشدة ما لا يعلمه إلا أنت، اللهم اكشف الغربة والكربة، وأزل الشدة والمحنة، يا رحيم يا رحمن، يا منان اغفر لنا ولآبائنا، اغفر لنا ولأمهاتنا، اغفر لنا ولوالدينا، وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، آمنا في الأوطان والدور، وأصلح الأنمة وولاة الأمور، واغفر لنا يا عزيز يا غفور، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ*وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ سورة الصافات:180-181، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ سورة الأنعام:45

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

الحمد لله الذي أنزل علينا القرآن، وجعل ما فيه من الأمثال والبيان: حكمة ومجالاً للتدبر؛ ليتحقق الابتلاء والامتحان، وتبين حقيقة الإنسان، قال الله - سبحانه وتعالى - في محكم تنزيله، في آية لا بد للمسلم من النظر فيها بعين البصيرة، والتأمل فيها: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ) [الرعد: 17].

قال بعض السلف: "إذا سمعتُ المثل في القرآن فلم أفهمه بكيتُ على نفسي؛ لأن الله تعالى يقول: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)

[العنكبوت:43]، فلا يفهم الأمثال التي ضربها الله للناس في كتابه إلا العالم، فإذا لم يفهم الشخص المثل فربما لا يكون من أهل العلم.

وقد ضرب الله تعالى في هذه الآية مثلاً نارياً، وقبله مثلاً مائياً، فقال الله - عز وجل- في المثل المائي: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا)، وهذا المثل فيه تشبيه الوحي والقرآن الذي أنزله الله تعالى لحياة القلوب وهداية الناس بنزول المطر من السماء الذي تحيا به الأرض، إنه وحي عام لا يخص أحداً دون أحد، هو للجميع؛ للعرب والعجم، للأحمر والأصفر والأسود. إنه للذكر والأنثى، والكبير والصغير؛ مثل المطر الذي يعم بنفعه الجميع.

(أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا)، هذه الأودية التي تجتمع فيها الأمطار تختلف سعة وعمقاً، وتختلف بحسب إمساكها للماء، وتختلف في الشعاب التي تسيل منها، وحجم الأراضي التي تسقيها، وبالتالي في حجم الانتفاع الذي ينتفع منها، الوادي يحتضن الماء.

وكذلك قلب المؤمن يحتضن هذا الوحي ويلبُّه فيه، وينعقد عليه، فيتفاعل معه، الأرض تتفاعل مع المطر فتنبت، والقلب يتفاعل مع الوحي فيثمر الأعمال الصالحة، وعندما ترى المطر ينزل فإنه يثمر أنواعاً من الثمار والزهور

مختلفة اللون والطعم والرائحة، وكذلك هذه الآيات في قلب المؤمن تثمر أنواعاً من الأعمال الصالحة. إنها في تنوعها وشمولها وقيامها على أعضاء البدن المختلفة فيها رصيد له عظيم عند ربه.

قال الله تعالى: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ) سالت أودية، هنالك حركة، كما تعبر عنها لفظة: (سالت)، إنه ليس ممسكاً فقط، ومختزناً، أو متشرباً؛ كلا؛ بل هو وادٍ كبير يسيل بما فيه، والماء ليس آسناً، وإنما يتحرك؛ لأن الوادي فيه مناسيب في الارتفاع مختلفة تجعل الماء يتحرك، فيسيل الوادي بما يحتضنه من الماء، يسيل الوادي بما اشتمل عليه من المطر، (فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا).

قلوب الناس في قبول الحق والعمل به تختلف؛ فهي كالأودية المتنوعة، والقلوب تتفاوت فيما تأخذه من الوحي والقرآن، وبما تقبله منه، وبما تتفاعل معه وتنصاع لأمره، فهناك قلوب كبيرة وقلوب صغيرة، قلوب واسعة وقلوب ضيقة، قلوب طيبة وأخرى خبيثة، إذا جاءها الوحي لم يجد محلاً قابلاً، فينصرف عنها، فيكون كالمطر الذي يمر على الصخور الملساء، إنما يزيل عنها التراب فقط.

وهذه الأودية ليست صخوراً ملساء إذا نزل عليها الماء انصرف وزال، وإنما هي تحتضن وتكتنز، فإذا نزل القرآن حملت القلوب منه على قدر اليقين والعقل، والقلوب مع الوحي كالغيث مع الأرض، فهناك أرض نقية تقبل الماء وتنبت الكأ والعشب الكثير، وهناك أرض أجادب تمسك الماء فينفع الله به الناس إذا أخذوا منه، فيحتفرون ويستخرجون، ويستنبطون، ويشربون ويسقون، ويزرعون، وهناك أراضٍ لا تمسك ماءً ولا تنبت كالأ؛ قال الله تعالى: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) احتمل: جرف معه بالطريق هذا الزبد، وهذا الحركة المتدفقة يركب زبد، ويعلو زبد، والزبد: ما يعلو السيل من خليط غير متماسك من أشياء؛ من القاذورات، والوساخات، وبقايا أوراق الأشجار، والأتربة، والأخشاب، والأعواد ونحو ذلك.

هذا الزبد ليس فيه تماسك ولا ترابط، مجموعة أشياء غير متجانسة، أيضاً ليس له أساس؛ لأنه محمول على الماء حملاً، ولكنه ظاهر فوقه، وبائن على سطح الماء للرائي، أول ما ينظر الإنسان إلى مجرى السيل يجد هذا الزبد، فهو في رأي العين أول ما يُرى، هو شيء يطفو على السطح، ولكنه سرعان ما يتمزق ويتصدع بكل سهولة إذا مر على شيء ثابت، أو عاقه عائق سرعان ما يضمحل، يزول، يتفرق تفرقاً سهلاً سريعاً.

هو عبارة عن رغوّة، فقائيع هواء، والفقاعة ماذا تحتوي في الحجم أو في الوزن أو الكثافة؟ هي أقل كثافة من الماء بكثير، ولذلك تطفو على سطحه، هذا غشاء، لكنه موصوف في الآية: (رَّابِيَاً): يعني عالياً، منتفخاً، منتفشاً؛ فالانتفاش، والانتفاخ، والعلو من طبع الزيت، لكن بلا أساس ولا قاعدة، غير متماسك ولا متجانس، ويتفرق سريعاً، هذا هو المثل المائي.

ثم قال تعالى: (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُ) يوقد في النار ابتغاء الحلية والمتاع صخر المعدن، عندما يراد استخراج المعادن: يؤتى بالخام المخلوط بأشياء كثيرة؛ من ذهب، وحديد، و غير ذلك، يُدخل في أفران، ويعرض للحرارة العالية؛ لاستخراج المعدن.

وإذا استُخرج المعدن يدخل بعد ذلك في أفران، ويعرض للنار للتشكيل؛ ليكون حلية أو متاع، فهذا الخام المخلوط لاستخراج المعدن منه لا بد أن يوقد عليه نار؛ فماذا يحدث عند عملية الصهر، أو عند عملية الإيقاد على هذه الأشياء؟ يعلو زبد أيضاً، وتظهر فقائيع؛ لأن المعادن مخلوطة بأشياء تافهة أو قاذورات، وأشياء خسيصة، ولا بد لاستخراج النفيس من حرارة

تفصل الخسيس عنه، فإذا وضع في النار علته فقاعات أخرى تسمى خبث المعدن.

والعلاقة بين المثلين واحدة: وهي ارتفاع الزبد وعلوه على السطح، ثم يلقي ويطرح؛ لأنه لا خير فيه، ويؤخذ الباقي الصافي، المعدن الأصلي، الذي يستفاد منه في الطرق والتشكيل ونحو ذلك.

في الحاليين في المثل المائي والناري قال الله: (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) الزبد يذهب جفاءً؛ ما رمى به الوادي من الزبد، وما رمى به القدر والفرن من الزبد في جنباته؛ يذهب جفاءً ما معنى جفاءً؟ باطلاً، ضائعاً، مطروحاً، مستغنى عنه، ملقى، تافهاً، فيحصل الصفاء للوادي بعد ذهاب الزبد، ويحصل الصفاء للمعدن بعد ذهاب هذا الزبد أيضاً، يصبح المنظر أجمل، يصبح المعدن صافياً، والماء أصفى.

قال الله تعالى عن المرحلة التي تكون بعد ذلك: (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ) من الماء الصافي، والمعدن الخالص (فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) يثبت فيها؛ مصنوعات، نباتات؛ ينفع الناس، (فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ)، فهذا شجر وهذه حلية ومتاع، ينتفع الناس بالشجر فيأكلون من الثمار، ويتزينون

بالحلية ويستخدمون ذلك المتاع، هذا الشيء المشاهد دنيوياً؛ فما هي العلاقة بينه وبين الدين والشرع والإسلام، وما أنزل الله؟

بعدما ساق لهم هذه المشاهد، أو هذين المشهدين الرئيسيين المتكررين المعروفين عندهم، قال لهم بعد سياقها: (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ)، عندما يقرأ الإنسان الآية من أولها: يذهب ذهنه ويسير مع هذه العملية الطبيعية التي ينزل فيها الماء إلى الوادي، وذلك الإيقاد الذي يفعله الناس في المعادن، لكن بعد ذلك يأتي الربط: (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ).

فضرب الله مثلين للحق في ثباته، للحق في بقاءه، للحق في منفعتة، للحق في رسوخه، للحق في استفادة الناس منه، للحق عندما يبقى ويستمر، وأيضاً ضرب المثل في هذا للباطل في تفرقه، وعدم تجانسه؛ سبل، وذاك صراط مستقيم، هذه سبل غير متجانسة، ولا متوافقة، هذه أهواء مصدرها إبليس وشياطين الإنس، ثم لها علو في مراحل.

نعم؛ الباطل منتفش. نعم؛ الباطل يعلو أحياناً. نعم؛ الباطل يظهر للناس، ولا يظهر الحق لكثير من الناس، والذي لا يعلم الحقيقة ويرى سطح القدر وسطح الوادي يرى زبدًا، يراه منتفشاً طاغياً، يراه منتفخاً عالياً؛ لأنه قال: (رَآيَا)، (زَبْدًا رَآيَا)، لكن ماذا يحدث له بعد ذلك؟

الله - عز وجل - حكيم لم يرد أن يكون الحق هكذا يُحصل عليه بكل سهولة، وبدون أي معركة ولا مواجهة، ولا تغلب، وإنما أراد أن يكون هنالك صراع، وأن يكون هنالك تغلب في النهاية للحق، وعلو للباطل في البداية، أول ما ينزل المطر، (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا)، أول ما يوقدون عليه في النار تخرج الفقايع ويعلو الزبد.

إذا؛ البداية للزبد، لكن ليس الاستمرار له ولا البقاء، فضلاً عن النفع والرسوخ، ولذلك قال: (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ)، هذه أشياء محسوسة يضرب الله بها أمثالاً للأشياء غير المحسوسة، ويرينا الحق في رسوخه كالشجرة العظيمة التي لها ثمار، ضاربة في الأرض بجذورها، (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) [إبراهيم:24].

ويرينا الباطل، ويوم القيامة ماذا يكون؟ (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) [الفرقان:23] كل عمل لا يراى به وجه الله فهو باطل، وما لا يكون لله لا ينفع ولا يدوم، وهكذا يضرب الله الأمثال، ختم الآية بهذا الختام: (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ).

هذه الأمثال عظيمة يضربها الله؛ ليعقلها العالمون، هذه الأمثال يبين الله بها، هذه الأمثال مجال للتدبر والتفكير، ومن تأمل استخرج المزيد، هذه أمثال لذهاب أعمال الكفار والمنافقين، ينفقون عليها كثيراً، لكنها لا تدوم، هذه أمثال لجهود أعداء الدين، يصرفون من أجلها الأوقات والأعمار، مخططات، مؤامرات، مؤتمرات، إنفاقات، جهود عظيمة جداً، لكنها في النهاية تضمحل، تدبير أهل الباطل سيزول، وأموالهم سينفقونها، (ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ) [الأنفال: 36] ولا يبقى في النهاية إلا ما هو حق أريد به وجه الله - عز وجل -.

اللهم إنا نسألك أن ترينا الحق حقاً وأن ترزقنا اتباعه، وأن ترينا الباطل باطلاً وأن ترزقنا اجتنابه.

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله العلي الوهاب، وسبحان الله الهادي إلى طريق الصواب، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، خير من دعا

إلى الله وأنانب، آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب، صلى الله عليه وعلى الآل والأصحاب، اللهم ارض عنهم إلى يوم الدين، وعمن تبعهم إلى يا أحسان يا أرحم الراحمين.

يا أيها المسلمون يا عباد الله: تأملوا في إنفاق أهل الباطل وجهودهم؛ إذاعة الفاتيكافان تأسست عام 1931م، تملك أكبر وأقوى أجهزة بث على مستوى العالم، وتقدم خدماتها بأكثر من سبعة وأربعين لغة ولهجة؛ من بينها العربية، يستمع إليها أكثر من مليار وثلاثمائة مليون مستمع ومشاهد في العالم.

وعدد المؤسسات التنصيرية أكثر من ربع مليون مؤسسة تنصيرية، تملك أكثر من مائة مليون جهاز كمبيوتر، وتصدر ملايين الكتب، وأكثر من خمسة وعشرين ألف جريدة بأكثر من مائة وخمسين لغة، وصل عدد الأناجيل الموزعة في العالم إلى نحو ستين مليون.

وهناك أكثر من خمسمائة قناة فضائية تنصيرية، قام قسٌّ أمريكي بحملة صليبية للوصول إلى أربعمائة مليون شخص بخطاب يلقيه في خمسمائة مدينة عن طريق ستة عشر قمراً صناعياً، بكل ما يحتويه كل قمر من القنوات، وأكثر من مائة ألف مركز ومعهد تدريب وتأهيل.

وعلى سبيل المثال: فإن منظمة [SOS] التنصيرية المتخصصة في إنشاء قرى للأطفال والأيتام حول العالم أنشأت أكثر من ثلاثمائة وواحد وسبعين قرية نموذجية بمساكنها، ومدارسها، وترفيهها، وألعابها، وحواضنها، بكافة الخدمات التعليمية، والصحية، والتربوية، والاجتماعية حول العالم، ميزانيات بالمليارات.

كما قام المنصرون ببناء المدارس، والملاجئ، والمخيمات، ودور الأيتام والفقراء، وبناء الجامعات، وتقديم الأموال، والمساعدات، والأدوية، والأغذية، في المقابل: ماذا قدم المسلمون؟ الجواب مخجل لا يذكر، كم قمر صناعي عملوا لخدمة الإسلام؟ محطات الفضائية الإسلامية جهود فردية في كثير من الأحيان، وهذه تفتح وهذه تغلق، وهذه وهذه.

ولا زال عامل التخطيط والإدارة كله بدائياً، وقل مثل ذلك في كثير من المواقع والكتب لازلنا في مجال الدعاية والإعلان والإعلام والوسائل لازلنا في البداية، وأعداؤنا تقدمونا بكثير، وفضلاً عما يكون في بعض الأعمال الإسلامية من الدخل والدخن والخلط، ماذا يوجد لها من ميزانيات؟ ماذا يوجد لها من متفرغين وطاقات بشرية؟ لا يكاد يذكر.

ثم هي مع ذلك الأعمال الإسلامية معرضة على مستوى العالم للحصار؛ فتأمل في المدارس على مستوى العالم في أوروبا في أمريكا، إلى آخره، في المعاهد، في المراكز الإسلامية القليلة الباقية الموجودة؛ ماذا حصل لها؟

إقفال، شلل، حصار، إغلاق، وعقوبات، فهذا يغلق، وهذه مآذن تمنع، وهذه مساجد تحاصر، وهذا نقاب وحجاب يحارب، مع المقارنة غير المنصفة أبداً بين الفريقين فإن الإسلام هو الديانة رقم واحد في الانتشار في العالم الآن، كل هذه الجهود هناك، وكل هذه الأشياء المتواضعة هنا، ثم يكون الإسلام أكثر دين انتشاراً في العالم، ويخشى الفرنسيون أن تتحول فرنسا إلى دولة إسلامية في عام 2050م.

(فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ)، (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) [الأنفال: 36].

مشروع تنصيري جُمع له ثلاثمائة وست ثلاثين مليون دولار، وآخر جمع له مائة وخمسين مليون دولار، إنهار كل منها بسبب فضيحة أخلاقية: (إِنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا) ستخرج، ستبدل، ستذهب (ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً)؛ لكي يقفوا ويقولوا: ماذا صنعنا؟

بالنسبة لحسابات الأرباح والخسائر، ما كسبه من التنصير لا يعادل أبداً إطلاقاً المبالغ الهائلة، والجهود التي صرفت: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ) [الصف: 8].

تظهر كلمة الحق ولو بعد حين، ينتصر الحق ولو بعد مدة، سيغلب أهله ولو كانت الجولة لأعدائهم في البداية، لكن لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، يقول المؤرخ الأمريكي استودورد: "يكاد يكون نبأ ظهور الإسلام هو الأعجب في تاريخ البشرية؛ إذ ظهر في أمة عرب متمزقين، وكيان منحط، فلم يمض عليه قرن، -أي: مائة سنة فقط- حتى انتشر في نصف العالم، يغير النفوس والدول والأقوام والناس، ويبنى حضارة".

"ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنار" مسند أحمد، وقال شعيب الأرناؤوط: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

والدين ينتشر شرقاً وغرباً، وهكذا الكرة الأرضية اليابسة فيها منتشرة شرقاً وغرباً، قطب في الشمال، وقطب في الجنوب، وبحار بينهما، لكنه قال عليه الصلاة والسلام: "إن الله زوي لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها" صحيح مسلم.

أقاموا حفلاً تنصيرياً لفتيات مسلمات قد تم إعدادهن مدة من الزمن، ثم بعد ذلك لما خرجن كن بالحجاب الإسلامي، ومجموعة من القرويين يقوم عليهم منصرون يعلمونهم كل يوم، ويعطونهم، ويغذونهم، ثم يأتي واحد يمر أمامهم فيقول: "وحدوه"، فيقولون كلهم: "لا إله إلا الله": (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) [الروم: 30].

وبجهود بسيطة: أنت لا تعرف الإسلام، إن أردت معرفته اتبعني، أسألني، اتصل على الرقم الفلاني، هذا مسلم استنبطها من إعلان إشارات، إعلان إشارات على زجاج سيارات، فأسلم عنده أكثر من ألف ألماني، وأقام مسجداً ومركزاً إسلامياً وداراً للتعليم.

أيها الأخوة: الأشياء التي تذهب من الباطل كثيرة، تذهب ثروات ومليارات جمعت لغير وجه الله وبغير حق، مثال ذلك ما ذكر الله تعالى عن قارون:

(فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) [القصص:79]، عنده خزائن: (مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ
لَتَنْوُو بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ) [القصص:76].

مفاتيح الخزائن لتنوء بالعصبة أُولي القوة، والعصبة: جماعة من الرجال ليسوا
ضعافا (أُولِي الْقُوَّةِ) ينوءون بحمل المفاتيح؛ فكيف بال خزائن؟ فكيف بما في
داخل الخزائن؟ (وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنْوُو بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ)،
لما خرج على قومه في زينته، قال الذين يريدون الحياة الدنيا (يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ
مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) [القصص: 79]؛ ماذا كانت النتيجة؟
(فَحَسَبْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) [القصص:81]، (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا
مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ).

أين قوم عاد؟ أين قوم ثمود؟ أين إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد؟
وأين ثمود الذين جابوا الصخر بالواد؟ وأين فرعون ذي الأوتاد؟ وأين حضارة
الفراعنة؟ وأين ما كانوا عليه من الملك؛ (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِي) [الزخرف:51] كلها ذهبت وانتهت، واضمحلت، (وَأَوْرَثْنَا
الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا) [الأعراف:137].

وانتهت حضارة فرعون، انتهت دولة فرعون، الفراعنة انتهوا، وأورث الله بني إسرائيل في ذلك الوقت مشارق الأرض ومغاربها، بقيت الآن أطلال بواقي، أشياء تنبئ أنه كان هنا حضارة وبلاد، لكن انتهت، أهلكهم الله، منهم من خسف به، ومنهم من سلط عليه حاصباً، ومنهم من أخذته الصيحة، ومن أخذه الريح والإعصار.

وهكذا؛ خذ اليوم من مذاهب الشيوعية، الوجودية، الإلحاد، البعثية إلى آخره؛ أين ذهبت؟ ماذا بقي منها؟ ذهبت اضمحلت، مذاهب كثيرة جداً، وبدع وطرق: ذهبت انتهت بادت، وبقي القرآن، القرآن لم يتغير، ولم يتبدل، ولم يفنى؛ أين بدعة القول بخلق القرآن؟ انتهت بعدما كان لها كبراء وزراء، من يقومون بها، ويدعون إليها، ويخيفون الناس، ويعذبونهم، لكن انتهت، بادت المدرسة، بقي ما في الكتب عنها، بقي شواذ قلة ممن يقول بها، لكن انتصر منهج أهل السنة، وارتفع ذكر من مثله من الإمام أحمد، والبويطي، ومحمد بن نوح، وأهل العلم الذين كانوا على الحق، بقي منهجهم.

حصلت فقايع كثيرة عبر التاريخ، هناك كتب كثيرة ألفت، وكتب كثيرة رصدت لها الملايين، وطبعت، ودعايات وإعلانات؛ أين هي الآن؟ ماذا بقي منها؟ كم سطرَ الحداثيون ونفخوا فيه من كتب؟ ماذا بقي منها؟ ماذا بقي من الآيات الشيطانية؟ وماذا بقي من الليالي الحمراء المزعومة؟ وماذا بقي من

ومن، تـضمحل ويبقى كتاب الله - عز وجل -، وما يتعلق به من شرح وتفسير، وهكذا تندثر فتاوى باطلة وضالة، وهكذا تذهب أكاذيب كثيرة؛ (فَأَمَّا الرَّبِّدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ).

لما عزم مالك - رحمه الله - على تصنيف الموطأ وصنفه، قلده بعض الناس وعملوا موطآت، وجمعوا أحاديث ووضعوها في كتاب، ف قيل لمالك: "شغلت نفسك بعمل الكتاب، ثم شاركك فيه ناس وقلدوك وعملوا مثل نفس الفكرة"، فقال: "اثبتوني بما عملوا، فأوتي بذلك، فنظر فيه ثم قال: "لتعلمن أنه لا يرتفع من هذا إلا ما أريد به وجه الله".

بقي انتقاء مالك وشروط مالك وتعب مالك وسهر مالك، ورحلات مالك في جمع الحديث، وتبويب مالك بقي موطأ مالك، وبقي صحيح البخاري، وبقيت الرسالة للشافعي، وبقيت صحاح مسانيد أهل السنة، ولكن الكتب التي ألفها علماء النصارى واليهود في القرون السابقة؛ ماذا حصل فيها؟

بقيت لنا دواوين أهل الإسلام، بقي لنا مسند أحمد، بقي لنا من الشروح الكثير، والعجيب أن هنالك كتب لم تنتشر في وقت مؤلفها؛ مثل مؤلفات ابن تيمية، وابن القيم، وابن رجب، وابن عبد الهادي، وغيرهم، ما كانت

منتشرة في وقتهم كانتشارها الآن أبداً، بل كانت محاصرة ولهم أعداء، وهكذا خرج تفسير ابن كثير، ورياض الصالحين، مؤلفات النووي، وابن حجر، وابن قدامة، وغيرهم.

الآن تطبع بأعداد أكبر بكثير مما كان في وقت المؤلف؛ (فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً)، كتب لأهل الباطل ذهبت بقي منها مخطوطات اندثرت، وبقيت كتب أهل الحق، هناك ممن ولي في الأرض كثير، لكن بقي ذكر ذي القرنين مخلداً. وبقيت سيرة عمر بن عبد العزيز وقد خلف سنتين زاهية مورقة جذابة جميلة.

أحمد بن حنبل - رحمه الله - لما خرجت جنازته لهج الناس في الجنازة بذكر الحق، وأن القرآن منزل غير مخلوق. وابن أبي دؤاد الذي تزعم الفتنة ابتلاه الله بشلل قبل الموت، وبقي طريحاً في الفراش لا يحرك جسده، وحرّم لذة الطعام والشراب والنكاح، ولم يُصَلَّ عليه عند موته إلا ابنه العباس وعدد قليل من الناس، ودفن في بيته؛ لأن الناس ربما رموا قبره، وقس على ذلك، البقاء للأصلح؛ أما الزيد فيذهب جفاءً، تذروه الرياح، ولو أنفقت عليه أموال كثيرة.

ما هو الدرس -أيها الأخوة-؟ الدرس: عدم الاغترار بالباطل؛ ولو انتفش
ولو علا ولو ظهر في المشهد؛ لأنه في النهاية سيضمحل ولا يبقى، ويبقى
الحق.

قالوا: أن هناك ستمائة وستة وتسعين قناة عربية: منها مائة وخمسة عشر قناة
للأغاني، وستة وخمسين للرياضة، والقنوات الدينية قلة؛ (فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ
جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ)، أين أفلام هوليوود؟ أنتجت
أفلام كثيرة جداً؛ أين هي؟ ما ذهب منها كثير، نُسي. ينفق على الفلم الواحد
عشرون مليون دولار، ثلاثون مليون دولار، أربعون مليون دولار، لكن أين
هي بعد ذلك؟

وأما القرآن والسنة وشروحهما فأمرها عجيب، والعلماء، والشخصيات،
وتلاميذ العلماء، وتلاميذ التلاميذ، طيب ذكرهم باق أثرهم؛ (فَأَمَّا الزُّبْدُ
فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ).

اللهم اغفر لنا أجمعين، ودلنا على الحق يا رب العالمين، وخذ بأيدينا للتمسك
به إنك على كل شيء قدير، اللهم إنا نسألك أن تغفر لنا أجمعين، وأن
تتوب علينا يا تواب، ارزقنا الأمن والأمان في بلدنا هذا وبلاد المسلمين.

آمنّا في الأوطان والدور، وأصلح الأئمة وولاة الأمور، واغفر لنا يا عزيز يا
غفور، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد
لله رب العالمين.



عنوان الخطبة	الدعاء
عناصر الخطبة	1/ الأخوة بين المؤمنين تستوجب الدعاء لهم 2/ من دعاء الأنبياء والملائكة لإخوانهم المؤمنين 3/ من دعاء النبي الكريم للمؤمنين 5/ من أدعية السلف لإخوانهم 6/ من آداب الدعاء
الشيخ	محمد صالح المنجد
عدد الصفحات	11
رقم الخطبة في الموقع	2342

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: قد جعل الله المؤمنين إخوة، وعقد هذا بينهم هذا العقد العظيم في كتابه، ووصفهم بذلك (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [الحجرات: 10]، (وَإِنَّ هَذِهِ

أَمْتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً [الأنبياء: 92]، وقال نبينا -عليه الصلاة والسلام-: "وكونوا عباد الله اخواناً"، ولا يجب الإنسان لنفسه إلا الخير؛ ولذلك فإنه يحبه لإخوانه في مشارق الأرض ومغاربها، وإن من عقد الإخوة أن تفرح يا عبد الله لفرح إخوانك المسلمين في العالم، وأن تحزن لما أصابهم من الكرب والشدة، كما قال نبيك -صلى الله عليه وسلم-: "يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد في الرأس لما في الرأس"، إذاً هم جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد.

إنها الولاية بين المؤمنين التي عقدها الله بقوله : (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ) [التوبة: 71]؛ ولذلك فإن المؤمن لا يكتفي بسلامة نفسه وأهله وماله، وإنما يريد أن تسلم أيضاً لإخوانه المسلمين أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ولذلك يتساءل المسلم إذا رأى إخوانه المسلمين في مكان في العالم في شدة أو ضنك: ماذا أقدم لهم؟ ماذا عساي أن أقدم لهم؟ (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) [هود: 80].

ولكن هناك أمر سهل عظيم: "الدعاء هو العبادة"، (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر: 60]، وهكذا يجد المؤمن في المتناول ما يفعله لإخوانه: وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ وَالْأَمْرُ ضَيِّقٌ *** عَلَيَّ فَمَا يَنْفَكُ أَنْ يَتَفَرَّجَا وَكَمْ مِنْ فِتْنٍ صَاقَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُهُ *** أَصَابَ لَهُ فِي دَعْوَةِ اللَّهِ مَخْرَجًا

ومن أسرع الأدعية استجابة دعاء الغائب للغائب، فإذا غاب عنك أخوك أو إخوانك في مكان ما من العالم فإنك تدعو لهم، ودعوة الأخ في الله

تستجاب، وإخوان العشرة لوقت العسرة، والعاطفة والمحبة بين المؤمنين تقتضي أن لا ننساهم من دعائنا.

وتشتد حاجة المسلمين بعضهم لبعض عندما تكثر الفتن والمحن، والابتلاءات والمصائب، فيتضرع بعضهم من أجل بعض: (ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ) [النحل: 53]، وهكذا ليس شيئاً أكرم على الله من الدعاء، وإذا أصاب إخواننا في الأرض شيء فزعنا إلى الله من أجلهم، (فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا) [الأنعام: 43]، فإذا جاءهم كأنه جاءنا، نحن وهم شيء واحد، إنه بنیان الإيمان المؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضاً، هو أخوه لا يخذله ولا يسلمه، كيف يتركه؟ كيف يتخلى عنه؟ ولو لم يملك إلا هذا اللسان لكي يجأر إلى الله به جأراً وتضرعاً.

رأى حبيب أبو محمد من السلف الصالح ظالماً يظلم امرأة عجوز بالسوط فقال: اللهم اقطع يده! فما لبثت إلا ثلاثة أيام حتى قطعت يد ذلك الظالم في سرقة.

ارْفَعْ أَكْفُكَ بِالدُّعَاءِ تَضَرُّعاً *** مَا حَابَ مَنْ يَرْجُو الْكَرِيمَ وَيَطْلُبُ

اسْأَلْهُ ذُلًّا لِلَّذِينَ تَجَبَّرُوا *** فَاللَّهُ يَقْصِمُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْصِبُ

ولما علم الأنبياء هذا المقام قاموا بالدعاء لغيرهم فهذا إبراهيم أبونا يقول: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) [إبراهيم: 40-41]، فلا يكفي بالدعاء لنفسه، بل شمل ذريته وإخوانه المؤمنين إلى قيام الساعة؛ وكذلك

قال عيسى: (اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [المائدة: 114]، ومن قبل نوح أبونا -عليه السلام- أبو البشرية الثاني الذي قال في دعائه: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) [نوح: 28].

بل حتى ملائكة الرحمن تدعو للمؤمنين، أليسوا إخوانا لهم في الإيمان؟ (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ...) [غافر: 7-8]، وهكذا يستغفرون لمن في الأرض.

وإذا نظرنا في أدعية نبينا -صلى الله عليه وسلم- لإخوانه فإننا نجد في دعائه في بدر لما التقى الصفان: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام (يعني هذه المجموعة) لا تعبدي في الأرض"، ولما رأى عدد أصحابه ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً والكفار ثلاثة أضعافهم، لما رأى قلة العدد والعدة عند المؤمنين وكثرة ذلك عند الكافرين قال داعياً لإخوانه وأصحابه: "اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم". ففتح الله له يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين، واكتسوا، وشبعوا. رواه أبو داود وحسنه الحافظ أبو حجر رحمه الله.

كان -عليه الصلاة والسلام- إذا خرجوا في غزوة أو سرية يقول: "اللهم سلّمهم وغنّمهم"، فكانوا يسلمون ويغنمون، لما كان من أصحابه في مكة تحت الظلم والقهر والتعذيب كان يقول في قنوته: "اللهم أنج وليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين" رواه البخاري ومسلم.

لما قدم المدينة ورأى أصحابه المكّيين قد أصابتهم الحمى واشتاقوا إلى مكة قال: "اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم صحّحها (يعني اجعل جوّها وماءها صحياً) اللهم صححها وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها بالجحفة".

لما انقطع المطر دعا للمسلمين: "اللهم اسقنا! اللهم اسقنا! اللهم اسقنا!"، وهكذا لما كثرت المطر وتهدمت البيوت وتقطعت السبل وهلك المواشي من كثرة المطر رقع يديه وقال: "اللهم حوالينا ولا علينا! اللهم على الآكام، والجبال، والظراب، والأودية، ومنابت الشجر" في الصحيحين. هذا يسمى دعاء الاستصحاء، إذا خيف من كثرة المطر الضرر.

نظر النبي -عليه الصلاة والسلام- قبل اليمن فقال: "اللهم أقبل بقلوبهم، وبارك لنا في صاعنا ومدنا" رواه الترمذي وهو حديث حسن. لما آبت الدوس وعصت قال: "اللهم اهد دوسا وآت بهم" رواه البخاري ومسلم. وهكذا ذهب ليدعو لأهل البقيع.

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ *** أَنْتَ الْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ

يا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا *** يا مَنْ إِلَيْهِ الْمَشْتَكَى وَالْمَفْزَعُ
يا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ *** أُمْنُنْ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَالِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ *** فَبِالافتقارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ
مَالِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ *** فَلَنْ رُدِّدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَفْرَعُ؟

كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يدعو لأصحابه حتى في صلاته،
وكذلك لما سمع صوت عباد بن بشر قال: "اللهم ارحم عباداً، اللهم اغفر
ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه".

كان يدعو حتى للأطفال، كما قال أبو موسى -رضي الله عنه-: "ولد لي
غلام، فأتيت به النبي -صلى الله عليه وسلم- فسماه إبراهيم، فحنَّكه
بتمرّة، ودعا له بالبركة "

فهكذا إذاً الدعاء للمسلمين كباراً وصغاراً، ذكوراً وإناثاً، سواء كانوا أقارب
أو بعيدين.

اللهم إنا نسألك الفرج العاجل لإخونتنا المسلمين يا أرحم الراحمين، اللهم
أنزل علينا وعليهم السكينة والطمأنينة. أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم
فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله أحمدته وأشكره، وأثني عليه ولا أكفره، وأخلع كل من يكفره،
أشهد أن لا إله إلا هو الحي القيوم، مالك الملك ذو الجلال والإكرام، لا إله
إلا هو على شيء قدير، لا إله إلا الله يفعل ما يشاء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليفه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
وأزواجه وذريته وخلفائه الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.
أشهد أنه رسول الله حقاً، والداعي إلى سبيل ربه صدقاً، فصلوات الله
وسلامه عليه.

عباد الله: لقد جرى السلف على هذا المنوال في الدعاء لإخوانهم، قال الله
تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ "يعني من بعد المهاجرين والأنصار"
يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [الحشر: 10].

قال الأصمعي "لما صاف قتيبة بن مسلم للترك وهاله أمرهم سأل عن محمد
بن واسع، ونحسبه من أولياء الله، فقيل هو ذاك في الميمنة جامع على قوسه
يصبص بأصبعه نحو السماء، يدعو به، قال: تلك الأصبع أحب إلي من
مائة ألف سيف شهير، وشاب طرير"، ومن عباد الله من إذا أقسم على الله
لأبره.

أشعث أغبر مدفوع من الأبواب لا ينظر له؛ لكن دعاءه مستجاب، ولذلك
قال النبي -عليه الصلاة والسلام- عن الضعفاء: "تنصرون وترزقون

بضعفائكم"، وهذا يدل على فساد قول القائل: إسلامنا لا يستقيم عموده
 *** بدعاء شيخ في زوايا المسجد

بل يستقيم وزيادة! ودعاء شيخ في زوايا المسجد قد يكون فيه خير عظيم
 للأمة أجمعين.

ولما استفحل أمر التتار اجتمعت الجيوش الشامية والمصرية لقتالهم، وتضرع
 الناس في سائر الأمصار إلى الله أن ينصرهم ويكسر شوكة التتار، فكانت
 الأخبار تأتي بنصر المسلمين، وأن السيف يعمل في رقاب التتار ليل نهار،
 وأنهم هربوا وفروا واعتصموا بالجبال والتلال، ولم يسلم منهم إلا القليل،
 فاستقرت خواطر الناس، وتباشروا لهذا الفتح العظيم، والنصر المبارك.

لما غزى المسلمون بقيادة قتيبة بلدة بيكند أدنى مدائن بخاري إلى نهر
 جيحون، وأبطئ خبره على المسلمين اشتد الناس في الدعاء له في المساجد
 والأمصار، فمنحه الله المسلمين أكتافهم "يعني أكتاف الكفار".

قال بقية: كنا مع إبراهيم في البحر، وهبت ريح، وهاجت الأمواج،
 واضطربت السفينة، وبكى الناس، فقلنا: يا أبا إسحاق! ما ترى الناس
 فيه؟ فرفع رأسه وقد أشرفنا على الهلاك وقال: "يا حي حين لا حي! ويا
 حي قبل كل حي! ويا حي بعد كل حي! يا حي يا قيوم، قد أريتنا قدرتك،
 فأرنا عفوك". فهدأت السفينة من تلك الساعة، والقائد كان يدعو لجنبه.

ولما غزا عبدا لله بن قيس -رحمه الله- خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة
 في البحر، لم يغرق فيه ولم ينكب أحد من عسكره، وكان دائما يسأل الله

أن يرزقهم العافية. يقول: اللهم أذقني العافية في جندي. ويسأله أن لا يتليهم بمصاب.

وكان صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- إذا اشتد الأمر يقول: "إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية من نصرة دينك، ولم يبق إلا الإخلاص إليك، والاعتصام بحبلك، والاعتماد على فضلك، أنت حسي ونعم الوكيل"، ويشدد في البكاء والدعاء، فيستجيب الله، ويجعل أمر الصليبيين في السراب، ويعودون إلى بلادهم بشر مآب.

وحبس الحجاج مورك العجلي من علماء السلف فحاول الناس إطلاقه فأعياهم، فقال بعضهم لبعض: تعالوا ندعو الله، فدعوا مطرف بن عبد الله بن الشخير، من علماء السلف وصالحيه، فأمرهم ودعوا الله، فلما كان من العشي أذن للحجاج الناس للدخول عليه فدخل أبو مورك فيمن دخل، فلما رآه الحجاج قال لحرسه اذهبوا مع هذا الشيخ إلى السجن، فدفعوا إليه ابنه دون مطالبه.

عباد الله: إن شأن الدعاء عظيم، والدعاء للآخرين قد يكون منفعة لك أنت -يا عبد الله- يوماً ما، وفي لحظة ما؛ وإذا تحرى أمثل أوقات الإجابة، آخر ساعة من يوم الجمعة، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ولم ينس نبيه -صلى الله عليه وسلم- من الصلاة عليه في الدعاء، وكان على طهارة مستقبلاً القبلة، ورفع اليدين، وأخلص وانكسر قلبه، ونادى بالأسماء

الحسنى، وألح وكرر، وتضرع وانكسر، (وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً) [الأعراف: 205]، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد.

التوسل إلى الكريم باسمه، وخفض الصوت في الدعاء رغبة ورهبة، مع الاعتراف بالذنب كما يدل عليه دعاء سيد الاستغفار، (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: 186]، وإذا دعوت ودعوت ودعوت على هذا المنهاج، ولم تر استجابة فورية، فاعلم أنه قد حصلت أمور: إما أنه يؤخر لتزداد دعاء فتزداد خيراً، وتزداد قرباً فتزداد منزلة عنده، ثم يجيبك؛ أو أنه قد دفع عنك شراً لا تعرفه كمثّل ما دعوت أو أخرت، أو أنه ادخر مثوبة في الآخرة فتحمد عليه يوم القيامة ما حصل.

إن أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد، وهناك جوامع الأدعية، ومنها: "اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا" يعني لا تنزل بنا ما ينقص الدين من اعتقاد سوء وبدعة، أو أكل حرام، والإنسان لا ينسى إخوانه حضراً وسفراً.

قال ابن عباس: قال عمر: "اخرج بنا إلى أرض، قومنا فكنت في مؤخر الناس مع أبي بن كعب، فهاجت سحابة فقال: اللهم اصرف عنا أذاها. لأن هؤلاء الآن منقطعين في أرض سفر يلجؤون إلى أين إذا صار المطر شديداً؟، قال: فلاحقناهم وقد ابتلت رحالهم - حصل بهم شيء من الأذى

ولم يحصل هؤلاء- فقال عمر: ما أصابكم الذي أصابنا. قلت: إن أبا المنذر قال: اللهم اصرف عنا أذاها. قال: فهلا دعوتم لنا معكم!.
أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وخصوصاً عندما يرى إخوانه في البلاء،
كما يستغيث بنا المستغيثون وهم قتلى وأسرى فما يهتز إنسان.
إذا التقاطع في الإسلام بينكم *** وأنتم يا عباد الله إخوان
ألا نفوس أبيات لها همم؟ *** أما على الخير أنصار وأعوان؟
اللهم اغفر لنا أجمعين.

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن الله - سبحانه وتعالى - قد قص علينا القصص لتكون عبرة لنا، (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [يوسف: 111]، (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) [يوسف: 3]، وهذا القرآن فيه من قصص السابقين ما هو مجال للتدبر والعبرة، وإعمال الفكر وأخذ الفكرة، وامثالاً لقول الله تعالى: (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [الأعراف: 176]

نقص في هذه الخطبة قصةً من كتاب الله - عز وجل -، إنها: قصة سبأ، فبعد أن ذكر الله - تعالى - قصة آل داود في شكرهم لله، أتبع ذلك بحال من لم يشكر الله، والشكران سبيل المؤمنين، ومجلبة للنعم، والكفران سبيل الجاحدين، مجلبة للنقم، (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ) [سبأ: 15-17]

وسبأ قبيلة من العرب، سميت باسم أبيها الذي تناسلت منه، وقد روى فروة بن مسيك أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرنا عن سبأ ما هو أرض أم امرأة؟،

فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب، فتيا من ستة، -أي سكنوا اليمن-، وتشاءم أربعة -أي سكنوا الشام-"، رواه أبو داود، وهو حديث صحيح.

فلما أرسل الله عليهم سيل العرم أقام من أقام منهم وبقي، ونزع من نزع منهم وترك إلى الشام، كانت مدينتهم مأرب بين صنعاء وحضرموت، وكانت سبأ ملكة عظيمة في سلطانها، مهابة في جانبها، قد حكى الله -تعالى- عنهم أنهم: (أُولُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ) [النمل:33]

كانوا في نعمة وغبطة من بلادهم، واتساع أرزاقهم، وطيب عيشهم، وكانت زروعهم من الكثرة والخصوبة بحيث أن المرأة إذا دخلت وعلى رأسها المكتل بين الأشجار؛ يمتلئ مكتلها ثماراً مما يتساقط من غير عناء ولا كلفة، كما قال قتادة -رحمه الله-.

فبعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه، وأن يشكروه على نعمته، وأن يوحدوه ويعبدوه، فكانوا كذلك ما شاء الله، ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل، والتفرق في البلاد، كما قال ابن كثير -رحمه الله-، (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ)، في بلدتهم مأرب اليمنية (آيَةً) علامة ظاهرة على العطاء والترفيه، ثم المنع والتخريب، (آيَةً) ظاهرة، وعلامة دالة على قدرة الله -عز وجل-، وأن كل الخلائق لو اجتمعوا على أن يخرجوا من الخشبة ثمرة لم يمكنهم ذلك، (أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) [الواقعة:64]

ولكن الله - عز وجل - أخرج من الأرض من هذا التراب، من هذا الخشب، ومن سيقان الأشجار هذه الثمار على اختلاف ألوانها وطعموها وروائحها، إنه القدير - سبحانه وتعالى - (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ)، ليس بعيداً عنهم، لا يحتاجون إلى وسائل نقل؛ لجلب المحاصيل من مكان بعيد، (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ).

ليس المقصود بستانين، وإنما جماعات البساتين عن يمين الوادي وشماله، يشكل البساتين في اليمين جنة من تشابكها وكثرة شجرها، كأنها جنة واحدة كبيرة، جماعتان من البساتين عن يمين بلدهم وواديهم وشماله، وكان في ناحيتهم وادٍ عظيمٌ بين جبلين، وكانت جنبنا الوادي فواكه وزروع، وكانت كل واحدة من جماعة البساتين في تضامها وتقاربها كأنها جنة، كما تكون بساتين البلاد العامرة، جنتان.

هذه الكلمة توحى بما منحه الله هؤلاء القوم من الغنى، ووفرة الثمار، كانت بساتينهم ذات أشجار وثمار، تسر الناظرين، وكان من أمرهم أن الماء يأتيهم بين جبلين، وتجتمع إليه أيضاً سيول أمطارهم وأوديتهم، فعمد ملوكهم وبنّاؤهم المهرة، وكانوا أهل خبرة في هندسة السدود، فبنوا بينهما سداً عظيماً محكماً حتى ارتفع الماء، وصار على حافات الجبلين، فغرسوا الأشجار، واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن.

وكانت الثمار تتساقط من الأشجار دون حاجة إلى قُطَاف؛ لكثرتها، ونضوجها، واستوائها، فهذا سد مأرب العظيم بما علمهم الله -عز وجل- من اتخاذه وهندسته، وهذه الأمطار، وهذه المياه، وهذه الزروع والثمار والأشجار، نِعَمٌ لاستقرار العباد، وآية من الله -عز وجل-، وأمنٌ وهو أساس العمران، وتمكُنٌ من المياه وهي أساس الحياة، (كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ) على ما رزقكم من النعمة، واعملوا بطاعته، واشكروا له، وحدوه على ما رزقكم، واعبدوه لا شريك له، (كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ) كَرَّمَ تلك الجنان التي أعطاكم، وما فيها من الخير الواسع، والأكل من رزق الله -عز وجل-، وهو المحسن الكريم، نعمة أخرج لكم ما تشتهون، ونسب الرزق إلى الربوبية، فقال: (كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ)؛ لأن الرزق من أفعال الله -عز وجل-، وتوحيد الله بأفعاله: من الإحياء، والإماتة، وإنزال والمطر، والرزق، ونحو ذلك، توحيد الربوبية، وعبادته وحده لا شريك له توحيد الألوهية، فذكر هذا مقدمة لهذا، وعلل هذا بهذا، فما دام أنه رب كريم رزق، فهو المستحق للحمد، والشكر، والعبادة وحده لا شريك له، كانت الآية العظيمة التي جعلها الله -عز وجل- في هؤلاء القوم ينبغي أن تقابل بشكر عظيم، (وَاشْكُرُوا لَهُ).

خصوه بالشكر، عطف الشكر على الأكل؛ لأن شكر الله -تعالى- سبب لاستمرار الرزق والزيادة منه، ثم بين -أيضاً- من موجبات الشكر (بالإضافة

إلى الأكل والرزق) (بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ)، قال المفسرون: "كريمة التربة، حسنة الهواء، سليمة من الهوام، لطيفة، جميلة، مباركة، معتدلة، لا حارة، ولا باردة، ولا جافة، ولا رطوبة، ليس فيها ذباب، ولا بعوض، ولا براغيث؛ لاعتدال هوائها، وصحة مزاجها، وعناية الله -تعالى- بأهلها، كانت أخصب البلاد، ليست بسبخة، بل طيبة؛ لحصول الرزق الرغيد فيها".

كانت من أخصب أرض اليمن وأثرها، وأعذبها وأكثرها جناناً، يسير الراكب من أولها إلى آخرها لا تواجهه الشمس، ولا يفارق ظلها؛ لاستتار الأرض بتلك الأشجار، وإحاطتها بها، فكان أهلها في أطيب عيش وأرفعها، وأهنأ حال وأرغده، هذا الصفاء في الفضاء، والطيب في الهواء، والتدفق في الماء، وقوة الشوكة، واجتماع الكلمة.

فما الذي يعوق عن الشكر؟ وما الذي يبقى مطلوباً غير العبادة؟، (بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ)، لمن شكره وعبدته، ولكن ماذا كانت النتيجة؟ وماذا قال القوم؟ وما هو الموقف الذي وقفوه؟ وآل حالهم بعد النعمة إلى البطر والطغيان، قال الله -تعالى-: (فَأَعْرِضُوا) عن توحيد الله، (فَأَعْرِضُوا) عن عبادة الله، (فَأَعْرِضُوا) عن شكر الله، أعرضوا عن الحق، أعرضوا عن اتباع الأنبياء، ووقعوا في عبادة الكواكب، كما قال هدهد سليمان: (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ *

وَجَدْتُهُمْ وَاقِفَةً يُسْجِدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ [النمل: 22-24]

فماذا فعل الله بهم لما أعرضوا؟ وبماذا قابلهم تعالى لما قابلوه بالكفران؟ قال الله: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) هذا إرسال عذاب، العرم: من العرامة، وهي الشدة والقوة، مطرٌ شديدٌ، وسيل لا يطاق دفعه، والعرم هو: السيل الجارف، الشديد، الصعب، الغالب، الكثير، الشرس، المتناهي في الأذى، لا يردّه شيء، ولا تمنعه حيلة، ولا يقوى عليه سد، بل يذهب كل مذهب.

بل كان الله قد وهبهم القدرة؛ لبناء السدود، يتيهون بذلك على الناس، يحفظ الله به الأمطار، ويمدهم بما يحتاجونه طيلة العام، لكن هذا السد الذي تفاخروا به، وهذا المعلم من معالم القوة التي كانت عندهم، وهذا الذي افتخروا به على من حولهم، هذا السد العجيب، وهذه المنشأة الضخمة، وهذه التحفة الهندسية كانت سبباً في إهلاكهم، (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) لما أعرضوا عن الله، ولما كفروا بنعمته، وظنوا أنهم قادرون على رزق أنفسهم، أتاهم سيل العرم؛ عقاباً من جنس العمل، فسلط الله عليهم ما سلط.

قال ابن عباس: "لما أراد الله -عز وجل- عقوبتهم بإرسال العرم عليهم، بعث على السد دابة من الأرض، يقال لها: الجرذ نقبته، فخرّب السد، وانّهل عليهم التيار، واجتاح الأراضي، وأتلف الجنان والبساتين والزروع، ودمر البيوت والمنازل، وأغرق بلادهم، وأفسد عمرانهم، ويّتم أطفالهم، ورمل

نساءهم، ونزح من نزح منهم، فأجلوا عن تلك الديار، ومزقوا كل ممزق، هل يكون سبب الخير سبباً للعذاب؟" نعم.

فقد عاقب الله -تعالى- قوم سبأ بالنعمة التي كانت لهم، ولما كان هذا السد سبب الخير المتدفق عليهم، صار بالكفران سبباً لدمارهم وتشردهم وتمزيقهم في البلاد، آية من الله -عز وجل-، وحكمة بالغة، وهكذا يرسل الله شيئاً يكون رحمةً لقوم، وعذاباً على آخرين، وابتلاء لقوم وإنذاراً وتخويفاً، وهو للآخرين -أيضاً- تمكين وقوة، ما هي العاقبة للإعراض؟

بعد النعمة كان لديهم الأمن في الأوطان، والأرزاق في الديار، والصحة في الأبدان، فتبدلت الأمور، وتغيرت الأحوال، فآلت إلى ماذا؟ قال الله: (وَبَدَّلْنَاهُمْ بِحَبَّتِهِمْ جَنَّاتٍ ذَوَاتٍ أَكُلِ خَمْطٍ)، ثم مرّ بشع لا يؤكل، وقيل: الحمط كل شجر له شوك، وثمرته كريهة الطعم مرة.

(وَأَثَلِ) شجر البادية الذي لا ثمر له، أو ثمّر قليل الغناء، (وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ)، هذا السدر أحسن ما بقي، ولذلك ما أبقى لهم منه إلا القليل، (وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ)، وماذا يكون ثمر السدر بالنسبة لما كان من قبل.

قال قتادة: "كان شجر القوم من خير الشجر، فبدّله الله من شر الشجر بأعمالهم، بدّلهم الله بالجنان اليانعة التي كانوا يعيشون فيها أشجاراً أخرى ليس لها ثمار، أو لها ثمار ليست بطيبة ولا لذيدة، حلت هذه الثمار المرة التي لا

تؤكل بدل تلك الثمار النضيجة التي لها طعم طيب، والتي تصح منها الأبدان،
(ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا).

(ذَلِكَ) أي: العقاب (جَزَيْنَاهُمْ) نحن بعظمتنا وقوتنا، (جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا)،
وغطوا الحق، تبديل النعم بالنقم هو جزاء من لا يشكر، التبديل بعد المناظر
الحسنة، والأنهار الجارية عندما تقول القضية إلى ما آلت إليه من هذه الأجواء
والأشجار، وهذه النتيجة عاقبة المعصية التي هي وخيمة، والتبعة التي هي
صعبة، النفس المكذبة، النفس الجاحدة، النفس الكفورة، ولما كان من العادة
المستقرة: المبالغة في جزاء من أساء بعد الإحسان: أجرى الله - تعالى - الأمر
على هذا العرف، فقال: (وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ).

أي: لا نجازي إلا الكفور، لا نعاقب بمثل هذه العقوبة، ونسلب مثل هذه
النعمة إلا الكفور المعاند المبالغ في الكفر، أما المؤمن فنكفر عنه ذنوبه بطاعته،
ونزيد له في رزقه بشكرانه.

إنه تهديدٌ يصدع القلوب، ويردع النفوس، ويدع الأعناق خاضعةً والرؤوس،
وهذا الجحود والبطر هو السبب للخراب والدمار، والرجل يُحرم الرزق بالذنوب
يصيبه، وكذلك المجتمع إذا أعرض عن ذكر الله - عز وجل -.

ومن الناس من يكون في رغد الحال، واتصال من النعم، فيرتكب زلة، أو
يسيء، أو يتبع شهوة، فيتغير عليه الحال، فلا وقت ولا حال يظلم عليه
النهار بعد أن كان ليله مضيئاً، وصلت زيادة نعمة الله عند أولئك القوم أن

عمرانهم كان متصلاً بينهم، وبين القرى المباركة: اليمن مأرب مكة الشام، فيخرج المسافر من قرية ويدخل في أخرى في بلاد آمنة وقرى متواصلة، قال الله -تعالى-: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرى ظَاهِرَةً) [سبأ:18]

القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على أهلها بالنعيم، والمياه، والزروع، والثمار، وحسن العمران هي قرى الشام كما قال مجاهد، أو صنعاء كما قال سعيد بن جبير ومالك، بينهما قرى ظاهرة: متواصلة يُرى بعضها من بعض؛ لتقاربها في ظاهر العين في الرؤية للناظرين، أو (ظَاهِرَةً) للمسافرين: بيّنة على الطريق، ليست بعيدة عن مسالك المسافرين، ولا تخفى على السائرين، (ظَاهِرَةً) قيل أيضاً: بكثرة أشجارها وثمارها.

(وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ)، جعلنا بين قراها مقادير متساوية، فمن سار من قرية صباحاً، وصل إلى أخرى ظهراً، وَقَالَ من القيلولة هناك، ومن سار بعد الظهر، وصل عند الغروب، وبالتالي لا يحتاج المسافر إلى زاد، ولا مبيت في أرض خالية، كأنه لم يخرج من قريته، فكانوا يسافرون من اليمن إلى بيت المقدس بلا زاد ولا ماء، فحيث ما نزلوا، وجدوا الخير والرخاء، والزاد والنماء، هذا كان من النعمة.

(سَيَرُوا فِيهَا لِيَالِيًّ وَأَيَّامًا آمِنِينَ)، سيروا إن شئتم ليلاً، أو نهاراً، ليالي وأياماً، فإن الأمن لا يختلف عليكم، لا تخافون عدواً، ولا جوعاً ولا عطشاً، وإن

امتدت مدة السفر، كانوا في أمان في الحضر، وكذلك في السفر، كانوا في رغد من العيش في بلدهم، وكذلك إذا سافروا من اليمن إلى الشام، (سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا).

قدم الليالي على الأيام، والظلام على الضوء والنهار؛ لأن مقام الامتنان بالأمن في الليل أكثر؛ لأن المسافرين أحوج إلى الأمن في الليل منهم إليه في النهار؛ لما يكون في الليل من القطّاع والسباع، تأمين طرق السفر، تيسير المواصلات، تقريب البلدان يُسهل في تبادل المنافع واجتلاب الأرزاق.

فأنعم الله عليهم بنعم في الحضر وفي السفر، ولكن غلبت عليهم الشقوة، فلم يتعضّوا، بل دعاهم داعي الحمق، والجهل، والكفران، إلى أن بدلوا نعمة الله كفرًا، من بطر هؤلاء القوم أنعم قالوا: (رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)، يا ليتها كانت بعيدة، ففسر على نجائبنا، ونرجح ونفاخر.

هل سمعت يا عبد الله بمن يمل العافية، ويسأم من توفر كل شيء؟، ثم يسأل ويدعو أن يكون هنالك تعب، ما هذا البطر الذي يؤدي إلى مثل هذا السؤال؟ ملّوا من النعمة، وبالرغم مما جعل الله في طريق سفرهم من القرى الظاهرة، والأمن والزاد، يقولون: (رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)، فأحبوا المفاوز التي يحتاجون فيها إلى الزاد والرواحل.

بنو إسرائيل كانوا في المن والسلوى، لكن ملّوا من النعم، فماذا طلبوا؟ (فَتَأْتِيهَا وَفُؤْمُهَا وَعَدَسُهَا وَبَصْلُهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ)،

تريدون أن يحل هذا بدلاً من ذلك؟! عجباً! وهذا التشابه في حال قوم سبأ،
وحال بني إسرائيل، فسبأ لا يريدون سفرات قصيرة، في منازل قريبة، ومحطات
آمنة، وطرق فيها زاد وفير.

كأن هذا عندهم لا يُشبع هواية الرحلات، ولذة المغامرة، فمن البطر أنهم
طلبوا ما طلبوا (بَاعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)، وهكذا الفطرة إذا انتكست، والمزاج إذا
انحرف يستبدل الإنسان القبيح بدل الحسن، وقد يكون هذا في الدين
والأخلاق، وكذلك في المطعومات، والماديات المحسوسة، فيريدون الشرك بدل
التوحيد، والخيانة بدل الأمانة، والفجور بدل العفة، وهكذا الرزق الحبيث بدلاً
من الرزق الطيب، والحرام بدلاً من الحلال، مع قدرتهم على الحلال.

لكن كأنهم ملّوا من الحلال، فيريدون حراماً، وهكذا الغرب لما سأم بعضهم
الحلال اتجهوا إلى الحرام، ثم الاغتصاب، ثم اغتصاب العجائز، وبعض
المشركين يرى فيه علاجاً من الأمراض، يرون العلاج من الأمراض في اغتصاب
العجائز، (وَوَلَّيْنَاهُمَا أَنْفُسَهُمَا)، [سبأ] بكفرهم.

(فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ)، علكة في ألسن وأفواه الناس، (فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ)
تحولت الحضارة وتحولت القوة والعيش الرغيد إلى أحاديث الأماكن الآمنة،
والقرى المتقاربة صارت أحاديث، قصص، أخبار، يتحدث بها السّتار،
صارت أثراً بعد عين، يُروى وليس بموجود، كان في قديم الزمان، (فَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ).

كان في قديم الزمان، تُروى ويتعجب الناس من تلك الأحوال، ومن مكر الله
بجولاء ومن العبرة، (وَمَرَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ)، كما يمزق الثوب، ففرق الله شملهم
بعد الاجتماع والألفة، فصاروا في البلاد شذر مذر، وأصبحوا يقولون أي
العرب في أمثالهم: ذهبوا أيدي سبأ، وتفرقوا أيادي سبأ.

فلحق من لحق منهم بالشام، وذهب من ذهب منهم إلى يثرب، واتجه من
اتجه منهم إلى بقية سهول تهامة، ما أهون الخلق على الله إذا عصوه، اللهم
إنا نسألك الأمن والإيمان، أغننا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك.
اللهم إنا نسألك عيشاً رغيداً، ورزقاً وفيراً، وصحة في جسد، اللهم إنا نسألك
الأمن والإيمان، وأن ترزقنا طاعتك يا رحمن، أقول قولي هذا، واستغفر الله لي
ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الواحد الديان، أشهد أن لا إله إلا هو الرحيم الرحمن، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير ولد عدنان، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه أولي الهدى والعرفان، وسلم تسليماً كثيراً.

عباد الله: لقد حذرنا الله -تعالى- من الكفر والطغيان، واستخدام نعمه في الفساد، وأن هذا من أسباب الزوال، لقد كان مسير صاحب الجنتين رغم نعمة الله: (آتَتْ أَكْثَلَهَا وَهَمٌ تَظَلَّمَ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَافَهُمَا نُحْرًا) [الكهف:33]، لكن مسيرة هذا الرجل كانت كفراً وبطراً، واغتراراً وتكبراً، وكانت العاقبة: (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا) [الكهف:42]، وهكذا قوم فرعون لما حاربوا رسول الله، وطغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، أغرقهم الله، قال -عز وجل-: (فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) [الشعراء:57-58]

(وَزُورِعَ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ) [الدخان:26-27]، وهذه النعمة، والنعمة أورهاها الله قوماً آخرين، (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا) [الشعراء:131]، يقول هود لقومه: (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) [الشعراء:131-134]، زالت ذهبت، وصارت الأشجار كأعجاز نخل منقعر، ليس بين أحد من الخلق وبين الله

نسب، والله لا يجابي، وله سنة إذا حصل الكفر والطغيان حل الدمار والخسران.

ولا فضل لنا على سبأ، ولا لسبأ علينا، الإيمان والتقوى هو المعيار، ومن سنن الله -تعالى- أنه ما من أمة تكفر بالله وتستخدم نعمه في الفساد، إلا ويُنزل الله فيهم عذاباً، ويسلبهم تلك النعمة ويوقع بهم الهلاك، (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) [النحل:112]

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) [سبأ:19]، جاءت هذه تعقيباً على ما سبق في القصة، فيما حل بهؤلاء من النعمة وتبديل النعمة؛ عبرة لكل عبد صَبَّارٍ على المصائب، صَبَّارٍ عن المعاصي لا يفعلها، صَبَّارٍ كثير الصبر، دائمٌ مستمرٌّ عليه، توطين النفس على طاعة الله، وكفها عن محارم الله، وحبسها عن التسخط على قضاء الله وقدره، صَبَّارٍ شكور للنعم، صَبَّارٍ صيغة مبالغة وشكور صيغة مبالغة، إذاً من الذي يستفيد ويعتبر؟ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ) كثير الصبر (شَكُورٍ) كثير الشكران مداوم عليه، وما أكثر ما يظلم الناس، ويحقدون، ويكفرون، ولا يصبرون.

شكر النعم بتوحيد الله، أما الوقوع في الشرك وتبديل الدين، كما يراد أن يحدث اليوم، تحريف الدين، فلا يكون إلا سبباً للخسران، شكران النعم بالعفة، أما ما يريده أعداؤنا من نشر الفجور بيننا، وما يتبعهم على ذلك منافقون في نشر الانحلال، وفتح الأبواب له، فإنه لن يأتي -والله- إلا بالخراب.

شكر النعم بتطهير الأموال من الحرام، وتنقية المكاسب من الخبائث، شكر النعم بحفظ الجوارح أن تعمل بمعصية الله، بدأت القصة: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ)، وانتهت القصة بقوله: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ)؛ لأنهم كانوا في بداية القصة منعمين، الكلمة واحدة، والعيش متفق، وكأنهم رجل واحد، في آخر القصة لما مزقوا كل ممزق تحولت القبيلة إلى قبائل، والجماعة إلى شذر مذر، صارت آيات، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ).

هذا الانتقام من الله - سبحانه وتعالى - عام لكل من سار على هذا المنوال، والإيمان ضمان لبقاء النعم، وما يحدث من الكفران اليوم في الأرض لا بد أن يكون له ثمن يدفعه أصحابه، (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) [الروم: 41]، فبدأ الفساد يدب في الثمار، والأجواء، والبيئات، والتلوث، والغبار.

بدأ مفعول المعاصي ينتشر في الأرض انتشار النار في الهشيم، في هذا الفساد الذي هو سبب الأمراض والويلات، (فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) [النساء:62] والأحوال المكروه من الأوجاع، والأسقام، والقحط، والغلاء، والغرق، والصواعق، والمصائب، بما كسبت أيدي الناس.

دع عنك الذين يقولون لا علاقة بين الكوارث الطبيعية والمعاصي، فإن الله قال: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) [الشورى:30]، فالرابط واضح، وقال: (فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ)، والباء باء السببية، الارتباط واضح، والله -عز وجل- يعفو، ويؤخر، ويمهل، ولا يعم. قال ابن مسعود: "لو أخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين، لأصاب العذاب جميع الخلق، حتى الجعلان في جحورها، ولأمسك الأمطار من السماء، والنبات من الأرض، فماتت الدواب، ولكن الله يأخذ بالعفو والفضل، كما قال: (وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) [الشورى:30]، (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِن دَابَّةٍ) [فاطر:45]

عباد الله: قبل أن يشرع الجهاد في سبيل الله في عهد موسى -عليه السلام- ومن بعده من الأنبياء إلى نبينا -صلى الله عليه وسلم-؛ كان الله -عز وجل- ينصر المؤمنين ويهلك الكافرين بآيات كونية، فيرسل على قوم ريحاً، وعلى آخرين صيحة، وعلى مجتمع ثالث قاصفاً وصواعق تهلكهم وتحرقهم، عذاب

الظلة، وكذلك صيحة تقطع نياط القلوب في أجسادها، وطوفان، ونحو ذلك من الآيات الكونية.

وإذا أصرَّ أهل البغي والكفر في العالم على الإفساد في الأرض، وإذلال الخلق، وظلم الناس، ونشر الكفر في العالم، فإن الله سيعود لتسليط جنوده عليهم، ولو لم يكن في الأمة من يقوم بجهادهم، فعند الله جنود، وعند الله آيات يسلطها على هؤلاء، يأتيهم براكين، بزلزل، بأعاصير، بأوبئة، بكوارث، وأشياء -أيضاً- مما عملته أيديهم.

أزمات مالية، حروب، فتننتشر الفوضى في العالم، وتحل النكبات، ويسيري الخراب، وبما أن أقطاب العالم اليوم قد أصروا على محاربة شرع الله بالربا، فلا بد أن يحاربهم الله؛ لأنه قال في كتابه: (فَأَذْنُوبُا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) [البقرة: 279]، (فَأَذْنُوبُا بِحَرْبٍ)، وهذه الحرب من الله ما يسلطه عليهم من الانهيارات المالية، مَثَل من الأمثلة، كوارث اقتصادية، إفلاسات على مستوى الدول، دولة تفلس، ثم بعد ذلك ماذا تكون النتائج؟ انهيار عملات، انهيار الأسهم وهي أسعار الشركات وعماد الاقتصاد.

وبعد ذلك كوارث متتابعة في عالم الديون الربوية، حرب من الله -عز وجل-، يريدون النجاة منها، ولكن الذي يقع في ورطة لا يستطيع الخروج منها، يفر من زاوية إلى زاوية، ومن مأزق إلى مأزق، (فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ) [النحل: 26]

وقد بدأت الولايات في عوالم الربا في العالم، وهؤلاء أقوام احتلوا بلدان، وقتلوا أطفال، ورملوا نساء، وسرقوا خيرات، ونهبوا، وحاربوا الدين، وأرادوا تغيير الشريعة، وإطفاء نور الله، ومحاصرة أهل الإيمان، ودعم أهل النفاق والكفران والطغيان.

وهؤلاء قد كثر فسادهم وعم، فقد آن الأوان ليأخذهم الله -تعالى-، فلا تعجب -يا عبد الله- إذا رأيتهم ينتقلون من كارثة إلى كارثة، فهذه نتائج متوقعة للظلم.

اللهم إنا نسألك الخلاص من الفتن، اللهم نجنا في الدنيا وفي الآخرة يا رب العالمين، اللهم اجعلنا لك ذاكرين، لك شاكرين، لك تائبين، إليك أواهين منيبين، أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وعافنا واعف عنا، وكن لنا ولا تكن علينا.

اللهم رحمتك نرجو، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ونجنا من القوم الظالمين، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، واكتبنا من أهل الفردوس الأعلى يا أرحم الراحمين، وأعتق رقابنا من النار يا غفار.

اللهم تب علينا، وآتنا سؤلنا، وقنا شر أنفسنا، اللهم أصلح نياتنا وذريتنا،
وألف بين قلوبنا، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، وأدخلنا دار السلام، أحيانا
مؤمنين وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين.
آمنا في أوطاننا، وأصلح ذات بيننا، وولاة أمرنا، وارزقنا الاستمسك بالعروة
الوثقى، اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة، وحسن العاقبة، أحسن عاقبتنا في
الأمر كلها، وقنا خزي الدنيا وعذاب الآخرة، سبحان ربك رب العزة عما
يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

بلاغة القرآن في التقديم والتأخير

بلاغة القرآن في الألفاظ وترتيبها

بلاغة القرآن في الأخبار

بلاغة القرآن في بيان الأحكام

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

بلاغة القرآن في التقديم والتأخير

عباد الله:

إن أصدق الحديث كتاب الله، فيه خبر من قبلكم، ونبا من بعدكم وحكم ما بينكم، بركة وهدى، أنزله الله -سبحانه وتعالى- رحمة للعالمين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام، وهذا الكتاب بلسان عربي مبين، هذا القرآن الذي أنزله الله -سبحانه وتعالى- عجب، عجب في بلاغته، عجب في بيانه، عجب في أخباره، وعجب في قصصه، وعجب في أحكامه، ترى فيه هذه البلاغة، وهذا البيان، في صياغته، في تقديمه، في تأخيره، في كلماته

هذا القرآن الذي أنزله الله -سبحانه وتعالى- عجب، عجب في بلاغته، عجب في بيانه، عجب في أخباره، وعجب في قصصه، وعجب في أحكامه، ترى فيه هذه البلاغة، وهذا البيان، في صياغته، في تقديمه، في تأخيره، في كلماته.

، تقرأ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ سورة الفاتحة 5. وأصل الجملة في اللغة تقديم الفعل على الفاعل والمفعول نعبدك، فلماذا قدم المفعول إياك وآخر الفعل نعبد؟ إِيَّاكَ نَعْبُدُ فيها دلالة على الحصر بلِ الله فَاَعْبُدْ سورة الزمر 66. إِيَّاكَ نَعْبُدُ يعني: لا نعبد غيرك، بخلاف لو قلت: نعبدك، ولما جاء إلى قوله: اهدنا، لم يقل إيانا اهد، بل قال: اهدنا، فقدم الفعل لماذا؟ لأن الهداية ليست محصورة فينا، بل يهديننا ويهدي غيرنا، لكن العبادة محصورة له، فلا يُعبد غيره، فقال: إِيَّاكَ نَعْبُدُ ولم يقل نعبدك وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ولم يقل نستعينك، وفي الهداية قال اهدنا، لما ذكر بلاغة القرآن وتحدي من يأتي بمثله، قدم الإنس على الجن، فقال: قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا سورة الإسراء 88. وفي آية أخرى يقدم الجن على الإنس يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَتَفَكَّهُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُكُّوا لَا تُتَفَكَّهُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ سورة الرحمن 33. فلماذا قدم الإنس هناك وقدم الجن هنا؟ في معرض البلاغة والبيان، والتحدي بالإتيان بمثل القرآن قدم الإنس؛ لأن الإنس في باب البيان والبلاغة أقدر من الجن، فقال: قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ تَحْدَاهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا، تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فلم يستطيعوا، تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فلم يستطيعوا، فنادى عليهم بالعجز إلى قيام الساعة قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا سورة الإسراء 88. بينما في معرض الطيران والاختراق والنفاز الجن أقوى وأقدر؛ ولذلك بدأ بهم في التحدي، فقال: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَتَفَكَّهُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهَذَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ عِنْدَمَا تَحِيطُ الْمَلَائِكَةُ بِالْجَنِّ وَالْإِنْسِ فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ فَانْفُكُّوا لَا تُتَفَكَّهُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ وليس هناك إلا سلطان الله مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي * هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ سورة الحاقة 28-29.

بلاغة القرآن في الألفاظ وترتيبها

عندما مر إمام من أئمة اللغة ببادية سمع فتاة أعرابية تقول كلاماً مختصراً بليغاً، فأثنى على بلاغتها، قالت: ليس بعد بلاغة القرآن بلاغة، فإنه ذكر في آية واحدة أمرين، ونهيين، وبشارتين: وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

مر إمام من أئمة اللغة ببادية فسمع فتاة أعرابية تقول كلاماً مختصراً بليغاً، فأثنى على بلاغتها، قالت: ليس بعد بلاغة القرآن بلاغة، فإنه ذكر في آية واحدة أمرين، ونهيين، وبشارتين: {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}.

سورة القصص 7. فأما الأمران: أَرْضِعِيهِ وَأَلْقِيهِ، وأما النهيان: لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي، وأما البشارتان: إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، عندما تختصر الأحداث الكثيرة، بكلمات قليلة، في جمل قصيرة، تشعر يا عبد الله وأنت تسمع هذا الكلام بغاية البيان، عندما يلخص لك ماذا حصل في قصة قوم نوح في نهايتها وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ بعد ما عم الطوفان الأرض وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ سورة هود 44. فيها نداء، وفيها أمر، وفيها دعاء، يا أرض يا سماء نداء، وعندما ختمها ختمها بالدعاء وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وتعا لهم، وتبا لهم، عندما تتأمل في آية في خبر نملة: حَتَّىٰ إِذَا اتَّوَا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ مَاذَا قَالَتِ النَّمْلَةُ؟ قَالَتْ نُمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ سورة النمل 18. يا نادت، أيها نبيت، النمل عمت، ادخلوا أمرت، مساكنكم عينت، لا يحطمنكم حذرت، سليمان وجنوده سمت، وهم لا يشعرون أعذرت، وبيئت عذر نبي الله وجنوده، لو فعل فإنه بغير قصد، بلاغة، في ترتيب الكلمات: وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ مَاذَا أَوْحَىٰ؟ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ سورة النحل 68. ماذا تلاحظ يا عبد الله؟ التدرج، الترتيب؛ لأن النحل الجبلي، غير النحل الشجري، غير النحل الذي يكون على ما يعرشونه لها، يعني: بنو آدم ما يمدونه ويهينونه من بيوتها، لكن في تدرج، في ترتيب، الجبل، ثم الشجر، ثم ما يبنونه في السهل أسفل، وترى يا عبد الله في بلاغة القرآن من بين فرث ودم، مفقز لا يمكن أن يشربه الإنسان، لا يمكن أن يشربه، ماذا يخرج من بينهما؟ الإعجاز من بَيْنَ فَرْثٍ وَدَمٍ أَبْنَا خَالِصًا من كل شائبة سَائِغًا بطعمه الهنيء للشاربين سورة النحل 66. فترى إعجاز الله في خلقه، وترى كيف يخبرك عن نعمته، لكن هذا الإيجاد عجب، من بين فرث ودم يخرج اللبن، الخالص، السائغ للشاربين، عندما تسمع قول الله - سبحانه وتعالى - فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا سورة العنكبوت 14. انظر إلى دقة الألفاظ في اختيارها، نوح عليه السلام لبث في قومه يدعوهم إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاما، لم يقل ألف سنة إلا خمسين، ولا ألف سنة إلا خمسين سنة، ولا ألف عام إلا خمسين عاما، ألف سنة إلا خمسين عاما، كأن طبيعة التسعمائة وخمسين غير طبيعة الخمسين، السنة في اللغة: تطلق على القحط، وعلى الشدة، فإن الله أخذ آل فرعون بالسنين والقحط، لكن العام يطلق على الخير والخصب، كما قال: ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يُفْعَرُونَ سورة يوسف 49. وهكذا كانت النتيجة في تلك التسعمائة وخمسين غير النتيجة في الخمسين، كما قيل إن نوحا عليه السلام عاش بعدها.

عباد الله:

إن هذه الألفاظ في تواليها على اختصارها، تعطي معاني كبيرة جداً، وتعبّر عن حقائق، وترسخ أموراً في النفس لمن ألقى السمع وكان له قلب وهو شهيد، في معرض التنفير من الفاحشة، ماذا قال من كلام أولئك النسوة: امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تَرَاوَدُ فَتَاهَا سورة يوسف 30. أربع كلمات، لكن ماذا تحوي من المعاني امْرَأَةُ الزنى قبيح من الجنسين ولكنه من المرأة أقبح؛ لأن حياءها أشد امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الزنى من المتزوجة والعزباء قبيح، لكنه من المتزوجة أشد؛ فإن الله أغناها وأعفها بالزوج امْرَأَةُ الْعَزِيزِ متزوجة العزيز لها مكانة اجتماعية، والزنى من ذات المكانة العالية وذات المكانة الدنيا قبيح، ولكنه من ذات المكانة العالية أشد؛ لأن من المفترض أنها تخشى على سمعتها ومكانتها تَرَاوَدُ قبيح عرض الزنى من الجنسين، سواء عرضه الرجل أو عرضته المرأة، ولكن قبحه في عرضه من المرأة أشد؛ لأن حياءها أشد، فكيف تعرض، والعادة أن الرجل طالب والمرأة مطلوبة، فإذا انعكست القضية صار الشأن أقبح، تراود هي التي تطلب، والزنى قبيح سواء كان مع من هو في مثل قدرها ومستواها الاجتماعي، أو مع من هو دونها، لكن عندما تطلب وهي في تلك المكانة من عبدها وخادمها، هذا أقبح تَرَاوَدُ فَتَاهَا فانظر إلى التنفير من الفاحشة، يا عبد الله! ألا يلفت نظرك قول الله تعالى: وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا سورة المائدة 38. فقدم الذكر على الأنثى، وفي قوله تعالى: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ سورة النور 2. فلماذا قدم الأنثى على الذكر؟ الرجل أقدر على كسب الرزق من الأنثى، ففي معرض السرقة، السرقة من الذكر أقبح؛ لأنها مستضعفة لا تقدر أن تكسب رزقها مثله، ولذلك صار هو في باب السرقة أسوأ، فقدمه، قال: وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا وفي معرض الزنى في مسألة الحياء المتقدمة من المرأة أقبح، قال: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والمواعظ والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، أشهد ألا إله إلا هو وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، دعا إلى الله ولم يشرك به أحداً، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، والشافع المشفع يوم الدين، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، والشافع المشفع يوم يقوم الشهداء، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى ذريته الطيبين، وآله وأزواجه وأصحابه وخلفائه الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

بلاغة القرآن في الأخبار

لا ينقضي العجب وأنت تتأمل آيات الكتاب العزيز فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا سورة الكهف 97. فرادت التاء هنا، والزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى، فأيهما أشد العلو عليه أم خرقة؟ خرقة ونقضه أشد؛ لأنه مصنوع من تلك السبيكة العجيبة التي لا يوجد لها مثيل، حديد ملبس بالنحاس أثوني زُبِرَ الْحَدِيدِ سورة الكهف 96. فلما تم صهرها بالنار، وصارت قطعة واحدة، أمر بأن يفرغ عليها النحاس المذاب أثوني أَفْرَغَ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا سورة الكهف 96-97. وعندما تتأمل في العجب العجيب في الأخبار، في قصة يوسف ثلاثة قصص، القميص الأول: دليل على كذبهم، والقميص الثاني: دليل على كذبها، والقميص الثالث: جاء معه الفرج، القميص الأول: وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ سورة يوسف 18. ما هذا الذنب الذي يخلع قميص الولد، ثم يفترسه، وليس في القميص أثر لنهش ولا تمزيق، وجاؤوا على قميصه بدم كذب، القميص الثاني: كان ممزقا بالفعل، ولكن تمزيقه كان دليلاً على براءة يوسف الصديق، وكذب تلك المرأة التي كانت تعدو خلفه تريد الفاحشة، وهو يعدو أمامها يهرب من الفاحشة وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ سورة يوسف 25. وقال ذلك الشاهد: وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذِبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ سورة يوسف 27. وهكذا كان، ليأت القميص الثالث بعد سنين، كما جاء القميص الثاني بعد سنين، ويكون فيه الفرج ورائحة الولد، والأب الشفيق يعرف رائحة ولده، وقد كان عليه الصلاة والسلام يشم الصبيان ويقبلهم، أولاده وأحفاده.

بلاغة القرآن في بيان الأحكام

عباد الله:

هذا القرآن عجب في ألفاظه حتى في بيان الأحكام، فعندما يقول في حكم إتيان الحائض متى يصح ومتى يجوز، لا تقربوا النساء في المحيض، هو أذى، أذى نفسي وأذى بدني ومن جميع الأنواع، نكرة في سياق النهي تفيد العموم وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ سورة البقرة 222. ما هو الفرق بين يطهرون وتطهرون يتطهرون؟ يطهرون من الفعل الثلاثي طهر، يتطهرون من الفعل الخماسي تطهر، أيهما يدل على معاناة، نوع من الكلفة والمشقة والجهد، تطهرون، أما يطهرون شيء يحدث بطبيعة الحال، ومن الجبلة والخلقة بدون أي فعل منها، ما هو؟ انقطاع الدم، تطهرون فيه بذل جهد تطهر غير طهر ما هو؟ الغسل منها، فلا يجوز إتيانها إلا بعد حصول أمرين لا يكفي أحدهما، يطهرون انقطاع الدم، فإذا تطهرون اغتسلت، فإذا حصل الأمران جاز الإتيان.

هذا القرآن عجب يا عباد الله في أخباره يخبر عن مغيبات وتحصل: الم * غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * في بضع سنين سورة الروم 1-4. ما مضت تسع سنين إلا ورد الروم للفرس الصاع صاعين، بعد ما كانت الفرس قد هزمت الروم وألحقوهم بعمق ديارهم في أَدْنَى الْأَرْضِ واستلوا على أكثر بلادهم في بضع سنين وأتى الخبر في القرآن وحصل، وكم من خبر في القرآن حصل، وكم من خبر سيحصل، كخروج ياجوج ومأجوج.

يا عباد الله! لما يعبر عن السفن في البحر بالجبال في شكلها وهيئتها، وأنتم في هذه المدينة الساحلية لو وفقتم على الساحل، ورأيتم السفن وهي قادمة إلى الميناء، موقرة محملة بالبضائع ضخمة كبيرة، كيف ترى شكلها يا عبد الله من بعيد وهي قادمة؟ كالجبل ومن آياته هذه السفن الْجَوَارِ التي تجري في الْبَحْرِ كَالْأَغْلَامِ سورة الشورى 32. كالجبال، فانظر إلى دقة وصفه وأنت ترى منظرها من الشاطئ.

اللهم اجعلنا من أهل القرآن العظيم يا رب العالمين، اللهم اجعلنا من أهلك أهل القرآن، اللهم اجعلنا ممن أحل حلاله، وحرم حرامه، وعمل به وآمن بمتشابهه، اللهم ارزقنا تلاوته آتاء الليل وأطراف النهار، اللهم اجعلنا له تالين وله متدبرين وبه عاملين، اللهم اجعلنا بحبك مستمسكين، يا أرحم الراحمين، اغفر لنا أجمعين، وأخرجنا من ذنوبنا كيوم ولدتنا أمهاتنا، اجعل الجنة مثوانا، وارزقنا الفردوس الأعلى، وأعدنا من النار، وأعتق رقابنا منها، إن عذابها كان غراما، ربنا لا تفرق هذا الجمع إلا بذنب مغفور، وعمل مبرور، وسعي متقبل مشكور، يا رحيم يا ودود يا غفور، اللهم إن لنا إخوانا في الأرض قد نزل بهم من البلاء ما لا يعلمه إلا أنت فاكشف ما نزل بهم من ضر يا رب العالمين، اللهم أطعم جائعهم، واكس عاريهم، وآو شريدهم، واشف مريضهم، وابري جريحهم، وارحم ميتهم، واجمع على الحق كلمتهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم يا رب العالمين، أنت على كل شيء قدير، اللهم عظم البلاء وليس لها من دونك كاشفة فاكشف الضر يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين، اللهم ارزقنا في بلادنا الأمن والإيمان، وسائر بلاد المسلمين يا رحمن، آمنا في الأوطان الدور وأصلح الأنمة وولاة الأمور، واجعل بلادنا هذا آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين.

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.



عنوان الخطبة	بين سحر فرعون وسحر هوليود
عناصر الخطبة	1/ زخرفة شياطين الإنس والجن للبابل إضلالاً للناس 2/ مقارنة بين سحر فرعون وأفلام هوليود في التضليل 3/ تشابه امتيازات سحرة فرعون ومثلي هوليود 4/ تشابه مكر سحرة فرعون وصانعي أفلام هوليود 5/ دور الأفلام في تشويه الإسلام ونشر الباطل 6/ مدى جدوى محاربة الأفلام بإنتاجها بثوب إسلامي 7/ كيفية محاربة تلك الأفلام بالبدائل الشرعية
الشيخ	الشيخ/ محمد بن صالح المنجد
عدد الصفحات	20
رقم الخطبة في الموقع	3536

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

الحمد لله الذي أنار السبيل، وأوضح الدليل، وأزال عن الأفهام غبش الأباطيل، وأزاح بالوحي كل وهم عليل، وصلى الله وسلم على الحبيب الخليل، المبعوث بأشرف التنزيل، المأحي لظلمات الجاهلية بنور وأحسن قيل، وأبين دليل، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله: لقد حذرنا ربنا سبحانه وتعالى من الباطل وأهله، وتزيين الشيطان له، (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ) [الحجر: 39-40]، فكان من أعظم الفتن تزيين الباطل وتزويقه.

ونحن في زمان ضل فيه كثير من الناس عن الحق بالوسائل التي استعملها أعداؤنا بما أوحى إليهم الشيطان من الباطل وتزويقه، فتعاون الإنس والجن من الشياطين على بهرجة الباطل ومحاربة الحق: (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) [الأنعام: 112].

فكانت هذه الآلة الكبيرة الضخمة من الحبكات والصناعات التي تزخرف القول وتخدع بالألفاظ عروضاً مؤثرة، وموسيقى تصويرية، وقالب عاطفي، وتلاعب بالناس الذين يشاهدون، وهكذا تطورت عملية بهرجة الباطل تطورا عظيما.

وصار تزيين الباطل للناس صناعة كاملة، وهذا يبين -عباد الله- بأن الباطل لا يروج على الناس إذا كانت فطرتهم سليمة، فلا بد من بهرجته وتزيينه؛ ليروج، وليكون له سوق، ويصير عليه إقبال.

وقد احتاج فرعون لباطله، وهو الطاغية، إلى من يعاونه على ترويج الباطل لينقاد له الناس، فكان ذلك هو السحر الذي جمع أهله فستعان بهم، واتهم موسى عليه السلام بأنه ساحر: (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ

عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ [الأعراف: 109-110].

ولذلك اجتمعت همتهم على منازلة موسى أمام الناس، وأن يخدعوا الناس، ويبهرجوا لهم الباطل، فكان لا بد من مدة انتظار يعدون فيها العدة ؛ ولذلك قالوا: (أَرْجِهْ وَأَخَاهُ)، أرجه: يعني أخره، (وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ) [الأعراف: 111-112]، اصنع الدعاية الإعلامية لهؤلاء السحرة المهرة، وأحضرهم، وأقم أمام الناس مباراة للسحر بين أعوانك من هؤلاء من أهل السحر الذين تفوقوا فيه، من كل سَحَّارٍ عليم بتلك الصنعة، فائق بها حاذق.

حرَّضَ الْمَلَأُ فِرْعَوْنَ عَلَى جَلْبِ هَؤُلَاءِ السَّحَرَةِ الْمُتَقِنِينَ الْعَلِيمِينَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وجمعوا كل ما لديهم لمنازلة الوحي؛ وهكذا أيضا، لما علم أعداؤنا بأن الحق يكتسح، وأن الإسلام ينتشر، وأن دين الله يعلو، أعدوا العدة لمواجهة عسكرية وإعلامية وبجميع الوسائل، فكانت صنعتهم الإعلامية أشبه بالسحر الذي كان في عهد فرعون.

وكم حرص الفرعونيون على استمالة الناس وأخذ إعجابهم ونيله ليلهثوا وراءهم، فكان لا بد من عملية إعدادٍ وتجميعٍ للسحرة من أنحاء ذلك المكان، وأن يغروا بالأعطيات، وكذلك بالتقريب والوجاهة، فاجتمع لهم من الإغراء المال والأجر الكبير، وكذلك الخطوة والتقريب، ورفع الشأن، وحصول الجاه.

وهكذا نجد هؤلاء أيضا بما أقاموه من صناعة السينما بالممثلين الذين يبدعون في العرض وما ينالونه من الأجور الخيالية وما يحدث لهم من الشهرة بين الخلق لأجل تنفيذ تلك المناهج الضالة تسويقا وبهرجة وتزيينا؛ وهكذا عكف أساطين الإعلام من العالمين به وصُناع السينما العالمية على ترويج هذه الأفلام بمحتوياتها.

ولقد تحدى فرعون ومن معه موسى -عليه السلام- وقال: (... أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُحًى * فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى) [طه: 57-60].

إذاً، كان اجتماع الناس ليشاهدوا، وهكذا: (فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْعَالِينَ) [الشعراء: 38-40].

والمؤثرات الصوتية اليوم، وكذلك المرئية، واستخدام أحدث التقنيات في عالم السينما، إنَّ هو إلا سِحْرٌ يذهب بالأبصار، ويخطف الألباب.

وإذا كان نبينا -صلى الله عليه وسلم- قد وصف البيان بأنه سحر؛ لتأثيره في النفوس، واستمالته للقلوب، وكذلك قلب الحق إلى باطل والباطل إلى حق بهذا البيان اللساني، فما بالك في فيلم قد اجتمع فيه بيان اللسان، وكذلك

بيانات أخرى، وأنواع من التظاهر على التأثير في العقول في الأسماع والأبصار والنفوس، وقد اجتمع الناس على الشاشات يشاهدونها؟!.

جمعهم في صالات السينما، وفي الشاشات المنزلية، وكذلك في هذه التمديدات التي صارت تباع بها الأفلام، وتغذى شاشات المنطقة العربية والإسلامية بمنتجات اليهود والنصارى.

وكما جيء بالسحرة المهرة من كل مكان، واجتمع الناس، وبُثت الحماسة؛ كي لا يتخلف أحد ليشاهدوا فوز السحرة وتغلبهم على موسى، (هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ)؟، هذا يذكر بما نراه من الترويج لأفلام الباطل: لا يفوتكم، إعلانات في كل مكان عن هذه الأفلام، مقاطع مثيرة تكون دعاية وجذبا لأكبر عدد من الناس لمتابعتها، تمتلئ بضد التوحيد، وتشويه صورة الإسلام، والدعوة إلى الخنا والفجور، ومن أسهل الأشياء فيها ترويج التدخين.

ودلت دراساتهم على أن تكرار ظهور أحد ممثلي السينما وهو يدخن خلال الفيلم أربع مرات يؤدي إلى زرع صورة إيجابية للتدخين عند المراهقين المعجبين بهذا الممثل؛ ولذلك ترى -يا مَنْ ترى- في مشاهد تلك الأفلام كثرة تعاطي كؤوس الخمر والتدخين؛ بل وشم الهيروين! وما رأيكم بدعايات عظيمة لهذه الأفلام؟! حتى بيع فقط لترويج الأفلام الهندية في عام 800 مليون بطاقة، فما بالك بأفلام الغرب؟!.

لقد تواسى السحرة بأن يعدّوا كل ما يستطيعون إعداداه للموقف الرهيب والجملة الفاصلة، (فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأَجِزُكَ إِن كُنَّا نَحْنُ

الْعَالِيَيْنِ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ [الشعراء: 41-42]، ومع أن عمل السحرة باطل أصلاً وأجوف، لكنهم طلبوا الجائزة عليه؛ لأنهم سينصرون صاحب الباطل، ويعينونه على مواجهة عدوه، فطلبوا الأجور المرتفعة، واستوثقوا من ذلك بالمقابل على براعتهم في الخداع وطمس الحقيقة، فهم جماعة مأجورة تبذل مهارتها في مقابل الأجر الذي تنتظره، فهي لا تنصر حقاً، ولا تُعْلي ديناً صحيحاً، إنما هو الأجر والمصلحة الدنيوية.

وهكذا، نجد على أعتاب هذا القرن الذي يتهدد ثلث سكان العالم الموت جوعاً، يصل دخل أحد الأفلام إلى 40 مليون دولار في أول ثلاثة أيام من عرضه، وبلغ عدد الذين شاهدوا فيلماً آخر 13 مليون شخص، مع الدخل الإجمالي الذي بلغ 90 مليون من الدولارات!.

ثم بعد ذلك يسوق على القنوات التليفزيونية بأثمان أخرى كي تعرضه، فهناك العروض الأولى والثانية والثالثة والعاشر، وهكذا تتداوله الشاشات في هذه القنوات التي تتكاثر تباعاً تكاثر الطحالب في الماء الراكد؛ فتحرك ما في تلك النفوس نحو الكفر والفجور والانحلال.

وعندما ظن سحرة فرعون أنهم واثقون من النصر واعدتهم بما هو أكثر من الأجر بأن يكونوا من خاصته المقربين، وهكذا نجد اليوم تفتح المجالات لأولئك الممثلين الكبراء ليكونوا من الذين يدخلون في عالم الانتخابات، ثم يتوجون بالمسؤوليات العظيمة، وتكون لهم شهرة المنصب، بالإضافة إلى شهرة

الشاشة! وقد نجح عدد منهم في الوصول إلى المناصب المرموقة، وكان هذا هو الطريق!.

عباد الله: إنهم فيما بينهم يسرون النجوى، إنهم يجتمعون لأجل الفيلم بسرية بالغة يحكون محتوياته ويعتبرونه سر الصناعة، ولقد قال الله -تعالى- عن سحرة فرعون وعن قومه وملئه: (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى * قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) [طه: 62-63].

فما هو الحل؟ ما هو الطريق للمنازلة؟ إنه قلب الحقائق! ويقال عن نبي الله ساحر، وعن الصادق كذاب، وعن الأمين خائن، وعن العالم جاهل! قلب الحقائق وتغيير المصطلحات، إنها قضية تتضمنها الأفلام، قضية واضحة، فيسمون عقوق الابن لأبيه حرية شخصية، ويسمون الحجاب رجعية وتخلفا، ويسمون الزنا بيعا للهوى وممارسة للحب، ويسمون الإسلام إرهابا! وهكذا، كما حاولت قريش وفرعون من قبلهم والأمم المكذبة أن يقلبوا الحقائق: (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) [التوبة: 48].

والأفكار الباطلة تقوم كثيرا من الأفلام على اتهام الإسلام بالظلم والاعتداء بما يسمونه إرهابا، وتخرج قصص تلك الأفلام بشخص ملتحٍ أو باسم مسلمٍ يريد أن يحدث تدميرا في الأماكن العامة ونحو ذلك، مستغلين ما أججوه وما دفعوا به أناسا من الذين ضلوا طريقهم لإحداث تلك الأحداث التي تؤدي إلى استغلالها من قبلهم.

وقد أجمعوا كيدهم! كما قال الله عن قوم فرعون وعن سحرته: (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوْا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى) [طه: 64]؛ فلم تعد صناعة السينما قضية فردية وإنما يدخل في صناعة الفيلم الواحد الآلاف المؤلفات من البشر في التخصصات المختلفة يتحدون معا، وإدارة عظيمة، وميزانيات ضخمة: (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوْا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى)، من ظهر على الشاشات وفاق ذكره أقطار الأرض.

(فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوْا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى)، أظهروا سحرهم دفعة واحدة متظاهرين متناصرين، قد اتفقت كلمتكم، واجتمع رأيكم؛ لتبهر الأبصار، وليكون أهيب لكم في القلوب وتغلبوا موسى وأخاه، واعملوا أن من أفلح اليوم ونجح فإنه الفائز.

وقد وصف القوم والمالاً فعلهم وعملهم بأنه كيد، هم اعترفوا فيما بينهم بذلك فقالوا: (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوْا صَفًّا)، وهكذا تجد الحشود اليوم والجموع الهائلة لأجل عرض الباطل، ثم تحدث المنازلة: (فَالْقُوْا جِبَاهَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ) [الشعراء: 44].

لقد جاؤوا فعلا بشيء مؤثر في النفوس، (قَالَ الْقُوْا فَلَمَّا أَفْقُوا سَحَرُوا أَعْيْنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ) [الأعراف: 116]، خيّلوا إلى الأبصار أن ما يفعلونه حقيقة وليس خيالاً، قال تعالى: (فَإِذَا جِبَاهُهُمْ وَعِصِيَّهُمْ يُحِيْلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمَا تُسْعَى) [طه: 66]، وهذا فيه خطورة استخدام المشاهد والتأثير على الأبصار.

ومعلوم أن الخدع التي تستعمل في الأفلام تؤثر في الأبصار لتكون مدخلا للتأثير في العقول والقلوب، إنها تسحر الأبصار بسرعتها وتردداتها الفائقة، وألوانها الخاطفة، والمشاهد المدسوسة، واللقطات المبهرة.

(سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ)؛ لأجل ماذا؟ لتغيير القناعات، سحرة فرعون بذلوا ما بذلوا ليغيروا عقول الناس وينصروا باطل فرعون، ويكتبوا حق موسى، وهذا هو الصد عن سبيل الله والسعي في إضلال الناس، وهو حقيقة ما يفعل في الأفلام من ترويج للباطل بهذه الخدع السينمائية، وكذلك المبهرات البصرية، والمؤثرات الصوتية، بالإضافة إلى الحبكة والقصة والبطولة، ونحو ذلك من المشوقات والمؤثرات، بالإضافة لكلمات السيناريو المكتوبة.

وأيضاً ما يحمله الفيلم من المفاجآت ليدخل المشاهد من أول عرضه إلى آخره وهو لا يكاد يلتقط أنفاسه انبهاراً وإعجاباً ومتابعة حتى لا يكاد يحس بنفسه والساعات الطوال في عرض هذا الفيلم، ليخرج بعد ذلك بما طبعوه في نفسه من حقائق الباطل، وبما غيروه وقلبوه من حقائق الحق.

عباد الله: إن لهذا البهرج تأثيراً حقيقياً وليس وهماً، حتى إن موسى عليه السلام أوجس في نفسه خيفة، لكن الخيفة التي أوجسها موسى في نفسه ليست من باطل هؤلاء، بل خشية أن يغير الناس بباطلهم.

فقد موسى حقيقة على الناس من الباطل لأنه لما رأى عظم جاؤوا به -أي هؤلاء السحرة- ظن فعلاً بأن الناس سيتبعونهم على ذلك، (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى) [طه: 67]، خيفة على المدعووين، خيفة على الناس؛

لأنهم ساحة المعركة، (قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) [طه: 68-69].

وهكذا، (فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) [الشعراء: 45]، ووقعت المفاجأة المذهلة وذهب التخيل، وذهب أثر السحر؛ لأن معجزة الله قد التهمت فعلا كل ما أحدثه أولئك البشر من الانحراف والكفر والخداع. (فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَعُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ * وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) [الأعراف: 118-122]. العصا انقلبت حية التهمت كل ما هو موجود، لا حبالاً بقيت ولا عصي ولا كيد ولا باطل، لقد اختفى كله في لحظة، التهم ذلك الثعبان المبين كل ما ألقى.

ونحن اليوم لو قيل بأي شيء ستواجهون الأفلام وعالم الدعايات المضللة الذي يشوه الإسلام؟ لن نقول أبداً إننا سنأتي بسينما إسلامية تنافس سينما هوليوود، ولا أظن أننا سنقدر على ذلك، وسياسة طرح البدائل التي يقوها بعض الناس فيها مغالاة؛ لأننا في الحقيقة -أيها الأخوة- مهما جربنا في طرح البدائل وراء القوم فلن نصل إلى ما تفوقوا به من تقنية وبهرجة وميزانيات ضخمة يقيمون بها تلك الأفلام.

فماذا بقي لدينا؟ بقي لدينا هذا القرآن. إذا كانت معجزة موسى -عليه السلام- للعصا قد التهمت وأكلت وابتلعت كل باطل فإن معجزة الله بالقرآن كفيلة أن تبتلع وتقضي على كل باطل يرميه القوم.

ونحن لا نأخذ وصيتنا ومنهجنا، ومن ظن أننا سنحارب الأغاني بالأناشيد ونحارب أفلام هوليوود بسينما إسلامية ونحارب مسرحيات القوم بمسرح إسلامي فهو يخطئ؛ لأننا في الحقيقة لا نملك تلك الميزانيات، ولا مثل تلك الإمكانيات والأدوات.

نعم، قد يكون في بعض هذه الوسائل من المباح، وأقول المباح؛ لأن كثيرا منه مدخول وضحك في الحقيقة وخداع ومشابهة للقوم في الباطل، ولا يخلو من لوثات، ولا من المحرمات ومن المخالفات شرعية.

ولكن؛ لو وجدنا في بعض هذه الوسائل البصرية والسمعية والكتابية والتقنيات ما ينشر الحق والقرآن سنفعله، وسنأخذ به، وسوف نقدم ما يمكن تقديمه من البدائل الشرعية، لكن سيبقى الأساس في الحرب والمواجهة هو القرآن، قال الله تعالى لنبيه -صلى الله عليه وسلم- (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) [الفرقان: 52].

فإن قال قائل: وماذا يغني هذا عن هذه البهرجة، وهذا العرض الكبير، وهذه التقنيات العالية؟ فنقول: إن القوم قد احتاجوا إلى التقنيات العالية والوسائل المبهرة لأن باطلهم لا تقبله النفوس أصلا؛ لأن الفطرة التي فطر الناس عليها لا تقبل الشرك والكفر والانحلال؛ فهم محتاجون جدا إلى السحر بأنواعه،

وكذلك إلى الأفلام والسينما لأجل الباطل الضعيف الهش الذي عندهم، لكن عندنا حق قوي يوافق فطرة الله التي فطر الناس عليها.

عندنا حق قوي لا نحتاج معه إلى وسائل القوم، وإنما نحتاج إلى وسائل إبلاغ مؤثرة، وإن حناجر المؤمنين الصادقين كفيلة بأن تلقف كل ما يأفكون، وأن تعرض الحق تشرئب إليه الأعناق، وتتطلع إليها النفوس، وإن قدرة المؤمن الصادق بدعوته - على قلة إمكاناته - يمكن لها الصمود والوقوف؛ بل الغلبة - بإذن الله تعالى - على باطل القوم.

ولكننا نحتاج إلى وسائل إبلاغ من هذه القنوات والموجات، إن من هذه الوسائل السيارة التي تنقل الحق، عندنا حق ضخيم كبير هائل قوي ثابت راسخ يؤثر في النفوس، لكن يحتاج إلى وسائل إبلاغ وليس إلى بهرجة، يحتاج إلى وسائل توصل وليس إلى خداع وتمويه ومؤثرات، فليت قومي يعلمون!.

عباد الله: لقد قام سحرة فرعون مع فرعون وقومه بإعداد الساحة، أمروا موسى وأخاه حتى يستعد للمواجهة ثم قاموا بصنع الدعاية الإعلامية اللازمة في كل البلدان لجمع السحرة وإحضارهم، ثم انتقوا المتقنين الحاذقين العالمين من هؤلاء السحرة، ثم عملوا على حشد الجماهير، وقيل للناس هل أنتم مجتمعون؟ وكذلك الترغيب للمشاهدة!.

ثم تظاهروا على سحرهم، وتساعدوا على باطلهم، واتفقت كلمتهم ورأيهم: (فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُّوا صَفًّا) [طه: 64]، وقد وُعدوا بالأجر الجزيل، والمال

الكثير، والتقريب والجاء، ثم حشدوا أقصى مهاراتهم، وبدأت الجولة بعزة فرعون.

ورمى موسى عصاه: بسم الله! واسم الله لا تقف أمامه عزة فرعون، والله على كل شيء قدير، هو كفيل بالغلبة، والله عزيز ينصر من يشاء، أذن أن يكون بين الحق والباطل جولات، (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ) [الفرقان: 31]، ولكنه قال - سبحانه -: (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا) [الفرقان: 31]، وقال: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) [الأنعام: 112].

ولكن الله جعل مع أهل الحق قرآنا وبيانا: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) [الفرقان: 33]، وإذا أُحْسِنَ إلقاء الحق دَمَعَ الباطل: (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) [الأنبياء: 18].

نعم! هناك مواجهات، وهناك حرب تقوم، ولكن الله - سبحانه وتعالى - تكفل بنصر المؤمنين، وهو معهم - عز وجل - ولم يكن مع موسى وفرعون، (رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي) [المائدة: 25]، لا يملك إلا هذا التأييد الإلهي: (إِنِّي مَعَكُمْ) [طه: 46]، وكان كفيلا وكافيا في التغلب.

والمهم أن يكون معنا عون الله، وهذا لا يأتي إلا بأن ننصره - سبحانه - لينصرنا، فإذا لم ننصره بنصرة شرعه، ولم نؤيد دينه، لم نتبن الحق ونعتنق الحق، فمهما كان كيد العدو فلن نتصر!

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من أهل الحق يا رب العالمين، أحيينا مسلمين،
وتوفّقنا مؤمنين، وألحّقنا بالصالحين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم
فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، أشهد أن لا إله إلا هو الحي القيوم، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله النبي الكريم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أشهد أنه رسول الله حقا، علّمنا فأحسن تعليمنا، وما ترك خيرا إلا دلنا عليه، ولا شرا إلا حذرنا منه.

عباد الله: إن سحرة القوم قد أجمعوا أمرهم وكيدهم ليأتوا بما يغير التوحيد وينشر الانحلال والفجور بين الناس بهذه الأفلام الأجنبية وما شابهها ممن يحذو حذوها مما ينتجه العرب متشبهين به بالغرب، يثير الغرائز للحرام، ويحرك كوامن الشهوات نحو الانحطاط، إنهم لا يريدون كيانا أسريا، ولا يريدون فضيلة، ولا يريدون أن يكون هنالك عفاف على الإطلاق، ييثون الرذيلة، يشيعون الفاحشة، يعوّدن الأسماع والأبصار على المنكر، يكشفون العورات، ينشرون كل ذلك في هذه القنوات والأفلام، تبثها هذه الأقمار المنتشرة حول الأرض.

شبابنا ضاع بين الدّشّ والقدّم *** وهام شوقاً فمال القلب للنّعم
يقضي ليلاليه في لهوٍ وفي سهرٍ *** فلا يفيق ولم يصحو ولم ينم
يقلب الطرف حتى كلّ من نظّر *** إلى قناة تبثّ السّم في الدّسم
فقلّد الغرب حتى فاقهم سفهاً *** وضاق بالدين والأخلاق والقيم
كفى صدوداً عن الإسلام ويحكّم *** فالعمر فانٍ وحانت ساعة التّدم

هذه الأفلام التي تُناصر اليهود على أهل الإسلام، وتؤسس الباطل، وتقف بجانب الصليب فتعظمه؛ فكثيرٌ من الأفلام تروّج للصليب ودينه، وتطعن في الإسلام وأهله، وتصوّر المسلمين على أنهم أشرار، وكل ما يدمّر البشرية يحسب على دين الإسلام! ويُصوّر أتباعه على أنهم قطاع طرق، يخطفون امرأة غربية بيضاء ثم يأتي المقاتلون الغربيون لإنقاذها من أولئك المتخلفين.

قصص كثيرة في عالم الأفلام لتشويه صورة أهل الإسلام، وأخرى تريد خلط الحق بالباطل، والإسلام بالكفر، على طريقة أهل الانحلال في الجمع بين الأديان، وزعم توحيدها، واتباع الملة الإبراهيمية - بزعمهم! -، (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [١].

وترى في هذه الأفلام من الألفاظ النابية والسباب والشتم واللعن وخوارم المروءة ما يختار معه حتى المترجمون لهذه الأفلام! وأخرى تدعو بشكل واضح إلى الجريمة والعنف، وتؤصل لحرب العصابات في المجتمع، وللخروج عن نسقه، والإخلال بالأمن، وهذا واضح جدا: الدعوة إلى القتل بدم بارد. وهؤلاء الممثلون يصورون الجريمة كأنها عادية، لتزول بشاعتها من النفوس، وتستعمل كل الوسائل في زخرفة كل ذلك.

ولكن نحن نعلم بأن دين الله - سبحانه وتعالى - يبيّن ولا يهدم، ونعلم بأن دين الله حق ليس بباطل، ونعلم بأن دين الله - عز وجل - فضيلة وليس برزيلة، والله - سبحانه - لا يأمر بالفحشاء، ونعلم أيضا بأن الذين يجبون أن

تشيع الفاحشة في الذين آمنوا بنشر هذه الأفلام في قنواتهم لهم عذابٌ أليم في الدنيا والآخرة، والله - سبحانه وتعالى - يعلم المفسد من المصلح.

ومن تأمل أوجه التشابه بين السحر الذي استعمله فرعون واحتاج إليه وبين حاجة أعداء الإسلام إلى السينما ونشر الأفلام لأجل التوليف وتخريب القناعات، وإفساد العقائد الصحيحة، والخروج عن التوحيد، وتمييع الدين، ونشر الرذيلة والانحلال، وجد تشابها كبيرا.

ثم هم لا يُريدون أن يتركوا وسيلة ولا مكانا ولا مجالا ولا زمانا إلا ويعملونه بقاذوراتهم؛ فتوضع الشاشات حتى على أدوات التدريب الرياضية، ويُستمع إليها، وتكون في جوالات الناس، وكذلك في مواقع الفيديو على شبكة الانترنت، وأيضا أجهزة الآي بود المنتشرة بين الشباب والفتيات؛ كل ذلك لينشغل الجيل تماما بمسموعات القوم ومرئياتهم التي يوجهون فيها عقول شبابنا وفتياتنا على ما يشتهون.

ثم أيضا يريدون أن يكون حتى التعليم بهذه الأفلام، وهذا فيه شيء من النفع، ولكنه لا يخلو من أشياء كثيرة من الدس، وهنالك مصنفات كثيرة لديهم حول هذا يواكبون فيها كل الفئات العمرية، إنه إنتاج متخصص متفنن يراعى فيه كل الأعمار، كل اللغات، كل البلدان، كل الهويات لتستوعب الناس لكي تؤثر فيهم، حتى أطفالنا تؤثر فيهم أفلام الكرتون بسرعة إيقاعاتها، وتركيزها المباشر، وسهولة فهمها، ووضوح معالمها، وإثارتها للضحك، فهي تعجبهم.

وأما الواقع عند الأطفال فهو بطيء الإيقاع، في بعضه عدم وضوح، وفيه مشكلات كثيرة مؤلمة؛ ولذلك يهربون من الواقع في الأفلام، والأشياء العجيبة في هذه الأفلام، وفيهم تبعات ومسئوليات في الواقع، أما الفرجة على الفيلم فليس فيها من هذا شيء؛ ولذلك تكون النتيجة أن يتربى الطفل على إفساد دينه وعقيدته، وهذا واضح في بعض الأفلام التي تبثها بعض المحطات، أفلام كرتونية فيها ترويج الكفر والانحلال، سواء كان صليبا أم سحرا أم رقصا وخلاعة أم قمارا أم تعرياً وخلع ملابس، ونحو ذلك من الأشياء، ومشاهدة القوم في أديانهم وأعيادهم، ونحو ذلك.

يتعود الطفل على الانقيادية الفكرية ولا حول له ولا قوة، ولا يرغب في الواقع بعد أن يشاهد هذه الأفلام التي فيها كل هذه المميزات، فيصبح عقله وذكرته ممتلئة بتلك القاذورات، وننام ونصحو على هذه الأشياء التي تغزو عقول أبنائنا، وربما نشعر أو لا نشعر.

وهم يقولون بأن عرض المشاهد الجنسية يغير في كيميائيات الشخص، ص وتتحرك بمجرد رؤية هذه الإشارات الإيحائية أو الصريحة سواء كانت لفظاً أو صوتاً أو صورة، وهذه الإيحائات تشتمل عليها كثير من الدعايات التجارية، ولا تزال القنوات المنحطة تبث كل ذلك.

ما هي النتيجة؟ نشر الإجرام، ضعف الارتباط الأسري، ارتفاع في شدة الشهوات أدى إلى وقوع حوادث الاغتصاب والاعتداء والوقوع في الزنا والفاحشة وأنواع التحرش، وصارت المرأة بفعل هذه المعروضات مهينة في نظر

الرجل؛ لأنها ليست إلا شهوة، ليست إلا محطاً للاستمتاع فقط، لا شيء آخر!.

فهم يقولون بأننا نميز ضد المرأة ونهين المرأة، فليت شعري! من الذي يهين المرأة حقيقة؟! أليس الذي يهينها حقيقة هو الذي يظهرها سلعة تروج بها السلع في الدعايات؟! أليس الذي يهينها هو الذي يخرجها عارية أو تُفعل بها الفاحشة على مرأى ومسمع؟!.

أليس الذين يروجون هذه الأفلام بما تشتمل عليه من شرب الخمر الذي يسمونه كحولا بأنواعه وتظهر حتى الأسماء التجارية لقوارير الخمر على الشاشات؟ ومعلوم أن شركات التدخين والخمور تدفع لمنتجي هذه الأفلام نسبة من ثمن الفيلم؛ لأنها دعاية في الحقيقة موجهة إلى الناس الذين يشاهدون قوارير الخمر وهي تُسكب في الكؤوس، ويترك بعضها ببعض للحظ، ونخب فلان، ونخب المناسبة الفلانية!.

عباد الله: إن هذه الرسائل التي يثونها من خلال أفلامهم، والمخرجة للدين والعقيدة والأخلاق، قد أدركوا حتى هم يبيع من بقي من عقلائهم أنها فاسدة مفسدة، وقامت فنزويلا بمنع عرض مسلسل للأطفال قريبا بعد اتهامه بأنه يؤثر في أطفالها ولا يتناسب مع مناهج التربية والتعليم لديهم، فما بال أهل الإسلام؟!.

اللهم إنا نسألك أن تصلح أحوالنا وأن تتوب علينا...

عباد الله: ما أخرجنا إلى التوبة! وقد صار الغبار، وشحت الأمطار، وغلت
الأسعار، فهل نضيف إلى ذلك تقليد الكفار؟!..
اللهم إنا نسألك أن ترفع عنا الغلاء والوباء، يا سميع الدعاء...



عنوان الخطبة	تأملات في آيات الصيام
عناصر الخطبة	1/ تأملات في آيات الصيام 2/ بعض أحكام الصيام 3/ المؤامرة الإعلامية على رمضان
الشيخ	محمد صالح المنجد
عدد الصفحات	15
رقم الخطبة في الموقع	4843

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضللّ فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وجاء رمضان؛ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: 183].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) [البقرة: 183]، ويشعر المؤمن بأنه مكرم بهذا النداء الإلهي الذي يأتي في كتاب الله مناديا الجموع: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ)، بتلك الصفة العظيمة: (آمَنُوا)، خير يأمر به عظيم.

إن الصيام بالامتناع عن الشهوات يحتاج إلى إيمان، إن الصيام في شدة الحر يحتاج إلى إيمان، إن مقاومة رغبات النفس تحتاج إلى إيمان، إن الالتزام بالأحكام والأوقات التي في الصيام يحتاج إلى إيمان، إن خوف الله بالغيب فلا يأكل المسلم حتى لو لم يبصره أحد يحتاج إلى إيمان.

إن اجتماع الأمة على هذه العبادة والتزام الأمة بالصيام إذا رُوي الهلال، وعدم شذوذ بعضها عن بعض، يحتاج إلى إيمانٍ وعقلٍ يعي فهم معاني الصيام، والتفاعل مع ذلك يحتاج إلى إيمان.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ)، مبني للمجهول، مَنْ الذي كُتِبَ؟ الذي فرضه هو الله -عز وجل-، (كُتِبَ عَلَيْكُمُ)، إذاً؛ فنحن موضع الحكم، والحكم مفروض علينا، ونحن مخاطبون به، (عَلَيْكُمْ)، عليكم يا أيها الأمة، عليكم يا أيها المؤمنون، عليكم يا عباد الله، كتب عليكم من الله، فهو الذي يفرض ما يشاء، ويحكم ما يشاء، سبحانه وتعالى.

فهل أنتم الوحيدون في العالم الذين كتب عليكم هذا الحكم؟ هل الصيام عبادة جديدة لم تعرف إلا في هذه الشريعة؟ قال -تعالى-: (كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ). إذا؛ نسير نحن ومن قبلنا من السائرين في طريق

الوحي على طريق واحد هو طريق التوحيد، وإن تنوعت الشرائع عند الأنبياء؛ لكن الجميع عنده صيام.

(كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ)، ليس شيئاً جديداً وإن كانت أحكام الصيام في هذه الشريعة أكمل، لكن مبدأ الصيام كان مشتركا.

فأنت - يا عبد الله - تقوم بعبادة الآن قام بها أنبياء ومؤمنون كُثُرٌ من قبل، أنت تشترك معهم في عبادة عظيمة لله.

(كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ)؛ ليسهل علينا الأمر، وإن الناس إذا اشتركوا في شيء سهل عليهم القيام به.

(كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ): لماذا؟ وما هي الحكمة؟ وما هو الهدف؟ (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)، لعلكم تخافون الله، تتكون عندكم الخشية لله، يصبح عندكم معيار التقوى قائما في النفوس، حتى يجعل الصيام منكم أناسا يخافون الله في الغيب والشهادة، يقفون عند حدود الله، يفعلون كل الواجبات، لا الصيام فقط، ويتركون كل المحرمات، ليس الأكل والشرب في نهار رمضان فقط.

(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) في كل شيء، إن هذا الصيام سيؤهلكم لتكونوا من المتقين، تدخلون مدرسته شهراً في دورة إيمانية عملية عظيمة تؤهلكم للخروج منها وأنتم من المتقين؛ إذا أحسنتم القيام بهذه العبادة.

(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ): ليست القضية -إذاً- الهدف الأعلى منها الصحة مثلاً، ولا غيرها من الأهداف الدنيوية الأخرى، وإنما المسألة أعلى من ذلك،

التقوى! (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)، ستحصل لكم فوائد كثيرة أخرى: اجتماعية، نفسية... بل حتى سياسية؛ لأن العالم يشهد المسلمين في عباداتهم، فكما يشهدهم في حَجِّهم يشهدهم في صيامهم.

أنتم الآن في هذه العبادة تجتمعون فيها كقوة أمام العالم، لأن العالم سيسمع عن هذه العبادة وعن هؤلاء الناس الذين يلتزمون بهذه الأحكام إلزاماً جماعياً على مستوى الأمة، سيتحدث العالم عنكم، لكن -أولاً-: التقوى، التقوى يا عباد الله، وإصلاح العلاقة فيما بينكم وبين الله سبحانه وتعالى. (أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة: 184].

هذه العبادة العظيمة تكون (أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ) لا تلبث أن تنقضي، ليست سنين ولا شهوراً، وإنما شهر واحد في السنة، فلذلك لا تستطيلوها ولا تملوها؛ إنها راحلة بسرعة.

فإذا كان الإنسان من أهل الأعذار؛ فماذا يفعل؟ (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ)، فالصيام يسبب له المرض، أو يزيد عليه المرض، أو يؤخر البرء، فله أن يفطر، ثم يصوم بعد ذلك إذا زال المرض. وإذا كان مزمناً فعليه فدية.

وكذلك السفر، وكذلك المرضع والحامل، والحائض، والنفساء، وكبير السن الذي لا يطيقه، كل صاحب عذر جعل الله له مخرجاً، وجعل له بدلاً.

إن الله وضع عن المسافر الصوم وشرط الصلاة، وعن الحابل والمرضع الصوم، وهكذا؛ إذا صارت المشقة فوق العادة تأتي الرخصة حينئذ.

(وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ): كان الصوم اختياريا في وقت من الأوقات، قبل أن يفرض كان اختياريا، ثم جاء فرضه بعد ذلك، وأكد تكرار ذكر أهل الأعذار، وأن حكمهم باقٍ في العذر بعد فرض الصيام، حتى لا يظن ظان أن الصيام لما كان اختيارا ثم نسخ قد نسخ معه العذر أيضا؛ ولذلك كرهه ليبين أن الحكم وإن تغير من الاستحباب إلى الوجوب إلا أن العذر باقٍ.

ولذلك إذا استعرضت الآيات -يا عبد الله- فستلاحظ تكرار ذكر أهل الأعذار، فهذه هي الفائدة من ذلك.

(فَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا فَهُوَ حَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ): ثم جاء النسخ بالوجوب، وهكذا صار إلزاميا.

عباد الله: بلاغة القرآن عظيمة! (فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ). كم حكما تحتويه؟
وكم تبين؟ وإن صفة القضاء بهذه الطريقة تبين أن الصيام ليس تعطيшаً وتجويعاً ومنعاً من الشهوات لغرض الآلام والحرمان، لا؛ لا يا عباد الله! (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) [الحج:37]، الله لا يستفيد شيئا من عبادتكم، لا يستفيد شيئا من صيامنا وتجويعنا وتعطيشنا؛ ولكن لأجلنا نحن فرض هذا الصيام.

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [البقرة: 185].

(يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ): تأمل هذه العبارة! كيف جاءت ونحن نصوم في شدة الحر الآن، وأنت تسمع -يا عبد الله- قوله: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)، ولو أراد العسر لأوجبه في السفر وفي المرض وعلى الحامل وعلى الكبير؛ ولكن يريد بنا اليسر. طيب؛ وهذه المشقة؟! هذه المشقة تطاق في العادة، لو كانت لا تطاق لسقط الصيام. (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ) بالقضاء لمن لم يستطع، (فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)، (وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم): هذا التكبير عند انتهاء الصيام، وتكبروه على العبادة، وعلى الهداية إليها.

(وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)؛ يتصور الناس أن شكر النعمة يكون إذا جاء أحدهم مالٌ أو ولدٌ، فمن الذي يتصور شكر النعمة إذا جاء فرض الصيام، وجاء موسم العبادة، وتمكن منها وهو بصحته؟.

وعندما يقول ربنا (فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) نعلم بأن المسألة مسألة رؤية؛ لأن هذه لغة العرب "شهد، يشاهد، شاهد"، لا بد من الرؤية، ما يسمّى شاهد وشهد وشاهد إلا إذا كان صاحب رؤية. يشهد ماذا؟

الهلال. ليست شهادة علمية يؤديها في المحكمة أو شهادة على شيء، لا! (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ)، فكيف سيشهده؟ إذا رأى هلاله. ومن هنا يتبين أن الحكم يتعلق برؤية الهلال لا بالحسابات، (فَمَنْ شَهِدَ)؛ هذه المشاهدة التي تكون بالعين، وهذه هي الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان.

(فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ): "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، وقد علم الله أن البشر منهم الحضري والقروي والبدوي، والعامي والمثقف، والقارئ والأمي؛ ولذلك جعل لهم شرعا يناسب كل الأحوال...

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) [البقرة: 189]، لعبادتهم، وعدة نسائهم، ومعاملاتهم. هذه الأهلة جعلها الله لأجل ذلك. (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: 186]

تأمل كيف تدخل العبادات القلبية في هذا الصيام؟ (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)، والله فوق سماواته على عرشه، فما هو القرب؟ قرب المعية، معية الإجابة، معية النصرة، معية العلم. (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلٍ الْوَرِيدِ) [ق: 16]، فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي): ارتباط الدعاء بالصيام، (فَأِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)، فالله كريم، ولما قال: (أُجِيبُ)؛ يجيب، فإما أن يعطي مباشرة، وإما أن يؤخر فيزداد الداعي إلحاحا وأجرا، وإما أن يكون

المدعو به ليس من مصلحة الداعي فلا يستجيب الله له فيه، لأن الداعي لا يعلم الغيب ولا يعلم مآلات الأمور، فالله -تعالى- لا يستجيب له في هذا، ولكن؛ لأنه قال: (أُحِبُّ)، فلا بد أن يعطيه مقابل عدم الاستجابة، يعطيه خيرا آخر لم يسأله العبد، أو يمنع عنه شرا لم يستعذ منه العبد، وربما لم يخطر له ببال.

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) إذا انتفت الموانع، مثل أكل الحرام، والاعتداء في الدعاء...

وهو - سبحانه وتعالى- يُتَعَبَدُ له بالصيام، ويتعبد له بالدعاء، ويتعبد له بالاستجابة له؛ ولهذا قال: (فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي): أي: ليستسلموا لأمري، لينقادوا لشرعي، (لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) ويهتدون لأحسن المسالك، يرشدون لأحسن التصرفات، يبلغون الرشده، يبلغون النضج، يبلغون هذا الرقي العظيم، يرشدون. إن الرشده كلمة عظيمة!.

(أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ) عَلَّمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَحْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) [البقرة: 187].

(أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ): كان الواحد من المسلمين إذا بدأ الصيام ثم أفطر ثم نام لم يجز له بعد قيامه من النوم أن يأكل أو يشرب أو يجامع حتى لو قام قبل الفجر، فحصل ما حصل، فأنزل الله التخفيف وقال: (أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ)، سواء نمت أو لم تنم فإن الليل كله وقت للإتيان.

(أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ): وهذا يعني أن الشرع لا يريد أن يطمس الشهوة بالكلية، وليس شرع: (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) [الحديد: 27]، وإنما شرع يراعي الشهوات.

(أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ): ذكرنا بحقوق الزوجية في آيات الصيام، وهذه مناسبة أن يذكر بعضنا بعضا بها، في آيات الصيام قال: (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ)، تستر عليها وتستر عليك.

(هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ): لا يستغني أحد من الطرفين عن الآخر؛ لأن اللباس يحميك وأنت لا تستغني عن الحماية! (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ)؛ فكما أن اللباس يحفظ من الحر والبرد فكذلك الأزواج، الزوجة تحفظ زوجها من الحرام، والزوج يحفظ زوجته من الحرام.

(هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ): واللباس يواري العورة، ويستر، ويحفظ الأسرار، وكذلك الزوج والزوجة بينهما حفظ الأسرار، فتأمل كم من المعاني في هذه الألفاظ اليسيرة: (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ)! وتأمل ما في

هذه الكلمات من توصيف للعلاقات التي ينبغي أن تكون بين الأزواج والزوجات! تأمل في هذه الأحكام المنزلّة من ربنا رب البريات!.

(هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ): علم بما يحصل من المخالفات... وخيانة النفس معصيتها لربها، فالآن ماذا حصل؟ (فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَقًا عَنْكُمْ) ومحا الذنوب، (فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ). هل رأيتم العلاقة بين الصيام وتهذيب النفس؟.

(فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ) في الليل، (وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ): يعني الولد، ولذلك لا تحديد للنسل في الإسلام، وإنما ابتغاء ما كتب الله، وما تدري ما حملت به امرأتك أي خير لك فيه.

(وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ لَوْ وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ): نزلت لاحقاً لتوضيح غموض حصل عند بعض الناس في الفهم، فجاءت هذه الكلمات المحددة للفجر...

إذاً؛ ما حكم الإمساك قبل أذان الفجر بعشر دقائق؟ بدعة، إمساك الفجر هذا بدعة، لماذا؟ لأن الله قال: (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ).

وإننا نطمئن إخواننا -بحمد الله- أن تجاوز الدقيقتين أو الثلاثة في الأمور التقديرية الحسائية أمر طبيعي خصوصاً في عملية انتظار الفجر، أما ما يقال من أن الفارق سبع عشرة دقيقة أو عشرون دقيقة أو نصف ساعة فغير صحيح، كما أخبرنا بذلك العلماء الثقات الذين اختبروا الفجر حقيقة.

ومن أكل أو شرب ظانا بقاء الليل ثم تبين له طلوع الفجر فصيامه صحيح، وهو مغفور له خطؤه.

اللهم إنا نسألك أن تتقبل منا صيامنا، وأن تتوب علينا، وأن تجعلنا من المتقين، وأن توفقنا لحفظ حدودك يا رب العالمين.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، أكبره وأسبحه ولا أشرك به أحداً، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الرحمة المهداة، البشير النذير، والسراج المنير.

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، والشافع المشفع يوم الدين، اللهم صل وسلم وزد وبارك عليه وعلى ذريته الطيبين، وآله وخلفائه الميامين، وأزواجه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله: تكامل العبادات في الإسلام عظيم، ففي آيات الصيام: (وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ)، فذكرنا بهذه العبادة وهي الانقطاع عن الدنيا والتفرغ لعبادة الله، ولا تكون إلا في بيت من بيوت الله وهي المساجد، وأعظمها المسجد الحرام.

هذا الاعتكاف قال بعض العلماء عنه إن أقله يوم وليلة، وقال بعضهم ليلة، وقال بعضهم لا حد لأقله، وفهم بعضهم من إيراد آية الاعتكاف أثناء الصيام أن الصيام للاعتكاف شرط، وقال بعضهم: مستحب، أي: الصيام مع الاعتكاف. وهذا الحبس للنفس في الطاعة يؤدي إلى تربية عظيمة.

ثم قال -تعالى-: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا)، الحدود، ما معناها؟ إذا كنت خارج الحدود فالمقصود بالحدود المحرمات، فيقال لك: ممنوع الدخول، وإذا كنت داخل الحدود فالمقصود بها الواجبات، فيقال لك: ممنوع المغادرة. (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ) ما المقصود بحدود الله؟ هذه الواجبات التي أوجبها لا ترك لها، وهذه المحرمات التي حرمها لا اقتراب منها؛ لأنه قال: (فَلَا تَقْرُبُوهَا)، فلا تقتحموها، فإذا؛ اجعل بينك وبين الحرام مسافة: (وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنَى) [الإسراء: 32]، أي شيء يقرب من الزنا: صور، كلام، (وَلَا تَقْرُبُوا)؛ هذه الحكمة الإلهية.

قال هنا: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ)، والله لقد بين لنا ربنا! (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ): وأعاد التذكير بذلك، هذا الموسم العظيم موسم الصيام، موسم الدعاء، موسم الاعتكاف، هذا الصيام العظيم، موسم التقوى، هذا الصيام العظيم موسم الرشد والنضج؛ لأن هذه الكلمات قد جاءت في ثنايا هذه الآيات.

ولذلك لابد من حفظ الصيام ما دام أن الله -تعالى- قرنه بالتقوى، والأشياء التي تخرق الصيام كثيرة: الكذب، التزوير، شهادة الزور، الغيبة، النميمة، الاعتداء، الظلم، أكل مال الآخرين بغير حق. كل ذلك يخرق الصيام، النظر إلى شيء محرم، سماع شيء محرم.

ولما علم أعداء الله ما لهذا الصيام من الفوائد العظيمة على الأمة حاولوا بشتى الوسائل أن يقطعوا طريق الناس إليها، فهؤلاء هم قُطَاعُ الطرق في

رمضان، أتتجوا المسلسلات، وقاموا بهذه الأعمال لصرف الناس عن ثمة الصيام، وجعلهم ينشغلون بها عن الدعاء والذكر وارتباط القلب بالله. ترويج عجيب، وليس فقط قضية إثارة شهوات، بل إلقاء شبهات، وليست القضية فقط قضية إلقاء شبهات كما في هذه المسلسلات كما هو معهود، والطعن في الدين وأهله، والقضاء الشرعي وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وإنما أيضا تشويه التاريخ الإسلامي.

يا عباد الله، يا أيها المسلمون: هل تعلمون أنه سيشرح سيرة عمر بن الخطاب في المسلسل رجل نصراني سيمثل دوره! وقد تأكدنا من ذلك، وآخر باطني من الطائفة الحاقدة التي تذبح المسلمين في سوريا سيمثل دور رجل كبير من أكابر الصحابة.

فهل عجزنا عن الإطلاع على سيرة عمر إلا من خلال رجل نصراني يجسد دوره لنا؟ وأي شخصية عمرية التي سيعرضون؟! شخصية عمر القوي في أمر الله، صاحب الدرة، المنافح المكافح، الذي دافع الشبهات وأغلق أبواب الفتن عن المسلمين، ونادى بالحجاب، وتمنى منع الخمر، وفعل وفعل، أم شخصية أخرى سيصيغونها؟!

يا عبد الله يا مسلم: أربعمئة وألف سنة والأمة تعرف تاريخ أطفالها وكبارها بأي طريق؟ بالخطب، بالدروس، بالكتب، تقرأ التاريخ، لذلك لا بد أن نعرف حجم المؤامرة على رمضان، وعلى الإسلام، وعلى تاريخ الإسلام. إنهم -والله- لا يريدون خيرا لهذا الدين.

اللهم إنا نسألك لإخواننا في الشام عاجل الفرج يا رب العالمين...



عنوان الخطبة	تأملات قرآنية
عناصر الخطبة	1/ فضل القرآن وتنميته للإيمان 2/ بعض عجائب القرآن الكريم 3/ أهمية تدبر القرآن ومدارسه
الشيخ	محمد صالح المنجد
عدد الصفحات	13
رقم الخطبة في الموقع	5666

الخطبة الأولى: إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أصدق الحديث كتاب الله، فيه خبر من قبلنا، ونبا من بعدنا، وحكم ما بيننا؛ هذا الكتاب الذي جعله الله - سبحانه وتعالى - حبلاً ممدوداً بيننا وبينه، فيه

آيات بينات، نور وبركة، وهو شفاء لما في الصدور، (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ) [المائدة:16].

معجز في لفظه، معجز بما حواه؛ هذا القرآن العظيم لو تدبر فيه المسلم لرأى فيه ما يحير الألباب، لرأى فيه ما يثبت على طريق الهدى والصواب، لرأى فيه الحكم والأحكام والمواعظ والأخبار والقصص والأمثال.

ولرأى فيه وحدانية الله تعالى، والدلالة على ذلك، والأوامر الإلهية، والأحكام؛ وكذلك يرى ما فيه ما يدهش في صياغته، ولفظه، وما يحويه من المعاني.

وإذا تأملت -يا عبد الله- ما في هذا القرآن من العجائب، فإنه يزيدك إيماناً، وتنتقل من مجرد القراءة إلى التأثر، ومن السماع إلى الاستماع، ومن الاستماع إلى الاستمتاع والتلذذ بكلام الله -سبحانه وتعالى-، وهذا ما ينبغي أن يرتقي المسلم فيه بنفسه.

فإذا تأملت ما فيه من النظم العجيب، وكيف يدل التقديم والتأخير فيه على أمور متعددة، لوجدت عجباً.

فمن ذلك وأنت تقرأ في سورة الفاتحة: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) [الفاتحة:5]: قدم المفعول به على الفعل، وأصل الجملة نعبد إياك، يتقدم الفعل أولاً، فلماذا قدم المفعول هنا وقال: (إياك نعبد)؟ وما الفرق بين إياك نعبد ونعبدك؟.

الجواب: إن هذا التقديم والتأخير يفيد الحصر، (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) تعني: لا نعبد إلا أنت، كما قال تعالى: (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ) [الزمر:66].

حصر العبادة فيه - سبحانه-، ففيها عدم إشراك أحدٍ معه، بينما لما قال: (اهدِنَا الصِّرَاطَ) [الفاتحة:6]، ما قدم وآخر هنا كما سبق، ما قال: إيانا اهد، وإنما قال: (اهدِنَا)، فقدم الفعل أولاً؛ لأن الهداية ليست محصورة فينا، بل يهدينا ويهدي غيرنا؛ ولذلك أنكر النبي - صلى الله عليه وسلم - على الأعرابي لما قال: ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، فقال: "لقد حجرت واسعاً" رواه البخاري.

عندما تتأمل في هذا النظم العجيب، لما مر سليمان وجنوده على وادٍ للنمل: (قالت نملة): (يا) نادى، (أيها) نبّهت، (النمل) خصت، (ادخلوا) أمرت، (مساكنكم) عينت، (لا يحطمنكم) حذّرت وأكدت، (سليمان) خصت، (وجنوده) عمت، (وهم) أشارت، (لا يشعرون) اعتذرت؛ حيث بينت عذر نبي الله سليمان بأنه حطم بمن معه النمل وهو غير مدرك لوجوده.

وعندما تتأمل الاختصار، وكيف تعرض الأحداث بشكل سريع في كلمات وجيزة وجمل قصيرة، كما ذكر ربنا في نهاية قوم نوح، (وَقِيلَ) الفعل المبني للمجهول، (يَا) النداء، (أَرْضُ ابْلَعِي) أمر، (مَاءكِ)، (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [هود:44]. دعاء عليهم.

هكذا توالى في إيقاع سريع هذه الجمل القصيرة التي فيها كل القصة.

بعد الإهلاك، ماذا حصل؟ (وَقِيلَ يَا أَرْضُ) والله ينادي مخلوقاته فتستجيب، كما قال في آية أخرى عن السماوات والأرض: (إِنِّي طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) [فصلت: 11].

هذا البيان وهذه الفصاحة والبلاغة هي التي جعلت العرب وهم في قمة البلاغة لما نزل القرآن ما كانوا في تخلف بلاغي مثل الآن، كانوا في قمة البلاغة والفصاحة، معلقاتهم على الكعبة التي فيها ذلك البيان وتلك الفصاحة، لكن لما نزل أعجزهم أسكتهم، كما قال بعض أئمة اللغة وهو مار يقوم فرأى جارية قد حملت قربة ماء فعجزت عنها فوقعت فانكسر فم القربة، وهي تقول: "يا عم - تريد الاستعانة به - أدرك فاهها، غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها".

قال: "ويحك! ما أفصحك!"، قالت: "لا فصاحة بعد القرآن، فإن الله في آية واحدة ذكر خبرين وأمرين ونهيين وبشارتين، (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ) خبر، (أَنْ أَرْضِعِيهِ) الأمر الأول، (فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ) إخبار لها بأن ذلك سيقع، وماذا ستعمل عنده، (فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) الأمر الثاني، (وَلَا تَخَافِي) النهي الأول، (وَلَا تَحْزَنِي) النهي الثاني، (إِنَّا رَأَدُّهُ إِلَيْكِ) البشارة الأولى، (وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) البشارة الثانية. (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَأَدُّهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) [القصص: 7].

وترى ما في القرآن من التقديم والتأخير مدهشاً، فعندما ذكر الثقلين في موضع قدم الإنس وفي موضع قدم الجن، فقال سبحانه: (قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: 88].

بينما قال في آية أخرى: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) [الرحمن: 33]. كلاهما في معرض التحدي، الأول: التحدي في الإتيان بمثل كلام الله، والثاني: التحدي أن ينفذوا يوم القيامة من حصار الملائكة التي تطوقهم، فلا يستطيع أحد أن يخترق؛ لأنه لا سلطان إلا سلطان الله، (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ) [الحاقة: 29].

(لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) [الرحمن: 33]، ولا سلطان لكم! فلماذا قدّم الإنس في معرض التحدي بالقرآن للإتيان بمثل القرآن، وقدام الجن في معرض التحدي بالنفوذ من أقطار السماوات والأرض والهرب؟.

الجواب: لأن الإنس في باب الفصاحة والبلاغة والبيان أقدر من الجن، ولذلك قال: (قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: 88].

بينما الجن أقدر من الإنس في النفاذية والاختراق والطيران؛ ولذلك قدمهم في التحدي في الهرب والاختراق يوم القيامة فقال: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ

إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ [الرحمن: 33]. ترى الألفاظ اختيرت بعناية.

نوح -عليه السلام- قال عنه: (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) [العنكبوت: 14]، ما قال: ألف سنة إلا خمسين، ولا قال: ألف سنة إلا خمسين سنة، وكلها أعداد: ألف وخمسين، قال: (أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا)، فلماذا كانت السنة تمييزاً للألف والعام تمييزاً للخمسين؟.

من المعروف في لغة العرب أن كلمة السنة تأتي بمعنى الشدة والقحط، "واجعلها عليهم سنيا كسني يوسف" رواه البخاري. (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ) [الأعراف: 130]، قحط.

وكانت المدة التي قضاها نوح في قومه سنوات شدة، قحط، فعدد المدعوين الذين استجابوا قليل جداً، كانت سنين كرب وشدة، فمن قومه إيذاء وحصار، بينما كانت الخمسين التي قضاها بعد هلاكهم هو والذين نجوا معه وآمنوا كانت سنوات طيبة، ولذلك عبر بالسنة هناك وبالعام هنا، كما قال يوسف عليه السلام: (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ) [يوسف: 49].

أنت ترى -يا عبد الله- حسن اختيار الكلمات، والعناية بذلك في التعبير عن الأمر الطيب والأمر السيئ.

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) [الفاتحة: 6-7]. أضاف الإنعام إلى نفسه: (أَنْعَمْتَ) إضافة صريحة مباشرة، (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ)

مبني للمجهول، ما قال: غير الذين غضبت عليهم، تعليماً للأدب في الخطاب، ولذلك قالت الجن: (وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) [الجن:10]، ففي الرشد والأمر الحسن جاء التعبير: (أَرَادَ) مباشر، في نسبة ذلك إليه، وفي الشر أُرِيدَ، (أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ) فجاء التعبير بالمبني للمجهول، مع أن الله هو الذي أراد في الحالين، لكنه أدب الخطاب!.

قال الخليل: (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي) [الشعراء:78-79]، فنسب الفعل إلى الله مباشرة لما كانت أشياء طيبة: خلقي، يهديني، يطعمني، يسقيني، قال: (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي) [الشعراء:80]، ما قال: يمرضني، إذا مرضني، وإنما قال: (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي)، والشفاء أمر طيب، فأضافه مباشرة إلى الله.

وعبد الله الصالح الخضر قال في خرق السفينة وعيب السفينة: (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا)، وفي قضية إنقاذ الوالدين من الولد الكافر وكذلك في تنشئة الولدين الغلامين في المدينة، (فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ)، (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْ زَكَاءٍ وَأَقْرَبَ رُحْمًا)؛ لأن الإبدال خير، فنسبه إلى الله مباشرة وذكر الفاعل.

إذا تأملت ختام الآيات فهو عجب عجاب، ويروى أن الأصمعي -رحمه الله تعالى- لما كان جالساً في المجلس وقرأ قول الله: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوْا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ) [المائدة:38]، سها وقال: والله غفور

رحيم، وكان بجانبه أعرابي جالس فقال: ما هذا؟ قال: كلام الله، قال: ليس هذا بكلام الله، فانتبه الإمام رحمه الله وأتى بالآية كما هي: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءَ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)، وكان من قبل قد قرأها والله غفور رحيم، فأنكر الأعرابي أن يكون ختم الآية بغفور رحيم أن يكون كلام الله، فقال الأصمعي للأعرابي: تقرأ القرآن؟ يعني تحفظه. قال: لا، قال: كيف علمت؟ قال: هذا ليس موضع رحمة فيغفر، ولكنه موضع عزة فيحكم.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من أهل القرآن، بارك لنا في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، خلق فسوى، وقدر فهدى، وأنزل الكتاب فيه آيات محكمات، وجمعه في صدر نبينا - صلى الله عليه وسلم -، فلم ينس منه شيئاً.

أشهد أنه رسول الله، الرحمة المهداة البشير والنذير، والسراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله، وصحبه، وذريته الطيبين، وأزواجه، وخلفائه الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله: هذا القرآن ثروة عظيمة، هذا القرآن مائدة كبيرة، هذا القرآن ما قدره كثير من المسلمين حق قدره، فلا يزال مهجوراً بينهم، تارة هجر تلاوة، وتارة هجر تدبر، وتارة هجر عمل، وتارة حتى هجر استشفاء به، أهملوا ذلك.

لا بد من العودة للقرآن، لا بد من التلاوة بعناية، لا بد من معرفة التفسير للتدبر، فإنه والله فيه الأعاجيب!.

وأنت ترى هذه الكلمات وهذا التعبير (مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِعًا لِلشَّارِبِينَ) [النحل: 66].

لبناً! الفرث والدم مستقذران، بقدرة الله ينشأ من بينهما لبن خالص من الشوائب، ليس فيه مثل الفرث شوائب، سائغ، ليس مثل الدم مقرف في شربه لا يستسيغه أهل الفطر السليمة.

تجد الترتيب في الكلمات، (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) [النحل: 68]، تجد التدرج في النزول، فإن من النحل نحل جبلي يكون في الجبال في أعاليها يتخذ بيوتًا، (مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا)، ومنها ما هو شجري، (وَمِنَ الشَّجَرِ)، خلاياه تحت، (وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) ما يصنعه الناس لها للنحل، وهذا أسفل من الشجر، فتأمل كيف تدرج في النزول: الجبال، الشجر، يعرشون، ورتب. ليس هناك عشوائية ولا فوضى، كل كلمة لها دلالة، وكل حرف له دلالة، وكل ترتيب في الكلمات له دلالة. في معرض تقبيح الفاحشة، في تلك الكلمات التي ذكرها ربنا عن النسوة في امرأة العزيز، ماذا فعلت؟ (امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ) [يوسف: 30]، امرأة، أنثى، والزنا من الذكر قبيح ومن الأنثى أقبح؛ لأن فيها حياء أكثر مما في الذكر، ولذلك قال: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ) [النور: 2]، فقدم الزانية، مع أن الزنا منهما جميعاً قبيح.

(امْرَأَةُ الْعَزِيزِ) إذاً هي متزوجة، ليست عزباء، والزنا من المتزوجة أقبح، فقد كفاها الله وأغناها وأعفها بزوج، فلماذا تزني؟ لماذا تريد الفاحشة؟. (امْرَأَةُ الْعَزِيزِ)، العزيز! إذاً هذا صاحب مرتبة اجتماعية عالية، فهذه ليست من سقط القوم والمفترض في أصحاب المراتب الاجتماعية العالية المحافظة على السمعة، ومع ذلك تريد الفاحشة.

(امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ)، العادة أن المرأة مطلوبة والرجل طالب، حتى في النكاح، لكن أن تكون هي الطالبة وهو المطلوب، إن عكس هذا يدل على قبح

إضافي! تراود هي بنفسها، ثم تراود مَنْ؟ (فَتَاهَا)! إذا؛ لم تراود رجلاً في مثل طبقها الاجتماعية، من الذي راودت إذا؟ عبدها! مملوكها! خادمها! هذا أقبح! (امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا): تحوي هذه المعاني في هذه الكلمات القليلة نظماً قرآنياً معجزاً، ولكل حرف دلالة.

(فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) [الكهف: 97]، لماذا أضيفت التاء في النقب وحذفت في الظهور على السد؟ لا بد لكل زيادة في المبنى من زيادة في المعنى، فما هي الزيادة في المعنى التي أضافتها إضافة التاء؟ أيهما أصعب: الظهور على السد والارتقاء من فوق أم النقب والخرق؟ وهذا سد من قطع من حديد؛ (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ) [الكهف: 96]، جمعت بإرشادات وخطة ذي القرنين رحمه الله لهؤلاء القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً، في غاية التخلف، علمهم الصناعة، وكيف يحمون أنفسهم، ووضع خطة العمل، (زُبَرَ الْحَدِيدِ)، ثم أججوا النيران، هاتوا المنافخ، انفخوا، فصارت النيرات تصهر قطع الحديد لتلتحم مع بعضها البعض في جسم واحد يملأ ما بين السدين، الجبلين، انفخوا.

(حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا)، طبقة واحدة منصهرة، قال: (آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) النحاس المذاب، نحاس مذاب يصب فوق هذا السد الحديدي، حديد ملبس بالنحاس، سبيكة في غاية المتانة والصلابة، اختراقها صعب جداً جداً، أصعب من الارتقاء عليه؛ ولذلك قال: (فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا)، والأمثلة كثيرة جداً.

يا عباد الله: ونحن نرى هذا الإعجاز العظيم في كلام الله - سبحانه وتعالى - نرى العجب العجاب فيه، حتى في التشبيه، لما وصف شجرة الزقوم قال: (أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ) [الصفات: 62-65].

شجرة الزقوم من عالم الغيب في جهنم، ليست موجودة في الدنيا، ورؤوس الشياطين بالنسبة لنا من عالم الغيب؛ لأننا لا نراهم، ولم نر الشيطان، فشبه غيباً بغيب، (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ)، فكيف شبه غيباً بغيب ونحن لم نر هذا ولا هذا؟ الجواب: أنه أراد بيان قبحها، وقد استقر في النفوس أن الشياطين في غاية القبح شكلاً ومضموناً؛ ولذلك جرى في التشبيه على ما استقر في النفوس من قبح الشياطين، فقال عن شجرة الزقوم: (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ)، قبيحة المنظر جداً.

للحرف الواحد دلالات، (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) [الضحى: 5]، ما هو الفرق بين السين وسوف؟ ما هو الفرق بين سيعطيك وسوف يعطيك؟ الجواب: إن سوف تدل على مزيد من التنفيس ومزيد من طول الأمد، ولذلك سميت حرف تنفيس؛ لأن الزمن فيها أطول، فكأنه يقول له: سيعطيك الله فاصبر، وإذا ما جاءت العطية الآن لا تيأس وعليك بالصبر والعطية ستأتي ولا بد.

عباد الله: لا تنقضي عجائب القرآن، ومهما استغرق المستغرقون في دراسته والتأمل فيه والنظر والمقارنة والبحث والتدبر فلن تشبع النفوس، ولن تنقضي عجائب القرآن، لكن بلا تفسير، بلا معرفة المعاني، كيف ستتدبر؟ لا بد من معرفة المعاني، اقرأ ولو التفسير الميسر، ولو تفسيراً مختصراً، ثم تحيي سنة المدرسة في بيتك مع أهلك وأولادك على مائدة هذا القرآن العظيم.

اللهم اجعلنا من أهلك؛ أهل القرآن، علمنا منه ما جهلنا، وذكرنا منه ما نسينا، وارزقنا تلاوته أنا الليل وأطراف النهار، اللهم اجعلنا به عاملين، وعلى هديه سائرين، وبنوره مستبصرين يا أرحم الراحمين.

عباد الله: الله عز وجل ذكر الظلمات بالجمع والنور بالإنفراد، وقال: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) [الأنعام:153]، الصراط المستقيم بالإنفراد والسبل بالجمع؛ ليبين لنا أن طريق الحق واحد. اللهم...



عنوان الخطبة	تبسيط علم الفرائض لعامة الناس
عناصر الخطبة	1/ الشريعة مبنية على حكمة الله وعلمه 2/ بيان قسمة التركات 3/ الشريعة جاءت بالعدل لا بالمساواة 4/ الحكمة من تفضيل الذكر في الميراث 5/ أسس علم الفرائض
الشيخ	الشيخ/ محمد صالح المنجد
عدد الصفحات	13
رقم الخطبة في الموقع	2784

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

الحمد لله الحكيم العليم، الحكم العدل الخبير، سبحانه وتعالى، حكم يحكم، وحكيم يطابق حكمه حكمته، خير -سبحانه وتعالى- بالأمور، عدل يضع

الأشياء في مواضعها، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وهو -عز وجل- يعلم مصالح العباد، وما هو الأنفع لهم.

ومن الأحكام العظيمة التي جاء بها ربنا في كتابه؛ القضاء في الأموال التي يحبها الناس، (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) [العاديات:8]، (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) [الفجر:20]، ولم يُوكل الله تعالى للعباد التصرف المطلق في أموالهم، بل حكم فيها بأحكام، والعباد لهم أهواء، والله -عز وجل- يرشد عباده إلى الحق والصواب.

فمن الأحكام التي جاءت في الأموال الموارِيثُ والفرائضُ، التي قال فيها ربنا -عز وجل-: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) [سورة النساء:11]، والوصية عهد وميثاق، فالموصي هو الله، والموصى نحن، وموضوع الوصية المال بعد الموت، والموصى إليه الأولاد.

وقد جرت العادة، والفطرة، والخلقة؛ أن الإنسان يحب أولاده، ويعمل لمصلحتهم، فهل يحتاج بعد ذلك إلى وصية؟ الجواب: نعم، وتدل الآية على أن الله أرحم بأولادنا منا، وأعرف بمصلحة أولادنا منا، وأعلم بتقسيم الأموال في الأولاد بعد الموت منا، فقال: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) [النساء:11]، والأولاد: جمع ولد، وهو كل ما ولد سواء كان ذكراً، أو أنثى، فالناس يقولون: عنده ولد وبنت، والصحيح عنده ابن وبنت؛ لأن الولد يشمل الذكر والأنثى، فتقول: فلان عنده خمسة أولاد مثلاً، ثلاث بنات، وابنان، والمجموع خمسة أولاد.

فالأولاد الذكور والإناث داخلون جميعاً في الآية، فهم أقرب الورثة إلى الميت، فهو يتكفل بهم في حياته، وينفق عليهم، وهم في حياته أولى الناس بماله، ولذلك لو ضاق على الإنسان الأمر في ماله، فإنه بعد أن ينفق على نفسه؛ ينفق على الأولاد والزوجة، ويكون ما تفرع عنه أقرب من أصوله في النفقة. ولما كانوا أحق بماله في حياته؛ كانوا أحق بماله بعد مماته، فبدأ بهم فقال: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ) [النساء: 11] فهناك قاعدة في الميراث، وهناك قانون، وليست القضية فوضى، فلا توكل للغرب، ولا للشرق، ولا لحكماء العالم، ومفكره، وإنما مصدرها من الله، فهو قانون إلهي، سواء قالوا: هذا ظلم للمرأة، أو ما قالوا، لا يهمنا، فهذا حكم من الحكيم فوق الجميع.

والشريعة لم تأت بالمساواة، وإنما جاءت بالعدل، وهذا قضية لا يعرفها كثير من الناس، ويضلون بسببها، ويظنون أن الشريعة جاءت بالمساواة المطلقة، وهذا غير صحيح، فالشريعة جاءت بالعدل، فساوت بين المتماثلين، وفرقت بين المختلفين.

فالشريعة لا تساوي بين المسلم والكافر، فهل الذي يقول: إن الله واحد؛ مثل الذي يقول: إن الله ثلاثة؟! وهل الذي يقول: إن الله لا يحتاج إلى زوجة، ولا إلى ولد، فهو أحد صمد، لم يلد ولم يولد؛ مثل الذي يقول: إن له صاحبة هي مريم، وولد هو عيسى؟! وهل الذي يقول: إن الله غني، قوي، كريم؛ مثل

الذي يقول: إن الله فقير، ونحن أغنياء؟! مثل الذي يقول: يد الله مغلولة؟! غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا، فلا يمكن أن تسوي الشريعة بين المسلم والكافر. وكذلك ليس الذكر كالأنثى، لا في الطبيعة، ولا في الجسد، ولا في العقل، ولا في الخلقة، ولا في العواطف؛ ولذلك جعلت الشريعة أحكام الذكور غير أحكام الإناث، فالشريعة ما جاءت بالمساواة المطلقة، وإنما جاءت بالعدل، فلا تفرق بين المتماثلين، فالذكور يأخذون مثل بعض، سواء كانوا صغاراً، أو كباراً، فالشريعة لم تفرق بين الكبير والصغير، أليست درجة قرابتهم من الميت واحدة؟ فكلهم ذكور، وهو أبوهم، إذن سيرثونه متماثلين، والإناث يرثن متماثلات، أليس درجة قرابتهم من الميت واحدة، فكلهن يرثن سواء.

لكن، هل سوت الشريعة بين الذكر والأنثى من كل الوجوه؟ الجواب: لا. وهذا الفرق بين المسلم وغير المسلم، وبين الشرعية الإلهية، والأحكام الوضعية، وبين القرآن وبين دساتير الأرض الوضعية.

سبحان الله! الجاهلية لا تعطي الأنثى شيئاً البتة، وجاهليات أخرى تريد أن تعطيها مثل الذكر، وشريعة الله وسط، والأمر في ذلك واضح؛ فالرجل هو الذي ينفق، والمرأة ينفق عليها ولا تُنفق، فهي غير مكلفة بالإنفاق، ولذلك لابد أن يكون نصيبه أكبر.

والرجل هو الذي يدفع المهر، والمرأة هي التي تأخذه، والرجل ملزم بالنفقة على أولاده، أما الأم فلا تنفق مع وجود الأب، والرجل مكلف بالإنفاق، فلا بد أن يكسب، والمرأة تدير شؤون البيت، فالذكر يحتاج إلى رأس مال

ليعمل، ويتاجر، ويكسب، فيشتري آلة حرفته، أو رأس مال تجارته من هذه النقود، فمال الرجل ينتظر النقصان، ومال المرأة ينتظر الزيادة.

ولذلك البنت قبل الزواج مالها محدود، وبعد الزواج يصبح لها مهر، وذهب، ونفقة، ثم تأخذ، وتجد أن كثيراً من النساء عندها ثروة في آخر حياتها؛ فمن طالب بالتسوية بين الذكور والإناث فهو ضال، ولا ينكر هذا إلا من أعمى الله بصيرته؛ لأن الله عز وجل حكيم، وشرعه موافق ومطابق للواقع، ولحاجة الناس، وللضرورة، وللحكمة في مجريات الأمور، حتى الإخوة والأخوات.

مات ميت، وليس له فروع، ولا أصول، لكن له إخوة وأخوات، فكيف يرثونه؟ قال -عز وجل- في آخر السورة: (وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [النساء: 176]، فالحكم واحد، (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)، أي: الذي يحيد عن هذا القانون الإلهي ضال.

وهل يجوز أن تمنى المرأة أن تكون رجلاً، وتود أو تطلب الأنثى أن تكون ذكراً؟ الجواب: لا، قال تعالى: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) [النساء: 32].

عباد الله: من نظر في الشريعة عرف حكمة الشارع في هذا الأمر، حين أعطى المرأة نصف حظ الرجل؛ لأن إعالة الأنثى فريضة على الذكر، فراعته الشريعة الأعباء المالية التي على الرجل.

ثم قال -عز وجل- في آية المواريث: (فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ) [النساء: 11]، فلو كان أولاد الميت إناثا، وليس هناك ذكر، وكن فوق اثنتين، أو كن اثنتين، كما ثبت بالدليل؛ فيكون نصيبهن الثلثين.

ثم قال تعالى: (وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ) [النساء: 11]، فلو ترك بنتاً واحدة؛ فتأخذ النصف، والباقي يذهب إلى العصة، فهناك ناس لهم علاقة بالميت، فلا بد من مراعاتهم، "ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فهو لأولى رجل ذكر"، فهؤلاء العصة الذكور عليهم واجبات، ففي بعض حالات القتل يدفعون الدية عن القاتل في القتل الخطأ، ولذلك يأخذون من الميراث في بعض الحالات، فكما يعطي في الدية، فكذلك يأخذ في الميراث نصيباً، كما لو ترك الميت بنات فقط، فالباقي للعصة لأولى رجل ذكر.

ثم قال تعالى: (وَلَأَبْوَاهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ) [النساء: 11]، فلا يمكن أن يُنسى الأبوان، فحقهما عظيم، فلو كان للميت أولاد فلا يترك الأبوان مع وجود الأولاد، فيرث كل من الأبوين السدس، وهنا ساوت الأم الأب، وأعطى لكل منهما السدس. أما إذا كان للميت إخوة، أو أخ، ماذا يكون وضع الوالدين؛ كإنسان مات، وليس له أولاد، وعنده أخ، أو أكثر؟ قال تعالى: (فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلَأُمُّهُ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَأُمُّهُ السُّدُسُ) [النساء: 11]، فيكون للأم الثلث، وللأب الثلثان؛ وهكذا إن كان للميت أخ واحد، فالقسمة نفسها، فإن كان له إخوة فلأُمه السدس، فينزل نصيب الأم من الثلث إلى السدس، ويرث الأب الباقي.

وإنما نزل نصيب الأم، وارتفع نصيب الأب مع أن الإخوة لا يرثون شيئاً؛ لأنه لما صار هناك أكثر من أخ للميت وليس هناك أولاد للميت، تعاظمت مسؤولية الأب في الإنفاق على الإخوة، فسينفق عليهم، وسيزوجهم فهم أولاده، وهم إخوان الميت، فارتفع نصيبه هنا، وصار للأم السدس فقط.

وكل هذا التقسيمات (مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا) [النساء: 11]، فتصدق الله علينا بثلث أموالنا بعد مماتنا، فالأصل أنه ليس لنا حكم في أموالنا بعد الموت، ولا سلطان عليها، ولكن تصدق الله علينا بثلث أموالنا بعد موتنا؛ نتصرف بها في حياتنا، ونقول الثلث من مالي يصرف في كذا وكذا وصية، وكذلك الربع، أو الخمس كوصية الصديق الخمس، فلا بد أن تقضى الوصايا، وتؤخذ، ويعتنى بها، (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: 181].

(أَوْ ذَيْنِ) أي: الدين الذي على الميت لا بد أن يقضى قبل الميراث، فهذه حقوق العباد، ولا يمكن التفريط فيها.

ثم أخبرنا تعالى عن علمه بعواقب الأمور، وأنه أبصر منا بنا، وبذريتنا، وبورثتنا فقال: (آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا) [النساء: 11]، أي: يا أصحاب الأموال والتركات، أنتم لا تعرفون من الوارث الأنفع لكم، ومن هو الأكثر فائدة لكم، سواء في الدنيا ببره وإحسانه، أو في الآخرة بصلاحه، ودعائه لكم، والصدقة عنكم، والعمره عنكم، وأعمال البر لكم، فلو جعل الله لكم قسمة التركات لأعطيتهم الولد الفلاني أكثر من الولد الفلاني، ولحرمتم

فلاناً، وورثتم فلاناً؛ ظناً منكم أن هذا أقرب نفعاً لكم، ولكن الله عز وجل أعلم.

(فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ) [النساء: 11]، أي: هذا الكلام كله فريضة، وحكم، وملزم، ولا محيد عنه، ولا خروج، ولا يستطيع أي إنسان أن يجحده، ولا أن يخالفه، إلا إذا كان من أهل النار؛ (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيمًا) [النساء: 11]، أي: عليم بالأفئدة، والأصلح، حكيم - سبحانه وتعالى - يعلم وضع الأمور في مواضعها.

اللهم إنا نسألك الفقه في الدين، والالتزام بحبلك المتين، واتباع سنة نبيك الكريم، صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله العزيز الوهاب، الكريم التواب، الهادي إلى سبيل الحق والصواب،
أشهد أن لا إله إلا هو العلي العظيم، الغفور الرحيم، وأشهد أن محمداً عبد
الله ورسوله، النبي الكريم، صلى الله عليه، وعلى آله، وذريته الطيبين، وزوجاته
الطاهرات العفيفات، أمهات المؤمنين، وأصحابه الكرام الميامين، وخلفائه
الغر، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله: لم يترك ربنا أحداً إلا وبين حكمه، ولم يترك شيئاً إلا وفصل أمره،
فالأزواج والزوجات العلاقة بينهما عظيمة، ولذلك بين الله ما لكل واحد
منهما فقال: (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ) [النساء: 12]، أي: لا ذكر ولا أنثى، لا منكم ولا من غيركم، لا منك أيها
الزوج، ولا من زوج سابق، وماتت في عصمتك، فترث أنت نصف ما تركته.
(فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ) فلا بد أن يراعى وضع الولد، والباقي
للأقرب من ذوي الفروض، (مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ) [النساء: 12]، تأكيداً على موضوع الوصية والدين.

ثم حدد تعالى نصيب الزوجة من تركة زوجها: (وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ
يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ) [النساء: 12]، أي: لا منها ولا من غيرها، لا ذكر ولا أنثى.
أما إذا طلق الرجل زوجته في مرض موته، أي: مرض الموت، المرض الخطير،
الذي يؤدي غالباً إلى الهلاك؛ كالسرطان، وأراد أن يحرمها، فإنها ترث منه

رغمًا عنه حتى لو خرجت من العدة، معاملة له بنقيض قصده، ما لم تتزوج بعد العدة، فإذا تزوجت، ومات، فلا يكون لها شيء.

(فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ) [النساء: 12]، أي: فللزوجة الثمن إن كان للميت أولاد.

وأما إذا كان له أكثر من زوجة، فإنهن يتقاسمن الربع، أو الثمن إذا كان له أولاد، كل هذا؛ (مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ ذَيْنِ) [النساء: 12].

وهناك حالات يموت الرجل كلاله، أي: لا أصول له، ولا فروع، أي: من غير ولد، ولا والد، من غير أب ولا أم، ولا جد ولا جدة، ولا ابن ولا بنت، ولا حفيد ولا حفيدة، خاليًا من الأصول والفروع، فهل تركه ربنا؟.

الجواب: لا، بل بين حكمه، فقال: (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً) [النساء: 12]، أي: مات وليس له أصول ولا فروع، وإنما حواشي من إخوة وأخوات، (وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ) [النساء: 12]، من الأم كما بينت الأدلة الأخرى، (فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ) [النساء: 12]، أي: من غير تفضيل للذكر على الأنثى، فهذه حالة أخرى تستوي فيها المرأة مع الرجل، والذكر مع الأنثى في الميراث، وهي الإخوة والأخوات لأُم؛ إذا كان الميت كلاله، وترك إخوة وأخوات من الأم، فلكل واحد منهما السدس.

(فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلْثِ) [النساء: 12]، أي: هم شركاء يتقاسمون الثلث بالسوية، فنصيب الإخوة لأُم لا يزيد عن الثلث مهما

كثُر عددهم، كل هذا؛ (مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ)
[النساء:12].

عباد الله: علم الفرائض علم عظيم، والله -عز وجل- لما ختم الآية قال:
(وَصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ) [النساء:12] أي: في أحكام الموارث،
وقال: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ) [النساء:13]؛ ولذلك ينبغي علينا أن نتعلم هذه
الأحكام، وأن لا يُنسى علم الموارث، وهو علم جميل لطيف.

على الأقل علينا أن نعرف بعض أسسه، وضوابطه، ومن ذلك:
- أنه لا يرث أحد من الحواشي - وهم الإخوة، والأخوات، والأعمام، وأولاد
الأعمام - مع وجود أصول الميت أو فروعه.

- أن الله سبحانه وتعالى قد بين لنا في كتابه العظيم الأنصبة، وهي سهلة
جداً، وهي ستة: النصف، ونصفه وهو الربع، ونصفه وهو الثمن، والثلثان
ونصفها وهو الثلث، ونصفه وهو السدس، فالفرائض في كتاب الله لا تتعدى
هذه الستة، ولكل فرض منها أصحاب.

- أن كل وارث من الأصول يحجب من فوقه، وكل واحد من الفروع يحجب
من تحته، فالأب يحجب الجد، والجد لا يرث شيئاً مع وجود الأب، والابن
يحجب الحفيد، فالحفيد لا يرث شيئاً مع وجود الابن، وهكذا.

- أن كل من انفرد من الرجال، أو النساء يحوز جميع المال، فإذا ترك الميت
ابناً واحداً أخذ كل المال، وإذا لم يترك إلا الأب فإنه يأخذ كل المال، وهكذا
الأخ، وابن العم يأخذ كل المال، ويستثنى الزوج والزوجة فلهم حالات خاصة.

وهكذا قواعد علم المواريث المبني على الحساب أيضاً، فمن أجل ما تستعمل فيه الرياضيات والحساب علم المواريث.

نسأل الله عز وجل أن يرحمنا برحمته، وأن يرزقنا من فضله، وأن يتوب علينا، اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، واقض ديوننا، وارحم موتانا، واشف مرضانا، ورد غائبنا، واهد ضالنا يا أرحم الراحمين، اغفر لآبائنا وأمهاتنا.

اللهم إنا نسألك الصلاح في النية والذرية يا أرحم الراحمين، اللهم نسألك جنات النعيم، نسألك نعيماً لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، نسألك الفردوس الأعلى، أدخلنا الجنة بغير حساب، يا وهاب يا كريم، تب علينا يا تواب، لا تفرق جمعنا هذا إلا بذنب مغفور، وعمل مبرور، وسعي مشكور، وتجارة لا تبور يا رحيم يا غفور، آمنا في الأوطان والدور، وأصلح الأئمة وولاة الأمور، وتب علينا وأصلح شأننا، إنك أنت السميع العليم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.



عنوان الخطبة	حسن الظن بالله
عناصر الخطبة	1/ حسن الظن بالله من صميم التوحيد 2/ بحسن الظن بالله تنال رحمة الله 3/ نحسن الظن بالله ولا نتواكل 4/ أبشر أتك رزق الله 5/ لا تكن من هؤلاء 6/ النصر للإسلام وأهله
الشيخ	محمد صالح المنجد
عدد الصفحات	14
رقم الخطبة في الموقع	7485

الخطبة الأولى: الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: 102]، (يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء: 1]، (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب: 70-71]. أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله

عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ترى كثيراً من الناس يقعون في مصائب وأزمات؛ فيدعون الله كثيراً، فإذا تأخرت الإجابة استحسروا، وتركوا الدعاء، وقالوا: لا يريد الله أن يستجيب لنا، ونحو ذلك من الأمور، أولئك أناس أساءوا الظن برهم، ولو أحسنوا الظن بالله لما تركوا الدعاء.

إخواني: إن حسن الظن بالله تعالى من صميم التوحيد، حسن الظن بالله من واجبات التوحيد، إن الله تعالى مدح الذين أحسنوا الظن به، وأثابهم، وذم الذين أساءوا الظن به، فقال الله عنهم: (يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ) [آل عمران: 154]، فحسن الظن من العبادات القلبية التي طالما غفل عنها كثير من المسلمين، قال الله تعالى في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي؛ فليظن بي ما شاء"، وقال الله تعالى: "أنا عند ظن عبدي بي؛ إن ظن بي خيراً فله، وإن ظن شراً فله"، وقال الله تعالى: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني"؛ ولذلك ترى كثيراً من الناس يقعون في مصائب وأزمات؛ فيدعون الله كثيراً، فإذا تأخرت الإجابة استحسروا، وتركوا الدعاء، وقالوا: لا يريد الله أن يستجيب لنا، ونحو ذلك من الأمور، أولئك أناس أساءوا الظن برهم، ولو أحسنوا الظن بالله لما تركوا الدعاء، لو أحسنوا الظن بالله ما وقعوا في الاستحسار، لو أحسنوا الظن بالله ما يأسوا من رحمة الله، هؤلاء المرضى من أصحاب الأمراض المزمنة الذين يدعون الله بالشفاء، وقد يؤخّر الله الشفاء

عنهم لحكم يعلمها - سبحانه وتعالى -، فإذا وجدوا ذلك تركوا الدعاء، وقالوا: لا نُشفي؛ أسأؤوا الظن بالله، أسأؤوا الظن برهم - تبارك وتعالى -، ويقول الله تعالى في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليّ بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة". سبحانه وتعالى، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: 11]، "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني"، "والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً". فيا عبد الله المذنب، الذي أسرف على نفسه: لو بلغت ذنوبك عنان السماء، إن الله يغفر الذنوب جميعاً، وكثير من العصاة إذا أرادوا أن يتوبوا قالوا: هل يُغفر لنا؟! هل يغفر الله لنا؟! كثرت ذنوبنا، إنها مع كثرتها نحن نستبعد أن تُغفر لنا، هؤلاء أناس أسأؤوا الظن بالله، هؤلاء أناس ما عرفوا قدر الله، يؤسوا من رحمة الله، إذا كان الله يقول: إنه يغفر الذنوب جميعاً، فلماذا نستبعد ونستكثر أن يغفر الله ذنوبنا؟! لماذا لا نقبل على الله وندعوه ونتوب إليه ونستغفره؟! والله تعالى يتولى المغفرة، ويتولى ستر الذنوب وستر العيوب - سبحانه وتعالى -، فإذا لا تيأس - يا عبد الله - مهما كانت ذنوبك من مغفرة الله. ويتأكد حسن الظن بالله عند نزول الموت تأكيداً شديداً وعظيماً، وقد ورد في ذلك من النصوص الشرعية ما يجعل المسلم يذكر نفسه دائماً، ويقول لنفسه: اذكرني يوماً إذا نزل الموت أن تكوني حسنة الظن بالله،

قال -عليه الصلاة والسلام-: "لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن الظن بالله -عز وجل-"، يحسن الظن بالله كما فعل الشاب الذي نزل به ما نزل، فدخل عليه -صلى الله عليه وسلم-، وسأله عن حاله: "كيف تجدك؟!"، قال: والله -يا رسول الله- إني أرجو الله وأخاف ذنوبي -خوف ورجاء-، فأخبر -عليه الصلاة والسلام- أنهما "لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف". وعن حيان أبي النضر قال: خرجت عائداً ليزيد بن الأسود، فلقيت واثلة بن الأسقع -واثلة صحابي- وهو يريد عيادته -يريد أن يعود المريض يزيد بن الأسود-، فدخلنا عليه، فلما رأى واثلة بسط يده، لما أخبر بدخول واثلة بسط يده يشير إليه، فأقبل واثلة حتى جلس، فأخذ يزيد بكفي واثلة، واثلة الذي لامست كفاه كف رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأخذ بكفي واثلة، فجعلهما على وجهه، فقال له واثلة: كيف ظنك بالله؟! قال: ظني بالله والله حسن، قال: فأبشر، فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "قال الله -جل وعلا- : أنا عند ظن عبدي بي؛ إن ظن خيراً فله، وإن ظن شراً فله"، وفي رواية أخرى صحيحة عن حيان قال: قال واثلة بن الأسقع: فُذِّبَ بي إلى يزيد بن الأسود؛ فإنه قد بلغني أنه به لم -يعني نزل به المرض-، قال: فقدته، فدخل عليه وهو ثقيل، فقلت له: إنه ثقيل قد وُجِّهَ، وقد ذهب عقله، قال: نادوه، فنادوه، فقلت: إنَّ هذا واثلة أخوك، قال: فأبقى الله من عقله ما سمع أنَّ واثلة قد جاء، قال: فمد يده، فجعل يلتمس بها، فعرفت ما يريد، فأخذت

كف واثلة، فجعلتها في كفه، وإنما أراد أن تقع يده في يد واثلة لموضع يد واثلة من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فجعل يضعها مرة على وجهه، ومرة على صدره، ومرة على فيه، قال واثلة: ألا تخبرني عن أي شيء أسألك عنه؟! كيف ظنك بالله؟! قال: أغرقتني ذنوبي، وَأَشَقْتُ على هلكة، لكني أرجو رحمة الله، قال: فكبر واثلة، وكبر أهل البيت بتكبيره، قال: الله أكبر! سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "يقول الله - عز وجل -: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن ظان ما شاء". فلا يجوز لمسلم أن يظن بربه إلا خيراً، فإن ظن بالله خيراً كان الله عند ظن هذا العبد، لكن هل هذا الأمر يقودنا إلى التواكل؟! هل يقودنا إلى الاتكال على الرحمة، وترك العمل، والوقوع في الكبائر والذنوب؟! كلا والله، هذا حرام لا يجوز، فإن الاتكال إنما يكون مع الإحسان، يتخذ الأسباب الشرعية، ويحسن في العمل، ثم يتكل على الله، يتكل على رحمته، يحسن الظن بربه - سبحانه وتعالى -، يحسن الظن أن الله لن يضيع له عمله، ويجعله هباءً منثوراً، يحسن الظن أن الله سيجازيه على عمله، يحسن الظن بالله أنه سيضاعف له الحسنات، فهو يعمل، ثم يحسن الظن بالله في أن أعماله تبقى، وأن الله يجازيه عليها، هذا رجاؤه بالله، هذه عقيدته بالله، هذا ظنه بربه، هكذا يكون المؤمن. أما أن الإنسان يقول: أحسن الظن بربي وهو يسيء العمل، ويُنصر على الكبائر، ويعمل الظلم، ويقوم بالمخالفات الشرعية، فإن وحشة هذه المعاصي والظلم والحرام ستمنعه من إحسان الظن بربه، ولن يكون الإحسان صحيحاً مطلقاً، وهذا العبد آبق

عن ربه، شارد عن الله، خارج عن طاعة الله، كيف يجمع وحشة في قلبه وإحساناً وهو يحسن الظن بربه؟! كيف يجمع حسن الظن بربه، ووحشة المعاصي تملأ قلبه؟! هذا لا يكون أبداً؛ ولذلك فإن الذي يبارز الله بالمعاصي لا يمكن أن يحسن الظن بالله، إذا عادى أولياء الله، ووالى أعداء الله، كيف يحسن الظن بالله؟! لا يجتمعان في قلب واحد، قال الله لقوم من الكفرة: (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [فصلت: 23]، ماذا كانوا يظنون؟! أن الله لا يعلم كثيراً مما يعملون؟! يظنون أن الله ما سمعهم لما قالوا، ولا رآهم لما عملوا، وهم سادرون في غيهم؟! أيها المسلمون: ينبغي أن نتأمل هذا الموضوع، كيف نجمع بين إحسان العمل، والقيام بالصالحات، وأداء الفرائض، وفعل المستحبات، والبعد عن المحرمات، ونحن نحسن الظن بالله في نفس الوقت، نحسن الظن بالله، نشعر أنه يسمع كلامنا، ويرى مكاننا، ويعلم سرنا وعلاانيتنا، لا يخفى عليه شيء من أمرنا - سبحانه وتعالى -، ونحن نحسن الظن به أن يجازينا على أفعالنا الحسنة، ولن يضيعها لنا، وفي نفس الوقت نحن نخاف الله، ونتذكر حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما كان عنده دنائير، ثم غشي عليه، فلما قام وعافاه الله سأل عنها: هل فرقت على وجهها، وصرفت إلى مستحقيها؟! فلما علم أن عائشة انشغلت عن ذلك، قال: "ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه عنده؟!"، فيا لله ما ظن أصحاب الكبائر والظلمة إذا لقوا الله، ومظالمهم هذه محسوبة مكتوبة، مرصودة عند ربهم، قد جاءت بين أيديهم حاضرة،

مكتوبة مسطرة: (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) [الكهف: 49]. ومن أوجه الظن الحسن بالله كذلك أن تحسن الظن بالله في رزقك، وأنت تطلب الرزق تحسن الظن بالله أن الله سيرزقك، ويسوق رزقك إليك، وأنه سبحانه لن يضيعك، فإن الله لا يضيع من يتوكل عليه: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) [الطلاق: 3]، ومن يتوكل على الله يرزقه من حيث لا يحتسب. واستمعوا إلى هذه القصة: قال أبو هريرة -وهذا الحديث قد ورد مرفوعاً وفيه شهر بن حوشب حسن حديثه بعض أهل العلم، وورد موقوفاً على أبي هريرة بإسناد حسن-، قال أبو هريرة: "بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران على شيء، فجاء الرجل من سفره، فدخل على امرأته جائعاً قد أصابته سغبة شديدة، فقال لامرأته: أعندك شيء؟! قالت: نعم أبشر، أتاك رزق الله"، المرأة ما عندها شيء لكن ظنت بالله ظناً حسناً، وتوكلت على الله توكلاً قوياً، "قالت: أبشر أتاك رزق الله، فاستحثها، فقال: ويحك ابتغي إن كان عندك شيء، قالت: نعم هنيئة"، اصبر اصبر -ترجو رحمة الله- ترجو رجاءً قوياً، امتلأ قلبها باليقين أن يأتيها رزق من الله، "حتى إذا طال عليه الطوى والجوع، قال: ويحك، قومي فابتغي إن كان عندك خبز فائتيني به؛ فإني قد بلغت وجهدت، فقالت: نعم الآن ينضج التنور". انتظر لا تعجل على الفرن، "الآن ينضج التنور؛ فلا تعجل، فلما أن سكت عنها ساعة، وتحينت أيضاً أن يقول لها"، يرجع ويطلب مرة أخرى، لما ظنت أنه سيقول الآن لها مرة أخرى، "قالت هي من عند نفسها: لو قمت فنظرت

إلى تنوري"، وتنورها ليس فيه إلا الحجارة، "فقامت فوجدت تنورها ملاً جنوب الغنم، ورحيها تطحنان" الرحيان تطحنان، والتنور ملاً جنوب الغنم، "فقامت إلى الرحي فنفضتها، وأخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم"، قال أبو هريرة: "فوالذي نفس أبي القاسم بيده عن قول محمد -صلى الله عليه وسلم-: "لو أخذت ما في رحيها ولم تنفضها لطحتها إلى يوم القيامة". تبقى تطحن إلى يوم القيامة. من قنط من رحمة الله، وأيس من روح الله؛ فقد أساء الظن بالله، ومن ظن أن الله يعذب أوليائه وعباده الصالحين وهم محسنون؛ فقد أساء الظن بالله، ومن ظن أن الله يترك خلقه سدى معطلين لا رسول ولا كتاب؛ فقد أساء الظن بالله. فتوكلوا على الله -يا أيها المسلمون- في تحصيل الأرزاق، لا تنسوا حسن الظن بالله، إذا توجهت إلى عمل، وإلى تحصيل مكسب أحسن الظن بالله، تفكر وتمعن، وتيقن وآمن أن الله سيرزقك، وتوجه وابتغ الأسباب، وثق بأن الله سيرزقك، لكن الذين الآن يدخلون بعض أبواب الرزق فلا يوفقون، فماذا يقولون في أنفسهم: لا فائدة، بحثنا، وهم يشكون في أن الله سيرزقهم، ظنهم بالله بدأ يسوء، فهؤلاء ربما ينتكسون، ويرتدون على أعقابهم، فلا يأتيهم شيء، وأكثر الناس ظنهم بالله سيئ، فمن قنط من رحمة الله، وأيس من روح الله؛ فقد أساء الظن بالله، ومن ظن أن الله يعذب أوليائه وعباده الصالحين -وهم محسنون- فقد أساء الظن بالله، ومن ظن أن الله يترك خلقه سدى معطلين بلا رسول ولا كتاب؛ فقد أساء الظن بالله، ومن ظن أن الله لن يجمع الخلق بعد الموت، وإنما هي أرحام

تدفع، وأرض تبلع؛ فقد أساء الظن بالله، ومن ظن أن الله سيضيع عمله الصالح، وقد امتثل أمر ربه بالعمل، وأنه سيبطل عمله دون سبب بلا رياء ولا شيء؛ فهذا إنسان مسيء الظن بربه، ومن ظن أن الله يؤيد أعداءه بالمعجزات التي يؤيد بها أنبياءه ورسله؛ فقد أساء الظن بالله، ومن ظن أن الله يعذب من أفنى عمره في طاعته؛ فقد أساء الظن بالله، ومن ظن أن الله يرفع أبا جهل في أعلى عليين، وأنه ينزل أبا بكر في أسفل السافلين مثلاً؛ فهذا مسيء الظن بالله، هكذا يعتقد بعض الضلال، هكذا من عقائدهم، يقولون: يفعل ما يشاء، يعني: يمكن أن يفعل كذا، كلا هو يفعل ما يشاء، لكن شاء بحكمته ورحمته أنه يجعل أهل الإيمان في الجنة وأهل الكفر خالدين مخلدين في النار. نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل ظننا به حسناً، اللهم اجعل ظننا بك حسناً، واغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، البشير النذير، والسراج المنير، دعا إلى الله، وآمن بالله، وعمل لله، وجاهد في سبيل الله، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين. أيها المسلمون: إن بعض الناس من سوء ظنهم بالله إذا رأوا في الواقع أموراً تنكرها عقولهم المريضة خرج ظنهم السيئ بالله على ألسنتهم، قال ابن عقيل -رحمه الله-: الواحد من العوام إذا رأى مراكب مقلدة بالفضة والذهب، وداراً مشيدة مملوءة بالخدم والزينة لفاسق من الناس، قال: انظروا إلى إعطائهم مع سوء أفعالهم! قال: كيف يعطيهم الله هذا وهم لا يستحقون؟! أفعالهم سيئة، ظلمة، كفر بأيديهم اقتصاد العالم! كفر بأيديهم اقتصاد العالم، فيقول بعض أصحاب العقول المريضة: كيف هو يلعنهم في كتابه، ومع ذلك يعطيهم؟! نقول: افهم يا مسكين، يعطيهم استدراجاً ليزدادوا إثماً: (إِنَّمَا تُمْلِي هُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا) [آل عمران: 178]. ويقول بعض أصحاب العقول المريضة: فلان يصلي الجمعة والجماعات، ولا يؤدي النمل، ولا يأخذ ما ليس له، ويؤدي الزكاة، ويجاهد ويحج، ومع ذلك هو فقير، فنقول: يا مسكين: انظر إنه يتلى من خلقه ما يرفع درجاتهم، ما يرفع

بهذا الابتلاء درجاتهم، ويعظم لهم حسناتهم، ويتلي صبرهم ليجازيهم الجزاء الأوفى. قال أبو الفرج ابن الجوزي -رحمه الله-: "وهذه حالة قد شملت خلقاً كثيراً من الجهال أولهم إبليس؛ فإنه نظر بعقله، فقال: كيف يفضل الطين على هذه النار المضيئة؟! فاتهم حكمة الله، واعتقد أنه أفضل ممن خلقه الله بيده، وهكذا من الخلق من يتابعه". قال ابن الجوزي: "دخلت على إنسان كثير الاعتراض على الله، وكان عليه جُزْب -مصاب بمرض الجرب-، فقال: علام يتليني؟!". ولما جاء لبعض الناس طعام، وهو في مرحلة متقدمة من العمر قد سقطت أسنانه، قال: بعث لي هذا في وقت لا أقدر على أكله! اعترض على الله -سبحانه وتعالى- إساءة ظن بالرب. قال: كان رجل قد قارب الثمانين سنة كثير الصلاة والصوم، فمرض، واشتد به المرض، -العبادة لوحدها دون عمل القلب لا تكفي، العبادة بدون عقيدة صحيحة لا تكفي-، اشتد به المرض، فتلفظ هذا المسكين على فراش المرض قال: إن كان يريد أن يميتني فليمتني، أما هذا التعذيب فليس له معنى! لا حول ولا قوة إلا بالله، والله المستعان! ورأيت من ضاق عليه رزقه يقول: إيش هذا التدبير؟! يتهم تدبير الله -سبحانه وتعالى-، قال: وعلى هذا كثير من العوام إذا ضاقت أرزاقهم اعترضوا، وربما يقولون: ما عدنا نريد الصلاة، ما عدنا نريد التدبير، إذا كان هذا آخرة التدبير. وما فهم ذلك الأحقق أن الله -سبحانه وتعالى- يفعل ما يشاء، وأنه يتلي عباده ليخرجوا ما في صدورهم، إن الله سبحانه يعذب على الأعمال عندما تقع، فالله يعلم ماذا يفعل العباد، يعلم ماذا

سيفعلون، لكن يريد أن يظهر علمه في الواقع لكي يكون العذاب والنعيم على هذه الأعمال الظاهرة التي تظهر في الواقع، حتى لا يأتي إنسان يوم القيامة، فيقول: رب: عذبتني على شيء في صدري ما أخرجته، عذبتني على شيء أكننته وما أظهرته، فيقول الله له: هذه أعمالكم مسطرة، مجموعة كلها. وكذلك فمن ظن أن الناس مبخوسي الحق، يقول: أنا حظي ناقص وقليل، وأنني لا أستحق هذا التعذيب، أو هذا التضيق في الرزق، أو يقول: ظلمني ربي، ومنعني ما أستحقه، ونحو ذلك، فهذا إنسان من إساءته الظن بربه قال هذا الكلام، قال هذا الكلام بدلاً من أن يتوب إلى الله. ومن ظن أن الله لن ينصر أوليائه، ولن ينصر الدعاة إليه، وأن الله لن ينصر المؤمنين فهو مسيء الظن بالله. ومن إذا تأمل الشرق والغرب قال: إن الدولة ستكون لهم طيلة الوقت، فهو مسيء الظن بالله. من قال: إن الله لن ينصر المؤمنين، وسيبقون مستغلين مستضعفين، مقهورين مسجونين، عليهم سيوف العذاب، وأنواع الابتلاء، وأن الله لن يظهرهم في الدنيا، فهذا مسيء الظن بالله: (مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ) [الحج: 15]. هذا الذي يظن أن الله لن ينصر رسوله، ولن ينصر دينه ليعلق حبلاً في السقف، ويلفه حول عنقه، فيشنق به نفسه، هكذا يقول الله لهم: (فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ)، فالله ناصر دينه. والذين يقولون اليوم: المسلمون ينتقلون من ابتلاء إلى ابتلاء، المسلمون يخرجون من محنة، ويدخلون في محنة أخرى، المسلمون

يقتلون في بلد ثم ينتقل التقتيل إلى بلد آخر، المسلمون لا أمل لهم في الظهور ولا النصر، نقول: هذا من سوء ظنك بالله، ألم يتعهد الله بأن ينصر من ينصره في الدنيا قبل الآخرة!! (كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي [المجادلة:21]، (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحج:40]، والله الذي لا إله إلا هو ليأتين نصر الله، والله الذي لا إله إلا هو ليقومن الإسلام قومة يمحو الكفر، فلا يكون له وجود، هكذا أخبرنا الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-. فاحذروا -أيها الإخوة- أن يتسلط اليأس إلى أنفسكم إذا رأيتم النكبات والبلايا تنزل بالمسلمين الواحدة تلو الأخرى، ولا نسمع بنصر كبير يحصل للمسلمين، نقول: انتظروا، فلتعلمن نبأه بعد حين، وستأتي الأنباء في عمرنا، أو في عمر من بعدنا بنصرة الإسلام وأهله؛ لأن الله تعهد بأن ينصر أوليائه، فلا بد أن ينصرهم، لا بد أن يأتي النصر، ولن تبقى الدولة للكفرة إلى آخر الزمان، يستحيل ذلك، مهما كان عندهم من التخطيط والزراعة، والصناعة والإدارة، والقوة والأسلحة، فلن تستمر لهم الدولة؛ لأننا على يقين بأن سينصر دينه، على يقين بأن الله سيظهر أوليائه. انظروا إليهم الآن كيف تسقط دولهم، فتتلاشى، وتتمزق، وتقطع، وانظروا إلى أشخاصهم كيف يكون الواحد منهم قد جمع من أسباب القوة ما جمع حتى ظن أنه سينتخب في المرة القادمة، فيسقطه الله - سبحانه وتعالى -، يرفع أقواماً، ويضع آخرين، (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) [الرحمن:29]، (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ

إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [آل عمران:26]، لو دامت لغيره ما وصلت إليه، فلا تدوم لأحد، ولا يبقى إلا الله ملك الملوك، يقول الله إذا طوى السماوات والأرضين بيوم القيامة يقول: "أنا الملك، أين ملوك الأرض؟!"، فلا يجيبه أحد، (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) [غافر:16]، لا يجيبه أحد؛ لأن الناس كلهم موتى، فيجيب نفسه سبحانه: (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) [غافر:16]. فإذا كان كل شيء بيد الله، فنحن علينا العمل -أيها الإخوة- والاجتهاد، والدعوة إلى الله، والقيام بحق الله، والله سينصر دينه، لا نقلق ولا نجزع؛ فالله سينصر دينه ولو بعد حين. اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من أوليائك، وحزبك المفلحين، اللهم أظهر دينك على الدين كله، اللهم ارفع سيف الذل عن المسلمين، اللهم كن معهم وانصرهم، اللهم أطعم جائعهم، واكس عاريهم، اللهم انصر ضعيفهم، اللهم إنا نسألك أن ترينا يوماً قريباً فيه فرج المسلمين، اللهم قرب ذلك اليوم يا رب العالمين، وأقر أعيننا بنصرة الإسلام والمسلمين. (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [النحل:90]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون، وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.



عنوان الخطبة	حكم وفوائد وعبر من قصة أصحاب الكهف
عناصر الخطبة	1/ قصة أصحاب الكهف 2/ دروس مستفادة منها
الشيخ	الشيخ/ محمد صالح المنجد
عدد الصفحات	14
رقم الخطبة في الموقع	5110

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: هذه سورة الكهف التي نقرأها كل جمعة، هذه التي أرشد النبي -صلى الله عليه وسلم- من يريد الوقاية من فتنة الدجال إلى حفظ مطلعها وأن يقرأه على الدجال إذا خرج، سميت السورة بأعجب ما فيها على عادة العرب في التسمية واختيار الكلمة العجيبة اللافتة للنظر في تسمية قصائدهم،

وهذا نزل بلسان عربي مبين، فإذا بالسورة تسمى بسورة الكهف، لماذا؟! لأنه قد ذكرت فيها قصة أصحاب الكهف.

ما هو الكهف؟! من هم أصحابه؟! ما هي القصة؟! إنها سورة تلفت العقول والقلوب إليها من اسمها العجيب: "سورة الكهف". (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ) [الكهف:9]، الرقيم: المرقوم المكتوب، كتابٌ مرقومٌ: مكتوبٌ فيه، إذا؛ لقد كان من أمر هذه القصة شيء عجيب دعا إلى كتابتها وتفصيلها، كأنهم أرادوا أن يذكروا شأن هؤلاء للأجيال القادمة.

ولكن يذهب الكاتب والمكتوب، ويبقى ما أراد إبقاءه علامُ الغيوب: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ) [الكهف:9]، فصارت القصة في كتاب الله، فلا حاجة إلى كتابتها في ألواح، أو البحث في آثار الأقدمين عن تفاصيلها؛ لأن الله أغنانا. فيا أصحاب المتاحف والآثار: كفوا عنا.

لم نعد نريد مصدرًا آخر لمعرفة الأخبار، وخصوصًا ما قد سبق منها، إلا هذا الكتاب، الوحي من الله - تعالى -: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) [الكهف:9].

لله آيات في السماوات وآيات في الأرض وآيات في كتابه الذي أنزله، هناك آيات للتحدي والإعجاز، وهناك آيات تبرهن لهؤلاء الناس على أمور كثيرة من قدرته - سبحانه وتعالى -.

(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ) [الكهف:9-10]، فروا إليه، من ماذا؟! العادة أن

الإنسان يأوي إلى أبيه وأمه، يأوي إلى بيته؛ لكن هؤلاء أووا إلى الكهف، والكهف موحش، الكهف بعيد، الكهف ليس فيه أهل، الكهف ليس فيه متاع ولا أثاث، ليس مجهزًا ليأوي إليه الإنسان.

لكن هؤلاء أووا إلى الله، أووا إلى الكهف في سبيل الله؛ ولذلك صار الكهف مأوى، صار الكهف على بعده وعلى بساطته وبدائيته وعلى خلوه من الأثاث والرياش والمتاع، صار بالنسبة لهم مأوى، لماذا؟! لأنهم أووا في الحقيقة إلى الله، أووا إلى الله فأواهم الله، ومن آواه الله فلا ضيعة عليه.

(إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ)، فرارًا بدينهم من أجل ربهم؛ خوفًا من الفتنة التي تفتنهم فتردهم عن دينهم، إنهم اعتنقوا التوحيد وعرفوا الحق فاتبعوه، والعجب أنهم فتية! فيا عبد الله: لا يغرنك السن فقد يوجد على الحق من هو صغير، ويا أيها الشاب الذي نشأ في طاعة الله: هنيئًا لك! ربما تعرف حقًا لم يعرفه الكبار.

وانظر حولك في الدنيا: كم من الكبراء والخبراء! كم من هؤلاء لم يعرفوا الحق! لكن الصغير إذا عرف الحق ونشأ عليه فإنه يبقى يسري في جسده منذ صغره، "وشاب نشأ في طاعة الله"، هذا تأسيس من مرحلة مبكرة أدعى للثبات؛ ولذلك نشئوا فتياكم على طاعة الله ذكورًا وإناثًا، عرفوهم الحق يا أيها الآباء.

(إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً) [الكهف:10]،
حيث إن هؤلاء الناس الذين حولنا ما عندهم رحمة، يريدون أن يصدونا عن
الحق، يريدون أن يفتنونا، فأنت يا الله آتنا من لدنك رحمة.

رحمة، هل الرحمة طعام؟! الرحمة غذاء وكساء ومأوى، الرحمة سكن وأمن
وأمان، الرحمة قبل كل ذلك هداية، الرحمة علم من الله، الرحمة تثبت، الرحمة
طمأنينة وسكينة، وما أحوج الخائفين إليها!

وقد جاءت الرحمة بمعنى النبوة في آيات أخر، ولكن هي أعم من النبوة كما
في هذه القصة، فإن هؤلاء أولياء وليسوا أنبياء.

(آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) [الكهف:10]، (رحمة) في
اللغة العربية نكرة وليست معرفة بـ"أل" التعريف، والنكرة إذا جاءت في سياق
الطلب تفيد العموم: (آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً)، (رحمة) تشمل كل الأنواع
المطلوبة من الرحمة، كل شيء نحتاجه.

(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) تشمل حسنة الرزق، وحسنة الزوجة الصالحة،
وحسنة الولد البار، وحسنة المسكن الواسع، وحسنة الذكر الحسن، والرغد
في العيش، والرزق الوفير؛ كما أنها في الآخرة رزق الجنة، حسنة الجنة، حسنة
ظل العرش، حسنة تيسير الحساب، حسنة سرعة دخول الجنة، حسنة النجاة
على الصراط، وفي الآخرة حسنات كثيرة.

(آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً)، رحمة فيها كل ما نحتاج، وأكثر مما نحتاج، (وَهَيِّئْ لَنَا
مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا).

فقه الدعاء - يا عباد الله-، إن بعض الناس ربما يطلب بعض التفاصيل، آتني سيارة، وآتني بيتاً، وآتني مالاً؛ ولكن عندما يسأل الله من فضله، فضل الله فيه كل هذا وزيادة عما سألت، كذلك العافية، فإذا؛ سؤال الله في العموم من فقه الدعاء.

(وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)، ما أحسن الرشد! الرشد إفاضة الحق، الرشد في المسلك الصحيح، الرشد ضد الضلال والغواية، الرشد، ما أجمله! وما أحسنه! (وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)؛ نحن فتية صغار ما عندنا خبرة، نحن فتية نحتاج إلى حماية وليس عندنا حماية، نحن فتية خرجنا ما نعرف إلا بيوتنا وبلدنا، إلى أين نتجه؟! ليس لنا خبرة في الطرقات والدروب والأسفار، لا نعرف إلى أين نتجه؛ لكن المهم أن نفر بديننا، المهم أن ننجو من هؤلاء الظلمة. (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ) فيها هلاك، وإذا ما كانت هذه فالأسوأ: (أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا) [الكهف: 20]، إذا عادوا في الملة بعد إذ نجاهم الله منها ملة الكفر.

هؤلاء الفتية صغار، ليس عندهم خبرة ولا ما يستعينون به غير الله، فقالوا: (وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)، دبر لنا، وعندما تقول -يا مسلم يا عبد الله-: دبر لي فياني لا أحسن التدبير؛ أنت لا تعرف كل الاحتمالات في البيت إذا نزلته، ولا تعرف كل الاحتمالات في الوظيفة إذا توظفت فيها، ولا تعرف كل الاحتمالات في نوعية السيارة إذا اخترتها، ولا تعرف كل الاحتمالات في أشياء كثيرة؛ فماذا ستفعل للوقاية من الاحتمالات؟! تتبّع الاحتمالات

عملية منهكة جدًا تحتاج حسابيًا ورياضيًا إلى أعمال ذهنية كثيرة، ثم أنت ستجلس هكذا، ماذا ستفعل؟!

يضيق الوقت والمصادر والجهد عن الوفاء بمواجهة كل الاحتمالات، لكن عندما تقول: (وَهَيَّيْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) فسيدلك الله، الله يسلك بك المسالك والدروب، الله الذي يقيك من الاحتمالات السيئة، الله الذي يدلك على الخير والأحسن والأفضل بالنسبة لك، (وَهَيَّيْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا).

هكذا كان في حال هؤلاء الذين أعطاهم الله مكافآت كثيرةً مقابل هذا الدعاء، (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ) [الكهف: 11]، هذا أول شيء، لأن هؤلاء يحتاجون إلى طمأنينة وأمان، يحتاجون إلى سكينة، ما أحسن النوم للمنهك المتعب الخائف!

واحد هرب من بلده، هرب من قوم جبارين ظلمة يرمون حتى الموت، ماذا يحتاج الآن؟! يحتاج إلى نوم، الآن قد فارقوا البلد ورحلوا هذه المسافة حتى وصلوا إلى هذا الكهف البعيد في الصحراء في المكان الموحش، ماذا يحتاجون الآن؟! نوم، النوم راحة ونعمة من الله - عز وجل -.

ولذلك (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا) [الكهف: 11]، ما أخبرنا عن العدد الآن، لكن دار نقاشٌ طويل بعدُ حول العدد في هذه القصة، عدد هؤلاء، عدد السنوات التي لبثوها، لأنها قصة عجيبة، في البداية ما أخبرنا عن العدد، انتظر يا متعلم حتى يأتي الوقت المناسب لتصل المعلومة إليك.

(ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ) : الحزبين الَّذِينَ اختلفا، أيهما (أَخْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا) [الكهف:12] الله يعلم الحق، ولكن ليظهر علمه في الواقع، وهذا معنى "يعلم" و"ليعلم"، (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) [آل عمران:140]، (وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) [آل عمران:142] وهو يعلم قبل أن يخلقهم، ولكن ليظهر علمه في الواقع.

(ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَخْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ) [الكهف:12-13]؛ لأن هناك مصادر كثيرة تقص على الناس، هناك إعلام وأخبار وكتب قديمة وروايات وقصص وفيس بوك وتويتر ومصادر معلومات كثيرة الآن. لكن؛ أين المعلومة الصحيحة؟!

كل واحد يتكلم؛ فأين المعلومة الصحيحة؟! إنها التي تأتي من الوحي، المصدر الوحيد للمعلومة الصحيحة عن الغيب، سواء كان غيبًا ماضيًا أو غيبًا حاضرًا غاب عنا الآن أو غيبًا مستقبليًا، لا يوجد مصدر صحيح لكل المعلومات عن الغيب إلا الوحي فقط؛ الباقي رجْمٌ بالغيب، استنباطات قد تخطئ وقد تصيب، وقد تكون مجرد مجازفات خالية من الاستنتاج أصلاً.

إذًا؛ (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ) وليس غيرنا، اعتمد مصدرنا لا المصادر الأخرى، لا كتب أهل الكتاب المحرفة، ولا كتب التاريخ التي كتبها علماء الآثار والأخبار، (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ)، نحن فقط.

(إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) [الكهف:13]، هذا ملخص القصة، الله كريم، العبد يريد الخير فيعطيه الله أكثر، يريد هدى الله فيعطيه الله هُدًى وزيادة، يريد علمًا فيعطيه الله الذي أراد وزيادة، وهكذا.

(إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) [الكهف:13] كل هذا أعطاهم، إذًا؛ ناموا في الكهف واطمأنوا وسكنوا، وذهب الخوف، وجاءت الراحة بعد التعب النفسي والجسدي من هذا الانتقال، وزالت الوحشة من هذا الكهف. (وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ) بعد أن زادهم هدى، ربط على قلوبهم، إذ قاموا في البداية لما آمنوا واتفقوا وتعارفوا فيما بينهم في بلدهم، وترجع القصة للبداية، وهذه قضية تفصيل في منتصف القصة ثم العودة للبداية ثم العودة للإتمام، عملية نقل الذهن والقلب وجذب الذهن والقلب في سياق تشويقي حتى ينتقل السامع بين الممدد الزمنية في هذه القصة.

فهو يقول عن الذي فعله لهم في الكهف، ثم يرجع إلى أصل القصة ويقول: إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ اجْتَمَعُوا فِي بَلَدِهِمْ وَتَعَارَفُوا، والذي جمعهم هو الإيمان، (آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، لا الصنم ولا الوثن ولا البشر ولا الكواكب، (رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) [الكهف:14]، ابتعدنا عن الحق لو فعلنا ذلك، هذه كبيرة، هذه مصيبة كبيرة وبعد عن الحق، ولن نمشي مع ركاب الضالين ولو كثروا، ولو كانوا أقاربنا، ولو كانوا من حولنا، البيئة كلها فاسدة: (هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً).

لا تساير الواقع إذا كان الواقع منحرفاً - يا عبد الله-، هذا درس لنا، فلو قالت المرأة على سبيل المثال: أكثر القادِمات أو الحاضرات في العرس لباسهم غير شرعي، فيه تعرٍّ... ما أكثر المنكرات في بعض الأماكن! والمناسبات قد تكون عامة يحضرها أهل المعاصي، فهل نساير؟! هل "نمشي" الحال؟! هل نتابع؟! هل نكون مع الخيل كما يقولون؟! لا! (هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً).

ولا يمكن أن نتابع قومنا ولو كانوا أكثر منا، ولو كانت علاقتهم بنا ما كانت، لكن لا يمكن، (لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ)، أين الدليل على ما ادعوه من إله غير الله؟! أين السلطان البين؟! أين الدليل؟!!

(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) [الكهف: 15]، فما هو الحل؟! آمنة وأكثر من حولنا على الشرك، لن يقبلوا دعوتنا، سوف يعذبوننا ويفتنوننا، فما هو الحل؟! إذا؛ فالحل: (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ).

أنت إذا غلبت في مكان عملك، في مكان دراستك، في مكان إقامتك، من قوم حولك، من بيئة فاسدة، حتى لو كنت عاملاً بين عمال في بيئة ما فيها صلاة، وربما فيها أفلام، مخدرات، فاستقم وحدك.

(وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) [الكهف: 16]، عند الفتية إيمان بأنه سيأتيهم خيرٌ عظيم، (يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ)، وفي هذه الحالة فإنه - سبحانه وتعالى - سيهيئ لهم من أمرهم مرفقاً، وييسر لهم، إنه جواد كريم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا هو الملك الحق المبين، خلق الأولين والآخرين، والسموات والأرضين، ربنا ورب كل شيء، مالك الملك، يفعل ما يشاء، الحي القيوم، القائم على كل نفس بما كسبت، يعلم السر وأخفى، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، العليم الخبير، القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر.

هو الله، عرفنا بنفسه، وعرفه المؤمنون، ومنهم هؤلاء الفتية، بعض الناس يقولون اليوم: الطبيعة هي التي خلقتهم! وبعضهم يزعمون الكواكب، وبعضهم يزعمون أن مع الله آلهة أخرى! وبعضهم يقولون بأن هناك قوة خافية في الكون هي الخالقة ولا يعرفون ما هي، وبعضهم يقولون الطاقة.

الله عرفنا بنفسه: (اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) [الحشر: 22]، (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [البقرة: 255]، (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) [الحشر: 23-24]، هو الله وليس هو خافياً ولا طاقة، لقد عرف أصحاب الكهف من هو.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، صلوات ربي وسلامه عليه إلى يوم الدين، اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ونبيك

محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وذريته الطيبين، وأزواجه وخلفائه الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله: من أوى إلى الله، وتوكل على الله، وفوض أمره إلى الله، ودعا الله، ولجأ إلى الله، لا يضيعه الله؛ بل يعتني به، انظروا للعناية: (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ) [الكهف:17]، جعلهم الله في مكان، وفقّهم إلى مكان، ساقهم إلى مكان، حتى المكان الذي أنامهم فيه مختار بعناية من الله.

الله يختار التفاصيل لعبده المؤمن: (ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا) [الكهف:17]، ثم العناية: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) [الكهف:18].

وألقي الله عليهم مهابة: (لَوْ اَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا) [الكهف:18]، فمن الذي سيجترئ على الاقتراب؟! هذا هو الحفظ، هذه هي الصيانة، هذه هي العناية.

(وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ) [الكهف:19]، إذًا؛ ما أحسواكم لبثوا، هذا من تمام النعمة، ولكن فوضوا أمرهم إلى الله على عقيدة التوحيد: (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ)، هذه عقيدة التوحيد، ردُّ الأمر إلى الله في المختلف الذي لا نعرف حقيقته.

وهكذا أعرث الله عليهم بعد ذلك، وتنازع الناس في عددهم، والراجح أنهم - كما قال ابن عباس - سبعة، لأن الله ذكر قولين أعقبهما بوصف الرجم بالغيب والثالث سكت عنه: (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ) [الكهف: 22]، ما قال عن هذا: إنه رجم بالغيب، وأفردته عن الأولين، وليس هنالك قول رابع، فلم يذكر ربنا إلا ثلاثة أقوال، قال عن اثنين: إنهما رجم بالغيب، وهذا هو الثالث. لكن؛ ما هي قيمة العدد؟! وما أهمية العدد؟! وقد قال - جل وعلا -: (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ). انتهينا.

المهم العبرة في القصة، لقد خرجوا وعرف الناس حالهم وأمرهم، وكان قد شاع خبرهم وتناقلته الأجيال وقيل عن العملة التي معهم، المهم؛ أن الله أعرث عليهم حتى يعرف الناس الآية، ويعرف الناس العبرة، ويعرف الناس الكرامة وخرق العادة التي نالها هؤلاء الفتية الصالحون.

لم تنم أظفارهم وشعورهم كما يتصور البعض، فهم لم يشعروا بذلك، وإلا لكان منظرهم كئيلاً، ولما قالوا عن المدة التي ناموا فيها: إنها كانت يوماً أو بعض يوم! عدم الإحساس هذا من تمام عناية الله بهم.

الغلو بالصالحين بدعة وطريقة شيطانية، حتى هؤلاء أصحاب الكهف ما ترك الشيطان الناس فيما يتعلق بهم، لقد أغرى بعضهم بأن يبنوا عليهم مسجداً، ونحن نعلم أنه لا يجوز بناء المساجد على القبور، وأن القبر إذا كان في مسجد يُخْرِجُ القبر إذا كان المسجد أولاً، وإذا كان القبر قبل المسجد فما بني على

باطل فهو باطل، فيزال المسجد، ويُكشَف القبر، ولا تجوز الصلاة في مسجد فيه قبر، كما أخبرنا النبي -عليه الصلاة والسلام-.

عباد الله: إن الله - سبحانه - يخبرنا بأخبار مَنْ قبلنا لتعظ، وليكون عندنا من العلم والهدى ما نحتدي به، وهذه قصة تصلح - يا مسلم - لتربي عليها أولادك، ماذا نقول للمراهقين؟! خذها هدية - يا مسلم - من رب العالمين، واستعن بها في تربية أولادك، وتثبيت نفسك وآل بيتك.

اللهم أحيينا مؤمنين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين...



عنوان الخطبة	سنن الله في خلقه وإمداد المستغيث
عناصر الخطبة	1/ سنن الله في الكون 2/ حكم الله في بقاء آثار الظالمين وفنائها 3/ سنة الله في تغيير الأفراد والأمم 4/ التدافع بين الحق والباطل سنة ماضية 5/ إهلاك الظالمين آية 6/ العباد بين الاستضعاف والتمكين 7/ واجب المسلمين تجاه إخوانهم المستضعفين 8/ المواساة بين المسلمين 9/ وجوب تفعيل الرابطة الإيمانية في نصره المسلمين
الشيخ	الشيخ/ محمد بن صالح المنجد
عدد الصفحات	16
رقم الخطبة في الموقع	4321

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

عباد الله: إن لله سبحانه وتعالى في خلقه لشأنًا عجبًا وله سنن لا تبدل ولا تتغير، (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) [الأحزاب:

[62] (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) [فاطر: 43].

من الناس من يعرف بأمور من الصفات والخصال الحميدة، ولكن الله تعالى له الحمد كله وله صفات الكمال والجلال كلها.. فمن الناس من يعرف ربه بالجلود والإفضال والإحسان، ومنهم من يعرفه بالعفو والحلم والتجاوز، ومنهم من يعرفه بالبطش والجبروت والانتقام، ومنهم من يعرفه بالعلم والحكمة والخبرة، ومنهم من يعرفه بالعزة والكبرياء والاستعلاء، ومنهم من يعرفه بالرحمة والبر واللطف، ومنهم من يعرفه بالقهر والملك والهيمنة، ومنهم من يعرفهم بإجابة دعوته وإغاثة لفتته وقضاء حاجاته.

وأعم هؤلاء معرفة من عرف كلامه في كتابه ومعاني ما أنزله على عباده، فإنه يعرف ربًّا قد اجتمعت له صفات الكمال والجلال منزهاً عن المثل بريئاً من النقائص والعيوب، والله شديد المحال.

وسننه سبحانه وتعالى في خلقه ما زالت جارية، والبشر لهم مفاجآت تحدث على حين غرة وغفلة، ويقولون هذا خلاف المتوقع، وأما سنة الله تعالى فإنها تجري على قانون لا يعرف التبديل والتغيير، ومن عرف هذه القوانين وعمل بموجبها سعد.

لله سبحانه وتعالى سنن في النصر والتمكين، فمن أخذ بموجب هذه السُنَّة في النصر حصل له النصر إذا استوفى شرائطه وكَمَّلَ أركانه، وكذلك من استوفى شروط التمكين حصل له التمكين؛ لأن الله لا يخلف الميعاد.. وسنن الله

شاملة وعامة وجارية في خلقه، ونافذة وثابتة لا تتغير، نافذة متحققة تسري على الجميع رغماً عنهم، أرادوا أم لم يريدوا، ويفاجأ الناس بأمور ولكن سنن الله عز وجل لا تتخلف ولا تتغير..

فسننته سبحانه وتعالى تحدث في الواقع كقوله (حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ..) [يونس: 24].

من سننه أنه أبقى آثار العذاب على أقوام رغم تقادم العهود ليكون في ذلك موعظة للمتأخرين (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [النمل: 52].

وقال في قرية قوم لوط (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمِطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْهَا بَلًا كَانُوا لَا يَزِجُونَ نُشُورًا) [الفرقان: 40].

ولما كانت على طريق السفر لأهل مكة إلى الشام قال لهم (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [الصافات: 137-138].

وأبقى جثة فرعون لمن بعده فقال: (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً) [يونس: 92]، وقال: (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَفْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) [هود: 100] أي منها قائم كأثار فرعون كالأهرامات وآثار نينوى بلد قوم يونس، وصنعاء بلد قوم تبع..

وهناك قرى بائدة مثل ديار عاد وقرية مدين ونحوها، ولكن الذين يجمع كل ذلك قوله: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ

شَدِيدٌ) [هود: 102]. وهذه سننه في الأفراد وسننه في الجماعات والأمم جارية ولا بد.

ومن ذلك سنة التغيير، (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [الرعد: 11]، (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الأنفال: 53]، فيغير سبحانه وتعالى من الشدة إلى الرخاء ومن الرخاء إلى الشدة بحسب حال العباد.

وكذلك فإنه يداول الأيام بين الناس فتكون القوة تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء ولا تبقى لأحد مستمرة، فلو بقيت للكفار سيصيب المسلمين اليأس، وإذا بقيت للمسلمين أصابهم العجب وحلت بهم الأدواء..

وكذلك فإن من سننه سبحانه سنة التدافع الذي يكون بين أهل الحق والباطل، وأهل الإسلام وأهل الكفر، وأهل الشرك وأهل التوحيد وأهل السنة وأهل البدعة، يدفع هؤلاء بهؤلاء وهؤلاء بهؤلاء كما يجري في الاحتساب على أهل المنكر، فيدفع أهل المنكر بأهل المعروف، ويدفع أهل المعصية بأهل الطاعة كما يقوم لله دعاة يقيمون الحجة وينصحون الناس ويكشفون الشبهات ويبينون زيف الباطل.

وهذه سنة الصراع بين الحق والباطل قائمة (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) [البقرة: 251].

وكذلك من سننه التمكين لعباده الصالحين (الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) [الحج: 41] فيزال التمكين بزوال هذه الأمور التي أمر بقيامها.

ومن سننه تعالى أنه لا يأخذ البلدة وأهلها مصلحون كما قال: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ) [هود: 117].

ومن سننه عز وجل أنه يأخذ الظالمين والمفسدين: (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) [فاطر: 43] (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) [الشعراء: 277] وقال (فَبَعْدًا لِلظَّالِمِينَ) [المؤمنون: 41] (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) [هود: 18].

فمهما استمر ظلم الظالم فإن الله يأخذه يستعجل الناس متى يكون الأخذ (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) [الحج: 47] (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا) [المعارج: 7] فله ميزان والله حكمة في كل آن، فلا بد للعباد أن يصطبروا ويثبتوا على مراد الله منهم حتى يأتي وعد الرحيم الرحمن..

عباد الله: وكم حفل التاريخ بنهايات لهؤلاء الظالمين..

وما من يد إلا يد الله فوقها *** ولا ظالم إلا سيلى بأظلم

ولقد حصل في القديم والحديث أهلك الله فرعون وهامان وقارون، وأهلك الذين أجرموا في أصحاب الأخدود..

وأهلك سبحانه وتعالى ثمود وعاقِر الناقة (إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا) [الشمس: 12] مع قومه، وهكذا أهلك من جبابرة العرب من أهلك، فذهب أبو جهل وأبو لهب..

وفي الحديث أخذ الله جبابرة كثيرين، فهذا أتاتورك قد أخذه الله عز وجل بعد أن حول مساجد إلى كنائس وغير دين الله، وألغى الأذان والتعامل بلغة العرب، ومنع أنواع من الشريعة وعطلها وفرض السفور وحارب الحجاب (فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ) [القصص: 81] لما نزل به أمر الله.

وهذا شارون لا هو بين الأحياء ولا هو بين الأموات (أَلَا لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ) [هود: 18].. وهكذا.. وهكذا في كل وقت وحين..

وهكذا في كل وقت وحين *** غرت الدنيا غريرا فافتتن
كنز المال وأخفى وخزن *** ثم ولى لم ينل غير الكفن
أين نمرود وكنعان ومن *** ملك الأرض وولى وعزل
أين إسكندر سلطان الزمن *** قهر الدنيا وأفنى وسجن
أين قارون وأقيان اليمن *** أين عاد أين فرعون ومن
رفع الأهرام من يسمع يخل *** أين من عاشوا فسادا وعتوا
وأذلوا واستبدوا وطغوا *** أين من نالوا السبايا واقتنوا
أين من سادوا وشادوا وبنوا *** هلك الكل فلم تغنِ القلل

عباد الله: إن الله سبحانه وتعالى نعمات فهو يتلى أهل الإيمان بأهل الطغيان، ثم يأخذ أهل الطغيان (أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) [العنكبوت: 2-3].

والصبر على هذا مع الأخذ بالأسباب الشرعية في دفع الباطل وأهله من أعظم العبادات فيها تحقيق لعبودية رب العالمين، وفي الثبات على أمره ونهيه وشرعه والصبر لحكمه وقدره، هذا فيه دليل على إيمان صاحبه؛ لأن (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) [الحج: 11].

ولما سئل الإمام الشافعي رحمه الله: أيهما أفضل أن يمكن العبد أو يُفْتَن؟ فقال: "لا يُمَكِّنْ حتى يتلى"، التمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر وإذا صبر مُكِّن.

هذه سنة والقاعدة الربانية لا تمكين إلا بعد محنة ولا تمكين إلا بعد صبر على هذه المحنة:

والصبر كالصبر مُر مذاقته *** لكن عاقبته أحلى من العسل
فلا بد إذًا من الصبر على مرارة الابتلاء، لا بد أن تتعاضم الأمة في هذا الصبر حتى يأتي وعد الله (يُرِيدُونَ لِيطْفئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [التوبة: 8].

لكن بشر هذه الأمة بالثناء والرفعة والرفع والتمكين في الأرض فإذا قامت بأمر الله فإن الله سبحانه وتعالى يأتيهم بوعده.

نسأل الله عز وجل أن يعجل الفرج لهذه الأمة، وأن يأتي بالتمكين لعباده الصالحين وأن يخزي المجرمين ويأخذ الظالمين إنه سميع قريب مجيب..

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم..

الخطبة الثانية:

الحمد لله وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، أشهد أن لا إله إلا الله لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله والرحمة المهداة البشير والنذير والسراج المنير صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وذريته الطيبين وخلفائه الميامين وأصحابه أولي الهدى والعرفان المستمسكين في الدين، رضي الله عنهم وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

أشهد أن رسول الله محمدًا قد دعا إلى الله سبحانه وتعالى وبين لنا الصراط المستقيم وحثنا على كل خير ونهانا عن كل شر..

عباد الله: وفي غمرة صبر إخواننا من أهل الابتلاء، فإن على إخوانهم في الأرض واجبات كثيرة، فإنهم يرون الملاحم العظام والفظائع والمشاهدات الجسام تفذ الفؤاد فذا، وتقطع القلب كمدا، فهؤلاء أصحاب وصغار حملتهم شاحنة في الطريق من حمص إلى دمشق ذكورا وإناثا من محسن حملهم أكبر واحد فيهم عمره 16 سنة..

ثم روى من قصص الأهوال التي تعرضوا لها وللإصابات التي حدثت لإناثهم وليس لهم أهل يعرف مكانهم وهكذا يبقى إناث على وجوههم يهيمون فما واجب إخوانهم تجاههم..

فإلى متى يبقى فؤادك قاسيًا *** وإلى متى تبقى بغير شعور
هلا قرأت ملامح الأم التي *** ذبلت محاسن وجهها المذعور
هلا استمعت إلى بكاء صغيرها *** وإلى أنين فؤادها المفطور

هلا نظرت إلى دموع عفافها *** وإلى جناح إِبائها المكسور
ولا بد للمسلمين أن يقوموا لله بواجب إخوانهم..

ألا نفوسٌ أبياتٌ لها همٌّ *** أما على الخيرِ أنصارٌ وأعوانٌ
وربنا قال (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [الحجرات: 10] «والمسلم أخو المسلم لا
يسلمه»، وفي رواية للطبراني: «ولا يسلمه في مصيبة نزلت به» قال العلماء:
"لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه بل ينصره ويدفع عنه".

ومعلوم ما في تفريج الكروبات من الأجور العظام والحسنات، وما في الخذلان
من السيئات، والمسلمون للمسلمين أمداد بتقويتهم وإعانتهم، والمدد كان
يطلق على العسكر الذي يلحق بالغزو في سبيل الله، فكان عمر يصف أهل
اليمن بأنهم الأمداد؛ لأنه قد جاء من جنوب الجزيرة من جاء مدد إخوانهم..
وقال الإمام البخاري رحمه الله "باب العون بالمدد"، وقد استمد النبي صلى
الله عليه وسلم أناسٌ من المسلمين فأمدهم بسبعين من الأنصار والله سبحانه
وتعالى يرسل مددًا من الملائكة قال في كتابه العزيز: (بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا
وَيَأْتِيَكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ)
[آل عمران: 125].

والمدد منه معنوي ومنه مادي، فيكون مدداً بالمال ومدداً بالتفريج، ومددًا
بالإنقاذ، ومددًا بالعلاج، (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) [المائدة:
32] وهؤلاء النازحون في الداخل واللاجئون في الخارج يحتاجون إلى من

يدعوهم ويعينهم ويصبرهم ويحتاجون إلى من يعالجهم ويداويهم ويحتاجون إلى من يؤويهم ويحتاجون إلى من يطعمهم ويكسوهم..

(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) [التوبة: 71] المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر..

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز المعاونة على البر والتقوى، وذكر نبيه صلى الله عليه وسلم عون الله للعبد ما العبد في عون أخيه، وإن من أنواع المدد في زمننا هذا المدد بالإعلام، والمدد في المحافل العامة.

وكذلك فإن منها نصره المظلوم وعدم خذلانه، وأيضاً استعمال الجاه في نصره الإخوان في الله، وإذا نظرنا إلى تاريخنا لوجدنا هذا الأمر واضحاً غاية الوضوح.. فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن، وهم الأعوان والأنصار الذين كانوا يمدون المسلمين سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس، قال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: فكان فيك برص فبرئت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال: نعم، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد ثم من قرن كان فيه برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل» قال عمر: فاستغفر لي، فاستغفر له أويس. رواه مسلم.

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: "خَرَجْتُ مَعَ مَنْ خَرَجَ مَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ , فَرَأَفَقَنِي مَدَدِي مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ لَيْسَ مَعَهُ غَيْرُ سَيْفِهِ, فَتَحَرَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جُزُورًا, فَسَأَلَهُ الْمَدَدِيُّ طَائِفَةً مِنْ جِلْدِهِ, فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ, فَاتَّخَذَهُ كَهَيْئَةِ الدَّرَقَةِ, وَمَضَيْنَا, فَلَقِينَا جُمُوعَ الرُّومِ, قَالَ: وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَشَقَرٌ عَلَيْهِ سَرَجٌ مُذْهَبٌ وَسِلَاحٌ مُذْهَبٌ, فَجَعَلَ الرُّومِيُّ يُغَرِّي بِالْمُسْلِمِينَ - أَيِ يَحْتِ أَصْحَابَهُ الْكُفْرَةَ عَلَى الْقِتَالِ - وَقَعَدَ لَهُ الْمَدَدِيُّ خَلْفَ صَخْرَةٍ, فَضْرَبَ الرُّومِيَّ فَخَرَّ مِنْ فَرَسِهِ وَعَلَاهُ, فَقَتَلَهُ, فَحَازَ فَرَسَهُ وَسِلَاحَهُ...." الحديث رواه أبو داود وأصله في مسلم .

وهكذا ظهرت الإعانات في حال الأزمات جلية، ففي الهجرة كانت عائشة وأسماء تمدان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر في الغار، وكان عبد الله بن أبي بكر يأتيهما بالأخبار، وهذا نوع مهم من المدد الخبر عن العدو.. وكان عامر بن فهيرة يأتي بمنحة من غنم فيريحها عليهما يعني للشرب، فأنت ترى اتخاذ الأسباب، وأن هناك أمورًا قد حسم لها القتال وأعد الغذاء والعلم بأخبار العدو ووسيلة النقل والمكان ونحو ذلك..

عباد الله: وإن من إمداد المسلمين لإخوانهم ما يحصل بالأطعمة والأكسية، كما كَتَبَ عُمَرُ إِلَى أُمَرَاءِ الْأَمْصَارِ، يَسْتَعِيثُهُمْ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا، وَيَسْتَمِدَّهُمْ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ رَاحِلَةٍ مِنْ طَعَامٍ، فَوَلَّاهُ قِسْمَتَهَا فِيمَنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا فَرَغَ، وَرَجَعَ إِلَيْهِ، أَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ، فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا

أَرَدْتُ اللَّهَ وَمَا قَبْلَهُ، فَلَا تُدْخِلْ عَلَيَّ الدُّنْيَا. فَقَالَ: خُذْهَا فَلَا بُأْسَ بِذَلِكَ، إِذْ لَمْ تَطْلُبْهُ فَأَبَى. فَقَالَ: خُذْهَا، فَإِنِّي قَدْ وَلَيْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ هَذَا، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قُلْتُ لَكَ، فَقُلْتُ لَهُ كَمَا قُلْتُ لِي، فَأَعْطَانِي فَقَبِلَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَانْصَرَفَ إِلَى عَمَلِهِ، وَتَتَابَعَ النَّاسُ وَاسْتَغْنَى أَهْلُ الْحِجَازِ، وَأَحْيَا مَعَ أَوَّلِ الْحَيَا.

وبعث عمرو بن العاص من مصر بعشرين سفينة تحمل الدقيق والسمنة، وبعث ألف بعير وخمسة آلاف كساء وبعث معاوية من الشام بثلاثة آلاف بعير تحمل الدقيق وثلاثة آلاف عباءة، وبعث والي الكوفة بألفي بعير تحمل الدقيق..

وهكذا يكون الإمداد، إمداد بالمال وخاصة عندما يكون الناس مجهدون محصورون، وكذلك المواساة بالمركب لمن ليس له مركب، ف«من كان معه فضل ظهره فليعد به على من لا ظهر له»، وهكذا بالمسكن لمن ليس له مسكن إذا كان عند الإنسان فضل في المسكن، وأيضًا الإمداد بالدواء ومن يعالج بالدواء، وقد كان هذا من شأن المسلمين فإن حروبها في القادسية وغيرها كان يأتيهم فيها المدد من إخوانهم الأطباء.

والنبي صلى الله عليه وسلم علمنا المواساة.. «إن الأشعرين -يعني من أهل اليمن المسلمين القادمين إلى المدينة- كانوا إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في الإناء».

والنبي صلى الله عليه وسلم لما حث الناس عندما رأى قومًا جاءوا حفاة عراة حثهم على الصداقة فاجتمع عنده كوم من طعام وثياب حتى تهلل وجهه.. وهكذا يكون الإمداد بالمساندة الإعلامية بالقنوات والبرامج، وما أشد فعلها في العدو كأنها من جنس ما كان يقوم به حسان بن ثابت رضي الله عنه من الرعاية الإعلامية للمسلمين في شعره والتخيل والتشيط للكفار والانتصار ورفع المعنويات للمسلمين، وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وقال في قريش: «فإنه أشد عليها من رشق بالنبل».

وهكذا لما جاء الأسد الضارب بذنبه، أدلع لسانه وجعل يحركه، ويقول: "وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأُفْرِتَنَّهُمْ بِهِ فَرَيَ الْأَدِيمَ"، فيكون الإعداد لهذه المواد التي ترفع معنويات المسلمين وتحذل في الأعداء..

وأيضًا ما يكون عن طريق هذه الشبكات من أنواع الإمداد في الكلام المكتوب وغيره من المواد المنقولة في نصرة المسلمين.

وكذلك من أنواع المدد: الإمداد بالرأي والمشورة (وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ) [آل عمران: 159] (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) [الشورى: 38].

وعمر رضي الله عنه في قتال الفرس مع سعد بن أبي وقاص لم يدع ذى رأي ولا شرف ولا خطيبا ولا شاعرا ولا وجيها من وجوه الناس إلا سيّره إلى سعد في تلك المواجهة العظيمة بين المسلمين وبين الجوس..

والإمداد بالدعاء كان يفعل عليه الصلاة والسلام لأفراد ومجموعات ممن آمن به «اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج

الوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين»، فيدعو لأفراد وجماعات ويقول: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف»، ويدعو للضعفاء ويهتم بأمر الضعفاء، ودعاء الضعفاء شأنه عظيم فإنما «تنصرون بضعفائكم»..

إن من أنواع الإمداد: الإمداد بالفتوى وهذا يحتاجونه كثيراً في هذه الأيام في نوازل وقعت لهم فإذا نزحوا من حي قد أصابه القصف إلى حي آخر فيه بيوت لأناس غير مسكونة، فهل يجوز يا ترى لهم أن يدخلوها بلا إذنهم، وأن يستعملوا ما فيها..

وهكذا من أنواع النوازل التي حصلت حتى في أمور النساء وحصلت في أنواع كثيرة في مواجهة العدو.

عباد الله: عليكم بالإخلاص وتسخير المواهب والقدرات لخدمة إخواننا في العقيدة والدين.

اللهم إنا نسألك أن تكون معهم يا أرحم الراحمين.. اللهم اجمع شملهم على الحق المبين..

بسم الله الرحمن الرحيم

عاشوراء ... دروس وعبر

الحمد لله ربّ العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أما بعد ؛

فعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدِم المدينة ، فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما هذا اليوم الذي تصومونه ؟) .

فقالوا : هذا يوم عظيم ، أنجى الله فيه موسى وقومه ، وغرق فرعون وقومه ، فصامه موسى شكراً ؛ فنحن نصومه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فنحن أحق وأولى بموسى منكم) ؛ فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر بصيامه . رواه البخاري (3943)، ومسلم (1130) واللفظ له .

هذا الحديث أصل عند العلماء في استحباب صوم يوم عاشوراء ، وهو العاشر من محرم ، وهو يوافق يوم الاثنين القادم .

فهو يوم عظيم ، أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه ؛ ولذا صامه موسى عليه السلام شكراً لله تعالى على هذه النعمة .

وصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه استحباباً ؛ متابعةً لنبي الله موسى عليه السلام ، من باب مُقابلة النعم بالشكر في أوقات تجددها . لطائف المعارف لابن رجب ص 96 .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقد سُئِلَ عن صيام يوم عاشوراء : " ما علمتُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوماً يطلب فضله على الأيام إلا هذا اليوم ، ولا شهراً إلا هذا الشهر " يعني : رمضان . رواه مسلم (1132) .

وفي رواية البخاري : " ما رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم يوم عاشوراء ، وهذا الشهر " يعني : شهر رمضان . رواه البخاري (2006) .

فهذا يوم فارق في تاريخ البشرية؛ إنه اليوم الذي نجى الله تعالى فيه موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين .

= من الدروس والعبر والمعاني الإيمانية المستفادة من هذا اليوم العظيم :

- أن شأن المؤمن دائماً الاهتمام بالعبادات والسؤال عنها ، وفعل بالخيرات والحرص عليها .

فالنبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وجد اليهود صائمين ، فسأل عن سبب صيامهم : (ما هذا اليوم الذي تصومونه ؟) .

والإنسان إذا ذهب إلى مكان جديد يلفت نظره ما يشغل قلبه ويهتم به .

وشتان بين اهتمامات الناس !

فمن الناس من إذا دخل مدينة ؛ لفت نظره مبانيها الشاهقة وسيارتها الفارهة .

ومنهم من يلفت نظره زحام الناس أو نظامهم ، أو غير ذلك .

لكن المؤمن يهتم بالعبادات ، وما يتعلق بها ؛ فهي التي تلفت نظره وتشغل قلبه .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم *** وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها *** وتصغر في عين العظيم العظائم

- ومن المعاني الإيمانية : التذكير بأيام الله ، وما صنع الله فيها من الآيات ، وما حدث فيها من العبر والعظات ؛ لتكون نبراساً للمؤمنين في كل زمان ومكان .

فيوم عاشوراء " يَوْمٌ عَظِيمٌ " ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ عَاشُورَاءَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ اللهِ) . رواه البخاري (1893) ، ومسلم (1892) .

وقد أمر الله تعالى بالتذكير بما في أيام الله من العبر والعظات : (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) . وقد حدثت فيه آية من آيات الله حيث أنجى نبيه ، وأهلك عدوه .

يقول الله عز وجل : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ أَمْنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) :

ما أعظم تأييد الله وانتصاره لأوليائه من رسله وأنبيائه وعباده المؤمنين !

وما أشد انتقامه من أعدائه المكذبين على قوتهم وشدة بطشهم !

قال الله تعالى عن فرعون : (وَاسْتَكَبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) .

(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) .

ها هو فرعون يغرق ويحيط به العرق من كل مكان ، وهو الذي طغى وتجبر وادعى الألوهية فقال : (يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) ، (فَحَشَرَ فَنَادَى * قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) .

وتفاخر بما لا يساوي قطرة في ملك الله تعالى : (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ) !

ناسياً أن الملك كله لله ، وأن الله هو الذي أعطاه ، وأطعمه وسقاه !

روي أن خليفة المسلمين هارون الرشيد رحمه الله لما قرأ هذه الآية : (قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي) ، ورأى تفاخر فرعون بملك مصر ؛ قال : " لعنه الله ! ما كان أرقعه [أي: ما أشد خفة عقله]! ادعى الربوبية بملك مصر؟! والله ؛ لأوليئها أحسن خدمي " ؛ فولى حكم مصر خادماً له اسمه : الخصب ، كان يصب له الماء عند الوضوء ! وفيات الأعيان لابن خلكان (188/1)، وفتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان (361/12) .

- ومن الدروس المستفادة : معية الله تعالى لأنبيائه وأوليائه :

فلما خرج موسى عليه السلام مُنْفِذاً أمر ربه ، متجهاً ناحية الشرق ؛ أمر فرعون بجمع كل الجنود ، وفي الوقت نفسه يُهَوَّنُ ، ويُحَقَّرُ من شأن بني إسرائيل كعادة أهل الباطل في كل زمان : (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ) .

جمع فرعون جنوده ، وطارد المؤمنين في ناحية الشرق (فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) .

وصل موسى إلى ساحل البحر الأحمر وخلفه فرعون وجنوه . فلما تراءى الجمعان صرخ ضعاف الإيمان (إِنَّا لَمُدْرِكُونَ) ، فرد عليهم موسى بقوة الإيمان : (كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) .

- ونجى الله تعالى (بني إسرائيل من العذاب المهين * مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ) .

- ونجاهم من الغرق ، وأغرق فرعون وجنده : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ أَمْنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِنَدَائِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) .

- إن قصة موسى عليه السلام مع فرعون مليئة بالعبير والعظات ؛ ولذا كثر ورودها في القرآن الكريم حتى قال بعض العلماء : " كاد القرآن أن يكون كله لموسى " . الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (199/1).

فينبغي علينا أن نعتبر بآيات الله ؛ فإن فيه عبرًا مقنعة للمؤمنين : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى) ، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) .

وأما الجاحد والمعاند فلا يقنعه شيء : (وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَهُمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) .

- ومن المعاني الإيمانية : نصر الله لأتباعه وأوليائه ، وإهلاكه لأعدائه :

لَمَّا سَأَلَ النَّبِيُّ الْيَهُودَ عَنْ صَوْمِهِمْ هَذَا الْيَوْمَ قَالُوا : " هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى ، وَبَنَى إِسْرَائِيلَ عَلَى فِرْعَوْنَ " . رواه البخاري (2004) ، ومسلم (1130) ، واللفظ له .

وهذه حقيقة يقينية، قال تعالى : (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) ، وقال : (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) .

حتى لو تأخر النصر قليلاً فإنه قادم ، فالحق بطيء ولكنه يومًا يجيء ، كما في حديث هرقل حين قال لأبي سفيان : " سَأَلْتُكَ كَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ ؟ فَرَعَمْتُ أَنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ وَدُوْلٌ ، فَكَذَلِكَ الرَّسُلُ تُبْتَلَى ، ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ " . رواه البخاري (7)، ومسلم (1773) .

وإهلاك الله للظالمين سنة كونية؛ قال تعالى : (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ) .

- ومن الدروس والعبر : أن المسلمين أحق بجميع الأنبياء من كل الأمم :

فقد صامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأمر المسلمين بصيامه ؛ معيلاً ذلك بقوله : (فَتَحْنُ أَحَقَّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ) . فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ . رواه البخاري (2004) ، ومسلم (1130) .

وهذا كقول الله تعالى : (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) .

" فأحقُّ الناس بمتابعة إبراهيم الخليل : الذين اتبعوه على دينه ، (وَهَذَا النَّبِيُّ) يعني : محمدًا صلى الله عليه وسلم ، (وَالَّذِينَ آمَنُوا) : من أصحابه المهاجرين والأنصار ومن بعدهم " . تفسير ابن كثير (58/2) .

فكذلك أحقُّ الناس بمتابعة موسى وأولاهم به هم المسلمون ، الذين يتبعون دينَ الإسلام الذي هو دين موسى وجميع الأنبياء عليهم السلام : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) ؛ فالمسلمون لم يحرفوا ولم يبدلوا ولم يغيروا كما فعل اليهود .

والمسلمون يؤمنون بموسى وغيره من أنبياء الله : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) .

وفي هذا لفظة مهمة إلى هذا الرباط العميق بين المسلمين بعضهم البعض ، وإن اختلفت أزمائهم وبغدت أماكنهم ، وضرورة تحقيق الأخوة الإيمانية بين المسلمين ، وتحقيق الولاء لله تعالى ورسوله وعباده المؤمنين ، التي من أهم مقتضياتها :

إمداد المسلمين لإخوانهم ، وخاصة المحتاجين والمكروبين والمحصورين منهم ، في الداخل والخارج ، أفرادًا وجماعات ، ونصرتهم ، ودعمهم ، والتضامن معهم ، ومواساتهم .

- ومنها : مخالفة المشركين ، واستقلال الأمة الإسلامية في عقيدتها ، وصيغتها :

فقد تعمّد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مخالفة اليهود في صيام عاشوراء .

فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : جِئَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعْظِمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ) .

قَالَ : فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُؤَقِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رواه مسلم (1134) .

وفي رواية : (لَنْ بَقِيَتْ إِلَى قَابِلٍ [السنة الآتية] لِأَصُومَنَّ التَّاسِعَ) . رواه مسلم (1134) .

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِمُخَالَفَةِ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى فِي أَدَقِّ الْأُمُورِ ، فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (خَالِفُوا الْيَهُودَ ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ وَلَا خِفَافِهِمْ) . رواه أبو داود (652) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (3210) .

ونَهَى نَهْيًا شَدِيدًا عَنِ التَّشَبُّهِ بِهِمْ ، فَقَالَ : (مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ) . رواه أبو داود (4031) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (6149) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ الْمُشَابَهَةَ فِي بَعْضِ الظَّاهِرِ يُوجِبُ الْمُقَارَبَةَ ، وَنَوْعًا مِنَ الْمُنَاسَبَةِ ، يُفْضِي إِلَى الْمُشَارَكَةِ فِي خَصَائِصِهِمُ الَّتِي انْفَرَدُوا بِهَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَالْعَرَبِ ، وَذَلِكَ يَجُرُّ إِلَى فُسَادٍ غَرِيزٍ " . الفتاوى الكبرى (175/6) .

- ومن الدروس أيضًا تشابه قلوب المؤمنين عبر الأزمان؛ إذ تجتمع على الإيمان بالله ورُسُلِهِ ، وتعظيم أيام الله ، وعبادة الله وحده لا شريك له ، (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) .

وكذلك تتشابه قلوب الكافرين عبر الأزمان ، فتجتمع على تكذيب آيات الله ، ومُعَادَاةِ رَسُولِ اللَّهِ : (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) ، (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ * اتَّوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) .

- ومنها : الفرح بنجاة المؤمنين وما يصيبهم من الخير والرخاء والنصر ، والفرح بهلاك الظالمين : قال تعالى : (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ) ، (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) .

وقال تعالى : (فَفُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

وقد سَمِعَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : " إِنَّكَ لَتَشْتُمْنِي ، وَفِي ثَلَاثِ خِصَالٍ ، إِنْ لَأْتِي عَلَى الْآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَلَوْ دِدْتُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا أَعْلَمُ مِنْهَا .

وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالْحَاكِمِ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ يَغْدِلُ فِي حُكْمِهِ ، فَأَفْرَحُ بِهِ ، وَلِعَلِّي لَا أَقَاضِي إِلَيْهِ أَبَدًا .

وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالْعَبِثِ قَدْ أَصَابَ الْبَلَدَ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَفْرَحُ ، وَمَالِي بِهِ مِنْ سَائِمَةٍ " . رواه الطبراني في المعجم الكبير (266/10) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد؛

= إِنَّ عَاشُورَاءَ يَوْمٌ عَظِيمٌ حَقًّا :

ولكن هناك تعظيم حقيقي لهذا اليوم ، وهناك تعظيم مُزَيَّف .

فمن التعظيم الحقيقي : صيامه :

فقد عَظَّمَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ فَصَامَهُ ، شَكَرًا لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ النِّجَاةِ وَإِهْلَاكِ الْعَدُوِّ .

وصامه اليهود تبعًا لموسى : قالوا : " فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا ؛ فَتَحْنُ نَصُومُهُ " . مسلم (1130) .

- وكان أهل الجاهلية يعظمونه: فكانوا يصومونه : عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . رواه البخاري (1893) ، ومسلم (1125) .

ومن تعظيمهم له أنهم كانوا يسترون فيه الكعبة: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : " كَانَ يَوْمًا تُسْتَرُ فِيهِ الْكَعْبَةُ " . رواه البخاري (1592) ، ومسلم (1125) .

وعظمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فصامه ، وأمر المسلمين بصيامه . رواه البخاري (2004) ، ومسلم (1130) .
وكان صيامه مفروضًا ثم نُسِيخَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِصِيَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ رَمَضَانُ .

فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ ؛ كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ) . رواه البخاري (1592) ، ومسلم (1125) .
ولكن استحباب صيام عاشوراء ما زال باقياً :

خطب معاوية بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنهما بالمدينة يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَقَالَ : أَيُّنَ عُلَمَائِكُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ؟
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِهَذَا الْيَوْمِ ، (هَذَا يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَلَمْ يَكْتُبِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ ، وَأَنَا صَائِمٌ ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَصُومَ فَلْيَصُمْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُفْطِرَ فَلْيُفْطِرْ) . رواه البخاري (2003) ، ومسلم (1129).
ومن فضل صيامه : أنه يَكْفِرُ ذُنُوبَ سَنَةٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ) . رواه مسلم (1162) .

قال الإمام البيهقي رحمه الله : " وهذا فيمن صادقه صومه وله سننات يحتاج إلى ما يكفرها ، فإن صادقه صومه وقد كُفِّرَتْ سنناته بغيره ؛ انقلبت زيادةً في درجاته " . فضائل الأوقات ص 438 .

وَيُسَنُّ صِيَامَ التَّاسِعِ أَيْضًا: فَجِئَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ يَوْمٌ تُعْظِمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ النَّاسِعَ) .

قَالَ : فَلَمَّ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ ، حَتَّى تُوقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رواه مسلم (1134) .

فقد صام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العاشر ، وعزم على صيام التاسع ، فمن الأفضل صيام التاسع والعاشر .

وصوم عاشوراء عند العلماء على ثلاث مراتب :

أكملها: صيام ثلاثة أيام ، التاسع والعاشر والحادي عشر ؛ وقد جاء في ذلك حديثٌ ضعيفٌ ، لفظه : (صُومُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَخَالِفُوا فِيهِ الْيَهُودَ ، صُومُوا قَبْلَهُ يَوْمًا أَوْ بَعْدَهُ يَوْمًا) .

وفي رواية للبيهقي : (صُومُوا قَبْلَهُ يَوْمًا وَبَعْدَهُ يَوْمًا) . رواه الإمام أحمد (2154) ، والبيهقي في السنن الكبرى (287/4) ، وهو في الضعيفة (4297)، وضعفه الأرنؤوط أيضًا (52/4) ، لكن حسن إسناده الشيخ أحمد شاكِر .

لكن وردَ فعلٌ ذلك عن بعض السلف من باب الاحتياط . لطائف المعارف ص 52 .

والثاني: أن يُصام التاسع والعاشر . وعليه أكثر الأحاديث ، وهو الذي وردت به السنة .

ويُشرع أيضًا صيام العاشر مع الحادي عشر بدلاً من التاسع والعاشر أو لمن فاتته صيام التاسع ؛ مخالفةً لليهود : (صُومُوا قَبْلَهُ يَوْمًا أَوْ بَعْدَهُ يَوْمًا) .

والثالث: إفراد عاشوراء بالصَّيَامِ وحده . زاد المعاد لابن القيم (72/2) ، وفتح الباري لابن حجر (246/4).

- وأما التعظيم المُزَيَّف ليوم عاشوراء:

فمنه : ما يفعله بعضُ أهل البدع [الشيعية] بأنفسهم في عاشوراء ، من اتّخاذ هذا اليوم مأتمًا ويومَ حُزنٍ ونباحٍ ولُطمٍ وشقٍّ للجيوب والثياب ، وتعذيب أنفسهم بالآلات الحادّة ، والضرب بالسلاسل والحديد ، بما يُسمّونه : " اللطميّة " و " التطبير " ، وخلط هذا بسبِّ الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، ودُعاء الحُسَيْن من دون الله ؛ كلُّ هذا لأجل مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما في هذا اليوم !

وهذا من أعمال الجاهليّة ، ففي الحديث : (لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ) . رواه البخاري (1294) ، ومسلم (103) .

والمؤمن عند المصيبة يصبر ويحتسب ويرضى بقضاء الله تعالى .

وعلى العكس من ذلك : هناك مَنْ يقيم الحفلات في يوم عاشوراء ، ويصنع الحلوى ، بل هناك نوع من الحلوى تُصنع خصيصًا لهذا اليوم تصنع من الأرز واللبن ، تسمى " عاشوراء " ، ومنهم من يصنع " فطيرة عاشوراء " ، وهذا تشبُّه باليهود والنصارى لتعظيمهم هذا اليوم .

وهكذا اجتالتهم الشياطين عن هدي النبي الأمين صلى الله عليه وسلم ، وعن سبيل المؤمنين في هذا اليوم العظيم ، فمنهم مَنْ حوَّله إلى مأتم وعزاء ، ومنهم مَنْ حوَّله إلى احتفال وغناء .

وكلُّ هذا من البدع المُحدثات التي حدّر منها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حيث قال : (وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُور ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) . رواه أبو داود (4607) ، والترمذي (2976) ، وابن ماجه (44) ، وصححه الألباني في إرواء الغليل (150/8) .

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا إلى اتباع سُنّة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن يجنّبنا البدع ، إنه سميع قريب مجيب .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عَنَّا سيئاتنا ، وتوفّقنا مع الأبرار .

اللهم اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين .

وارْحَمْ موتانا وموتى المسلمين .

واقضِ الدَّيْنَ عن المدينين .

وفرِّجْ كرب المكروبين .

وانصُرْ إخواننا المستضعفين .

اللهم انصر الإسلام وأعزّ المسلمين .

والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمّد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين

عجائب التقديم والتأخير في القرآن الكريم

هل بعد فصاحة القرآن فصاحة؟

تأمل عجائب القرآن الكريم في ترتيبه

القرآن شرف وفخر هذه الأمة

ومن أصدق من الله حديثاً

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله:

عجائب التقديم والتأخير في القرآن الكريم

أصدق الحديث كتاب الله، أنزل الله علينا القرآن بلسان عربي مبين، هدى وبركة ونوراً، فيه عجائب لا تنقضي، وبلاغة عظيمة، جعل الله تدبره عبادة، وهو المقصد من إنزاله أن يتدبره المؤمنون فيروا ما اشتمل عليه من الحكم والأحكام، والمعاني الجسام، يا مسلم! يا عبد الله! لو تأملت كتابك الذي أنزله الله من أجلك لوجدت فيه العجب العجائب، في ترتيب آياته، وكلماته، في هذه الألفاظ العظيمة البليغة فيه، فتأمل قوله مثلاً: إِيَّاكَ نَعْبُدُكَ الْفَاتِحَةِ 5. على خلاف الأصل في ترتيب الجملة في اللغة من تقديم الفعل نعبدك، فلماذا قدم المفعول إياك على الفعل نعبد؟ ولم يقل نعبدك، إنها دلالة على الحصر، أن العبادة محصورة في الله سبحانه وتعالى لا تخرج عن غيره، إياك نعبد أبلغ من قولنا نعبدك، فقد يعبدونه ويعبدون غيره كما يفعل المشركون، ولكن إياك نعبد لا نعبد إلا أنت، لا نعبد غيرك، لكنه قال اهدنا ولم يقل إيانا اهدي، وإنما جاءت الكلمة على السياق المعتاد من تقديم الفعل اهدنا، لماذا؟ لأن الهداية ليست محصورة بنا، فهي تشملنا وتشمل غيرنا، ولهذا لما قال الرجل أمام النبي صلى الله عليه وسلم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، قال عليه الصلاة والسلام: (حجرت واسعا) [رواه البخاري 6010]. تأمل في التقديم والتأخير في قوله سبحانه وتعالى: قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً سورة الإسراء 88. بينما قدم الجن على الإنس في قوله تعالى في سورة الرحمن: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانِ سُورَةِ الرَّحْمَنِ 33. ولا سلطان هناك إلا سلطان الله مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ * هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ سورة الحاقة 28-29. فلماذا قدم الإنس على الجن في معرض التحدي بالقرآن؟ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَقَدْ قَامَ الْجَنُّ عَلَى الْإِنْسِ فِي مَعْرِضِ الْاِخْتِرَاقِ وَالطَّيْرَانِ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا أَحَاطَتِ الْمَلَائِكَةُ بِكُمْ فِي سَبْعَةِ أَطْوَاقٍ فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ لَا يَمَكُنُ، قال العلماء في معرض التحدي بالقرآن لما تحداهم بسورة أن يأتوا بمثلها ما استطاعوا، عشر سور مثلها مفتريات ما استطاعوا، أن يأتوا بمثل القرآن، بدأ بالإتيان بالقرآن فججزوا، ثم عشر سور مفتريات فججزوا، ثم سورة فججزوا، فنأدى عليهم بالعجز إلى قيام الساعة، قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً سورة الإسراء 88. قدم الإنس لأنهم في باب البلاغة والفصاحة والبيان أقدر من الجن، وأما في معرض الاختراق والطيران والنفوذ على الإنس في الاختراق.

هل بعد فصاحة القرآن فصاحة؟

ما ترك القرآن فصاحة لأحد، ولما مر بعض أئمة اللغة بالبادية قديماً، عندما كانت العربية سليقة سليمة، فسمع جارية تقول كلمات بليغة، فقال: ما أفصحك! قالت: وأي فصاحة بقيت بعد فصاحة القرآن، إنه جمع في آية واحدة بين خبرين، وأميرين، ونهيين، وبشارتين، فقال الله تعالى: وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

لما مر بعض أئمة اللغة بالبادية قديماً، عندما كانت العربية سليقة سليمة، فسمع جارية تقول كلمات بليغة، فقال: ما أفصحك! قالت: وأي فصاحة بقيت بعد فصاحة القرآن، إنه جمع في آية واحدة بين خبرين، وأميرين، ونهيين، وبشارتين، فقال الله تعالى: وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

سورة القصص 7. الخبر الأول أوحينا إلى أم موسى، الثاني إذا خفت عليه فألقيه، فهذا خبر أنها ستخاف فماذا ستفعل إذا خافت، الأمر الأول أرضعيه، الثاني ألقه، النهي الأول لا تخافي، الثاني لا تحزني، البشارة الأولى إنا رادوه إليك، والثانية وجاعلوه من المرسلين، عباد الله! حكاية عن نملة في القرآن، لما ذكر الله سبحانه وتعالى عن إتيان سليمان وجنوده في ذلك الوادي قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَتَشْعُرُونَ سورة النمل 18. يا نادات، أي خاطبت، ها نهيت، النمل عمت، ادخلوا أمريت، مساكنكم خصت، لا يحطمنكم حذرت، سليمان وجنوده سمت، وهم لا يشعرون أعذرت، ذكرت عذر نبي الله سليمان، وحتى في ترتيب الكلمات في السياق، فإن للترتيب مدلولات عظيمة، هذه أربع كلمات في معرض بيان قبح الفاحشة وسوء الزنا، امرأة العزيز تراود فتاها سورة يوسف 30. امرأة، قبح الفاحشة من المرأة أشد مع أنه من الرجل قبيح أيضاً، امرأة العزيز، إذا هي متزوجة وقبح الفاحشة من المتزوجة أشد مع أنها من البكر قبيح أيضاً، تراود، العادة أن الرجل طالب والمرأة مطلوبة، فإذا صارت المرأة طالبة والرجل مطلوب دل ذلك على قلة حيائها وذهابه؛ لأنها صارت هي التي تراود، وهي التي تطلب، مع أن قبح الفاحشة من الرجل الطالب شديد أيضاً، فتاها، فهي لم تراود شخصاً في مثل طبقتها الاجتماعية مع أنها لو فعلت لكان قبيحاً وحراماً أيضاً لكنها راودت من؟ فتاها، وعيدها، وغلماها، وخادماها، وذلك الغريب المستضعف، تراود فتاها، كيف عبر لنا عن قبح الفاحشة، وعن سوء تلك الفعلة بهذه الكلمات الأربع، تدبر كل واحدة وما تدل عليه، يا مسلم! يا عبد الله! عجب عجب في القرآن، يشبه لنا شجرة الزقوم وهي غيبية بالشيطان وهو غيبى أيضاً، غاب عنا، ما رأيناه ولا سمعنا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ سورة الأعراف 27. فقال الله عن شجرة الزقوم التي تخرج في أصل الجحيم طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ سورة الصافات 65. نحن ما رأيناها ولا رأيانهم، فكيف شبه لنا غيبياً بغيبي؟ قال العلماء: لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر، ولذلك إذا رأوا قبيحاً قالوا كأنه شيطان، بخلاف ما لو رأوا رجلاً، أو شخصاً في البهاء والجلال والجمال قالوا كأنه ملك، كما قالت النسوة عن يوسف عليه السلام مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ سورة يوسف 31. فلما استقر في النفوس قبح الشياطين كان كافياً في التشبيه للتفسير أن يذكر لنا بأن شجرة الزقوم طلعها كأنه رؤوس الشياطين، جعلناها فتنة للظالمين، لماذا؟ لأنه سيخرج من يخرج من الملاحظة ويقول شجرة في النار كيف لا تحترق، ما عند الملاحظة شيء يقال معه الله على كل شيء قدير، والملاحظة يخترعون قاعات محاضرات مضادة للحريق، وجلود مضادة للحريق، وحيطان مضادة للحريق، هذا ما عندهم فيه إشكال، لكن شجرة في أصل الجحيم هذه مشكلة كبيرة عند هؤلاء السفهاء، أنتم المخلوقون تخلقون بما علمكم الله أشياء لا تأكلها النار مضادة للحريق، ثم تستكثرون على الله أن يخلق في النار شجرة مضادة للحريق، انظروا إلى هذا القرآن وما فيه، الحروف على أي شيء تدل وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ سورة الضحى 5. اللام للتأكيد، وسوف للمستقبل، ولم يذكر ماذا سيعطيه؟ ولسوف يعطيك؟ ماذا يعطيك؟ لم يذكر؛ دلالة على الخير الكثير الذي سيعطيه، زوجة، أولاداً، أتباعاً، شرفاً، ذكراً، ملكاً عظيماً، دولة، ديناً منتشراً في الأرض، أحكاماً، كتاباً، فخرأً وشرفاً، وليس في الدنيا فقط، وفي الآخرة، ففي الدنيا أولاداً، وزوجات، وأصحاباً صالحين، وفي الآخرة جنة، ومقام عظيم، ونهر الكوثر، وأول من يدخل الجنة وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى سورة الضحى 5. للنبي عليه الصلاة والسلام، أحياناً المفرد يكون أكثر دلالة من الجمع، مع أن العادة أن الجمع دلالة بكثرة أوضح، لكن رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً سورة البقرة 201. نكر الحسنة هذا التكرير ولم يذكر معها آل التعريف، ربنا آتينا في الدنيا حسنة، هذا التكرير يدل على التعميم، حسنة الزوجة الصالحة، حسنة الرزق الرغيد، حسنة الأولاد البررة، حسنة الذكر الحسن بين الناس، حسنة المسكن الواسع رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً سورة البقرة 201. لكنها في الحقيقة تشتمل على شيء كثير، وهذا كما قال الله: رَحِمْتَ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ سورة هود 73. رحمة الله واسعة جداً ما يقول رحمت، رحمة الله، أما البركات: فالبركة فيها الكثرة، والبركات: بركة في اثر بركة،

وبركة في إثر بركة، بركات، رَحِمَتْ اللهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ سورة هود 73. فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبَاسُورَةَ الكهف 97. ما هو الفرق؟ أيهما أصعب العلو عليه -التسلق- أم الاختراق؟ من أي شيء هو؟ من سبيكة حتى عند علماء المعادن في الدنيا شأنها عجيب، حديد ملبس بالنحاس، حديد ملبس بالنحاس أثوني زُبَرَ الْحَدِيدِ سورة الكهف 96. ولما صُهِرَتْ بالنارِ أَثُونِي أَفْرَغَ عَلَيْهِ قَطْرًا النحاس المذاب، حديد ملبس بالنحاس يملأ ما بين الجبلين، المنفذ الذي كان يأتي منه ياجوج ومأجوج، فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبَاسُورَةَ الكهف 97. لأن النقب أشد، كلمة، حرف، وتأمل في أحكام الحائض، قال الله تعالى عن الحيض أنه أذى، أذى جسدي، أذى نفسي، كما يفيد التذكير في كلمة أذى؛ لأن التذكير يفيد العموم وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَجِيزِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَجِيزِ وَلَا تَقْرَبُواهُنَّ فَتَمَيَّيْ يَجُوزُ قَرَبَاتِهِنَّ؟ حتى يحصل أمران ذكرهما الله حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ سورة البقرة 222. يطهرن وتطهرن ما هو الفرق؟ يطهرن من طهر الثلاثي، ثلاثة أحرف ط ه ر، فإذا تطهرن من تطهر الخماسي معناها: تطهر فيه زيادة، الزيادة هذه تدل على أي شيء؟ يطهرن يعني ينقطع الدم، وهذا يحدث بمجرد الجيلة والخلفة بدون تكلف فعل منها، فإذا تطهرن يعني: اغتسلن، وهذا يحتاج إلى كلفة، وعمل منها، وهو الاغتسال، ولذلك ذاك جاء من الحروف القليلة حتى يطهرن من طهر انقطاع الدم، فإذا تطهرن يعني بالاغتسال، فأتوهن: علق الإتيان وجوازه على حدوث أمرين: الأول: جبلي بانقطاع الدم، والثاني: بفعل ومعاونة وتكلف منها وهو الاغتسال، ولا يغني أحدهما عن الآخر، فلا يجوز إتيانها بعد الحيض إلا بحصول هذين الأمرين.

تأمل عجائب القرآن الكريم في ترتيبه

عباد الله:

عجب عجاب والله هذا الكتاب، حتى في ترتيبه وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ سورة النحل 68. كيف الترتيب في هذه الآية؟ تظنه عبثاً، الجبال فوق، ثم الشجر تليها نزول، ثم مما يعرشون، مما يصنعونها لها من هذه البيوت الأرضية تحت، الجبال، الشجر، مما يعرشون، ترتيب عجائب، يخرج من بطونه من بين فرث ودم لبناً يقول لك يا مسلم! يا أيها العبد لله! تأمل فيما أخرجته لك من طاهر يخرج من بين نجسين، تأمل فيه، تأمل وتدبر.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من أهل القرآن العظيم، اللهم ارزقنا تدبره وتلاوته كما تحب وترضى يا رحمن، اجعلنا من أهل مائدة القرآن.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا الله، وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أمينه على وحيه، ومصطفاه من خلقه، صلى الله عليه، وعلى آله وذريته الطيبين، وعلى أزواجه الطاهرات، وخلفائه الميامين، وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم صل على صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، والشافع المشفع يوم يقوم الشهداء، محمد بن عبد الله، اجعلنا من أهل شفاعته يا رحمن.

القرآن شرف وفخر هذه الأمة

عباد الله:

والله إن القرآن شرف وفخر وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ سورة الزخرف 44. والله لو أقبلت القلوب عليه ما شبعن، والله لو حصل التدبر، وحصلت المدارس لارتقى الإيمان، وتغيرت نفوسنا، وطبائعنا، وأقبلت على الله،

والله إن القرآن شرف وفخر وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ والله لو أقبلت القلوب عليه ما شبعن، والله لو حصل التدبر، وحصلت المدارس لارتقى الإيمان، وتغيرت نفوسنا، وطبائعنا، وأقبلت على الله،

كتاب معجزة يدحض كل شبهة، كل شبهة، أي ملحد، أكبر ملحد في العالم القرآن يرد عليه أم خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ سورة الطور 35. لأنفسهم أم خُلِقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ سورة الطور 36. هاتوا، عجب عجب، حتى في المذكورات التي فيه قَلْبٌ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا سورة العنكبوت 14. ألف سنة إلا خمسين عاماً، السنة غير العام، لماذا ميز بينهما؟ التسعمائة وخمسين لها شيء والخمسون الأخرى لها شيء، ألف سنة إلا خمسين عاماً؛ ليبين التغير في الحال، والعادة السنة من السنين وهي القحط والشدة، كما أخذ الله آل فرعون بالسنين، سنة؛ لأنها كل ما كان فيها، كم أسلم فيها؟ قيل: اثنا عشر، قيل: ثمانون، في تسعمائة وخمسين سنة، لكن الخمسون عاماً هذه حكمها مختلف، العام يمكن أن يدل على الرخاء والخير، كما قال الله بعد السنين في قصة يوسف: ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يُفَصَّرُونَ سورة يوسف 49. عجب في المذكورات، القميص في قصة يوسف عجب أليس كذلك، القميص الأول: أتوا به إلى أبيهم ليس فيه تقطيع ولا تخميش وقالوا أكله الذئب، والقميص سليم، فكان ذلك دليلاً على كذبهم، والقميص الثاني: كان فيه تقطيع دل على كذبها، الأول ما فيه تقطيع دليل على كذبهم، والثاني فيه تقطيع دليل على كذبها، والثالث فيه الفرج من الله فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا سورة يوسف 93. ومناسب جداً لعودة البصر أن يشم الأب رائحة ابنه الذي فقدته من زمن بعيد، لكنه يعرف رائحته جيداً، ومن السنة تقبيل الأولاد، وشم الأولاد، كما ثبت في السنة كان يشمهم، رائحة الولد العزيز الغالي، فهذا القميص الأول الذي أحس منه أبوه أنهم يكذبون، والثاني الذي جعل الله فيه بيان براءة يوسف من التهمة وَقَدْ تَقَمَّصَهُ مِنْ دُبُرِ سُورَةِ يُوسُفَ 25. فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ سورة يوسف 28. والثالث هذا الذي جمع الشم وحصلت فيه المعجزة برد بصر الأب الذي فقدته بكاءً على ولده.

ومن أصدق من الله حديثاً

يا جماعة! القرآن يذكر مغيبات وتحصل، ذكر لهم تصديق أنهم سيدخلون المسجد الحرام آمنين محلقين ومقصرين، في البداية ما حصلت في الحديبية لكن بعد ذلك حصلت لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ سَورَةُ الْفَتْحِ 27. ودخلوا الم * غَلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ سورة الروم 4-1. اكتسحت فارس الروم في أقصى مملكة الروم وهزموهم، ولم يكن هناك أي مؤشر من المؤشرات على أن الروم سينهضون، ولكن الله قال: غَلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ البضع من الثلاث إلى التسع، تسع الحد الأعلى، وفعلاً بعد تسع سنين استرجعت الروم كل ما خسرت وبزت وغلبت فارس مرة أخرى.

الله يذكر أشياء في القرآن ما كانت موجودة، ذكر الجواري في البحر كالأعلام، السفن مثل الجبال، أكبر سفينة في وقت نزول القرآن كم كان حجمها، أنتم الآن أهل جده على الساحل لو نظرتكم إلى هذه السفن العملاقة، وهي تأتي في البحر أليست تشبه الجبل من بعيد؟ بالله عليكم كالأعلام كالجبال، صدق الله، هذا رد على كل ملحد، وعلى كل مشكك، وعلى كل طاعن في هذا القرآن، والله يا إخواني القرآن يزكي، وينقي، ويمحص، ويصبر، وشرف، وفخر، ورد على الشبهات، وكل شيء مَّا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ سورة الأنعام 38.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا مؤمنين يا رب العالمين، اللهم اجعلنا من أهل القرآن العظيم، اللهم اغفر لنا أجمعين، واغفر لأبائنا وأمهاتنا يا رب العالمين، ربنا اغفر لنا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، اللهم إنا نسألك البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم إنا نسألك ألا تفرق هذا الجمع إلا بذنب مغفور وعمل متقبل مبرور يا شكور يا حلیم يا غفور، اللهم أخرجنا من ذنوبنا كيوم ولدتنا أمهاتنا، اللهم اغفر لموتانا، اللهم اشف مرضاتنا، اللهم أعتق رقابنا من النار، اللهم اقض ديوننا واستر عيوبنا واجمع على الحق كلمتنا، اللهم إنه قد وقع في الشام وبورما على إخواننا المسلمين من المستضعفين ما لا يعلمه إلا أنت من البلاء، ولا يكشفه إلا أنت يا سميع الدعاء، ليس لها من دونك كاشفة، اللهم اكشف ما نزل بهم من ضر، اللهم ارحمهم، اللهم أوهم، اللهم أطعمهم، اللهم ثبتهم، اللهم انصرهم، واجمع على الحق كلمتهم يا رحيم يا رحمن، وكل مستضعف في الأرض يا رب العالمين، أنت على كل شيء قدير، اللهم دمر عدونا، اللهم أهلكهم وزلزلهم، اللهم انتهم من حيث لا يحتسبون، اللهم خالف بين كلمتهم، وألق الرعب في قلوبهم، اللهم اجعل بلدنا هذا آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، اللهم آمناً في الأوطان والدور، وأصلح الأئمة وولاة الأمور، واغفر لنا يا عزيز يا غفور.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.



عنوان الخطبة	عجائب القرآن
عناصر الخطبة	1/ دلالة القرآن على صدق الإسلام 2/ بعض عجائب القرآن الكريم 3/ أهمية تدبر القرآن
الشيخ	محمد صالح المنجد
عدد الصفحات	12
رقم الخطبة في الموقع	5344

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أصدق الحديث كتاب الله، كتاب الله لا تنقضي عجائبه، هذا القرآن العظيم الذي أنزله الله تعالى من أجلنا لتحيا به قلوبنا، ليكون صلة فيما بيننا وبينه،

ولو قال لك قائل اليوم: أعطني دليلاً على أن هذا الإسلام من عند الله، وأن هذا المبعوث إلى الأرض صادق، وأن له معجزة، فقل: هذا القرآن.

كلما جاءتك الوسوس لتشككك فليكن الجواب: هذا القرآن، هذا القرآن -يا عباد الله- عجيب! عجائبه كثيرة لا تنقضي، وهذا القرآن جعل المؤمنين يتلذذون بقرآته حتى يقطعوا الوقت وهم لا يشعرون، هذا الذي جعل رجلاً من السلف لما أراد أن يدخل بأهله فقام ليصلي ركعتين ينسى نفسه مع عجائب القرآن في تلك الليلة، فاستمر يصلي وقتاً طويلاً.

هذا القرآن فعلاً يحتوي على درر، على سبيل المثال سورة الفاتحة: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: 2-5]، الأصل في الجملة في اللغة العربية أن يأتي الفعل ثم الفاعل، يعني "نعبد إياك"، وعندما يتقدم المؤخر ويؤخر المقدم فمعناها أن هناك سبباً وشيئاً وراء هذا الموضوع، فما الفرق بين: إياك نعبد، ونعبد إياك؟! هذا التقديم والتأخير يفيد الحصر كما قال العلماء؛ فإن من قال: أعبد كذا، يحتمل أن يعبد غيره أيضاً، لكن لما يقول: إياك نعبد، هذا التقديم للمفعول به على الفعل يفيد الحصر، يعني: لا نعبد إلا أنت، فترتيب الكلمات له معنى ومغزى. ولما جاء إلى الهداية وطلب العفو قال: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ)، لم يقدم ولم يؤخر، فلم يقل: إيانا اهد، لماذا؟! لأن الهداية عامة، ليست فقط للمتكلم، ولذلك رجع السياق إلى المعتاد وتقدم الفعل فقال: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ).

ولذلك أنكر النبي -صلى الله عليه وسلم- على الأعرابي لما قال: "ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا"، فرحمة الله واسعة تشمل الجميع ولا يجوز تخصيصها لشخص.

عندما تتأمل في هذا القرآن الذي أسكت العرب فستجد أنه قمة الفصاحة، ومن المعلوم أن قمة فصاحة العرب وقمة الإنتاج الشعري وقمة بلاغة الخطب كانت في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكانت المعلقات، فلما جاء القرآن أسكت هذه القمم البلاغية فلم تعد شيئًا، وتحداهم بأن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا، وتحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات فلم يستطيعوا، وتحداهم بأن يأتوا بسورة فلم يستطيعوا، فنادى عليهم بالعجز في العالمين: (قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: 88].

ولذلك؛ الأعراب الذين كانوا في البادية أصحاب اللسان الفصيح كانوا يتذوقونه، فلما قال أعرابي كلامًا فليل له: ما أبلغك! فقال: ليس كلامي هذا، البليغ قوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) [القصص: 7]، فأتى بأمرين ونهيين وبشارتين في جملة قصيرة.

الأعرابي يتذوق القرآن: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ) هذا الأمر الأول، (فَالْقِيهِ) هذا الأمر الثاني، نهيان: (وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي)، بشارتان: (إِنَّا رَادُّوهُ

إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ). بل إن النساء في الصحراء كانت الواحدة منهن تتأمل ألطاف البلاغة في هذه الآيات.

هذه النملة، لما جاء سليمان وجنوده ماذا قالت؟! (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ) نداء، (ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ) أمر، (لَا يَخْطَمَنَّكُمْ) تحذير، (سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) [النمل:18] اعتذار، اعتذرت عن نبي الله سليمان أن الحطم لو حصل فسيكون بغير قصد منه، بلاغة نملة في خطابها أتى بها القرآن.

عجائب! ما الفرق بين: (فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ) (وَمَا اسْتَطَاعُوا)، في سورة الكهف؟! وما معنى وجود التاء هنا وحذف التاء هناك؟! إن الزيادة في المبنى تفيد الزيادة في المعنى، وهذا يعني بأن (اسْتَطَاعُوا) تشتمل على معنى إضافي أكثر من المعنى الموجود في قوله: (اسْطَاعُوا)، وأيهما الأشد والأعلى والأقوى؟! الجواب: الكلمة التي فيها التاء.

أين استعملت (اسْطَاعُوا)؟! وأين استعملت (اسْتَطَاعُوا)؟! (فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ) يتسلقوا عليه ويتجاوزوه من فوقه، (وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا)، أيهما أصعب: العبور من فوقه وتسلقه أم نقبه وخرقه؟! الجواب: نقبه وخرقه، لماذا؟! لأن تلك السبيكة لم يكد يوجد لها نظير في العالم في ذلك الوقت.

(آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ)، ملأ ما بين الجبلين بقطع الحديد، ثم قال لهؤلاء القوم المتخلفين يعلمهم كيف يصنعون أقوى سبيكة في العالم ليصنعوا منها سدًا لا يمكن اختراقه: هاتوا زبر الحديد، أوقدوا النار،

هاتوا المنافخ، انفخوا، حتى إذا جعله نارًا تتأجج وانصهر الحديد وصارت هذه القطع قطعة واحدة قال: (آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) النحاس المذاب. وهذه السبيكة من الحديد والنحاس هي أقوى أنواع المعادن في العالم التي لا يمكن اختراقها إلا بصعوبة بالغة جدًا، ولذلك؛ في حال التسلق من فوقه قال: (فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ)، وفي حال الاختراق لهذه السبيكة المتينة العظيمة قال: (وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا)، لا يوجد في القرآن حرف واحد ليس له فائدة.

انظر مثلاً إلى قوله تعالى في الحكاية عن نهاية قصة طوفان نوح، كيف انتهت القصة؟! عبارات موجزة، جمل قصيرة واضحة المعاني متتابعة السياق تنبئ عن تلك السرعة التي انتهى بها الموضوع: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَّمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [هود:44]. (وَقِيلَ) مبني للمجهول، (يَا أَرْضُ) نداء، (ابْلَعِي مَاءَكَ) نداء ثم أمر.

مَنْ المنادي؟! الله - عز وجل - يأمر السماوات والأرض بما يشاء، (قَالَ إِيَّتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) [فصلت:11]، (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا) [الأحزاب:72]، الله يفعل في السماوات والأرض ما يشاء.

فلما أمر الله بإهلاك قوم نوح، وعمّ الطوفان كل الأرض، ولم يعد يوجد متر مربع من اليابسة في العالم إلا وقد غمره الماء، كيف انتهت القصة؟! وكيف

عادت الأرض صالحة لسكنى البشرية؟! عند رب العالمين كل أمر يسير: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ) السفينة (عَلَى الْجُودِيِّ) (وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [هود:44]، فيها نداء، وفيها أمر، وفيها دعاء في آخر الآية: (وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ): هكذا التابع.

ولو تأملت كل كلمة من الكلمات في سياقها فستجد دلالات عجيبة، فلو تأملت وتدبرت مثلاً في قصة المرأة التي قال عنها نسوة في المدينة: (امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ) [يوسف:30]، كم كلمة: (امْرَأَة - العزيز - تراود - فتاها)، أربع كلمات، لكن؛ ماذا تحوي من المعاني؟! الدعوة للفاحشة تقع من أناس مختلفين؛ لكن، هناك اعتبارات معينة كلما وجدت كانت الدعوة إلى الفاحشة أقبح، فمثلاً: الدعوة للفاحشة إذا أتت من امرأة كانت أقبح، وكلاهما حرام، وكلاهما قبيح، وكلاهما إثم، وكلاهما من أسباب دخول النار، لكن؛ حينما تأتي من المرأة صاحبة الحياء الفطري والتي هي أشد حياءً من الرجل تكون أقبح.

العادة أن الرجل هو الذي يدعو وليست المرأة، وإذا جاءت الدعوة من المرأة صارت أقبح؛ ولذلك لما قال: (امْرَأَةٌ) هذه لها معنى، فالدعوة منها أقبح، (الْعَزِيزِ): لما تأتي الدعوة للحرام من امرأة من طبقة اجتماعية مرتفعة، يعني عندها مال؛ لأن الضعيفة الفقيرة قد تدعو لحاجة المال، ولكن حينما تكون المرأة من طبقة اجتماعية رفيعة فمن المفترض أن الطبقة الاجتماعية تكون

شيئاً من الحماية والسياج خوف السمعة، وعندما تأتي الدعوة من امرأة صاحبة منصب وزوجة إنسان مشهور أو له مكانة في المجتمع تكون أقبح، هذه كلمة (امْرَأَةٌ)، ثم قال: (العَزِيزُ)، ليست أي امرأة، (امْرَأَةُ الْعَزِيزِ)، (تُرَاوِدُ) فهي التي تدعو وليس هو، (تُرَاوِدُ) وهذه أقبح.

ثم من الذي تراود؟! واحداً مثلها من طبقتها الاجتماعية؟! من كبار القوم؟! لا، تراود فقيراً غريباً يخدم عندها؛ ولذلك فدعوته لها -وهو عبد عندها وهي حرة وسيدة- أقبح، فعرض لنا قبح الفعل بأربع كلمات: (امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا)، لِيُعْرِفَ مدى الجرم ودرجة القبح في هذا العمل.

ولا شك أن يوسف -عليه السلام- في الحقيقة أشرف منها بكثير؛ لأنه أصلاً الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليهم السلام-؛ ولذلك كان اللائق به أن يمتنع، وهذا ما فعله. عباد الله: إن في القرآن درراً والله! اللهم إنا نسألك أن ترزقنا لذة مناجاتك، اللهم اجعلنا من أهل القرآن يا رب العالمين، اللهم اجعلنا ممن يقبلون على مائدتك يا أرحم الراحمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا الله، وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ وأشهد أن لا إله إلا الله الحي القيوم رب العالمين، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله الأمين، الشافع المشفع يوم الدين، وحامل لواء الحمد، وصاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته الطيبين، وآله وخلفائه الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله: هذا القرآن للذي يتذوقه -بعد معرفة التفسير طبعًا- سيكون له شأن آخر مختلف تمامًا عما يتلوه وقصده نهاية السورة فقط، الله -سبحانه وتعالى- أوحى، ويأتي الوحي أيضًا بمعنى الإلهام -: (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) [النحل: 68]، أين يوجد النحل عادة؟! في أحد هذه الأماكن الثلاثة، خلية النحل إما أن تكون جبلية في الجبل، أو تكون شجرية في الشجر، أو تكون تحت فيما يصنعه الناس لها من الخلايا والعرايش.

تأمل هذه الآية كيف يوجد فيها التدرج في الارتفاع، وهذا ليس عبثًا، وإنما هو عرض مرتب منظم من الجبال فوقًا إلى الشجر أسفل منه، ثم إلى أسفل: (وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)، هذا تدرج في ذكر الارتفاعات، هذا نوع من التنظيم في العرض.

تأمل مثلاً قوله تعالى عن أنه يُخرج (مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) [النحل:66]، هذا طاهر من بين نجسين: الفرث نجس، والدم نجس، ما المتوقع أن يخرج من بين نجسين؟! نجس فاسد! لكن الله على كل شيء قدير، والله -عز وجل- أحسن كل شيء خلقه: (صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ!) [النمل:88]، وبقدرته -سبحانه- أخرج من بين النجسين (فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا!) الله أكبر! (لَّبَنًا خَالِصًا) ما فيه شوائب، إذا حلبت الشاة أو البقرة أو الناقة فهل تجد في لبنها شوائب؟! النازل يكون خالصًا (سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ)، يشرب بلذة، يشرب وهو يستمتع بشربه، يشرب وهو سائغ لمذاقه الطيب، أين طعم الفرث والدم؟!

أعجوبة والله! لو واحد ملحد يتأمل فيها يُسلم، لو عاقل يسلم، وقد نشروا قريباً أن الإلحاد ثالث ديانة في العالم، يسمونه ديانة! حتى في التعريفات الأمية قالوا: أولاً النصرانية ثم الإسلام ثم الإلحاد، ملاحظة كثر جداً في العالم، أين هم من هذه الآيات؟!

والله -عز وجل- يضع في القرآن عجائب، يضع في القصص والأحداث عجائب، مثلاً القميص في قصة يوسف، شيء عجيب، في أول القصة: (وَجَأَوْهُمَا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) لما خدعوا أباهم وأخذوا يوسف وقالوا: يرتع ويلعب وينبسط وينشرح، ويعقوب يحب ابنه ويريد له الانشراح، فأتوا أباهم من هذا الباب (يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ)، ولما رموا يوسف في الحب ليهلك

ليتخلصوا منه رجعوا إلى أبيهم عشاءً ليكون بكذبة: (وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ)، لطحوا قميص يوسف (بِدَمٍ كَذِبٍ).

ولما رأى يعقوب أن القميص ما فيه تقطيع، مجرد قميص مصبوغ بالدم، ما هذا الذئب الذي يخلع القميص عن الولد قبل أن يأكله؟! فعلم أنه كذب، وإذا سرت في القصة فستجد أن قميص يوسف له شأن آخر! (وَاسْتَبَقَا الْبَابَ) لما دعتة للفاحشة، (وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ) قطعتة (مِنْ دُبُرٍ) من الخلف لأنه هو الهارب وهي التي تلاحقه، (وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ) أمسكت بالقميص، ومن شدة الجذب انقطع، تمزق، لم يتمزق هناك وهنا تمزق (وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ)، كما كان القميص من قبل دليلاً على كذبهم، الآن القميص دليل على كذبها.

وتمشي في القصة -يا عبد الله- وأنت تستمتع بما فيها ولا يمكن أن يوجد مثلها قصة ألفها بشر أبداً، لتجد أن القميص كان له شأن ثالث: (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا) [يوسف: 93]، القميص مرة ثالثة يظهر في القصة، ليس هو القميص الأول ولا القميص الثاني، بالتأكيد تغير، لكن يوسف هو الذي كان في القميص الأول والقميص الثاني والقميص الثالث.

(فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا) [يوسف: 93] فارتد بصيراً لما ألقى القميص عليه، وقد جاء البشير ثم جاء بالقميص فألقاه على وجهه فارتد بصيراً، القميص هذا آية، القميص هذا أعجوبة، القميص هذا صار معجزة

ليوسف ويعقوب برد بصر شيخ كبير، فانظر ماذا جعل الله في القميص من الآيات؟! يا مسلم: افتح عينيك وافتح قلبك وفكر فيما أنزل الله، والله ستزداد إيماناً.

ولو أننا استرسلنا في الأمثلة على عجائب القرآن لمكثنا مدة، وبحسب ما يكون لدى الإنسان من العلم والاطلاع على كتب العلماء والتفسير بقدر ما يكون عنده القدرة على الغوص في المعاني والاستمتاع في الرحلة القرآنية. ولذلك كان من أعظم العبادات تدبر القرآن: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) [القمر: 22]، (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [محمد: 24].

اللهم إنا نسألك أن تفتح قلوبنا للقرآن العظيم...



عنوان الخطبة	فتن آخر الزمان
عناصر الخطبة	1/ الابتلاء سنة كونية 2/ معاني الفتنة في القرآن 3/ تأثير الفتن لدى جموع الناس 4/ ضرورة وعي المسلم لما يدور حوله من أحداث 5/ مسائل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد 6/ فتنة وسائل الإعلام 7/ ضرورة العودة للكتاب والسنة
الشيخ	محمد صالح المنجد
عدد الصفحات	19
رقم الخطبة في الموقع	2801

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فإن الله - سبحانه وتعالى - خلق خلقه ليبليهم: (خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [الملك: 2]، وهذا الابتلاء والاختبار لحكمة عظيمة من الله - سبحانه وتعالى -؛ ولذلك فإن ربنا - عز وجل - يقدر فتناً تمحص العباد وتبين الحقائق وتظهر المعادن، وهكذا سلعة الله

غالية، لا يدخلها إلا من وفقه الله -عز وجل- للنجاح في هذا الابتلاء الذي يتلي به العباد.

وإذا نظرنا إلى الفتن في القرآن الكريم فإننا نجد هذا المعنى في مقدمتها، الفتنه بمعنى الابتلاء والاختبار كما قال تعالى عن موسى -عليه السلام-: (وَقَنَّائِكَ فُتُونًا) [طه: 40]، أي ابتليناك واختبرناك، وقال سبحانه: (أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) [العنكبوت: 2]، أحسبوا أن نتركهم بلا اختبار ولا ابتلاء، وهكذا يختبرهم بأمر كثيرة من الشدة والرخاء، والمال والنساء، والحسب والنسب، والحرب والأمن، والشدة والخوف، وتأتي الفتنه بمعنى العذاب، كقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ فَتِنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)، أي عذبوهم وحرقوهم، وقال -عز وجل-: (إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا) أي أودوا وعذبوا.

والفتنة تأتي في القرآن بمعنى الشرك والكفر كقوله: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً) [البقرة: 193]، أي لا يكون شرك، وقال: (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) [البقرة: 191]، وتأتي بمعنى القتل أيضاً كقوله -عز وجل-: (إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا) [النساء: 101]، وتأتي بمعنى الصد عن سبيل الله كقوله: (وَاحْذَرُوا أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) [المائدة: 49]، وتأتي بمعنى اشتباه الحق بالباطل كقوله: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) [الأنفال: 73]،

وهذا الاشتباه جاء في حديث: "ستكون فتن؛ القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي"، وهي أيضاً تأتي بمعنى اختلاف الناس وعدم اجتماع قلوبهم كقوله تعالى: (وَلَا وُضِعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ) [التوبة: 47]، أي يوقعون الخلاف بينكم.

وإذا نظرنا في أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- وجدنا أن الفتن لها أوصاف، منها كبار ومنها صغار كما جاء في حديث حذيفة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً، ومنهن فتن كرياح الصيف، منها صغار ومنها كبار".

وكذلك فإن الفتن تحدث انتكاساً للناس؛ فيرى الرجل حالاً ما كان يراه حراماً والعكس، وأيضاً فإنه تتفاقم وتزداد وتكثر وتعظم كما دل عليه الحديث: "إن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها، وتجيء فتنةٌ فيرقق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه". يعني تكون الأولى أهون من الثانية، وتُنسى شدة الثانية هول الأولى.

والفتنة تكون في زمان ومكان يصل لدرجة أن يتمنى بعض الناس الموت، كقوله -عليه الصلاة والسلام-: "لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه". وهذا حال المؤمن الذي يصل به الخوف على ذهاب دينه وغلبة الباطل وأهله وظهور المعاصي والمنكرات، لدرجة أنه

يتمنى أن يموت الآن قبل أن يفتن، فإنه يرى أن الموت خير له من أن يفتن في دينه.

هذه الفتنة تقلب القلوب، ولذلك قال لنا: "بادروا بالأعمال فتناً"، اعملوا بالصلوات الآن، تصدقوا قبل أن لا تتصدقوا، صوموا قبل أن تشغلوا، "بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل".

فهذا يدل على تقلب دين الناس صباحاً ومساءً، ليلاً ونهاراً؛ لأنه قال: "يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً". الانقلاب حصل في الصباح، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، الانقلاب والانتكاس حصل في المساء أو في الليل. ومن صفات الفتن أنها تذهب بعقول الرجال في وقت من الأوقات كما قال -عليه الصلاة والسلام-: "يقتل بعضكم بعضاً، حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته"، فقال بعض القوم: يا رسول الله: ومعنا عقولنا ذلك اليوم!! فقال: "لا، تنزع عقول أكثر ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس". يعني لا قيمة لهم، بمنزلة الغبار. رواه أحمد ورواته ثقات.

وهذه الفتن تقع وتتطور وتخرج عن حدود السيطرة ويعرفها العلماء إذا أقبلت، والجهلاء والعامة لا يعرفونها إذا أدبرت، وتنزين في مبادئها لتغري بالتورط فيها كقوله -عليه الصلاة والسلام-: "من تشرف لها تستشرفه"، وكذلك فإن فيها انتكاساً للفطر، تأتي الفتنة العمياء الصماء المسبقة التي

يصير الناس فيه كالأنعام، وهذا كلام علي -رضي الله عنه- في حديث موقوف صحيح رواه ثقات له حكم الرفع.

وأيضاً تأتي أنواع من الفتن لا تدع بيتاً إلا دخلته كما -قال عليه الصلاة والسلام-: "وفتنة يدخل حرمها بيت كل مسلم". وأيضاً لا تدع أحداً إلا لطمته، وكذلك فإنها تقلب القلوب وتجعل فيها النكت السوداء حتى تصبح منتكسة، وأما قلوب أهل الإيمان فإنها تبقى صافية نقية لا يتشربها شيء من دخان هذه الفتن.

عباد الله: إن قواعد الدين وواجباته تفرض على المسلم أن يعي ما يدور حوله، وأن يعرف الموقف الشرعي من ذلك، وإذا نظرت في هذه الأحداث الكثيرة وهذه المستجدات فإنك تجد فيها أنواعاً بحيث لا يمكن أن تطلق عليها حكماً واحداً، ولا أن تقف منها موقفاً واحداً، ولا أن تعمم عليها كلاماً واحداً؛ ولذلك فإن معنى الاختلاط والاشتباه في الفتنة قائم الآن، والله تعالى يتلي أهل العلم، يتلي قادة الدعوة والعلم من المسلمين في المواقف، ويمتحنهم بما يجريه من الأقدار، ماذا يفهمون؟! وكيف يحكمون؟! وبأي شيء يتكلمون؟! عن ماذا يصدرون؟! ماذا يقولون وماذا يعلمون؟! وهذه من أعظم المسؤوليات الشرعية، ابتلاء العالم والداعي إلى الله بهذه الأقدار الإلهية التي ينظر ربنا فيها ماذا يقولون وماذا يعملون؟!

وفي الحقيقة -يا عباد الله- فإن حجم المسؤولية الشرعية الملقاة على أهل العلم ضخمة جداً، لا يعين على هذا إلا الله -عز وجل-، وقد فاوت الله

تعالى بينهم في مقدار ما عرفوه من الكتاب والسنة، وفي النور الذي قسمه في قلوبهم وفي عقولهم عمقاً وفهماً وإحاطةً وتقديرًا وهكذا.

ولذلك فإن الخطأ وارد، وأيضاً اللبس حاصل، وقد يكون من عقل بعضهم أن يتوقف عن إصدار حكم لأنه لم يتبين له الحق فيه، وهذا موقف شرعي صحيح، فإن الله لا يكلف عالماً أن يقول ما يعلمه، أو أن يحكم على ما لم يفهمه، أو يجزم بشيء في أمر لم يتضح له بعد.

ولذلك فإن التريث والتأني مطلوب، وأيضاً مناصحة العموم أمر مطلوب؛ لأن الرأي في الأحداث الكبار يصعب أن يصدر عن واحد، وأيضاً فإن التعميم في كثير من الأحيان يكون خاطئاً، فقد يكون في مكان يفسر فيه بشيء ويحكم بشيء وهو في مكان آخر يحكم عليه بشيء آخر، وإن من الفتنة حدوث الالتباس، فيسمى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتنة لا يصح الخوض فيها.

وكذلك يمكن أن يسمى الجهاد فتنة كما فعل المنافقون: (اِئْذَنْ لِي وَلَا تَقْتُلْنِي) [التوبة: 49]، ائذن لي في التخلف عن الجهاد في سبيل الله، ولا تفتني في نساء الروم، وهذه حجة واهية يا عباد الله.

ولذلك يجب أن تبقى الأمور الشرعية بأسمائها، فيبقى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغيير المنكر، حكماً قائماً شرعياً يجب العمل به: "من رأى منكم منكراً فليغيره"، تبقى نصرة المسلم لأخيه المسلم قائمة: "انصر أخاك"، كما قال -عليه الصلاة والسلام-: "لا يسلمه لا يخذله".

يبقى التعاون على البر والتقوى قاعدة شرعية، يبقى الجهاد في سبيل الله أمرًا حقيقيًا لا يمكن أن يعزل أو يلغى، وكذلك العمل بقواعد المصالح والترجيح في المصلحة والمفسدة وخير الخيرين وشر الشرين وموازنة الأعمال، وحساب العواقب يكون في غاية الأهمية، وكلام العلماء في هذه الموازنات فيه عمق كبير وذكاء مستنير، وهذا كلام بعضهم على سبيل المثال؛ قال الشوكاني - رحمه الله -: "ويجب إعانة الظالم على إقامة معروف أو إزالة منكر، والأقل ظلمًا على إزالة الأكثر، مهما وقف على الرأي ولم يود إلى قوة ظلمه".

وقال: "لقد قررنا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الفرائض الإسلامية، وأهم الواجبات الدينية، والظالم -يعني المسلم المتلبس بالمعصية- والظالم إذا قام بذلك فقد قام بحق، وإذا احتاج إلى من يعينه على ذلك كانت إعانته واجبة؛ لأنها إعانة على حق، وقيامًا لأجل الحق، لا لأجل الظالم نفسه، ومعلوم أن الحق لا يخفى".

إذاً لو قام ظالم بشيء من الشرع يعان، لا لأجل أنه ظالم، ولكن لأجل الشرع الذي يقوم به، وقال أيضاً: "ومن هذا القبيل إعانة الأقل ظلمًا من الفسقة على الأكثر ظلمًا إذا كان يندفع بهذه الإعانة ظلم الأكثر ظلمًا أو بعضه، فإن هذا داخل تحت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

عباد الله: إن معرفة الحكم الشرعي في الأشياء مهم في اتخاذ الموقف منها، والقتال على سبيل المثال أنواع؛ فهناك قتال بحق كالجهاد في سبيل الله، والقتال مع الإمام العدل ضد من خرج عليه، وكذلك هنالك قتال بباطل

كسفك الدماء بين المسلمين في عصبية، نعة، قتال على دنيا، تنافس فيها، فإن سفك الدماء في هذه الحالة حرام وكبيرة عظيمة من الكبائر.

وأيضاً الدخول في قتال لم يتبين حكمه حرام، بدليل قوله: "قاتل لا يدري لم يقتل، ولا المقتول يدري فيم قتل". وأتى بها في معرض الذب للداخلين في فتنة القتال عندما لا يكون ذا حق.

كذلك من قاتل تحت راية عصبية عمية، يدعو إلى عصبية أو جاهلية، وهكذا كقتال بعض القبائل في تنافسها على المكان أو الأرض أو الدنيا، فإنه من عدوان أهل الجاهلية بعضهم على بعض، وهذا كان في قتال العرب في الجاهلية أن يعدو بعضهم على بعض، وأن يظلم بعضهم بعضاً، وأن يسلب بعضهم بعضاً، وينهب بعضهم بعضاً وهكذا، فلا يمكن إطلاق حكم واحد على القتال، فمنه حق، ومنه باطل، ومنه حلال، ومنه حرام، منه واجب، منه مستحب، وعندما يتم الخلط في مسألة من المسائل تحدث الفتنة والكارثة.

عباد الله: إن الحيرة ابتلاء، والله يسلط على العباد أحياناً فتنة تدع الحليم حيراناً، وبيتلي بالحيرة فينظر كيف يخرج منها أهل العلم الراسخين؛ فإنهم بنور الكتاب والسنة الذي يضيء الله به قلوبهم يستطيعون أن يعرفوا حكم الوقائع، وأن يقولوا ما يدينون به رب العالمين، وبعضهم ربما يتوقف، وبعضهم ربما يخطئ ويقول كلاماً ليس بالحق، فإن كان من أهل الاجتهاد وعنده الآلة - أي العلوم الشرعية اللازمة للكلام كأصول التفسير ومصطلح

الحديث وعلوم اللغة التي يفهم بها نصوص الشرع، وأصول الفقه الذي يعرف به الخاص من العام، والمطلق من المقيد، والناسخ من المنسوخ، ومعاني الألفاظ ودلالات الألفاظ، ونحو ذلك، ويعرف كلام أهل العلم، ماذا قال السلف، ماذا جاء عن الصحابة في الأمر، وعن التابعين، وعن أئمة الدين المعبرين - فإذا كان عنده الأهلية فأخطأ فإن الله يغفر له ويأجره أجرًا واحدًا، وإذا تكلم فأصاب يؤجر أجرين، لأن ربنا - سبحانه وتعالى - قد وفقه لإصابة الحق، فيؤجر على اجتهاده، ويؤجر على إصابته في الحق.

وقد يتوقف بعض الناس فيأجرهم ربهم على عدم استعجالهم وعلى تأنيهم، وعلى قول: لا أدري، فإن العالم يؤجر على قول: لا أدري، يؤجر على قول: لا أعلم، يؤجر على وقوفه، لأنه لم يتعد حدود الله، ولم يتكلم بما لا يعلم؛ لأن الله حذره وقال: (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة: 169]. وفي ذات الوقت يأثم إذا تكلم بغير علم، يأثم إذا أقحم جاهل نفسه في الموضوع، إذا نطق الرويضة السفية في أمر العامة، وهذا مزلق عظيم، وكثيرون يغترون بأنفسهم ويظنون أنهم من أهل العلم وهم أنصاف في أحسن أحوالهم، لا يحق لهم أن يتكلموا أصلاً.

وعامة يؤجرون على تقليدهم لأهل العلم، ليس عندهم قدرة على الكلام في أحكام الشريعة، ولكن يأجرهم ربهم إذا تابعوا أهل العلم الثقات العلماء الربانيين الذين يعملون بالعلم، الذين يقولون الحق ولا يخافون في الله لومة لائم، فهؤلاء كالكبريت الأحمر في نضرتهم وقتلهم، ولكن إذا علم العامي

أحدهم فتابعه في قوله واستفتاه وأخذ بحكمه فإنه يؤجر لأنه عمل ما أمره الله به: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النحل: 43]، بينما قد يأثم العامي عند الله إثمًا عظيمًا عندما يضرب بكلام أهل العلم عرض الحائط ولا يكثرث، ولا يسألهم ولا يستفتيهم، ولا يقبل عليهم، ولا يحرص على أقوالهم، ولا يصغي لكلامهم ولا يتصل بهم، فهو عن كلامهم معرض، وغاية ما يفعله أن يتابع الأخبار في وسائل الإعلام والقنوات، وهذا ولا شك فيه مخاطر عظيمة، ويمكن أن نلخص سلبيات القنوات بأمور:

أولاً: الإشغال.

ثانياً: التضليل.

فيحدث من وراء كثرة بث الأخبار تضليل كبير، فإنه لا يكاد يوجد حيادية إطلاقاً في القنوات الإخبارية؛ لأن معدي الأخبار لهم أخبار ولهم ميول، وعند كثير منهم اعتقادات سابقة منافية للحق، ولذلك فإنه لا يجوز أن يأخذ من الإعلاميين أو الإخباريين الأحكام الشرعية، ولا المواقف الدينية في الأزمات، والإعلام في العالم يوجه الناس، يوجههم حسب توجهات الجهة التي تقف وراءه، ولذلك فإن كثيراً من العامة ينساقون من حيث لا يشعرون إلى تأييد، أو انتقاد، أو ذم، أو تحوين، أو مدح شخص أو جهة بفعل هذه الوسيلة الإخبارية.

أما مسألة الإشغال فإن من السلبيات القائمة اليوم، أن كثيراً من الناس قد انشغلوا عن صلاة الجماعة والخشوع في الصلاة، وتلاوة كتاب الله والصوم

المستحب أيضًا، وكذلك كثرة ذكر الله وما يجب عليهم من بر الوالدين، وصلة الرحم، والإحسان، وأنواع المعروف، والطاعة، والقربات، والأعمال القلبية، من خوف الله ورجائه والتوكل عليه والصدق معه، والحياء منه، والإنابة إليه، والتوبة إليه، ونحو ذلك.

شغلهم الإعلام عن التوبة إلى الله، شغلتهم القنوات الإخبارية عن عبادة الله، شغلتهم المتابعات المستمرة عن العيش مع الله والإخبارات إلى الله والإنابة إلى الله، والتضرع إلى الله، ورفع الكفين ودعاء الله، شغلتهم الأخبار وهذه المتابعات حتى عن الدعاء لإخوانهم، واللهج بالاهتمام بأمرهم فيما ينفعهم. وهذه ولا شك فتنة عظيمة يا عباد الله.

وإن من المواقف الشرعية المهمة: النظر في الآيات التي تتعلق بالأحداث، ماذا يوجد في كتاب الله بشأن ما يحدث؟! إذا علمنا أن الله قال: (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) [الأنعام: 38]، فماذا يوجد يا ترى في كتاب الله بشأن هذه الأحداث؟! تأمل في حكمة الله - عز وجل -، تأمل في قوته سبحانه، تأمل في تدبيره للأمور، كل يوم هو في شأن، يخفض قومًا ويرفع آخرين، يعز قومًا ويذل آخرين، يغني قومًا ويفقر آخرين، وهكذا يعطي ويمنع، ويسلب ويمنع، سبحانه وتعالى له الأمر كله، ويده سبحانه ملكوت السموات والأرض، لا يشغله شيء عن شيء، يدبر الأمر في السماء والأرض، تعرج الملائكة بأمره، تصعد وتنزل، يدبر أمور الكون في السماء

والأرض بين العباد، وآياته الكونية من إجراء الرياح والزلازل والأعاصير والفيضانات والبراكين وهذه الفتن التي تقع.

فهو الذي يغرق قومًا بآخرين، ويسلط قومًا على آخرين، سبحانه وتعالى فهو الذي يدبر الأمور، وهو الذي يدير -عز وجل- هذه الأحداث.

تأمل في قوله -عز وجل-: (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ تُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) [آل عمران: 140]، تخرج بأنه -سبحانه وتعالى- قوي حكيم عليم، وأنه جبار -عز وجل-.

تأمل في أن له الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله، لتخرج من هذه الأحداث بأنه سبحانه فقط الذي يبقى والعباد يذهبون: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [القصص: 88].

تأمل في انتقال الأشياء من وإلى، وهو سبحانه يبقى لا يضره أحد، لا يمكن أن ينقص ما عنده، وعند الناس ينقص: (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ) [النحل: 96].

تأمل في قوله تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) [البقرة: 251]، تأمل حكمته في دفع الباطل بالحق، والقيام بمصالح العباد.

تأمل في التدافع بين الحق والباطل وتنحية أحدهم للآخر، والحق هو كل ما هو ثابت وصحيح وواجب من اعتقاد أو قول أو فعل جاء به الشرع، والباطل نقيض ذلك وضده.

تأمل في هذا التدافع بين أهل الحق وأهل الباطل، وأهل السنة وأهل البدعة، وأهل التوحيد وأهل الشرك، وأهل الإسلام وأهل الكفر.

تأمل في هذه السنة الحتمية الجارية، التي لا يكاد يخلو منها دهر ولا زمان، ولا بلد، ولا أوان ولا ميدان، فهي باقية ما بقيت الحياة، ولا يتصور أن يبقى الحق هكذا منصوراً أهله نصر الدنيا، أو الباطل يبقى هكذا منصوراً أهله نصر الدنيا، وللباطل قوة تطغيه، ولذلك لا بد من دفعه بالحق وأهل الحق: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً) [الأنفال: 36].

وقد اقتضت سنته -عز وجل- أن الغلبة في النهاية للحق وأهله، وأن الاندحار والحق للباطل وأهله، كما قال -عز وجل-: (وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ) [الشورى: 24]، فمن عادته أن لا يديم ظالماً، ولا يديم مفسداً: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) [يونس: 81]، فيسلط عليه الدمار.

من سنته تنازع الحق والباطل، والصالح والفساد، فلا يديم باطل، بل يزيله مهما طال، ويمحقه مهما بقي، ويظهر بطلانه -عز وجل-، هذه السنة في التدافع أخبر به سبحانه: (إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) [هود: 49]، (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْهَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) [الفتح: 22، 23]، تأمل قوله:

(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) [غافر: 51]، هكذا في قديم الدهر وحديثه.

وقد يسبق نصر الحق أذى للمؤمنين، وهذا طبيعي، ومن السنن أن يبتلي عباده المؤمنين بتسليطه لأهل الكفر أو الظلم عليهم، فلا يجوز أن يغتر إنسان بغلبة باطل زائف؛ لأنها سحابة صيف تنقشع عما قليل: (إِنْ يَمَسُّنَّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) [آل عمران: 140]، وهكذا -يا عباد الله- من الآيات الكثيرة التي جاءت.

فمثلاً تأمل في تسلط المشركين، إذا تسلطوا ماذا يفعلون؟! (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) [التوبة: 8]، والآن هؤلاء الكفرة لما جاءوا بلباس الإنقاذ يقتلون المستضعفين، وعلى أحسن أحوالهم يريدون تقسيم بلاد المسلمين.

وعندما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اذهب فيني لا أستعين بمشرك"، قد قرّب لنا هذه القاعدة العظيمة، فإذا جاؤوا بالقوة فهناك يكون الفقه في الموقف منهم، متى يجاهدون وكيف؟!

تأمل في قوله تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) [النساء: 93]، لتجد أن هذه الآية التي لها علاقة بهذه الأحداث تبين حكم قتل البريء.

تأمل في قوله: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) [الشعراء: 227].

تأمل في قوله: (إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) [الأنفال: 29]، ليتبين لك الثواب إذا اتقيت ربك حتى ترى الأشياء بمنظار الشرع والعدل.

تأمل في قوله: (وَوُرِيدَ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتِضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) [القصص: 5]، وتأمل في قوله: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا) [الحج: 39]، وتأمل في قوله: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ) [الحج: 40].

ثم تأمل في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- فيمن خرج على أمته يضرب برها وفاجرها، وأما الذين يريدون قتال الفتنة وأحداث الفوضى والاضطراب في بلاد المسلمين إنما هم أعداء للمسلمين وأعداء للدين، يريدون تحويل بلاد المسلمين إلى فوضى عارمة؛ حتى لا يبقى لهم دين يقام، لا جمعة ولا جماعة ولا تعليم العلم الشرعي ولا الدعوة إلى الله، فإذا صارت البلاد فيها فتنة واضطراب ولم يكن لهم أمن فلا تقوم لهم دنيا ولا دين.

ولذلك فإن أمر اقتصاد المسلمين عندما يتدهور أهلهم يكون أيضاً كارثة، ويفكر التجار والأغنياء في نقل أموالهم إلى بلدان أخرى، وأن لا يقيموا مشاريع تنمية ولا اقتصادية؛ لأنهم لا يرون أمناً، فتحويل بلاد المسلمين إلى فوضى واضطراب يؤدي إلى إجهاد أمر الدين وأمر الدنيا.

ولذلك من جاء إلى بلد فيه أمر الدين مُقام، والشريعة تقام حدودها، فأراد أن يلغي ذلك كله، وأن يصرف المسلمين عن هذا، وأن يشغلهم عن دينهم

وشرعهم بفتنة وقتال، فإنه من أعداء الدين ولا شك، أو أنه يسير في ركابهم وإن لم يدر.

ولذلك جاءت الآيات بالأمر بالحكمة والتحلي بها والنظر في الأمور والعواقب، جاءت النصوص الشرعية في عدم التهور وعدم الاستعجال. إذاً -يا عباد الله- ينبغي الأخذ بنصوص الشريعة والعودة إليها حتى في تفسير الأحداث واتخاذ المواقف.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، ولساناً ذاكرةً، وأن يجعلنا من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، وأن يرزقنا الحكمة، وأن يأتينا من فضله، إنه ذو الفضل العظيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، أشهد أن لا إله إلا هو الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين،
أشهد أنه رسول الله حقًا، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فصلوات
الله وسلامه عليه وعلى أصحابه الطيبين.

عباد الله: لا بد في هذه الأحداث التي تمر، والفتن التي تقع، لا بد لنا من
العودة إلى الكتاب والسنة، ولا مفر ولا مناص من هذا، يجب الفقه في
نصوص الكتاب والسنة، وأن يُنظر للواقع من خلال هذه النصوص.

ينبغي أن يكون هناك فقه يفرق بين الأحوال وبين البلدان وبين الأحداث
التي تقع، عند من؟! وفيمن؟! ومن وراءها؟! ومن أطرافها؟! والذي يعلم
يتكلم، والذي لا يعلم يتوقف، والعامي يتابع من يثق بعلمه ودينه.

وإنه ينبغي في هذه الأحداث الاعتماد على الله تعالى والتعلق به وحده لا
شريك له، وسلوك سبيل التآني والرفق والحلم وعدم العجلة، إنها تحتاج إلى
صبر، ألم يقل -صلى الله عليه وسلم-: "إن من ورائكم أيام الصبر"؟!
وكذلك:

فاصبر فإنك في النوازل رائد *** والدرب نعلم شائك وطويل

فالصبر روضات؟ بناء الهدى *** ولجنة الرحمن تلك سبيل

ولا بد من الاتصاف بالعدل والإنصاف في الأمور كلها: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ
قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا) [المائدة: 8].

وكذلك فإنه ينبغي للمسلم أن يتفهم الحكم الربانية ويقوم بواجبه تجاهها، فالفتن ابتلاءات بالخير والشر: (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) [الأنبياء: 35].

وأيضاً التوبة والإنابة والرجوع إلى الله: (وَبَلَّوْنَاَهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الأعراف: 168]، لا بد من التضرع: (فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا) [الأنعام: 43]، لا بد من أخذ العبرة بما يصيب الأقوام الآخرين، والأحداث التي تكون في البلدان الأخرى، وأن ترى المصائب والنهايات، وعلى أي شيء تستقر الأمور، وعندما لا تستقر لا تستعجل بالحكم، انتظر حتى ترى على أي شيء تستقر: (لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) [الأنعام: 67]، (وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ) [ص: 88].

ويجب كذلك الدعاء ورفع اليدين، ويجب كذلك الدعاء والاتجاء لله - سبحانه وتعالى -، فيستحب فيه رفع اليدين ومناجاة الله بأسمائه، والصلاة على نبيه - صلى الله عليه وسلم -، والإلحاح والتكرار، وأن لا تنسى إخوانك المسلمين من الدعاء، هم بأمس الحاجة إلى الدعاء، فبعضهم يقتلون، وبعضهم يجرحون، وبعضهم يؤسرون، وبعضهم يغتصبون، وبعضهم يهدم بيوتهم، وبعضهم تسلب أموالهم.

نسأل الله - سبحانه وتعالى - لإخواننا المسلمين في ساعتنا هذه أن ينصر المستضعفين منهم، اللهم انصر المستضعفين من المؤمنين، اللهم انصر المظلومين على الظالمين، اللهم الموحددين على المشركين، اللهم انصر أهل

السنة على المبتدعين، اللهم إنا نسألك الفرج العاجل لهذه الأمة يا رب العالمين.



عنوان الخطبة	فتنة النساء
عناصر الخطبة	1/ التعلق بالشهوات 2/ فتنة النساء مستتق القرن العشرين 3/ بعض قصص الذين فتنوا بالنساء 4/ الحكمة من الأمر بغض البصر 5/ خطورة اختلاط الرجال بالنساء 6/ بيان خطورة ما يعرض من الفحش على الإنترنت والقنوات المشفرة
الشيخ	الشيخ محمد صالح المنجد
عدد الصفحات	14
رقم الخطبة في الموقع	2797

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد: فإن الله - سبحانه وتعالى - جعل أساس التوحيد لا إله إلا الله، وهو المستحق وحده أن يكون المقصود والمدعو والمطلوب والمعبود - عز وجل -، فهذه هي الغاية التي من أجلها خلقنا، ومن نظر في الأحوال عرف أن الرجل لا بد أن يكون له محبوبٌ ينتهي إليه، ومعبودٌ يعتمد عليه، فمن لم يكن الله

معبوده ومنتهى حبه وإرادته فلا بد أن يكون له مراد ومحبوب آخر يستعبده غير الله -عز وجل-، إما المال، وإما الجاه، وإما الأشكال.

إن الناظر إلى واقعنا -أيها الإخوة- يرى أن الناس قد غرق الكثير منهم في أنواع من التعلق بالشهوات والافتتان بها، فما أكثر المسلمين الذين أشربوا حب الشهوات من النساء والأموال، والملبوسات والمركوبات، والمناصب والرئاسات، والولع بالألعاب والملاهي.

ما هو موقف الشريعة تجاه الشهوات؟! إن هذه الشريعة المباركة المنزلّة من عند أحكم الحاكمين -سبحانه وتعالى- سلكت السبيل الوسط بين أهل الفجور وأصحاب الرهبانية والتشدد، فأهل الفجور أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، وغرقوا في المعاصي والآثام، وأهل الرهبانية حرّموا ما أحل الله من الطيبات، فيقولون: فلان ما ذبح ولا نكح، أي: لم يأكل اللحم، ولم يتزوج النساء، ولم يطأ في عمره؛ فلذلك لم يصبر الناس على طريقتهم، فتركوا الرهبان وهجروهم، بل إن كثيراً من الرهبان لم يصبروا على ما اعتقدوه، فوقعوا هم في أنواع الشهوات الخفية، فاكشفوا واقتضحوا بين الخلق، وهذه الشريعة هي دين الله -عز وجل- تراعي أحوال الناس، وأن لهم غرائز وشهوات، وكذلك فإن الشريعة تعترف بها ولكن تضبطها وتهذبها، ولما كان العبد لا ينفك عن الهوى مادام حيّاً، وأن الهوى ملازمٌ له؛ كان الأمر بخروجه عن الهوى بالكلية غير ممكن، ولذلك فإن الله -عز وجل- لم يأمرنا بأن نصرف قلوبنا عن هوى النساء بالكلية؛ بل صرفنا إلى نكاح ما طاب من النساء مثني وثلاث ورباع،

ومن الإماء ما شاء الإنسان، فصرف الهوى إلى الحرام بالهوى إلى المباح، وهكذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء".

إن المتبعين لشهواتهم من الأشكال والصور، والطعام والشراب واللباس، لا بد أن يستولي على قلب أحدهم ما يشتهي حتى يقهره ويملكه، ويبقى أسيراً للهوى، ولذلك فإن الإنسان إذا صار عبداً لشيء من الدنيا غرق واستولى ذلك الشيء عليه، فصار هو الذي يقوده؛ قال الشافعي -رحمه الله-: "من لزم الشهوات لزمته عبودية أبناء الدنيا". لا بد أن يكون عبداً لأحدهم، لجمالٍ أو مالٍ، أو شهوة أو رئاسة، ونحو ذلك.

وإذا كان الإفراط في الشهوات مذموماً شرعاً: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ) [مريم: 59]، فكذلك اتباع الشهوات مذمومٌ عقلاً؛ إن العاقل إذا تبصر في أمور الذين يتبعون الشهوات ويغرقون فيها، يعرف تمام المعرفة بأن هذا اتباع للشهوات والعبودية لها يصرف الإنسان عن مصالح كثيرة، ويفوت عليه منافع عظيمة، ولذلك فإن الصبر عن الشهوة -أي: الامتناع عن الشهوة المحرمة- أسهل من الصبر على ما تقتضيه إذا غرق فيها، فإن الصبر عن الشهوة المحرمة تعقبه لذة يقذفها الله في قلب الصابر، وأما إطلاق العنان للنفس في الشهوات، فإن ذلك يوجب آلاماً وعقوبةً وإن كان في لحظة الفاحشة أو لحظة الحرام سكران لا يدرك ذلك، ومخمور لا يشعر به.

فتأمل - يا عبد الله - كيف تورث المعصية بالشهوة حسرة وندامة بعدها، "لذة ساعة شرٌ إلى قيام الساعة وما بعد قيام الساعة"، أو تثلم عرض الإنسان، أي: أنه ينفضح بين الخلق، أو تذهب مالا له خيرا له أن يبقى عنده، أو تضع قدرا وجاهًا له، فيحقر بين الخلق كان حفظ جاهه أنفع له، أو أن تسلب نعمة بقاؤها ألد وأطيب من قضاء الشهوة، أو أن تطرق لوضيعة - إنسان تافه وحقير - طريقًا يتسلط به عليك بسبب الشهوة، فيهدد أو يتوعد، أو يفعل ويأخذ ما يشاء، أو أن تجلب همًا وغمًا، وحزنًا وخوفًا لا يقارب لذة الشهوة، أو أن تنسي علمًا ذكره ألد من الشهوة، أو تشمت عدوًا ثماتة تتمنى أنك لم تقع في تلك الشهوة، أو تقطع الطريق على نعمة مقبلة من الله، أو تبقي عيبًا وصفة لا تزول، والأعمال تورث الصفات والأخلاق.

وأما شهوة النساء - يا عباد الله - والوقوع في حبائل الشيطان من هذه الجهة؛ فإن السعار الموجود في هذه الأيام والولوغ في مستنقعات الشهوة الآسنة ما أكثر منه، وهؤلاء الذين يتتبعون القنوات وشبكات الإنترنت والصور وغيرها قد سمروا أعينهم على الشاشات في سبيل ملاحقة برامج الفحش والرذيلة، وما أكثر الذين يشدون رحالهم إلى بلاد الفجور في سبيل تلبية شهواتهم المحرمة، وهذا المستنقع مستنقع القرن العشرين والحادي والعشرين الذي سيقدمون عليه، تعاظمت فيه الشهوات، وبذلت فيه أنواع الفنون في التصوير، وتصوير ذوات الأرواح هو باب الشر العظيم في هذا الزمان، وما أعظم الشريعة حين حرمت تصوير ذوات الأرواح؛ لأن تصوير ذوات الأرواح هو

الذي أوقع الناس في ألونٍ كثيرةٍ من الفجور، قال تعالى: (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا) [النساء: 27]، فتكالب شياطين الإنس والجن -يقودهم اليهود- في إفساد العالم، وإغراقه بالجنس، وإشاعة الفاحشة، حتى لا يبقى هناك طهرٌ ولا عفافٌ، ولا عرضٌ محفوظٌ ولا صيانةٌ، ولا تقوى ولا دين، فيسهل لليهود قيادة ذلك القطيع البهيمي، وإرخاء العنان للشهوة، وإحداث السعار والتولع بذلك لا يمكن أن يحدث شعبًا، بخلاف ما يقوله أصحاب النظريات الغربية من أن الإشباع يؤدي إلى الراحة، وهذا لا يمكن إطلاقًا، بل إن الانغماس يؤدي إلى مزيدٍ من الجوع، ولم نسمع أن رجلاً غرق في الزنا فشبع من فتنة النساء فكف وعف، قال علي الطنطاوي -رحمه الله-: "لو أوتيت مال قارون، وجسد هرقل، وواصلتك عشرة آلافٍ من أجمل النساء من كل لونٍ وكل شكلٍ وكل نوعٍ من أنواع الجمال، هل تظن أنك تكفي؟! لا. أقولها بالصوت العالي: لا. أكتبها بالقلم العريض، ولكن واحدةً بالحلال تكفيك. ولا تطلبوا مني الدليل، فحيثما نظرتكم حولكم وجدتم في الحياة الدليل قائمًا ظاهرًا مرئيًا، واحدة في الحلال تكفيك كثيرًا أو اثنتان في الحلال إلى أربع، وأما في الحرام فلو فجر بألف امرأة من نساء الدنيا فلا يمكن أن يكون عاقبته العفة. ومن وقع في هذه المفاسد أهلك الجسد، وأتلف المال، وجلب العار، وأزال المروءة، وذهبت جلالته ووقاره، والعجيب أن يكون الرجل العاقل الكبير صاحب الأولاد

والذرية قد أقبل على أقبح ما يكون بالوقوع في هذا السعار، والله - عز وجل - حكيمٌ عليم، وقد قال لنا: (وَحُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) [النساء: 28]. قال طاوس - رحمه الله -: "من نظر إلى النساء لم يصبر". وقال ابن عباس - رضي الله عنه -: "لم يكن كفر من مضى إلا من قبل النساء"، فهذه فتنة بني إسرائيل التي حذرنا النبي - صلى الله عليه وسلم - منها بقوله: "ما تركت بعدي فتنةً أشد على الرجال من النساء"، وهذا قد يكون من أسباب الكفر، فإن بعض الناس إذا دخل في هذا المستنقع كفر، وخصوصًا إذا أعجب بكافرة، وخصوصًا من الذين يذهبون إلى بلاد الكفر والانحلال.

ساق المؤرخون المسلمون عددًا من القصص حول هذا الموضوع، ومن ذلك: قصة صالح المؤذن؛ قال أبو الفرج ابن الجوزي - رحمه الله -: "بلغني عن رجلٍ كان ببغداد يقال له: صالح المؤذن، أذن أربعين سنة وكان يعرف بالصلاح، صعد يومًا إلى المنارة ليؤذن؛ فرأى بنت رجلٍ نصراني كان بيته إلى جانب المسجد، فافتتن بها، فجاء فطرق الباب، فقالت: من؟! فقال: أنا صالح المؤذن، ففتحت له، فلما دخل ضمها إليه، فقالت: أنتم أصحاب الأمانات فما هذه الخيانة؟! فقال: توافقيني على ما أريد وإلا قتلتك، فقالت: لا. إلا أن تترك دينك، فقال: أنا بريء من الإسلام ومما جاء به محمد، ثم دنا إليها، فقالت: إنما قلت هذا لتقضي غرضك ثم تعود إلى دينك، فكل من لحم الخنزير فأكل، قالت: فاشرب الخمر فشرب، فلما دب الشراب فيه دنا إليها فدخلت بيتًا وأغلقت الباب، وقالت: اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبي

زوجني منك، فصعد فسقط فمات، فخرجت فلفته في ثوبٍ، فجاء أبوها، فقصت عليه القصة، فأخرجه في الليل فرماه في الطريق، فافتضح أمره بعد ذلك، فرمي في مزبلة مرتدًا!!".

وذكر ابن كثير -رحمه الله- في كتابه البداية والنهاية في حوادث سنة (278هـ) ما يلي: قال: "وفيها توفي ابن عبد الرحيم -قبحه الله-، ذكر أن هذا الشقي كان من المجاهدين كثيرًا في بلاد الروم، فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون يحاصرون بلدةً من بلاد الروم إذ نظر لامرأة من نساء الروم في ذلك الحصن، فهوها فراسلها، ما السبيل إلى الوصول إليك؟! فقالت: أن تنتصر وتبعد إلي، فأجابها إلى ذلك، فما راع المسلمين إلا وهو عندها، فاغتم المسلمون بسبب ذلك غمًا شديدًا، وشق عليهم مشقة عظيمة، فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة أثناء الحصار وهو فوق وهم حول السور، فقالوا: يا فلان: ما فعل قرآنك؟! ما فعل علمك؟! ما فعل صيامك؟! ما فعل جهادك؟! ما فعلت صلاتك؟! فقال: اعلموا أي أنسيت القرآن كله إلا قوله تعالى: (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ * ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) [الحجر: 2-3]، وقد صار لي فيهم مألٌ وولد، أي: صار لي عند النصارى مال وولد".

يقول يزيد بن الوليد محذرًا من سببٍ من أسباب الوقوع في الخنا والفجور - وهذا السبب منتشر كثيرًا جدًا في هذا الزمان-، يا بني أمية: إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر،

ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء؛ فإن الغناء داعية الزنا". قال ابن القيم -رحمه الله-: "ومن الأمر المعلوم عند القوم أن المرأة إذا استصعبت على الرجل اجتهد أن يسمعها صوت الغناء، فحينئذٍ تعطي اللبان وتنقاد، وهذا لأن المرأة سريعة الانفعال للأصوات جدًّا، فإذا كان الصوت بالغناء، صار انفعالها من وجهين: من جهة الصوت، ومن جهة المعنى، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لأنجشة الصحابي: "يا أنجشة: رويدك، رفقًا بالقوارير"، أي: النساء. فكيف إذا استمع إلى هذه الأغنية والدف والشبابة والرقص بالتخنث والتكسر، فلو حبلت المرأة من شيءٍ لحبلت من الغناء!!

لعمركم من حرةٍ صارت بالغناء من البغايا!! وكم من حرٍّ أصبح به عبدًا للصبيان أو الصبايا!! وكم من غيورٍ تبدل به اسمًا قبيحًا بين البرايا!! وكم من معافى تعرض له فأمسى وقد حلت به أنواع البلايا!!

النظر المحرم والغناء طريقان مباشران إلى الزنا، ولذلك حرمت الشريعة الحكيمة النظر، وأمرت بغض البصر، وحرمت الغناء والمعازف، رغماً عن أنف كل قديرٍ يفتي بإباحة الموسيقى التي حرمها الله ورسوله، البصر صاحب خبر القلب، يأتي إلى القلب بالأخبار، رسول القلب يرسله فيأتي بأخبار المبصرات فينقشها في القلب، فيجول القلب في هذه الصور ويشغل ويفكر وينهمك ويهتم بها، ولذلك يكون بعده الوقوع في الحرام: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)، (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ) [النور: 30، 31]، بدأ

بغض البصر قبل حفظ الفرج؛ لأن هذا هو الطريق إلى وقوع ذاك في الحرام: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) [النور: 30].

وهذا النظر -أيها الإخوة- الذي أطلقه الناس اليوم في النساء العابرات، والفتيات الماشيات، والخارجات، وفي الشاشات وأنواع المسلسلات والصور العاريات؛ خرب أفئدة كثير من الناس في هذا الزمان، والنظرة سمّ يؤثر في القلب؛ ولذلك كان من الحكمة أن تقطع من أولها ومبادئها؛ لأن الناظر إذا استمرّ النظر صعب عليه أن يتركه، ثم تتطور الأمور بامتلاء القلب من الصور المحرمة، وعند ذلك يكون الوقوع في الحرام.

نسأل الله -عز وجل- أن يرزقنا العفة والعفاف، وأن يباعد بيننا وبين المحرمات، وأن يجعلنا من الأتقياء الأطهار، البررة الأبرار، إنه سميع غفار. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي المتقين، وأشهد أن محمدًا رسول الله خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، والشافع المشفع يوم الدين، صلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله: كيف إذا انضم إلى ما سبق: الاختلاط وقيام سوق الاختلاط بعمل المرأة مع الرجال؟! كيف إذا انضم إلى ما سبق هذه المخالطة والملابسة والقرب، وأن تجلس بجانبه أو تتكلم إليه، أو يأتي إليها، أو يخلو بها في مستشفى أو مكتب، أو يسمع الصوت بالهاتف، أو يتخذها سكرتيرة... ونحو ذلك من الأعمال التي ينادي الكفرة والمنافقون بحصولها بيننا، ويرفعون عقيرتهم بأهميتها، وأنه لا بد من الحرص عليها، وتشغيل نصف المجتمع لتحطيم النصف الثاني وتخريبه، ويكون الخراب في النصفين جميعًا؟! كيف إذا صار الطالب مع الطالبة، والموظف مع الموظفة، والعامل مع العاملة؟! كيف إذا صار الاختلاط يعم؟! فماذا يحدث عند ذلك من أنواع الانغماس في الفواحش والقاذورات؟!

عباد الله: قال العلماء: لا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، وهو من أسباب الموت العام والطواعين المهلكة؛ يقول ابن القيم -رحمه الله-: "ولما اختلطت البغايا بعسكر موسى -عليه

السلام-، وفشت فيهم الفاحشة، أرسل الله عليهم الطاعون، فمات في يوم واحد سبعون ألفاً". والقصة مشهورة في كتب التفسير، فمن أعظم أسباب الموت العام كثرة الزنا. هذا الكلام يقوله ابن القيم -رحمه الله- في الطرق الحكمية منذ مئات السنين، يقول: من أسباب الموت العام الاختلاط.

وقد رأينا الطواغيت في هذا الزمان التي تسبب الموت العام نتيجة الفواحش، فالكلام واحدٌ ومتصل من القديم إلى الحديث، وهذا الولع والانكباب على الشهوات سبب ضعف التوحيد، ويؤدي إلى العشق، والعشق هو الذي يبتلى به أصحاب الإعراض عن الله، وأما المخلصون فلا يقعون فيه، كما قال الله -عز وجل- عن يوسف: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) [يوسف: 24]، وامرأة العزيز كانت مشرقة، ف وقعت -مع زواجها- فيما وقعت فيه من السوء، ويوسف -عليه السلام- مع عزوبته ومرادتها له واستعانتها عليه بالنسوة والتهديد بالسجن، عصمه الله بإخلاصه، إذًا لو كان متزوجًا ولا يريد العفاف فسيقع في الحرام، وقال -عز وجل- عن إبليس: (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ) [ص: 82-83]، وقال تعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) [الحجر: 42]، والغبي: هو اتباع الهوى.

إن الافتتان بالنساء والولع بهن يورث أنواعًا من البلايا والعقوبات، ويورث عمی لا يبصر حقارة ما يعمل ولا قبحه، كما قال -عز وجل-: (إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) [الحجر: 72]، هؤلاء قوم لوط الذين وقعوا في الفواحش،

فأعماهم ذلك عن معرفة قبح ذنبهم فأدمنوا عليه، والإنسان إذا أصيب بالإدمان فمن ذا الذي يخرجهُ؟! والتعلق بالحرام لا يكاد الإنسان يفارقه حتى يعود إليه، ولذلك كانت عقوبتهم في البرزخ - في الفرن، في التنور - الهبوط ثم الصعود، حتى إذا كادوا يخرجون من التنور رجعوا في قعره مرة أخرى، كما جاء في حديث البخاري، أنه -عليه الصلاة والسلام-: "رأى الزناة والزواني في تنور؛ أعلاه ضيق وأسفله واسع، توقد تحته نار، فيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ، فإذا أوقدت النار ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا، فإذا أخرجت رجعوا فيها"، وهكذا لا يخرج هذا العاشق ولا المدمن على الحرام منه حتى يرجع إليه، بسبب ما فرط في جنب الله -عز وجل-.

أيها الإخوة: ولقد وصلتني عددٌ من الرسائل في هذا المسجد، وخلاصتها ومن آخرها: رسالةٌ من امرأةٍ تقول: زوجي كان صاحب دينٍ، يختلط بالأخيار ويغشى مجالسهم، وكانت حالنا في البيت جيدة وعلاقته بي وبأولاده ممتازة، وهناك استقرارٌ بيّتي وعاطفي، ومنذ أن أدخل اشتراك الإنترنت في بيته -لا بارك الله فيه- انقلبت الأحوال، فصار يغلق على نفسه الباب، وطال انحباسه عنا، ثم تهاون بصلاة الجماعة في المسجد، ثم تهاون بالصلاة أصلاً حتى في البيت، ثم حلق اللحية، ثم ترك الأخيار وترك مجالس الخير، وصار عاكفاً على هذا الصنم، وساءت العلاقة بيننا، وغاب عن أولاده، وصرنا في غاية السوء، وقال: إذا لم يعجبك الحال الحقّي بأهلك. ورسالة ثانية: نفس القضية ولكن بالقنوات الفضائية، وبعض القنوات المشفرة وغير المشفرة التي تبث في أوقاتٍ

مختلفة، وبأجهزة تركب على الدش... وغير ذلك من أبواب الفواحش التي انفتحت على الناس، فخربت البيوت، وأفسدت العلاقات، وضاع الأولاد، ومَلَّت المرأة من هذه الحياة، والمرأة السليمة تغار أن يرى زوجها هذا الحرام، وتقبل عليه تنصحه ولكن أذن من طين، وأذن من عجين، طين حرام وعجين إبليس الذي يسد به طريق النصيحة فلا تصل.

أيها الإخوة: إننا والله أمام كارثة كبيرة قد أحدثت ببيوتنا وبشبابنا بل وبشياننا، وترى الرجل الكبير العاقل تفتنه هذه الأمور القذرة.

نحن نعلم أننا في آخر الزمان، وأن كيد يهود في نشر هذه الأمور كبير جداً، ولكن أين ذكر الله؟! أين التحصن بالله؟! أين عبادة الله؟! أين بيوت الله التي تقي من دخل فيها؟! من دخلها كان آمناً من الشهوات إذا دخلها بصدق، أين مرافقة الأخيار الذين يحوطونك فيمنعونك من الوقوع في مثل هذه الترهات إذا أنت عملت فيهم بقول الله تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [الكهف:28]، لا دش ولا شبكة ولا مجلة ولا سوق ولا هاتف مغازلة، ولا باب مدرسة بنات، ولا غير ذلك، (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) [الكهف:28].

اللهم احفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، واجعل قلوبنا معمورة بذكرك، اللهم اصرف عنا الشهوات المحرمة، اللهم اصرف عنا كيد إبليس، اللهم اصرف عنا فتنة النساء، اللهم ارزقنا غض البصر.



عنوان الخطبة	فوائد تربوية من أشرطة الساعة
عناصر الخطبة	1/ التنبيه إلى اقتراب الساعة 2/ أنواع أشرطة الساعة 3/ بيان لأشرطة الساعة 3/ فوائد تربوية مستنبطة من أشرطة الساعة
الشيخ	الشيخ/ محمد صالح المنجد
عدد الصفحات	15
رقم الخطبة في الموقع	2779

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) [القمر:1]، وهكذا يحذرنا ربنا في كتابه، وقال لنا نبينا -صلى الله عليه وسلم-: "بعثت أنا والساعة كهذه من هذه" متفق عليه؛ وأشار بالسبابة والوسطى لقربهما من بعضهما، قال: "إن كادت لتسبقني" رواه أحمد؛ وهذا نذير لنا من النذر

العظيمة، (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرَاهُمْ) [محمد:18].

هناك أشراط صغرى للساعة، وأشراط كبرى، فالأشراط الصغرى تتقدم الساعة بأزمان متطاولة، وتكون من النوع المعتاد غالباً؛ كقبض العلم، وظهور الجهل، وشرب الخمر، والتطاول في البنيان، فليست في غرابتها والأعجوبة التي فيها كأشراط الساعة الكبرى التي تكون قرب قيام الساعة مباشرة، وفيها أمور عظام، ليست بمعتادة؛ كظهور الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، والخسوفات الثلاثة العظيمة في العالم؛ في شرقه، وغربه، ووسطه، وظهور النار التي تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى محشرهم، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وهكذا، ولا يشترط أن تنتهي جميع أشراط الساعة الصغرى حتى تبدأ الكبرى، فقد ترافق بعض الصغرى بداية الكبرى.

والأشراط الصغرى منها ما وقع وانتهى كانشقاق القمر، وبعثة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وظهور النار بأرض الحجاز؛ ومنها ما وقعت مبادئه وأوائله ولم تستحكم بعد؛ كتقارب الزمان، وكثرة الزلازل، وكثرة الهرج، فقد وقع شيء من هذا، ولكن سيكون المزيد من الزلازل، والمزيد من القتل، وهو الهرج.

ومن أشراط الساعة الصغرى ما لم يقع منه شيء بعد؛ كأن يحسر الفرات عن جبل من ذهب، وأن تعود جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً، وأن يخرج المهدي من عقب النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهكذا.

وقد ظهرت أشرار كثيرة، أخبر عنها نبينا -صلى الله عليه وسلم-، تُنبئ المسلم بأن نهاية العالم قريبة، وأن الأمر قد دنا.

ومما ظهر من الأشرار التي أخبر عنها النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهي من دلائل صدقه ومعجزاته؛ بعثته، وموته، وفتح بيت المقدس، وكثرة التجارة، واستفاضة المال، وكثرة الشح، وظهور الفتن من المشرق، وإتباع هذه الأمة لسنن الأمم الأخرى، وتشبههم بهم، وظهور مدعي النبوة، وقتال الثرك والعجم، وضياع الأمانة، وقبض العلم، وظهور الجهل، وكثرة الشرط، وانتشار الزنا والربا، وظهور المعازف، وكثرة شرب الخمر، وزخرفة المساجد والتباهي بها، والتطاول في البنيان، وتقارب الزمان، وذهاب البركة من الوقت، وتقارب الأسواق، وكثرة الأسواق، وسرعة العلم بما فيها، وظهور الشرك في هذه الأمة، وقطيعة الرحم، وسوء الجوار، وارتفاع الأسافل، وتشبب المشيخه، والتماس العلم عند الأصاغر، وكثرة الزلازل، وذهاب الصالحين، وأن يكون السلام للمعرفة فقط، وصدق رؤيا المؤمن، وظهور الكاسيات العاريات، وانتشار الكتابة، وانتفاخ الأهلة، وكثرة الكذب، وكثرة شهادة الزور، وكنم الحق، وكثرة النساء، وكثرة موت الفجأة، وتناكر القلوب، وأن يتمنى الموت لشدة البلاء. وسيكون مزيد من أشرار الساعة الصغرى؛ ككلام السباع والجمادات للإنس، وكثرة الروم وقتالهم للمسلمين، وفتح القسطنطينية غير الفتح الذي حصل، فإن هنالك فتحاً في آخر الزمان سيكون بالتكبير، وخروج رجل من

قحطان يسوق الناس بعصاه، وقتل اليهود، واستحلال البيت، وهدم الكعبة، وخراب المدينة، ونزول الخلافة الأرض المقدسة وبلاد الشام.

عباد الله: إنها أمور مخيفة، وإنها أمور تزلزل كيان الإنسان، وتؤكد له أن الدنيا فانية، وأن القدوم على الله قد اقترب، وأن خراب العالم قد دنا، ومن علم اقتراب الساعة قصر أمله، ولم تركز نفسه إلى الدنيا، وقام بالتوبة، وطرده الغفلة عن نفسه، (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون * ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون) [الأنبياء: 1-2].

لكن - يا عباد الله - ماذا نستفيد من إخبارنا بأشراط الساعة؟

- التهيؤ لها، والعمل الصالح، والتوبة، كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- : "بادروا بالأعمال ستاً"، أي: قوموا بالأعمال قبل أن تظهر ست خصال، وعند ذلك قد لا ينفع العمل، "طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة" رواه مسلم.

وقال لما سأله الأعرابي: متى الساعة؟: "وماذا أعددت لها؟" رواه البخاري؛ هذا هو السؤال الكبير، فإذا استشعر العبد قرب قيام الساعة انشغل قلبه خوفاً من ربه، ورجاء له، وتوكلاً عليه، وإنابة إليه، وصدقاً معه.

- أشراط الساعة تؤكد علينا الثبات على الدين، كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: "بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا" رواه مسلم.

- أشرط الساعة تعلمنا قضية العبادة حتى لو اضطربت الأمور، وعمت الفوضى، قال -عليه الصلاة والسلام-: "العبادة في الهرج"، أي: الفتن وكثرة القتل، "كهجرة إلي" رواه مسلم؛ أي: في الأجر والثواب، فإذا غفل الناس، وانشغلوا، وقام هذا يعبد ربه فمعنى ذلك أن قلبه معمور بمحبته، والإنابة إليه، والصدق معه، والانشغال بذكره؛ وهكذا المؤمن في وقت الهرج والمرج متصل بالله تعالى.

- إذا عرفت -يا عبد الله- حديث: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال" رواه مسلم، وأنت تعلم أن قيام الساعة قريب؛ فتحفظ هذه العشرة، وتتعرف على معانيها، وتذكر نفسك أنه مهما جاءت فتن كبار فعندك من الآيات العظام ما تتلى أمام هذه الفتن الكبار فتكف بأسها عنك، "ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي" رواه أحمد، حديث صحيح، معنى ذلك: التباعد من الفتن، وعدم المشاركة فيها.

وكذلك: "من سمع بالدجال فليأمن عنه" رواه أبو داود وصححه الألباني. فلا تحسن الظن بنفسك، فلا تدري إذا اقتربت من الفتن قد تهوي، وإذا تعرضت لها قد تقع فيها، فابتعد عن فتن الشهوات، وفتن الشبهات؛ لأنك لا تدري إذا فتحت الشاشات، ونظرت بالعينين في هذه الصور والأشكال، وإذا سمعت بأذنك لتلك الشبهات، فقد تتأثر وتفتن بها.

- أشرط الساعفة تعلمنا كيف أن علم ربنا العظيـم أعجز علوم البشر، (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَفَيْتَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَعْثَةً) [الأعراف: 187]، الساعفة لا تقوم إلا فجأة، الساعفة لا تقوم وهناك أحد يتوقع قيامها، تباغت الجميع، وتفاجئ الجميع عند قيامها.

- لما نرى انطباق أشرط الساعفة في الواقع يزداد المسلم إيماناً، (هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) [الأحزاب: 22].

- أشرط الساعفة تعلمنا التماس المكسب الحلال؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- أخبر: "بين يدي الساعفة يظهر الربا" رواه الطبراني وصححه الألباني، ينتشر على الشاشات، وبالبطاقات، والحسابات، وفي الأعمال، والوظائف، والصفقات، ينتشر كأنه غبار يطير، ويدخل كل منخر.

ولذلك فأشرط الساعفة تعلمك -يا عبد الله- أن تتفقه في أحكام المعاملات، البيع والشراء، والإجارة، والكفالة، والحوالة، والرهن، فلا تدخل في باب من أبواب المعاملة إلا بعد أن تعرف أحكامها، كما قال عمر: لا يبيع في سوقنا إلا من قد تفقه في الدين، لماذا؟ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال عن أشرط الساعفة: "ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمن حلال أم من حرام" رواه البخاري.

ورد سؤال، يقول السائل: كان بعضهم يعطيني أموال الصدقات والزكوات فكنت أعمل بها مشاريع لنفسي، ولا أعطي الفقراء منها شيئاً، وصارت عندي تجارة، فماذا أفعل؟ "خلاص" حتى أموال الصدقات والزكوات بعضها أكل، وصارت قضية الأخذ من الحرام ربا، وميسر، وسحب جوائز، وتغريب الناس بقيمة المكالمات، والاشتراكات، تدفع خمسة ريال في رسالة جوال، لعلك تحصل على سيارة، وصار الميسر والقمار الذي لعن الله ورسوله فاعله صار شيئاً عادياً، الناس اعتادوه، وألفوه، وسمعوه، وغاصوا فيه، واشتركوا فيه، ومكالمات لها قيمة عن القنوات، على السمع والبصر، تُعرض على الناس.

- أشرطة الساعة تُربي فينا منهج الاستعفاف، فمهما كان الشيء كبيراً إذا كان فيه محذور شرعي فنحن أغنياء عنه، كما جاء في الحديث: "لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلني أكون أنا الذي أنجو" رواه مسلم؛ ولذلك قال بعض الرواة لهذا الحديث يوصي ابنه: "إن رأيته فلا تقربنه"، ليس فقط لا تأخذ منه شيئاً، لا تقربنه.

- أشرطة الساعة تربينا على استقلالية الشخصية الإسلامية، وعدم التشبه باليهود والنصارى والكفار، لا في ملابسهم، ولا في قصاتهم، ولا في عاداتهم، ولا في أعيادهم، أي شيء من خصائص تلك الأديان لا نتشبه بهم فيها؛ لأنه -عليه الصلاة والسلام- حذرنا فقال: "لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع"، فقل يا رسول الله: كفارس

والروم؟ قال: "وَمَنْ الناس إلا أولئك؟" رواه البخاري، وفي رواية: اليهود النصارى؟ قال: "فَمَنْ؟" رواه مسلم؛ أي: مَنْ غيرهم؟ فهذا نهي عن التشبه بمجوس فارس، واليهود، والنصارى، وماذا سيكون ويحل هؤلاء من الإثم، وشرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة.

اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك الإخلاص يا رب العالمين، ونسألك القصد في الغنى والفقر، ونسألك نعيماً لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ونسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة؛ اللهم اجعلنا هداة مهتدين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، رب الأولين والآخرين، وملك يوم الدين، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وذريته الطيبين الطاهرين، وأزواجه، وخلفائه الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك على عبدك ونبيك محمد إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، حبيينا، وقدوتنا، وإمامنا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله: هذا ما أخبر عنه نبيكم -صلى الله عليه وسلم- من أشرار الساعة لنحذر الشر الذي فيها، ومن ذلك ما يكون في آخر الزمان من خسف، وذهاب بعض الأرض تحت بعضها، وانشقاقها، وذهاب ما فيها وغورها، فقال: "يكون في آخر الأمة خسف ومسح"، أي: تُغير الخلقة إلى صور الخنازير والقردة، "وقذف"، أي: رمي من السماء بحجارة ونحوها، فقالت عائشة: يا رسول الله! أهلك وفيها الصالحون؟ قال: "نعم، إذا ظهر الخبث"، وقد أخبر عن أسباب الخسف والقذف والمسح، فقال: "إذا ظهرت القينات"، أي: المغنيات، والرقصات، "والمعازف وشربت الخمر" رواه الترمذي وصححه الألباني.

- ولذلك يجب علينا أن نتعلم كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ، وننشر العلم، والدورات العلمية، وكتب العلم، ونغشى حلق العلماء، وطلبة

العلم؛ لأنه قال: "إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل" متفق عليه.

- وكذلك أشراط الساعة تربينا على الرجوع إلى الأكابر من أهل العلم، "إن من أشراط الساعة قال: أن يلتبس العلم عند الأصاغر" رواه الطبراني وصححه الألباني، أي: ليس صغار السن، وإنما أهل البدع، والذين عندهم قلة في العلم.

وكذلك حذرنا من أناس سيظهرون يفتوننا بغير ما أحل وما حرم سبحانه، قال -عليه الصلاة والسلام-: "سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم، فيأياكم وإياهم" رواه مسلم. عجائب وغرائب الفتاوى، أحاديث موضوعة مكذوبة تنتشر بالبريد الإلكتروني، ورسائل الجوال.

- وكذلك علمنا -عليه الصلاة والسلام- أنه إذا نزلت الملهمات والمدهلهمات أن نرجع إلى أهل العلم، هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيرى -يعني: شأن- إلى ابن مسعود، قال: يا عبد الله بن مسعود، جاءت الساعة؟ وكان ابن مسعود متكئاً فقعد فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة" رواه مسلم. وهكذا، أهل العلم يبينون.

- وكذلك فإن أشراط الساعة تذكرنا بصلة الرحم، وحسن الجوار، وإفشاء السلام على الجميع؛ لأن من أشراطها انتشار العقوق، وسوء الجوار، وعدم السلام إلا للمعرفة.

- أشرط الساعة تحثنا على أن نكون أمناء، ونضع الأمناء في مواقع الأمانة؛ لأنه: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة" رواه البخاري، هذه أبرز علامة من علامات الساعة الصغرى التي علمها للأعرابي، "إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة" رواه البخاري.

- أن نقوم على أهلينا، وزوجاتنا، وبناتنا، وأخواتنا بأمرهن بالعفاف، والستر، والحجاب، والحشمة؛ لأنه ذكر لنا من أشرط الساعة، "نساء كاسيات، عاريات، مميلات، مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها" رواه مسلم.

- أن نحذر الفوضى، والدخول في سفك الدماء؛ لأنه قال لنا: "والذي نفسي بيده! لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيم قُتل" رواه مسلم.

- أن نحذر من التفاخر بالدنيا؛ لأنه قال: "وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشرطها" متفق عليه؛ ليس العيب أن تنشأ عمارات طويلة لحل أزمة السكان؛ لأن البناء الرأسي مع قلة الأراضي وحاجة الناس حل من الحلول، لكن العيب والذم أن يحدث التباهي والتفاخر بذلك، والتعلق بالدنيا.

- البصيرة البصيرة! يعلمنا إياها الشاب الذي يخرج للدجال، شاب من خيرة أهل المدينة، هو أخيرهم في ذلك الوقت، يقول للدجال: أنت الدجال الذي أخبرنا عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فيشقه الدجال نصفين ويعيده كما كان، فيقول الشاب: "ما ازدت فيك إلا بصيرة، أنت الدجال".

الباطل لا بد أن يعرف أنه باطل، وأن يقر أنه باطل، وأن يتضح أمر الباطل حتى لا يروج على الناس، والنبي -صلى الله عليه وسلم- أخبرنا عن فرج للمسلمين عظيم في آخر الزمان، عندما ينزل عيسى بن مريم من السماء في خضم الأزمة، وشدة الكرب، وإمام المسلمين المهدي من ذرية النبي -صلى الله عليه وسلم- يؤمهم، وفيهم عيسى، وشريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- تحكم إلى آخر الزمان، حتى عيسى يحكم بها.

وهكذا تتم المعركة الفاصلة بين المسلمين واليهود، فلا يهود بعد ذلك اليوم، والمعركة الفاصلة بين المسلمين والنصارى، فلا نصارى بعد ذلك اليوم، فتعلم ترقب الفرج من ربنا -سبحانه وتعالى-.

عباد الله: لا بد أن نعتبر، وهناك عبر كثيرة تحدث الآن، لكن ما أكثر العبر! وما أقل المعتبرين! (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) [آل عمران:140]، (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) [الانشقاق:19]، غنى بعد فقر، وفقر بعد غنى، شدة بعد رخاء، ورخاء بعد شدة، مرض بعد صحة، وصحة بعد مرض، وخوف بعد أمن، وأمن بعد خوف، والدنيا تتقلب بأهلها، والله يصرف الأمور -سبحانه وتعالى-، ومن العبر كيف أهلك الله الطغاة من فرعون وقومه وقارون، وقوم نوح، وقوم عاد، وقوم ثمود.

كم من ظالم تعدى وجار، فما راعى الأهل ولا الجار، بينا هو يعقد عقد الإصرار، حل به الموت فحل من حلت الأزرار! ما صحبه سوى الكفن إلى بيت البلى والعفن، لو رأيته وقد حلت به المحن، وشين ذلك الوجه الحسن،

فلا تسل كيف صار، سال في اللحد صديده، وبلي في القبر جديده، وهجره نسيه ووديده، وتفرق حشمه وعبيده والأنصار.

أين مجالسه العاليه؟ أين عيشته الصافية؟ أين لذاته الحالیه؟ كم تسفي على قبره سافية! ذهب العین وأخفيت الآثار، تقطعت به جميع الأسباب، وهجره القرناء والأحباب، وصار فراشه الجنادل والتراب، وربما فتح له في اللحد باب النار.

خلا -والله- بما كان صنع، واحتوشه الندم وما نفع، وتمنى الخلاص وهيها قد وقع، وخلاه الخليل المصافي وانقطع، واشتغل الأهل بما كان جمع، وتملك الضد المال والدار، فاعتبروا يا أولي الأبصار!.

بأثوا على قُلِّلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ *** غُلِبَ الرَّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعَهُمُ الْقُلُلُ
وَاسْتَنْزِلُوا بَعْدَ عِزٍّ عَنْ مَعَالِيهِمْ *** وَأُسْكِنُوا حُفْرًا يَا بؤْسَ مَا نَزُلُوا!
نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دُفِنُوا *** أَيْنَ الْأَسِرَّةُ وَالتَّيْجَانُ وَالْحُلُلُ؟
أَيْنَ الْوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُحِبَّةً *** مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكِلَلُ؟
فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ *** تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتَتِلُ
قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا فِيهَا وَمَا شَرِبُوا *** فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الْأَكْلِ قَدْ أُكِلُوا
وَطَالَمَا كَنَزُوا الْأَمْوَالَ وَادَّخَرُوا *** فَخَلَّفُوهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَارْتَحَلُوا
وَطَالَمَا شَيَّدُوا دُورًا لِتُحَصِّنَهُمْ *** فَفَارَقُوا الدُّورَ وَالْأَهْلِيْنَ وَانْتَقَلُوا
أَضَحَّتْ مَسَاكِنُهُمْ وَخَشًا مَعْطَلَةً *** وَسَاكِنُوهَا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدْ رَحَلُوا
أَيْنَ الْكَنُوزِ الَّتِي كَانَتْ مَفَاتِحُهَا *** تَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ الْمُقْوِينَ لَوْ حَمَلُوا

أَيْنَ الْعَبِيدُ الَّتِي أَرْضَدْتَهُمْ عُدَدًا *** أَيْنَ الْحَدِيدُ وَأَيْنَ الْبَيْضُ وَالْأَسْلُ

أَيْنَ الْفَوَارِسُ وَالْغُلَمَانُ مَا صَنَعُوا *** أَيْنَ الصَّوَارِمُ وَالْخَطِيبَةُ الدُّبُلُ

هِيَهَاتَ مَا كَشَفُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا *** عَنْكَ الْمَنِيَّةَ إِذَا وَاقَى بِكَ الْأَجْلُ

اللهم اغفر لنا أجمعين، وتب علينا يا أرحم الرحمين، لا تفرق جمعنا هذا إلا بذنب مغفور، وعمل مبرور، وسعي متقبل مشكور، اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا يا أرحم الرحمين.

اللهم إنا نسألك في هذه الساعة المباركة أن تغفر ذنوبنا، وأن تجمع على الحق كلمتنا، وأن تتقبل توبتنا، وأن تقضي ديننا، وأن تسكن فزعنا، وتؤمن خوفنا، اللهم اهد ضالنا، واستر عيوبنا، واشف مريضنا، اللهم ارحم ميتنا، آمنا في الأوطان والدور، وأصلح الأئمة وولاة الأمور، واغفر لنا يا عزيز يا غفور، واجعل بلدنا هذا عامراً بذكرك، محكماً لشرعك، اللهم آمين بلاد المسلمين يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك في يومنا هذا أن تخرجنا من ذنوبنا كيوم ولدتنا أمهاتنا.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله العليم الحكيم، وصلى الله على نبيه الصابر الرحيم؛ وبعد:

فإن من ابتلاء الله تعالى لخلقه ما حدث من سيول عارمة في مدينة جدة نتج عنها غرقٌ وهلع، ونقص في الأموال والأنفس والثمرات.

سبحان الله الواحد القهار ، القوي العزيز الملك الجبار... أتى أمره فداهم السيل الناس ، وفي سويعات تحول جنوب شرقي المدينة التي تشكو شح الأمطار وقلة المياه إلى طوفان جارف ، إلى سيل جرار يكتسح ما أمامه ويبتلع في جوفه ما يأتي عليه ، حتى أضحي كارثة مؤلمة ، ومأساة حقيقية ، ستبقى ماثلة في ذاكرة كثير من الناس.

إنها فاجعة أربعاء جدة... التي أصابت أكثر من ثلث المدينة ، وأنتجت أضرارا بالمليارات. ولا تزال المخاوف مما يمكن أن تحمله الأيام القادمة من أمر السيول وفيضان مياه الصرف تقلق النفوس وتقض المضاجع ، نسأل الله السلامة والطف والعافية.

إن مثل هذه الآيات الكونية العظيمة لا بد أن يكون للمؤمن معها وقفات وتفكر واعتبار وهذا من سمات أولي الألباب والمتقين الأخيار.

والمؤمن البصير يقف عند مواقع العبر، وأحكام القدر، ينظر ويتدبر.

كل شيء بقدر الله.

فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وليس ثمة شيء يحول دون نفوذ قدر الله في خلقه سبحانه وتعالى ، وبذا يطمئن قلب المؤمن الموحد ؛ لأن أمر الله سبق ، ومشيعته نفذت.

قال الله تعالى: (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ).

وقال سبحانه : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)

لله الحكمة البالغة

فتقديره سبحانه مبني على حكمته، وعدله، ذلك تقدير العزيز العليم ، ولا يخرج شيء في الكون عن مقتضى هذه الحكمة.
ومن حكمته سبحانه جعل المصائب والكوارث سبباً للاتعاظ والتذكر والرجوع إليه (فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ)

كل شيء مسخر بأمره

فإذا قال لها أمطري أمطرت وإذا أمر الماء اجتمع وسال فالتقى الماء على أمر قد قدر ، والضر والنفع بيده سبحانه ، وما يجري من سيول وزلازل وبراكين وسائر جنوده ، إنما هو بأمره وقدره لحكمة يريد بها.

والناس ينظرون إلى الظاهر فيصابون بالدهشة وهم يرون السيل العرمم بدواماته الرهيبة فرما غاب عنهم ما وراء ذلك من الحكم وقديما قال أهل البادية : نعوذ بالله من شر الأعميين والأيهمين أي : " السيل والبعر الهائج ".

ووصفا بالعمى ؛ لأنهما لا يتقيان موضعاً ولا يتجنبان شيئاً ؛ كالأعمى الذي لا يدري أين يسير.

وسميا أَيَهَمَيْن؛ لعدم القدرة على دفعهما فلا هما ممن ينطق فَيُكَلِّمُ ولا ممن يعقل فَيُسْتَعْتَبُ.

السيل يقطع ما يلقاه من شجر *** بين الجبال ومنه الأرض تنفطر
حتى يوافي عباب البحر تنظره *** قد اضمحل فلا يبقى له أثر

وكان هذا مشاهدا في سيول جدة.. مياه تتدفق من كل مكان ، لا حواجز توقفها ، ولا جدران تصدها ، تدمر كل شيء أتت عليه من أخضر ويابس ، وصغير وكبير ، ورجل وامرأة... فابتلع السيل سيارات بركابها وبيوتا بسكانها.. حتى صارت الجثث تطفو فوق سطح الماء قال أحد من شهود العيان : قمت بِعِدِّ الجثث التي تطفو على الماء من حولي ويجرفها السيل، فبلغت (38) جثة رأيتها بعيني.

وخلق الإنسان ضعيفاً:

ما حدث يدل دلالة قاطعة على ضعف الإنسان ، وافتقاره الذاتي إلى ربه ، وأنه لا حول له ولا قوة إلا به ومن رأى ضعف الناس أثناء الكارثة وبعدها أمام هذا السيل الداهم ومخلفاته علم قبح الكبر والغرور فلا بد أن يعرف

الإنسان قدر نفسه وقوة ربه سبحانه وتعالى فيفتقر إليه في أحواله كلها وينطرح بين يديه طالبا المعونة والتسديد والتوفيق ولا يستكبر عن عبادته ولا يتولى عن العمل بأمره (إن الله قوي عزيز). (وخلق الإنسان ضعيفا).

ما تدري نفس بأي أرض تموت:

أناس قدموا إلى جدة من مدن ودول أخرى قبل الكارثة بيوم أو يومين ليكون موعدهم مع السيل، ومدفنهم في أرضه ووحله (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ).

وآخرون خرجوا من بيوتهم بأسباب متعددة فأنجاهم الله ومنهم الذين ذهبوا إلى حج بيته فأنقذهم تعالى من السيل.

المصاب عظيم:

فعائلات فقدت بكاملها رجالا ونساء وأطفالا... وجثث ملقاة على الأرصفة وعالقة بالأعمدة والأشجار وأخرى تستخرج من الحفر والمستنقعات ومن تحت الركام وحطام السيارات

وميتان : طفل في حضن أبيه. ورجل يسير مع أربع نسوة ، فيأتي السيل فيخطف إحداهن أمام بصره ، فيمسك بالثلاث وهو يراها تغرق أمام عينه لا يقدر على شيء، ثم يخطف السيل الثانية ومن بعدها الثالثة والرابعة وهو ينظر حتى اجتاحه السيل هو أيضاً.

وأخر وجد أمه على مسافة بعيدة بعد أن حبسها عمود.

وهذا زوج مكلوم ظل يبحث طوال الأيام الماضية عن زوجته المفقودة في السيل ، ولم يترك مكاناً إلا أتاه مستمسكاً بالأمل ولو أن يجد جثة زوجته... ، وعلى بعد 12 كيلو مترا من مقر منزله عثرت فرق الإنقاذ على جثة زوجته، ولما حملت الجموع الجثة، علا صوت الزوج بالبكاء في مشهد أبكى معه العشرات ، وامرأة تقول : رأيت جاري وأطفالها الخمسة يموتون أمام عيني. ورب أسرة يقول: أنا وأولادي من اليوم الثامن حتى ثاني يوم العيد لا مأوى لنا إلا سيارتنا التي نتحرك بها.

والكثير من الناس ذهبت أصول مكاسبهم أو تضررت تضرراً بالغاً (من ورشة، ومصنع، ومخزن ومحل ...)

لا ماء.. ولا كهرباء.. انخيار وبكاء.. وبيوت تصدعت على وشك الانهيار ،
وأرامل وأطفال يقيمون في العراء ، والقمامة أرتال كالجبال ، ومستنقعات في
وسط الأحياء ، تحوم حولها الحشرات... ومساجد كاملة مقفلة: لا سجاد
، لا مصاحف ، لا كهرباء ، و80% من سكان المناطق المنكوبة غير
موجودين الآن في بيوتهم... واستخراج الجثث لازال قائما حتى الساعة

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ..... فلا يَغُرُّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
فجائع الدنيا أنواعٌ متنوعةٌ وللزمان مسراتٌ وأحزانُ
وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَبْقَى عَلَى أَحَدٍ... وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَأْنُ

الإيمان بالقدر شفاء لما في الصدور:

وقد بين تعالى الحكمة من كتابة الأقدار فقال : (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ
وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) فلا عجب أن تجد بعض المصابين ممن ربط الله على
قلوبهم كانت نفوسهم طيبة في تلقي البلاء وبعضهم يواسي بعضا.

الماء بعضه رحمة وبعضه عذاب:

فَإِغِيثَ اللَّهُ بِهِ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ وَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَيُثَبِّتُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي
أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ كَمَا قَالَ: (وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ
عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ).

وَيُعِثُّهُ عَلَى قَوْمٍ آخَرِينَ لِيَكُونَ عَذَابًا: (وَقَوْمٌ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَعْرَفْنَاهُمْ
وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا). وقال : (إنا لما طغى
الماء حملناكم في الجارية). وقال: (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا
الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر).

وقص علينا نبأ فرعون وقومه: (وَأَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَانُوا ظَالِمِينَ).

الموت يأتي بغتة:

في غمرة التجهز للعيد وفرحته ، وبينما الناس منهمكون بالاستعدادات
والأضاحي والملابس ، يدهمهم فجأة ومن غير سابق إنذار سيل يحصد الأرواح
، وفي هذا تذكير عظيم بيوم القيامة (بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَبْطِيعُونَ
رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ).

ما أصعب لحظات الوداع خصوصا حين يرى المرء الموت وهو يحاصره : فهذا شاب منطلق بسيارته وفجأةً دهمته السيول ، فأيقن أنه غارق لا محالة ، فصعد على سطح سيارته واتصل بأهله وأقربائه وأصدقائه وودعهم ثم جعل يتصل بأصحابه ومعارفه ليطلب منهم السماح ، حتى انقطع الاتصال، ليعتلي صوت أهله بالبكاء.

أسر وعوائل ذهبت بأكملها وأخرى ذهب بعضها أو لم يبق منها إلا واحد أو طفل صغير علق بشجرة

لكل أجلٍ كتاب:

رجل ودع زوجته وأطفاله وذهب إلى عمله... ليعود بعد ساعتين فيجد كل شيء أثراً بعد عين، فأصبح وحيدا بلا زوجة ولا أطفال.. ففي لحظات قليلة جرفتهم السيول الداهمة.

لا يغني حذر من قدر:

فالموت مدرك جميع البشر لا محالة ، ومهما هرب منه الإنسان فلا بد أن يأتيه ، وقد رأينا أناسا امتنعوا عن الذهاب للحج خوفاً من الأنفلونزا ، فإذا بالموت يأتيهم في بيوتهم (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

وآخرون توكّلوا على الله وذهبوا للحج ، فكان سببا في سلامتهم.

وبنت أصرت قبلها بليلة على البقاء عند عمها في زيارة عائلية لتبقى نظرات الحزن ساهمة وهي تفكر في أسرتها التي ماتت كلها.

وهنا تذهب بعض أذهان الناس مذاهب عجيبة غريبة في طرائق التفكير واتخاذ القرار ، فهذا رب أسرة ربط أفراد أسرته بجبل واحد معا وقال : إما أن ننجو جميعا أو نهلك جميعا !!

الشهادة فضل من الله يؤتيه من يشاء:

فالشهادة من أعلى مراتب أوليائه ، والشهداء يختارهم الله من بين عباده ، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها.

وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم : (وَالْعَرِيقُ شَهِيدٌ) وفي لفظ:
(وَمَنْ عَرِقَ فَهُوَ شَهِيدٌ) رواه مسلم (2829).

إذا وقع القدر عمي البصر:

فمع أن لهذه الكوارث الكونية أسباباً طبيعية، وأحياناً يكون بمقدور البشر التنبؤ بها قبل وقوعها عن طريق الحسابات الدقيقة.... إلا أن هذه الكارثة أثبتت قصور البشر سواء في التحليل وتوقع الأزمات، أو في الاستعدادات والاحتياطات أو في التصدي لها ومحاولات النجاة ،

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ:

بهذه الكلمات يقابل المؤمن المصائب والكوارث والسيول , فإنها من أبلغ العلاج وأنفعه للبعد في عاجله وآجله , وذلك لتحقيق الإنسان من أن نفسه وأهله وماله وولده ملك لله عز وجل، وقد جعلها الله عنده عارية, فإذا أخذها منه فلا اعتراض كما أن المعير لا يلام إذا أخذ عاريته من المستعير.

وليعلم العبد أن مصيره ومرجعه إلى الله مولاه الحق, ولا بد أن يُخَلِّف الدنيا وراء ظهره, ويأتي ربه يوم القيامة فردا, بلا مال ولا أهل ولا عشيرة.

ثواب الله خير لك منهم , ورحمة الله خير لهم منك

قال شبيب بن شيبة رحمه الله للخليفة العباسي المهدي يوم وفاة ابنته ياقوتة ، قال له : " يا أمير المؤمنين أعطاك الله على ما رُزئت أجراً ، وأعقبك خيراً ، ولا أجهد بلاءك بنقمة ، ولا نزع منك نعمة , ثواب الله خير لك منها , ورحمة الله خير لها منك , أسأل الله ألا يحزنك ولا يفتنك". فخف عن الخليفة مصابه.

لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ:

المصيبة تزيد في إيمان المؤمن ويقينه بأن الأمور بيد الله وحده لا شريك له, وأن الناجي منها إنما أنجاه الله تعالى بفضلته ورحمته.
تذكر الآخرة.. نفسي نفسي:

مئات السيارات يجرفها السيل تتقلب فيه كقطع الفلين وركابها يرفعون أيديهم ويصيحون طالبين الغوث والنجدة ولكن كل شخص مشغول بنفسه

لمن الملك اليوم:

قل الله مالك الملك : خرج بعض الناس من السيل لا يملكون شيئا لا بيت ولا سيارة ولا أثاث ولا ملابس ولا بطاقة صراف ولا حتى إثباتات شخصية ، وبهذا يتذكر الإنسان كيف يأتي ربه يوم القيامة لا يملك شيئا : حفاة عراة بهما ليس معهم شيء

إحياء عبودية الخوف من آيات الله:

وقد كان هذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى شيئا من الآيات الكونية، قال أنس: (كَانَتْ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ إِذَا هَبَّتْ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). رواه البخاري (1034)
فيقع منه هذا الخوف بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم وهو من غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فكيف بحالنا نحن المذنبين المقصرين!!.

وقال تعالى : (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) ولا شك أن هذا السيل من آيات الله التي يخوف بها عباده

التأمل في كثرة نعم الله علينا:

من الدروس المستفادة لمن رزقه الله تأملاً وفهماً إذا نظر إلى ما أصاب الناس أن ينطق بقلبه قبل لسانه : الحمد لله الذي عافاني ويستحضر تفضيل الله له.

فإذا نظر فيمن ذهب أسرته استحضر نعمة الله عليه بحفظ أهله له.

وإذا شاهد صور تلف الأموال والممتلكات انتقل من هذه الصورة إلى معاينة نعمة الله عليه بحفظها له.

وإذا نظر إلى مصائب الآخرين الكثيرة هانت عليه مصائبه الصغيرة، فامتلاً قلبه بحمد الله، ولهج لسانه بشكره سبحانه، واستحيت جوارحه من أن تعصي هذا المنعم الكريم، أو أن تقصر في شيء من حقوقه سبحانه.

المؤمن يتألم لألم إخوانه:

ينبغي لمن نظر في هذه المشاهد على أرض الواقع أو في الصور ومقاطع الفيديو أن يتحرك قلبه تجاه المصابين والمنكوبين ، وتدمع عينه ، ويلهج لسانه بالدعاء بالرحمة لمن مات ، والتثبيت والعوض لمن ابتلي، ويسعى لإعانة من يحتاج إلى العون ، ويسأل الله تعالى له ولإخوانه السلامة والعافية.

ابتلاء للمؤمن وعقوبة للعاصي وتخويف للناس وتمحيص للناظرين والمتكلمين:

إن الابتلاءات سنة ربانية اقتضتها حكمة الله سبحانه في هذه الدار، لتكون دارًا للامتحان في الشهوات والفقر والمرض والخوف والنقص في الأموال والأنفس والثمرات (وَنَبَلُّكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [الأنبياء:35].

فما حدث ابتلاء ابتلى الله به عباده المؤمنين ليرفع درجاتهم ويقوي إيمانهم (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين).

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمْ
الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَرُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا
إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ).

وفيما حدث تذكير لأهل المعاصي والذنوب بالتوبة والإنابة إلى الله (وما
أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم).

قال بعض السلف : " لا ينزل بلاء إلا بذنب ، ولا يكشف إلا بتوبة " .

فالواجب في مثل هذه الحال التوبة وكثرة الاستغفار وأخذ العظة والعبرة.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: " وإن من علامات قسوة القلوب
وطمسها والعياذ بالله، أن يسمع الناس قوارع الأحداث، وزواجر العبر
والعظات التي تخشع لها الجبال لو عقلت، ثم يستمرون على طغيانهم
ومعاصيهم مغترين بإمهال الله لهم، عاكفين على اتباع شهواتهم، غير عابئين
بوعيد، ولا منصاعين لتهديد " . فتاوى ابن باز (160/9)

فالواجب على جميع المسلمين أن يأخذوا العظة والعبرة مما حصل، وأن يتوبوا إلى الله وينيبوا إليه ويحذروا من أسباب غضبه ونقمته، والله جل وعلا يقول: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ).

فالمصائب منها تكفير ، ومنها تذكير ، ومنها عقوبة.

وقد تجتمع هذه الثلاث في مصيبة واحدة فتكون لبعض الناس تكفيرا لذنوبهم ورفعة لدرجاتهم وتكون لآخرين غافلين تنبيها وتذكيرا، ولنوع ثالث عقوبة على معصية مستعلنة أو خفية وقعوا فيها وتكون تمحيصا وكشفا لحال من يتكلم في هذه الأحداث

سؤال الله حسن الخاتمة:

فقد نقلت الأخبار قصصا لأناس قبض الله أرواحهم في مساجد أو بعد خروجهم منها وقد جاء السيل وقت صلاة الظهر وبعضهم صائمون لله تعالى، يتقربون إليه في أيام العشر الفاضلة، فجمع الله لهم من المبشرات:

الغرق الذي هو شهادة ، والموت على عبادة، وبعد أداء فريضة، فما أعظم ما حصلوه، اللهم فارزقنا حسن الخاتمة.

الناس معادن:

إن من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام قوله: (النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ...). رواه البخاري (3494) ومسلم (2638) واللفظ له.

فالمعادن تشتمل على جواهر مختلفة من نفيس وخسيس، وكذلك الناس مختلفون في الشرف وكرم النفس والسلوك.

فمن الناس من معدنه نفيس كالذهب، ومن الناس من معدنه خسيس كالحديد.

وقد كشفت هذه المحنة حقائق كثيرٍ من الناس ومعادِنهم وأخلاقهم ، فمن الناس من لا يُعرف معدنه إلا في المِحَن.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: " الناس ما داموا في عافية مستورون،
فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم ". شعب الإيمان (7 / 219)

فظهر المؤمنون الذين يهبون لنجدة إخوانهم ومساعدتهم متمثلين قوله صلى
الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ
إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)..

وقد سمعنا وقرأنا الكثير من قصص الشجاعة والبطولة والتضحية.

فهذا شاب لا يعرف السباحة ولكنه أمام مشهد غرق رجل وزوجته وطفله
لم يتوان عن نجاتهم، فقفز إلى الوادي وأنقذ الطفل ثم المرأة والرجل.. فقبَّلَ
الغريقُ قدمه قائلاً: " أنا مدين لك طوال العمر".

وشكّل بعض الشباب والرجال فرقاً لإنقاذ العالقين داخل سياراتهم وسط
السيول خصوصاً الأطفال والنساء. وظهرت آثار الشباب الصالحين وشهامة
أهل النجدة بجلاء

قال أحدهم: تلقيت اتصالاً أن والدي وبعض المسنين وعددهم (40) شخصاً يصلون في المسجد وغمرته المياه، فتوجهنا سباحة إلى المسجد ومعنا حوالي (10) من شباب الحي منهم إمام المسجد وأنقذنا المسنين المحتجزين في المسجد.

واستجمع عشرات المتطوعين كل قواهم، ليلاً ونهاراً، للإسهام في واجب البحث عن المفقودين بلا كلل أو تعب وسط الحطام والمياه الراكدة.

وهب الكرماء وأصحاب العطاء لاستقبال إخوانهم المنكوبين ففتحوا بيوتهم وبسطوا موائدهم وقدموا معوناتهم.

وأما المنافقون فقاموا ينسبون الحدث إلى الطبيعة ولا يذكرون الله إلا قليلاً وينكرون القاعدة الشرعية (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) ويلمزون أهل الإيمان.

الاستغلال البشع:

وفي مقابل أهل النجدة والشهامة ظهر أصحاب النفوس المريضة والجشعة الذين استغلوا الحدث ورأوه فرصة للكسب السريع ، ومن صور ذلك :

* الاستيلاء على الممتلكات ، وسرقة ونهب ما تمكنوا من نهبه داخل المركبات المجروفة مستغلين انشغال أصحاب تلك الممتلكات بأنفسهم وغياهم عنها ، بل بلغت البشاعة أن تسرق أموال الموتى داخل سياراتهم وسرقة بيوت المصابين والجرحى وهم لا يستطيعون دفع هؤلاء المعتدين ، ثم تباع هذه المسروقات بثمن بخس.

* رفع أسعار السلع والخدمات : مغاسل السيارات.. سيارات شفط المياه.. الرافعات وسيارات السحب.. الشقق المفروشة !. وبعض شركات النظافة رفعت أسعارها أضعافا. ذكرت إحدى الناجيات أنها استنجدت هي وأهلها بصاحب سيارة كبيرة فاشتترط عليهم دفع مبلغ 500 ريال مقابل إنقاذهم إلى موقع آخر لا تتعدى مسافته عشرات الأمتار.

* وبعض الناس مشغول بتصوير المنكوبين بكاميرا جواله وهم يستغيثون ، ومن المتفرجين من ترك الإنقاذ وهو يقدر عليه وأما من لا يقدر فغفر الله له

كانت طفلة تبكي بأعلى صوتها، وتنادي أمها وأباها، وأمواج السيل تلاطمها بمئة ويسرة ، وفي كل مرة تحاول الإمساك بجثة تمر بجانبها لعلها تتشبث بأمل ينقذ حياتها.. والناس ينظرون إليها لا يحركون ساكنا !! ولا زال صراخها في آذانهم إلى أن اختفى صوتها فجأة.

يا رب أم وطفل حيل بينهما... كما تفرق أرواح وأبدان

بين قدر الله والإهمال البشري:

لا شك أن الكارثة الكبرى التي حصلت إنما هي بقضاء الله وقدره، ولكن هذا لا ينفي أن إهمال بعض البشر وتفريطهم وجشعهم وإساءتهم سبب من أسباب الكارثة يلام فيه من أساء ويعاقب فيه من ظلم ، ومن ذلك ترخيص المخططات السكنية في مجاري السيول والسكن في بطون الأودية واستخراج أذونات لبيع الأراضي في تلك المناطق بالرشوة والواسطة وسوء التخطيط والتأخر في إنجاز مشاريع تصريف المياه، والغش في بناء المساكن وعدم تأمينها بما يحصنها من السيول ونحو ذلك.

فالتسليم لقضاء الله لا ينافي معاقبة المسيئين والمتسببين في هذه الكارثة.

ينزل الله المعونة على قدر المؤونة:

أحدهم لما حاصر السيل منزله شمر ثوبه فكان يدخل إلى بيته ويحمل اثنين من أولاده على ظهره ويصعد بهم السطح ثم ينزل ليحمل آخرين حتى صعد بهم سطح منزله.

ويقول: كان بداخلي رجل قوي لم أكن اعرف من هو، ولم يظهر إلا بعد أن لامست خط الخوف من فقد أولادي وزوجتي المسكينة.

وفي الحديث: (إِنَّ الْمَعُونَةَ تَأْتِي مِنَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ عَلَى قَدْرِ الْمَوْئِنَةِ ، وَإِنَّ الصَّبْرَ يَأْتِي مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ الْبَلَاءِ) رواه البيهقي في شعب الإيمان (7 / 191) وحسنه الألباني في الصحيحة (225/4)

تمحيص وتذكير:

في المحن والكوارث تمحيص للقلوب وتنبيه لها من غفلتها ، فلولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلا وآجلا ، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتتلى بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء ، وحفظا لصحة عبوديته

، واستفراغاً للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه ، فسبحان من يرحم ببلائه ،
ويبتلي بنعمائه.

وكما قال شيخ الإسلام رحمه الله: "مصيبة تقبل بها على الله ، خير لك من
نعمة تنسيك ذكر الله".

وقال الحسن البصري رحمه الله : "لا تكرهوا البلايا الواقعة ، والنقمات الحادثة
، فَلَربَّ أمرٍ تكرهه فيه نجاتك ، وَلربَّ أمرٍ تؤثره فيه عطبك ". أي : هلاكك.

وقال الفضل بن سهل: "إن في العلل لنعماً لا ينبغي للعاقل أن يجهلها ،
فهي تمحيص للذنوب، وتعرض لثواب الصبر، وإيقاظ من الغفلة ، وتذكير
بالنعمة في حال الصحة ، واستدعاء للتوبة، وحضّ على الصدقة".

التوبة والاستغفار والبعد عن المعاصي ، فقد تجر المعصية من الشخص الواحد
مصائب عامة لا تختص به وحده.

الحرص على عدم إيذاء المصابين : فلا يتسبب الإنسان بجمع مصيبتين على
هؤلاء، كمن يلوم المصابين ويوبخهم بأنهم أخطأوا فسكنوا في هذا المكان، أو

يجزم بأن هذه المصيبة أصابتهم بسبب ذنوبهم وقد يكون فيهم من الصالحين وغير المكلفين. إن نفوس الناس تحتاج إلى مراعاة ، وليت شعري ما ذا يجول في نفوس أولئك الأقارب الذين يجتمعون يومياً عند الحفر الكبيرة والمستنقعات العميقة يرقبون جثة تخرج لعزير يبحثون عنه تخيل نفسك داخل الحدث:

العاقل من يأخذ العظة والعبرة مما يقع على غيره فينظر في المصائب ويتخيل نفسه فيها فيحمد ربه على السلامة ويحصل له ما يعينه على حسن الاستعداد والتهيؤ النفسي والمادي، فإذا وقعت عليه مصيبة مشابهة أمكنه الاستفادة مما تهيأ وكان له خبرة في التعامل معها ، .

ومن أحيائها فكأنما أحيأ الناس جميعاً:

ولا شك أن أجر إنقاذ المسلم من الغرق عظيم ، فهو إحياء للنفس البشرية من الهلاك كما قال تعالى : (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعاً).

(ومن أحيائها) أي اهتم باستنقاذها والذب عنها من الهلاك فكأنما أحيى الناس جميعا.

إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ:

رجل من باكستان يبلغ من العمر 27 عاما أنقذ 14 نفسا واحدا تلو الآخر حتى أصيب بعمود في ساقه، فأدركه الغرق جراء هذه الإصابة.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ). قِيلَ : وَمَا عَسَلَهُ ؟ قَالَ : (يَفْتَحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ) أحمد (17330) صححه الألباني.

فشبهه ما رزقه الله من العمل الصالح قبل الموت بالعسل الذي هو الطعام الصالح الذي يحلو به كل شيء.

وبعض العمال الذين كانوا مصدرا للسخرية والاحتقار والتندر عند بعض الناس -هداهم الله- كانوا سببا في إنقاذ عدد من النفوس، لاسيما بعض العمال الذين تكثر في بلادهم السيول والفيضانات

الكارثة تكشف:

* الكارثة كشفت قلة أمانة بعض المقاولين ، وضعف خبرة بعض المهندسين .
* والرخص المزيفة لسلامة المباني وسلامة تجهيزاتها المستخرجة بالمعارف
والواسطة السيئة.

* وعورات الأنظمة البشرية ، وضعف الإمكانيات المادية وأن قوة البشر مهما
بلغت فلا تقف أمام قوة الله

تقديم ما يمكن من صور المواساة والتعزية والتصبير:

وهذا أمر متيسر عبر وسائل الاتصال والتقنية الحديثة من هواتف وشبكة
معلوماتية، ومن هذه الإعانات عن بعد :

*فتح منتديات مخصصة للمشاركة بالأفكار والمقترحات والتجارب لتجاوز
هذه الأزمة.

*مشاركة أصحاب الخبرة لاسيما أصحاب التخصصات العلمية ذات الصلة فيما هو موجود من منتديات أو مجموعات على المواقع الشعبية كالفيس بوك وغيره.

*نقل بعض التجارب الناجحة في كيفية التعامل مع أخطار السيول، وترجمة بعض ما هو موجود بلغات أجنبية من هذه التوجيهات.

*إعداد برامج تأهيل نفسية للمصابين تجمع بين التوجيهات الشرعية والتجارب الإنسانية في هذا المجال، وابتكار أفكار للمواساة، وتتميم بعض الأفكار وتسديدها.

وعلى طلبة العلم مساهمات وأدوار.

فمن ذلك :

* جمع أدلة الوحي التي فيها التثبيت والعزاء لأهل المصائب ونشرها بينهم عبر الشبكة المعلوماتية.

* تحرير بعض المقالات والرسائل البليغة التي يكون فيها تخفيف من المصيبة.
* نشر الأحكام الشرعية المتعلقة بالكوارث؛ كأحكام اللقطة والضمان والعقود بين المحتاجين لمعرفتها.

* جمع الاستفتاءات عن نوازل الكوارث المعاصرة وعرضها على المشايخ وطلبة العلم لبيان حكمها ثم السعي لنشرها.

* فتح مواضيع وتكوين ورش علمية في المنتديات الشرعية المتميزة من أجل طرح وتباحث المسائل الفقهية المتعلقة بالكوارث.

* استثمار الأزمة بتذكير الناس بالله وتوجيههم للاستغفار والدعاء والتضرع ، والبعد عما يسخط الله.

* بحث ما يتعلق بالكارثة من المسائل :

فهذه تأخذ حكم اللقطة ، فالشيء اليسير الذي لا تتبعه همة أوساط الناس ، كالقلم الرخيص ، والمبلغ اليسير ، فهذا يملكه من وجده ولا يحتاج إلى تعريف.

وما عدا ذلك من الأموال مما تتبعه همة أوساط الناس فيجب على من وجدها أن يحفظها ويقوم بتعريفها في الأسواق ومجامع الناس والجرائد سنة كاملة ، فإن لم يأت صاحبها فهي ملك له بشرط أن يضمها لصاحبها متى جاء.

ويمكن مع كثرة هذه المفقودات أن تنشأ عنها فكرة إنشاء مستودعات عامة تستقبل هذه المفقودات لتقوم بإعادتها إلى أصحابها وفق الرؤية الشرعية.

أحكام شرعية متعلقة بالكارثة:

1- إنقاذ الغريق من الواجبات: إغاثة الغريق والعمل على إنجائه من الغرق واجب على كل مسلم متى استطاع ذلك، بل يجب قطع الصلاة ولو كانت فريضة لإغاثة الغريق إذا قدر على ذلك.

2- تسقط في مثل هذه الكوارث عدد من المحرمات، كلمس المرأة الأجنبية للضرورة وإنقاذ حياتها مع مراعاة المحرمات وستر العورات، في الأحياء والأموال من النساء وغيرهم.

3- الغريق يغسل إن أمكن تغسيله ، ويكفن ، ويصلى عليه ، كأبي ميت آخر.

4- المفقود: هو من انقطع خبره، ولم تُعلم حياته من مماته ، يُتربص به مدة بحيث يغلب على الظن رجوعه لو كان حياً ثم يحكم بموته بعد انتهائها إذا لم يظهر له أثر، وإذا تمت مدة التربص تبتدئ الأحكام المترتبة على الوفاة من ابتداء عدة الوفاة وأحكام الميراث.

5- كل ما فقد من جراء هذه السيول من الممتلكات فإنه يجري عليه شرعا حكم اللقطة سواء كان من الممتلكات التي ضاعت عن أصحابها: جوالات ، ساعات...أو أشياء تركوها عمدا لعدم قدرتهم على الجمع بين حملها والنجاة بأنفسهم ، أو سيارات ومعدات ثقيلة جرفها السيل أو حيوانات وبهائم..

6- طين الشوارع إذا لم يظهر به أثر النجاسة فهو طاهر وإن تيقن أن النجاسة فيه فهذا يعفى عن يسيره.

7- الوحل مع وجود المشقة عذر يبيح الجمع بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء.

8- باقي مبلغ الأجرة السنوية المدفوعة مقدما للبيوت التي هدمها السيل ، اتفق الفقهاء على أنه إن تلفت العين المستأجرة انفسخت الإجارة ، وعلى المستأجر أجرة ما سبق من المدة فقط، ويعاد له ما زاد عن ذلك.

9- الكذب والخداع لأخذ التعويضات من أكل المال بالباطل ، فمن لم يصبه ضرر من هذه الأمطار، فلا حق له في الإعانة ، ودعواه الضرر مع عدم حصوله كذب محرم، وعلامة من علامات النفاق ، وأكل للمال بالباطل.

10- يجوز تعجيل زكاة العام القادم وحسابها بالتقدير والاجتهاد من أجل حاجة الناس في هذه الكارثة.

من المهام والواجبات في كارثة السيول:

* الإعانة في البحث عن المفقودين.

* استخراج الجثث لتغسيلها وتكفينها والصلاة عليها ودفنها.

* إطعام المحتاجين.

* المواساة والتعزية والتصبير.

* حماية الممتلكات.

* نقل المصابين.

* كسوة المحتاجين

* تهنئة الناجين.

* تعريف الملتقطات وحفظها.

* معالجة القلق وتسكين الفزع.

* التوبة والاستغفار.

* الأذكار والأدعية المناسبة كدعاء المصيبة، ودعاء الاستصحاء وهو: " اللهم حوالينا ولا علينا".

* رعاية الأولاد الذين فقدوا أهاليهم.

* جمع الإثباتات والأوراق الرسمية وتسليمها للجهات المختصة.

* تقديم الأهم فالمهم عند الإنقاذ فلا ينقذ المال قبل العيال.

* من حقوق الجيران حفظ ممتلكات الناس بعضهم لبعض.

* اتخاذ الاحتياطات من غير مبالغة.

* مراجعة الحسابات الشرعية والدينية.

* تعلم الإسعافات الأولية ومعرفة كيفية الحماية والإنقاذ.

* لجان من الأقارب لتفقد أحوال من أصابتهم الكارثة من الأسرة.

* لجان في الحي لتفقد أحوال الجيران وإحياء دور مراكز الأحياء.

* غرس معاني الإعانة في نفوس الشباب.

* الاستفادة من الحدث بالتخطيط المستقبلي والتنظيم وحسن الإدارة.

* تحديد ما هي الاحتياجات، مع تسليمها للجهات التي تحسن توزيعها :
بطانيات ، أطعمة ، ملابس ، لحف ، سجاد ، ثلاجات ، مخدات ، فرش ،
حليب أطفال ، حفاض أطفال، ثياب رجالية ونسائية، أدوية...

* حصر الأوبئة التي يمكن أن تنتج وحسن الاستعداد لها : إذ إن ما خلفته
مياه الأمطار من برك راکدة حول التجمعات السكانية بدون تصريف
ستصبح موطناً خصباً لتكاثر البعوض، وانتشار الأوبئة والأمراض الوبائية،
كالمالاريا، والإسهالات، وحمى الضنك ، والعياذ بالله.

* من أعمال المحسنين وهي كثيرة تدل على أن الأمة فيها خير كثير :

- تقديم شقق مفروشة مجاناً..

- تقديم سيارات دفع رباعي للوصول إلى المناطق المنكوبة...

- ذبائح للإطعام ومطابخ لتقديم الوجبات..

- تجار قدموا أدوية وملابس مجاناً

- أحدهم يُسَخِّر نفسه لجمع المصاحف والكتب الدينية من أنقاض المساجد والبيوت.

دور للمجتمع:

* على كل مسلم أن ينهض بواجبه الشرعي تجاه إخوانه المتضررين ولا سيما الميسورون وأصحاب التخصصات فهؤلاء عليهم أن يزكوا علمهم ويبدلوا النصيحة لإخوانهم.

فالخطباء والدعاة بتخفيف المصاب وإرشاد الناس إلى الأسباب الشرعية لتلك الكوارث وكيفية تجاوز الأزمة، والتجار بالتبرع بأموالهم، وأصحاب المعدات بالمساعدة في انتشارال سيارات ورفع الأنقاض وتنظيف الممرات، والمهندسون والمقاولون ببذل النصح فيما يتعلق بالأبنية وصلاحياتها وموضع البناء، والخبراء في تقييم الوضع ، هل يحتمل الأمر رجوع الناس إلى بيوتهم أو أن الوضع ما يزال خطيرا..

* التفاعل الالكتروني.. من خلال التجمعات السلمية الواعية للتعاون مع الضحايا وحفظ حقوقهم ونقل أخبارهم والإعلان عن مفقوديههم.

اللهم اغفر لموتى المسلمين وتقبلهم شهداء عندك يا رب العالمين ، واجبر مصاب المكالمين واشف المرضى والمصابين وسكّن فزع الخائفين وعوّض من أصيب في ماله يا خير الرازقين

إنك خير حافظا وأنت أرحم الراحمين



عنوان الخطبة	كيف نعرف خير الخيرين وشر الشريرين؟
عناصر الخطبة	1/ أهمية استصحاب العلم والعقل لفهم الشرع 2/ الشرع يبني على جلب المصالح ودرء المفاسد 3/ أمثلة تبين مراتب المصالح ومراتب المفاسد 4/ كيفية معرفة خير الخيرين 5/ أمثلة تبين معرفة شر الشريرين عند تراحم المفاسد
الشيخ	الشيخ/ محمد صالح المنجد
عدد الصفحات	18
رقم الخطبة في الموقع	2785

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: لقد جاء الدين بالخير والمصالح، وبني على ذلك، وجاءت الشريعة بالنهي عن الشرور والمفاسد، وهذا واضح في أحكامها، و"من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" متفق عليه؛ المصالح التي جاءت بها الشريعة، ويستطيع

القياس عليها، ويعرف المفسد التي نمت عنها الشريعة، ويعرف درجاتها، ويستطيع أن يوازن، ويقارن في مسائل المصالح والمفاسد، فمن يرد الله به خيراً يدلّه على الخير.

والناس منهم صاحب علم ليس بصاحب عقل، وصاحب عقل ليس بصاحب علم، فهذا عنده علم من جهة أنه يحفظ المعلومات، ولكن لا عقل لديه راجح للاستنباط منها وفهمها، أو القياس عليها، وهذا عنده عقل قوي عميق، وتفكير دقيق، ولكن ليس عنده علم، فلا يعرف نصوص الوحي، ولا يعرف ما جاء الله به، ورسوله -صلى الله عليه وسلم-.

وهذا الذي جاء به الشرع من أمر الناس بمعرفته وفهمه، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [النحل: 12]، فبعضهم عنده عقل وذكاء، ولكن ليس عنده علم ولا معرفة بما أنزل الله على رسوله -صلى الله عليه وسلم-، فهو يخطئ بعبث عشواء بعقله، فلا يراعي نصاً، ولا يقيم له حرمة، بل لا يعرفه أصلاً. ومنهم من ليس عنده علم ولا عقل، فهو كبهيمة الأنعام، ومن فتح الله عليه سلك سبيل العلم فتعلم، وأنعم الله عليه بعقل ففهم ما أنزل الله على رسوله؛ ولذلك فإن العلم والعقل بالكتاب والسنة؛ لا بد منهما.

ومسألة جلب المصالح، ودرء المفاسد مما جاءت به الشريعة، وهي واضحة فيها تمام الوضوح، فأمرت بالمصالح مثل بر الوالدين، والإحسان للجيران، وإكرام الضيف، وإعمار الأرض بالمباحات، فالمصالح: ما فيه رعاية للعباد، في الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعرض.

وكذلك فإن من أعظم الأمور؛ التفريق بين المنكر والمعروف، والمصلحة والمفسدة، والخير والشر، ومعرفة الصحيح والباطل من الأعمال، فالفقه في الدين يميّزك -يا عبد الله- من التمييز بين ما هو المنكر، وما هو المعروف، وما هو الحق، وما هو الباطل، وما هي السنة، وما هي البدعة، وما هو الصحيح المقبول، وما هو المردود الباطل.

والفقه يبصر الإنسان أيضاً بأنواع الواجب، فهذا فرض عين، وهذا فرض كفاية، ففرض العين واجب على كل أحد بعينه، ونفسه، وذاته، وفرض الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي، والفقه يبصرك بما هو الواجب الموسع، والواجب المضيق، فيقال: هذا واجب تفعله قبل أن تموت، فوقته موسع، وهذا مضيق، إذا انتظرت أكثر يفوت وقته، فلا بد من الإتيان به فوراً، فهذا على الفور، وهذا على التراخي، أيضاً يبصرك بالأولويات، فهذا يقدم على هذا.

ولما جاءت الشريعة في مبناها على المصالح ودرء المفاسد؛ فإن المصالح مراتب، فمنها الضروريات، ومنها الحاجيات، ومنها التحسينيات؛ فالضروريات تقدم على الحاجيات، والحاجيات تقدم على التحسينيات، وكذلك فإن في كل واحد من هذه مراتب؛ ولذلك يحتاج الأمر إلى فقه دقيق.

وأيضاً فإن المصالح والخير تتفاوت، وكذلك الشر والمفاسد تتفاوت، فليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين، وقضية معرفة خير الخيرين وشر الشرين مهمة جداً في تصرفات

الإنسان في حياته؛ لأنه إذا تعارضت عنده منفعتان ولا يستطيع القيام بهما؛ لأن الأصل القيام بالمصالح جميعاً، وجمع المنافع كلها، ولكن إذا لم يستطع قدم الأعلى، ولو ترك الأدنى.

وكذلك في المفاسد يجب أن تحتنب جميعاً، ولكن إذا لم يمكن إلا بارتكاب مفسدة من مفسدتين، ارتكب المفسدة الأدنى وترك المفسدة الأشد، ودرأها ودفعها.

ومن ذلك أن المرأة إذا ماتت وفي بطنها جنين حي، فإن شق بطنها مفسدة؛ لأنه تمثيل بجثتها، واعتداء على كرامتها، وجثمان الميت له حرمة، فلا يجوز كسر عظمه، ولا يجوز شق جلده وهكذا، ولكن الجنين الحي في بطن أمه له حرمة أيضاً، فحياته يجب أن تصان، وتركه يموت مفسدة، فأبي المفسدتين أعظم؟ ترك الجنين يموت وهو حي، تيقنا ببقائه حياً ينبض في بطن أمه، وتيقنا بموتها؛ فهل نرتكب مفسدة شق بطن الميتة، أو نرتكب مفسدة ترك الجنين يموت ودفن الأم بجنينها؟ قال العلماء: يشق بطن الميتة لاستخراج جنينها الحي، إذا كان يرجى بقاء حياته، من باب ارتكاب أدنى المفسدتين. ولو طلب ظالم مالاً من رجل فتوسط آخر بينهما وأخذ من المظلوم مالاً أقل، فإن هذه واسطة خير؛ لدرء أشد المفسدتين، فإنه لو ترك الظالم يأخذ كل مال المظلوم فهذه مفسدة عظيمة، ولو توسط عند الظالم ليرك للمظلوم بعض ماله فهذه مع وجود المفسدة فيها وهي أخذ بعض المال ظلماً؛ لكن هذه شفاعة حسنة؛ لأنه هوّن الشر وخففه، وهكذا في شرع الله عز وجل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، ومعرفة خير الخيرين وشر الشرين، حتى يقدم عند التزاحم خير الخيرين ويدفع شر الشرين. وقال أيضاً: والشارع دائماً يرجح خير الخيرين بتفويت أدناهما، ويدفع شر الشرين بالتزام أدناهما، فإذا تعارضت المصلحتان وكانت إحداها أعلى من الأخرى فعل الأعلى منهما؛ لأن الشريعة جاءت بتحصيل أعظم المصالح فأعظمها، ومدار الشرع على تحصيل أعلى المصلحتين وارتكاب أدنى المفستدين.

فإذا تعارض عندك - يا عبد الله - أمران كلاهما خير، ولا تستطيع أن تقوم بهما جميعاً، والأصل أن تقوم بهما جميعاً، وأن تحرص على الجمع بينهما، فإذا تعذر عليك فاسأل نفسك أيهما أحب إلى الله؟ وما الأفضل منهما؛ فاعمله لتنال أجراً أعظم عند ربك.

وقول الله تعالى: (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [المالك: 2]، و"أحسن" صيغة تفضيل، يدل على هذا، فقد يكون مثلاً في سنة من السنوات بذل المال لإطعام الطعام مقدم، أو أفضل من حج النافلة؛ لأنها سنة مجاعة مثلاً، أو حاجة شديدة، أو مخمصة نزلت بالناس، فيكون إنفاق المال في إطعام الطعام أولى من إنفاق المال في حج النافلة.

وإذا اجتاحت العدو بلداً للمسلمين كان إنفاق المال في صد هؤلاء أولى من بناء المساجد مثلاً، فهذه حاجة طارئة وملحة، والعدو خطره على الدين،

وليس فقط على النفس والمال، وإعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم الخليل مصلحة؛ لأن قريشاً لما جاء السيل في عهدهم، وهدم الكعبة، ما وجدوا مالاّ حلالاً -بزعمهم- خالياً من الحرام إلا ما بنوا به بعض الكعبة.

فلما أراد النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد فتح مكة أن يعيدها ونظر في الأمر قال لعائشة وأخبرها أنه ترك ذلك تألفاً لقريش، حتى لا تفتن فترجع، أو يرجع بعضهم عن دينه؛ فترك مصلحة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم البنيان الكامل لمصلحة أعلى، وهي تأليف قلوب الناس على الإسلام، وتثبيتهم على الإسلام، وهم حدثاء عهد به. من حديث متفق عليه.

وتزوج جابر -رضي الله عنه- ثيباً، ولم يتزوج بكرةً، مع أن البكر أفضل؛ لأنه كان عنده أخوات يحتجن إلى من يقوم عليهن، فلم يكن يصلح بعد وفاة أبيه وبعد فقد الراعي أن يجلب لهن امرأة مثلهن، فقال: إن لي أخوات، فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن، وتمشطهن، وتقوم عليهن. متفق عليه.

لكن، كيف يعرف العبد خيرَ الخَيْرَيْنِ؟ يحتاج إلى علم. وكيف يوازن؟ يحتاج إلى عقل. فإذا كبر المصلّي لصلاة النافلة -مثلاً-، وأقيمت صلاة الجماعة، فإنه يقطع النافلة ليدرك أعلى المصلحتين وهي الجماعة؛ وإذا كان تثليث الوضوء يُذهب بتكبيرة الإحرام، أو يفوّت صلاة الجماعة، فيتوضأ مرة مرة ليلحق صلاة الجماعة؛ لأن مصلحة إدراك الجماعة أعلى من تثليث الوضوء، فتثليث الوضوء سنة، والإتيان بمرة واحدة في الوضوء يجزئ، ومصلحة الجماعة أعلى من مصلحة تثليث الوضوء، هذا فقه.

وإذا تعارض الأمر بين الركن والمسنون، أو الواجب والمستحب، قدم الواجب، ولذلك من الفقه إذا دخل المأموم في أثناء قيام الإمام للقراءة متأخراً عن أول الصلاة، أو أول الركعة؛ فإن من الفقه أن لا يقرأ دعاء الاستفتاح؛ لأن الإمام سيركع بعد قليل، ومصلحة قراءة الفاتحة أعلى من مصلحة دعاء الاستفتاح، ولذلك إذا كبر بدأ بالبسملة والفاتحة مباشرة.

وإذا تعارض قضاء الدين مع صدقة التطوع، قدم قضاء الدين طبعاً؛ وهكذا لو تعارض فرض العين مع فرض الكفاية، قدم فرض العين؛ كمن عنده نفقة تكفي أهله فقط، وهناك جهاد على الكفاية، فإنفاقه على أهله فرض عين عليه، فمن الذي سيقوم به غيره؟ فهذه زوجته، وهؤلاء أولاده، فيقدم الإنفاق على الزوجة والأهل، على الإنفاق والخروج في سبيل الله إذا كان على الكفاية، وليس فرض عين.

ولو تعارض عمل المرأة مثلاً في الدعوة إلى الله، مع حق زوجها وأولادها، فتقدم حق الزوج والأولاد؛ لأنه فرض عين عليها، وقيامها بالدعوة إلى الله، والخروج إلى أخواتها، أو إلقاء المحاضرات فيهن فرض كفاية، ليس واجباً عينياً عليها، ولذلك تقدم حق الزوج والأولاد، فالذي لا يفقه الفقه الشرعي الصحيح يمكن أن يقول: الدعوة إلى الله أعظم، ويهون فراش الزوج، وأكل الأولاد، وحق الزوج والأولاد فرض عين عليها، فتقدمه على ذلك الأمر، فالأمومة رسالة لا تقبل المزاحمة.

وهل دائماً معرفة خير الخيرين واضح جداً؟ الجواب: لا، فقد يختلف فيه أهل العلم أنفسهم، فتصبح القضية فيها دقة شديدة، فلو دخلت المسجد والمؤذن يؤذن لخطبة الجمعة، والإمام على المنبر، فهل تقف وتردد مع المؤذن، ثم تصلي الركعتين ولو فاتك شيء من الخطبة، أو تصلي الركعتين لتلحق الخطبة من أولها وتفوت التردد مع المؤذن؟ فما هو أعلى الخيرين وخير الخيرين، التردد مع المؤذن، أو إدراك أول الخطبة؟.

من العلماء من قال: إدراك الخطبة من أولها خير وأعلى، وأفضل، فيفوت سنة التردد مع المؤذن، ويصلي ركعتين مباشرة ليلحق الخطبة من أولها، والخطبة واجبة؛ ومنهم من قال: بل التردد مع المؤذن مأمور به، "فقولوا مثل ما يقول" متفق عليه، وسماع الخطبة مأمور به، ولكنه إذا فوت سيفوت أول الخطبة، ويقوم بهذا المأمور به، وببقية الخطبة المأمور بالإنصات إليها، فهنا الجمع أحسن.

إذن فمنهم من يقول: إنه يمكن الجمع، ومنهم من يقول: إنه لا يمكن الجمع بين المصلحتين، ومنهم من يقول: هذه المصلحة أعلى، ومنهم من يقول: هذه أعلى؛ فالقضية في بعض الأحيان حتى عند أصحاب العلم والعقل؛ فيها نقاش، ومفاضلات.

وإذا تزامنت مفسدتان، ولم يمكن اجتناب المفسدتين جميعاً، وكان لا بد من ارتكاب إحداها، فما هو الحل؟ الأصل: أنه يجب ترك المفسد كلها، فإذا

سأل سائل هل أفعل هذا الحرام، أو هذا الحرام، هل أرتكب هذه المفسدة أو هذه المفسدة؟ فلا بد من التأكد أنه لا يمكن ترك المفسدتين جميعاً. فإذا توصلنا إلى هذه النتيجة، نأتي بعد ذلك إلى قوله تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) [التغابن:16]، (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة:286]، وكلام العلماء: إذا اجتمع محرمان لا يمكن ترك أعظمهما إلا بفعل أدناهما؛ يفعل الأدنى درأً للأعلى، فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، إلا إذا لم يندفعا جميعاً، فعند ذلك يدفع الفساد الكثير بالفساد القليل، ويدفع الشر الكثير بالشر القليل، والعقل مع الشرع يوجب ارتكاب أخف الضررين. ومن الأمثلة على ذلك: خرق الخضر السفينة؛ لأن هنالك ملك ظالم يأخذ كل سفينة غصباً إذا مرت عليه واستحسنها، فخرق السفينة مفسدة، وترك السفينة ليغتصبها الملك مفسدة، فأى المفسدتين أدنى؟ خرق السفينة، فخرقها ودق وتدّاً مكان الخرق حتى لا تغرق، كما جاء في الحديث الصحيح، وشوه المنظر؛ لئلا يأخذها الغاصب، فإذا رآها لن يستحسنها وهي مشوهة، (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ) يحتاجون إليها مساكين، هذه حيلتهم، (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) هذا هو الهدف التعيب، (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) [الكهف:79].

وإذا أكره العبد على اختيار واحد من الشرين؛ لزمه اختيار ما كان أخف ضرراً اتقاءً للأشد، ولهذا ترك النبي -صلى الله عليه وسلم- قتل عبد الله بن

أبي مع عِظَم شَرِّه، وشِدَّة شَرِّه، وترك قتل المنافقين، وهكذا إذا تعارض أمران محرمان في النهي عن المنكر.

قال ابن القيم رحمه الله: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتر يقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم مَنْ كان معي، فأنكرتُ عليه - أي أنكرت عليه الإنكار-، وقلت له: إنما حرَّم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدّهم الخمر عن قتل النفوس المسلمة، وسبي الذرية، وأخذ الأموال، فدعهم؛ لأن مفسدة شربهم للخمر أقل من مفسدة قتل النفس، وأخذ أموال المسلمين، والاعتصابات، ولذلك أمر بتركهم في سكرهم؛ لأنهم إذا أفاقوا صار إفسادهم أشد.

وهكذا يكون العمل عند وقوع تعارض بين محرم لذاته مثلاً، ومحرم لغيره، فالمحرم لذاته أشد، مثال ذلك: إذا لم يمكن إنقاذ المرأة الأجنبية إلا بلمسها، وحملها، والنظر إليها، فماذا نفعل؟ هل نتركها تموت، وتغرق، أو نحملها بالرغم من أن حملها، ولمسها، والنظر إليها محرم؟ فهذه مفسدتها أقل، فالنظر إلى الأجنبية محرم لغيره، لما يفضي من إثارة الغرائز المحرمة والشهوات فهو حرام، ولكن هنا لا بد أن نرتكبه، وهذا ما فعله المسعفون في حوادث السيول مثلاً.

والعلماء يشترطون للطبيب إذا كان لا بد من المعالجة أن ينظر إلى الأجنبية، أو يلمس الموضع الذي لا يجوز لمسه أصلاً، يشترطون عدم الشهوة، وترى

التدرج في كلام أهل العلم في قضية معالجة المرأة الأجنبية دقيقاً، فيقولون: يبدأ بالطبيبة المسلمة للنظر إلى عورة المرأة عند العلاج أو الولادة، فإن لم يمكن فالطبيبة الكافرة، فإن لم يمكن فالطبيب المسلم، فإن لم يمكن فالطبيب الكافر، فقدموا الطبيبة الكافرة على الطبيب المسلم؛ لأن مفسدة نظر الطبيبة الكافرة إلى عورة المرأة المسلمة أخف من مفسدة نظر الطبيب المسلم إلى عورة المرأة المسلمة.

وهكذا من الأمور الكثيرة الواردة في كتب الفقه، مثل: طلب الزوجة الطلاق لعسر الزوج، فالتفريق مفسدة يضر الرجل، ويضر الأولاد والأسرة، وربما تتضرر الزوجة فيما بعد، وقضية بقائها مع رجل ليس عنده مال مفسدة، وضيق، وضنك، وشدة، فأيهما يقدم في الارتكاب؟ قالوا: تلزم بالبقاء معه؛ لأن العسر عَرَض لا يدوم، والمال غَادٍ ورائح.

وأما التفريق فهو ضرر، والزوجة يمكن أن تتدارك الأمر بالاستدانة على الزوج، فيجوز للمرأة إذا أعسر زوجها ولم يكن عنده مال ينفق عليها أن تستدين عليه، فتأخذ من البقالة وتقول: اكتب على حساب زوجي، وتأخذ من الجيران وتقول: على حساب زوجي، وتأخذ ما لا بد من أخذه، ولا يفرق بينهما لمفسدة التفريق؛ لكن إذا كان بخيلاً، فهذا حتى لو عنده مال لا ينفق، فهنا يفرق بينهما لبخله، إذا كان لا يقدم نفقتها لا في السراء، ولا في الضراء.

اللهم إنا نسألك الفقه في الدين، واتباع سنة سيد المرسلين، أحياناً مسلمين،
وتوقناً مؤمنين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، أقول قولي هذا
وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا هو، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، أسبّحه، وأحمده، وأكبرّه، ولا أشرك به أحداً؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه ونبيه ومصطفاه، صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه، وأزواجه، وذريته الطيبين، وخلفائه الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين؛ أشهد أنه رسول الله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، فصولات ربي وسلامه عليه إلى يوم الدين.

عباد الله: إن قضية النظر والعقل مع العلم والنصوص الشرعية من الكتاب والسنة أمران مهمان جداً، والذي يفرط في هذا الباب يظلم نفسه، ويظلم غيره، وأنت تجد -يا عبد الله- أن المصالح في الدنيا ليست نقية دائماً، ومع ذلك فالشرع أباحها لما غلب عليها من المصلحة، فمثلاً الطعام، لحوم بهيمة الأنعام، أليس يمكن أن يترتب عليها مفسدة، فمثلاً: لحم الغنم يزيد الكلسترول، ولحم البقر يمكن أن يوجد فيه الدودة الشريطية، وهكذا، ولكن الشريعة أباحتها لأن مصلحته غالبية.

والخمر حرمتها الشريعة مع وجود مصالح وحسنات فيه؛ من ربح تجارته، أو أنه يصير الجبان إذا سكر شجاعاً، والبخيل كريماً، وينسي المصائب والهموم، ويدفع في البرد، فإنكار هذا ليس من العقل، ولكن لماذا حرمتها الشريعة؟ لأن مفسدته غالبية، ولأنه يضيع العقل، ويترتب عليه من المفاسد أضعاف أضعاف ما يتحصل من مصلحة ربح تجارة، أو نسيان هموم؛ لأن الشريعة أعطتنا في

باب ربح التجارة أبواباً كثيرة جداً، وأعطينا في نسيان الهموم من الأذكار، والعبادات، والإجراءات الكثيرة غير هذا، ولا يعني أنه لا يوجد إلا الخمر لنسيان الهموم.

وقد ذكر الشاطبي - رحمه الله - وغيره من أهل العلم، أنه لا يوجد مصالح نقية تماماً إلا في الجنة، فكلها مصالح نقية ما فيها مفسدة بوجه من الوجوه، وأن المفسد الكاملة من كل الوجوه لا توجد إلا في النار، ولا يوجد في النار مفسدة فيها أي شائبة من فائدة أبداً.

ولذلك لما تطرح قضية مثل: قيادة المرأة للسيارة في مجتمع محافظ يغلب عليه الدين؛ كمجتمعنا، ففي قيادتها حسنات بلا شك، ومن ذلك أنها تكتفي عن السائق، لكن فيه من المفسد ما يربو على مصالحه، ولذلك أفقأ أهل العلم الثقافات بمنعه.

وأحياناً تجد أن الإباحة والتحريم في المسائل لا بد فيها من مراعاة الواقع للخروج بحكم صحيح؛ ومن ذلك: المناداة بحرية العبادة في بلاد تحت نير الشيوعية بالحديد والنار، مفيدة؛ لأنه سينبني عليها استطاعة المسلمين بناء مساجد، وإقامة صلوات علنية، فتحت الشيوعية والحديد والنار لا يمكن في أجواء الاضطهاد البالغ لا يمكن، فالمناداة بحرية العبادة هناك مفيد، لكن من ينادي بحرية العبادة في جزيرة العرب التي لا يجوز أن يجتمع فيها دينان، ولا يجوز أن يبنى فيها للكفار دور عبادة، وكنائس، وبيع، ومعابد للبوذيين، والهندوس، وكنائس صلبان.

والذي لا يفقه الربط بين الواقع والحكم الشرعي، فليس من الفقهاء أصلاً، وهكذا -أيها الأخوة- ينبغي أن يسار على القضية في حكم إدخال هذه القنوات إلى البيوت، ولنتكلم عن القنوات المختلطة، وليس عن القنوات الإسلامية التي إذا أمكن تحديدها في البيت فإن إدخالها مفيد، فالقنوات الأخرى فيها فائدة وفيها مصلحة، لكن فيها شرور عظيمة، وشرها في كثير من الأحيان أعظم من نفعها.

وكذلك السياحة في بلاد الكفار فيها فائدة؛ من ترويح عن النفس، لكن ما يكون وراءها من التأثير بدينهم، وعدم استطاعة المسلم أن يقيم شعائر دينه في بعضها مفسدة عظيمة، وتأثر أولاده بمناظر كنائسها، ومتاحفها، وبالكفرة، وعادات الكفرة، وحياة الكفرة، ومجتمعات الكفرة، ووجود الخمر في فنادقها، والخنزير في مطاعمها، يعني تطبيع الكفر في نفوس الأهل، فهذه مفسدة ضخمة جداً، لا يمكن أن تدانيها أو تقارنها مفسدة الفرجة والترويح، ولذلك إطلاق الأحكام لا بد من مراعاة الشرع والعقل والواقع فيه، وأن يكون عند ثقة.

وأحياناً تكون هناك أمور دقيقة جداً، هل يجوز في علاج مدمني المخدرات أن يعطى المدمن المخدر مثلاً بدرجات تقل شيئاً فشيئاً حتى يتعود جسمه على تركها ويشفى منها ويخرج، ومعلوم أن إعطاء المخدر حرام، لكن الوصول إلى شفائه حلال، بل مطلوب، بل واجب، ولا بد أن نسأل، ألا

يوجد طريقة أخرى؟ وإذا قالوا: فعلاً لا يوجد، فهنا الدقائق والمضائق التي تحتاج إلى أهل العلم وأهل الفقه.

ومن اضطر إلى فعل كبيرة أو صغيرة فماذا يفعل؟ الجواب: يفعل الصغيرة إذا لم يكن إلا هي درءاً للكبيرة، ومن طريف ما ذكروا كما في ربيع الأبرار، أن رجلاً زنا بجمارية فحملت منه، فقبل له: هلا إذا ابتليت بفاحشة عزلت عنها، بدلاً من أن تحمل الولد الحرام والفضيحة، فقال: بلغني أن العزل مكروه، فقبل: فما بلغك أن الزنا حرام؟.

ولو حُجِرَ العبد بين أن يرتكب كبيرة، وبين أن يشرك بالله، فهكذا أيضاً، والقضية تحتاج إلى علم، ومعرفة بالنصوص، سواءً في خير الخيرين، كما فعل الصحابة عندما سافروا مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، فمنهم الصائم، ومنهم المفطر في يوم حار جداً، فسقط الصُوم، وقام المفطرون فضربوا الأبنية، والخيام، وسقوا الركاب والدواب، فقال -عليه الصلاة والسلام-: "ذهب المفطرون اليوم بالأجر" متفق عليه؛ لأنه كان الفطر خير الخيرين.

وقد يصل الجهل بمراتب الأعمال إلى حد تضييع الأجر نفسه، مثل من يجتهد في قيام الليل جداً ويطيل، ويطلق، فيسقط قبل الفجر، وينام نومة تُضيّع عليه صلاة الفجر، فماذا فعل هذا؟ ما عرف خير الخيرين، فهو عابد، قام أربع ساعات في الليل، وصلاة، وبكاء، ودعاء، ولكن ليس فقيهاً؛ لأنه لم يعرف خير الخيرين؛ لأن صلاة الفجر أعلى، وأفضل من قيام الليل، مع أن الجمع بينهما ممكن، بأن يقوم من الليل قدراً لا يفوت عليه صلاة الفجر.

وعلى أية حال أجد -أيها الأخوة- في هذا الوقت الذي عمت فيه فتن، واضطربت فيه أمور، واختلت فيه أوضاع بلدان، أجد أن طرح هذا الموضوع، ولفت النظر إليه، والتفكير فيه من أهم المهمات والله!.

اللهم آمنا في الأوطان والدور، وأصلح الأئمة وولاة الأمور، واغفر لنا يا عزيز يا غفور، اللهم خلص بلاد المسلمين من الظلمة والمنافقين يا رب العالمين، وانشر فيها الأمن والإيمان يا أرحم الراحمين، اللهم انصر المظلومين على الظالمين، واقمع أهل الزيغ والفساد والمعاندين، اللهم من أراد ببلاد المسلمين سوءاً فأشغله بنفسه، ورد كيده في نحره، اللهم من أراد الإضرار بأمنا، وأمن المسلمين فاقمعه، وأخزه، ورد كيده في نحره، واقطع دابره يا رب العالمين.

اللهم إنا نسألك رحمتك التي تلم بها شعبنا، وتقضي بها ديننا، وترد بها غائبنا، وتهدي بها ضالنا، وترحم بها ميتنا، وتشفي بها مريضنا؛ يا أرحم الراحمين استر عيوبنا، وآمن روعاتنا، اللهم استر عوراتنا، اللهم إنا نسألك في هذا اليوم العظيم أن تغفر لنا ذنوبنا أجمعين، وأن تكتبنا من السعداء من أهل جنات الخلد والفردوس يا أرحم الراحمين، وأن تعتق رقابنا من النار، يا غفار اغفر لنا ذنوبنا كلها، واجعلنا متوكلين عليك، تائبين إليك، ذاكرين لك، شاكرين لنعمك، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

ما هي العلاجات الشرعية لهموم الدنيا وابتلاءها وحزنها

هل كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تزيل الهموم؟

الأدعية والأذكار من أعظم علاجات الهموم والغموم

هل للهموم والغموم والأحزان نهاية

الصلاة والقرآن أعظم علاج للهموم والغموم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ما هي العلاجات الشرعية لهموم الدنيا وابتلاءها وحزنها

عباد الله:

لقد خلق الله الدنيا مميزة عن الآخرة، وجعل في دار الابتلاء بضد ما في دار الكرامة، فكما أن دار الكرامة وهي الجنة لا هم فيها، ولا حزن، ولا غم، ولا ألم، فإن في الجنة ما به تسر أرواح المؤمنين، وما يكون فيه بهجة ولذة دائمة، وأما الدنيا فهي دار هموم وغموم، وأحزان وآلام، ولكن من رحمة الله تعالى أنه يخلق الداء ويخلق الدواء، ويقدر هذا الألم ويعرفنا بما يعالجه ويزيله، وكثيراً ما تركب الإنسان في الدنيا هموم وغموم وأحزان، فالحزن في الحاضر، والغم على شيء مضى، والهم من شيء سيأتي، فماذا يفعل الإنسان إذا أصابته الهموم والأحزان، وما هي العلاجات الشرعية عندما تركبه هذه الآلام؟

كثيراً ما تركب الإنسان في الدنيا هموم وغموم وأحزان، فالحزن في الحاضر، والغم على شيء مضى، والهم من شيء سيأتي، فماذا يفعل الإنسان إذا أصابته الهموم والأحزان، وما هي العلاجات الشرعية عندما تركبه هذه الآلام؟

إن هنالك كثيراً من الأمور في الكتاب والسنة، فمن هذا أن يستصحب الإنسان المسلم معية الله تعالى، فإله عز وجل مع عبده المؤمن، وهذه ثمرة الإيمان، هذه ثمرة صحة الاعتقاد، هذه فائدة التوحيد، ألم تر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ركب الحزن قلب صاحبه قال له: (لا تحزن إن الله معنا) [رواه البخاري 3652]. فداوى حزن صاحبه بتذكيره بمعية الله، فإذا شعر العبد المؤمن أن الله معه، أن الله سبحانه وتعالى يداويه ويعالجه، أن ربه سبحانه وتعالى متكفل به، فهو إذا توكل عليه، وفوض الأمر إليه، أزاح همه، وأزال غمه، وعالج حزنه سبحانه وتعالى، وكذلك أن يعلم العبد أن هذه طبيعة الدنيا، فعند ذلك يسري عن نفسه بأنه أمر لا بد منه، ولا يمكن النجاة والفكاك من هذا بالكلية؛ لأنه طبع فيها، ولذلك كان من المعالجات للهموم والغموم والأحزان بدلاً من الحبوب المهدنة، والعلاجات المشكوك فيها، بدلاً من المنومات المضرة، أن يجعل المسلم همه الآخرة، فإن من جعل همه في الآخرة وقاه الله هموم الدنيا، وعالج قلبه من وطأتها.

هل كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تزيل الهموم؟

وكذلك من العلاجات كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك جاء في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أنه كان له ورد يقوله، وأدعية في وقت من يومه، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم: كم أجعل لك من دعائي، من وردي؟ قال: (ما شئت) قال: الربع، قال: (ما شئت) قال: الثلث؟ قال: (ما شئت) قال: النصف؟ قال: (ما شئت) قال: إذن أجعل لك دعائي، وأجعل وردي وذكرى هذا كله صلاة عليك، قال: (إذن تكفى همك ويغفر لك ذنبك) [رواه الترمذي 2457]. إذن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تزيل الهموم، ويكفى الإنسان بها من الغموم.

الأدعية والأذكار من أعظم علاجات الهموم والغموم

وكذلك من العلاجات القرآنية النبوية هذه الأدعية التي علمنا إياها النبي صلى الله عليه وسلم: (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش الكريم) [رواه البخاري 7431]. إذن لا إله إلا الله الحليم الكريم، تهليله مختومة باسمين عظيمين، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، القدرة، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم.

كذلك علمنا أن نقول إذا أصاب أحدنا هم أو غم: (اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك) التحكم الكامل، (ناصيتي بيدك، عدلٌ في قضاؤك) هذا اعتراف مهم جداً، مهما كتبت علي لا اعتراض، مهما كتبت علي، ذهاب نفوس، خسارة أموال، ظلم يقع علي من أقارب أو أبعاد، مهما كتبت علي أنا ملكك، إنا لله وإنا إليه راجعون، ((عدلٌ في قضاؤك)) لا يوجد تبرم من القضاء، اعتراف العبد بعدل الله حتى في حال الحزن والغم والهم والمصائب التي تغشاها، (ماضي في حكمك) هذا الاستسلام للقضاء والقدر، (أسألك بكل اسم هو لك) سؤال الله بأسمائه وصفاته سؤال عظيم، وفي الدعاء شأنه عظيم، (أسألك بكل اسم هو لك، أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله همه) [رواه أحمد 4318]. هذا دعاء علمنا إياه النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر بتعلمه، فُشأنه وأثره والتداوي به نافع جداً.

دعوات المكروب، (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث) [رواه الترمذي 3524]. (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن) [رواه البخاري 2893]. الاستعاذة نافعة أيضاً.

هل للهموم والغموم والأحزان نهاية

وكذلك يا مسلم يا عبد الله أن تعلم بأن الغموم والهموم والأحزان مهما بلغت، مهما بلغت فإن لها نهاية حتى لو كان الموت والذهاب من الدنيا، لكن الذهاب على دين وإيمان، قال: المؤمن مستريح، الموتى نوعان: مستريح ومستراح منه، المؤمن يستريح من هم الدنيا، وغمها، وعنائها، ولذلك جاء في الحديث الصحيح الذي رواه النسائي، أنه عليه الصلاة والسلام أخبر بأن روح المؤمن إذا قبضت وذهب بها إلى أرواح المؤمنين واجتمع بهم وجعل بعضهم يسأله ما فعل فلان، ما خبر فلان، فيقول بعضهم لبعض: (دعوه فإنه كان في غم الدنيا) [رواه النسائي 1833]. ألم تر أنه قال في الدعاء: (وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون) [رواه الترمذي 3233].

وكذلك: (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر) [رواه مسلم 2720]. المؤمن في النهاية حتى لو وصلت إلى الموت راحة، لكن الله عز وجل يخفف، ويهون، ويزيل، ويقشع، ويذهب، وهو على كل شيء قدير.

ثم أيضاً من المعالجات النظر في إيجابيات المكروه الذي حصل، والغم الذي نشأ عنه، والحزن والهموم التي تركب، مثل حديث (لا يفرك مؤمن مؤمنة) لا يكره (إن كره منها خلقاً رضي بآخر) [رواه مسلم 1469]. ولذلك قد تكون أحياناً المصائب التي تقع فيها جانب خير، مثل حديث (ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها) [رواه البخاري 5641]. فهذا مؤلم لكن له فائدة، ومن تأمل حديث (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير) [رواه مسلم 2999]. عرف هذا المقصود، يعني: أنه حتى الأشياء السيئة التي تحصل والمكروهة والمؤلمة له فيها خير، عبد الله بن المغفل رضي الله عنه روى حديثاً عجباً، أن رجلاً قد يكون حديث عهد بالإسلام، وجد امرأة كانت بغياً ثم أسلمت، فجعل يكلمها حتى بسط يده إليها، فقالت: مه، جاء الله بالإسلام، يعني حرم هذا، فارعوى الرجل واستدار وانصرف، فلقبه جدار شجه، جعل ينزف، فذهب إلى النبي عليه

الصلاة والسلام وأخبره، حصل مني كذا وكذا وصار لي بعدها مباشرة كذا وكذا، قال: (أنت عبد أراد الله بك خيراً) لماذا؟ قال: (من أراد الله به خيراً عجل له عقوبة ذنبه) [رواه أحمد 16806]. ومن أراد به غير ذلك سيلقى هذه الآثام أكواماً يوماً الدين، يوافي بها كلها، إذن، هذا الشيء المؤلم فيه فائدة، كفارات.

اللهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على نبيك محمد، حامل لواء الحمد، وصاحب المقام المحمود، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وذريته الطيبين، وخلفائه الميامين، وأزواجه، وصحابته، والتابعين، وعنا معهم بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

الصلاة والقرآن أعظم علاج للهموم والغموم

عباد الله:

الصلاة، الصلاة (أرحنا بها يا بلال) [رواه الطبراني في المعجم الكبير 6215]. الصلاة لو كانت خاشعة تزيل الهموم حقاً "كان إذا كربه أمر فزع إلى الصلاة" وكذلك ذكره، وتلاوة كتابه، والمواضع التي تسكن الآلام من كتابه.

الصلاة لو كانت خاشعة تزيل الهموم حقاً "كان إذا كربه أمر فزع إلى الصلاة" وكذلك ذكره، وتلاوة كتابه، والمواضع التي تسكن الآلام من كتابه.

وكان الشافعي رحمه الله لما مرض أمر رجلاً أن يقرأ عليه آيات آل عمران التي فيها ما حصل للصحابة من الغم العظيم أولمّا أصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ 165 وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ 139. وذكر ما في هذه المصائب من الفوائد وَلِيَمِجَّصَ اللَّهُ سُورَةَ آلِ عِمْرَانَ 141. ليميز الله، ليكفر عنهم أسوأ الذي عملوا.

عباد الله:

وإن اللجوء إلى الله في وقت الأزمات والملمات، وإنزال الحاجة به، وهو سبحانه كريم وعلى كل شيء قدير، سريع المفعول، والله عندما نرى كثرة ما يصيب الناس من الأزمات النفسية، والاكتئاب، والإحباط، والانهيارات العصبية، وأحياناً ما يؤدي إلى الانتحار، والذهاب إلى الأطباء النفسانيين، والتكلفة الباهظة والمئات والآلاف، وجلسات المعالجات النفسية عند الأخصائي النفسي، والجلسة بكذا، وماذا تقول؟ استرخي، عبر عما في نفسك، حبوب مهدنة، ماذا لديهم؟ لكن ما عند الله أعظم، ما في الكتاب والسنة أعظم، هذه علاجات -يا جماعة- ما لها أي نتائج سلبية، ولا مضاعفات جانبية، وإذا كانت تلك ظنية الفائدة هذه قطعية الفائدة، والمفعول أقوى، والنتائج أسرع.

العلاء الحضرمي رضي الله عنه، رجل عجيب، من الصحابة من أولياء الله، لما صارت ردة العرب، أرسله أبو بكر رضي الله عنه على رأس جيش من المسلمين؛ لقتال المرتدين في شرق الجزيرة، فساروا وساروا ثم نزلوا منزلاً أول ما نزلوا قالوا: نفرت الإبل التي عليها خيامهم، وطعامهم، وزادهم، وشرابهم، وكل شيء، نفرت، وهربت وشردت، وحاولوا اللحاق بها ما استطاعوا فركب الناس هم عظيم، وقعدوا حتى جعل بعضهم يوصي بعضاً؛ لأنهم شعروا بقرب الهلاك، والموت في هذه المفازة، وهذه الصحراء، فقال لهم العلاء رضي الله عنه: أستم أنصار الله؟ ألم تخرجوا في سبيله؟ أليس هو على كل شيء قدير؟ قوموا فادعوه، وجعل يرفع يديه ويدعو وهم يؤمنون، وألح بالدعاء وألح، قال: فأنبع الله بجانبهم ماءً فلما شربوا منه رجعت إبلهم إليهم كلها لم يفقدوا منها واحداً، الدعاء مفعوله عظيم، والله يجيب دعوة المضطر.

العلاجات في الكتاب والسنة أيها الإخوة لموضوع الهموم والغموم، والآلام والأحزان، موضوع واسع، وفي علاجات كثيرة، وحتى الأشياء المادية، فمثلاً أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن التلبينة: تجم الفؤاد (إنه ليرتو فؤاد الحزين، ويسرو عن فؤاد السقيم) [رواه ابن ماجه 3445]. يعني: المريض المرض الحسي، وكذلك المعلول العلة المعنوية

(التلبينة مجمة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن) [رواه البخاري 5417]. وقد وصف العلماء التلبينة: بأنها حساء الشعير، وقال بعضهم: حساء الدقيق.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "والأليق بالمريض المرض الحسي أن تطبخ له حبوباً غير مطحونة، والمريض أو المعلول بالآلام النفسية أن يكون ذلك الشعير مطحوناً" -الحساء- وقال بعضهم: يجعل معه العسل.

وكانت عائشة رضي الله عنها إذا أصاب أحداً من أهلها مصيبة أمرت له بالتلبينة، هذا الحساء يجم، والله خالق الأطعمة، ويجعل ما شاء من الخصائص فيها.

الشاهد أيها الأخوة: أن الشرع هذا كامل وعظيم وما في شيء تركه ماً قرَّطْنَا في الكتاب من شيء سورة الأنعام 38. وكم يحتاج الناس إلى هذه الأشياء في الدنيا التي نعيشها الآن، في هذا العصر، وهذا الأوان، الذي كثرت فيه المصائب، وكثرت فيه الآلام والأحزان، كثرت فيه الظلم، عم فيه الطغيان، صار بعض الناس يأكل بعضاً.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة، وهكذا، وهكذا.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر لنا أجمعين، وأن يتوب علينا ويلحقنا بالصالحين، اللهم اقض ديوننا، واكشف غمومنا، اللهم اغفر ذنوبنا، واهد ضالنا، واشف مريضنا، وارحم ميتنا، واجمع على الحق كلمتنا، اللهم إنا نسألك الأمن والإيمان يا رحمن أخرجنا من ذنوبنا كيوم ولدتنا أمهاتنا، أدخلنا الجنة مع الأبرار، أعتقنا بفضلك من النار، اللهم إنا نسألك في ساعتنا هذه وأنت على كل شيء قدير، وأنت الكريم الرحيم الحليم العلي العظيم اللهم إنا نسألك أن تعجل الفرج للإخواننا المستضعفين يا رب العالمين، اللهم اجعل لهم من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ومن كل بلاء عافية، نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، استر عوراتنا، وأمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمانلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا، آمنا في الأوطان والدور، وأصلح الأئمة وولاة الأمور، واغفر لنا يا عزيز يا غفور، واجعل بلدنا هذا آمناً مطمئناً سخاء رخاءً وسائر بلاد المسلمين، يا رحمن يا رحيم، لا تخرجنا من هذا البيت من بيوتك إلا وقد غفرت لنا، وكتبتنا من عتقائك من النار، يا رب العالمين يا أرحم الراحمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.



عنوان الخطبة	ماذا تفعل إذا ركبك الهموم
عناصر الخطبة	1/ الدنيا دار ابتلاء وأحزان وآلام 2/ استصحاب الهموم لمعية الله 3/ أهمية الإكثار من الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - في إزالة الهم والغم 4/ بعض الأذكار والأدعية لإزالة الهم والغم 5/ معرفة أن الهموم والغموم والأحزان لا نهاية لها 6/ النظر في إيجابيات المكروه 7/ الصلاة ودورها في إزالة الهم والغم 8/ اللجوء إلى الله في وقت الأزمات والملمات 9/ التلبية ودورها في إزالة الهم والغم
الشيخ	الشيخ/ محمد صالح المنجد
عدد الصفحات	10
رقم الخطبة في الموقع	7794

الخطبة الأولى: إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم -، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. عباد الله: لقد خلق الله الدنيا مميزة عن الآخرة،

وجعل في دار الابتلاء بضد ما في دار الكرامة، فكما أن دار الكرامة وهي الجنة لا هم فيها، ولا حزن، ولا غم، ولا ألم، فإن في الجنة ما به تسر أرواح المؤمنين، وما يكون فيه بهجة ولذة دائمة. وأما الدنيا، فهي دار هموم وغموم، وأحزان وآلام، ولكن من رحمة الله -تعالى- أنه يخلق الداء ويخلق الدواء، ويقدر هذا الألم، ويعرفنا بما يعالجه ويزيله. وكثيراً ما تركب الإنسان في الدنيا هموم وغموم وأحزان، فالحزن في الحاضر، والغم على شيء مضى، والهم من شيء سيأتي. فماذا يفعل الإنسان إذا أصابته الهموم والأحزان، وما هي العلاجات الشرعية عندما تركبه هذه الآلام؟ إن هنالك كثيراً من الأمور في الكتاب والسنة، فمن هذا: أن يستصحب الإنسان المسلم معية الله -تعالى-، فالله -عز وجل- مع عبده المؤمن، وهذه ثمرة الإيمان، هذه ثمرة صحة الاعتقاد، هذه فائدة التوحيد، ألم تر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما ركب الحزن قلب صاحبه قال له: "لا تحزن إن الله معنا" [رواه البخاري 3652]. فداوى حزن صاحبه بتذكيره بمعية الله، فإذا شعر العبد المؤمن أن الله معه، أن الله -سبحانه وتعالى- يداويه ويعالجه، أن ربه -سبحانه وتعالى- متكفل به، فهو إذا توكل عليه، وفوض الأمر إليه، أزاح همه، وأزال غمه، وعالج حزنه سبحانه وتعالى. وكذلك: أن يعلم العبد أن هذه طبيعة الدنيا، فعند ذلك يسري عن نفسه بأنه أمر لا بد منه، ولا يمكن النجاة والفكاك من هذا بالكلية؛ لأنه طبع فيها. ولذلك كان من المعالجات للهموم والغموم والأحزان بدلاً من الحبوب المهدئة، والعلاجات

المشكوك فيها، بدلاً من المنومات المضرة: أن يجعل المسلم همه الآخرة، فإن من جعل همه في الآخرة وقاه الله هموم الدنيا، وعالج قلبه من وطأتها. وكذلك من العلاجات: كثرة الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولذلك جاء في حديث أبي بن كعب - رضي الله عنه -: أنه كان له ورد يقوله، وأدعية في وقت من يومه، فسأل النبي - صلى الله عليه وسلم -: كم أجعل لك من دعائي، من وردي؟ قال: "ما شئت" قال: الربع، قال: "ما شئت" قال: الثلث؟ قال: "ما شئت" قال: النصف؟ قال: "ما شئت" قال: إذن أجعل لك دعائي، وأجعل وردي وذكرى هذا كله صلاة عليك، قال: "إذن تكفى همك ويغفر لك ذنبك" [رواه الترمذي 2457]. إذن الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - تزيل الهموم، ويكفى الإنسان بها من الغموم. وكذلك من العلاجات القرآنية النبوية: هذه الأدعية التي علمنا إياها النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش الكريم" [رواه البخاري 7431]. إذن "لا إله إلا الله الحليم الكريم" تهليل مختومة باسمين عظيمين: "لا إله إلا الله رب العرش العظيم"، القدرة "لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش العظيم". كذلك علمنا أن نقول إذا أصاب أحدنا هم أو غم: "اللهم إني عبدك، وابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك" التحكم الكامل. "ناصرتي بيدك، عدلٌ في قضاؤك" هذا اعتراف مهم جداً، مهما كتبت علي لا اعتراض، مهما كتبت علي، ذهاب

نفوس، خسارة أموال، ظلم يقع علي من أقارب أو أباعد، مهما كتبت علي أنا ملكك، إنا لله وإنا إليه راجعون. "عدلٌ في قضاؤك" لا يوجد تبرم من القضاء، اعتراف العبد بعدل الله حتى في حال الحزن والغم والهم والمصائب التي تغشاها. "ماضٍ في حكمك" هذا الاستسلام للقضاء والقدر. "أسألك بكل اسم هو لك" سؤال الله بأسمائه وصفاته سؤال عظيم، وفي الدعاء شأنه عظيم. "أسألك بكل اسم هو لك، أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله همه" [رواه أحمد 4318]. هذا دعاء علمنا إياه النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأمر بتعلمه، فشأنه وأثره والتداوي به نافع جداً. دعوات المكروب: "يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث" [رواه الترمذي 3524].

"اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن" [رواه البخاري 2893]. الاستعاذة نافعة أيضاً. وكذلك -يا مسلم يا عبد الله-: أن تعلم بأن الغموم والهموم والأحزان مهما بلغت، مهما بلغت فإن لها نهاية حتى لو كان الموت والذهاب من الدنيا، لكن الذهاب على دين وإيمان، قال: المؤمن مستريح، الموتى نوعان: مستريح ومستراح منه، المؤمن يستريح من هم الدنيا، وغمها، وعنائها، ولذلك جاء في الحديث الصحيح الذي رواه النسائي، أنه عليه الصلاة والسلام أخبر بأن روح المؤمن إذا قبضت وذهب بها إلى أرواح المؤمنين واجتمع بهم وجعل بعضهم يسأله: ما فعل فلان؟ ما خبر فلان؟

فيقول بعضهم لبعض: "دعوه فإنه كان في غم الدنيا" [رواه النسائي 1833]. ألم تر أنه قال في الدعاء: "وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون" [رواه الترمذي 3233]. وكذلك: "اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخري التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر" [رواه مسلم 2720]. المؤمن في النهاية حتى لو وصلت إلى الموت راحة، لكن الله - عز وجل - يخفف، ويهون، ويزيل، ويقشع، ويذهب، وهو على كل شيء قدير. ثم أيضاً من المعالجات: النظر في إيجابيات المكروه الذي حصل، والغم الذي نشأ عنه، والحزن والهموم التي تركب، مثل حديث: "لا يفرك مؤمن مؤمنة" لا يكره "إن كره منها خلقاً رضي بآخر" [رواه مسلم 1469]. ولذلك قد تكون أحياناً المصائب التي تقع فيها جانب خير؛ مثل حديث: "ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها" [رواه البخاري 5641]. فهذا مؤلم لكن له فائدة، ومن تأمل حديث: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير" [رواه مسلم 2999]. عرف هذا المقصود، يعني: أنه حتى الأشياء السيئة التي تحصل والمكروهة والمؤلمة له فيها خير، عبد الله بن المغفل - رضي الله عنه - روى حديثاً عجيباً، أن رجلاً قد يكون حديث عهد بالإسلام، وجد امرأة كانت بغياً ثم أسلمت، فجعل يكلمها حتى بسط يده إليها، فقالت: مه، جاء الله

بالإسلام، يعني حرم هذا، فارعوى الرجل واستدار وانصرف، فلقيه جدار شجه، جعل ينزف، فذهب إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وأخبره، حصل مني كذا وكذا وصار لي بعدها مباشرة كذا وكذا، قال: "أنت عبد أراد الله بك خيراً" لماذا؟ قال: "من أراد الله به خيراً عجل له عقوبة ذنبه" [رواه أحمد 16806]. ومن أراد به غير ذلك سيلقى هذه الآثام أكواماً يوماً الدين، يوافي بها كلها، إذن، هذا الشيء المؤلم فيه فائدة، كفارات. اللهم إنا نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على نبيك محمد، حامل لواء الحمد، وصاحب المقام المحمود، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وذريته الطيبين، وخلفائه الميامين، وأزواجه، وصحابته، والتابعين، وعنا معهم بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين. عباد الله: الصلاة، الصلاة: "أرحنا بها يا بلال" [رواه الطبراني في المعجم الكبير 6215]. الصلاة لو كانت خاشعة تزيل الهموم حقاً: "كان إذا كربه أمر فزع إلى الصلاة". وكذلك ذكره، وتلاوة كتابه، والمواضع التي تسكن الآلام من كتابه. وكان الشافعي -رحمه الله- لما مرض أمر رجلاً أن يقرأ عليه آيات آل عمران التي فيها ما حصل للصحابه من الغم العظيم: (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: 165). (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا) [آل عمران: 139]. وذكر ما في هذه المصائب من الفوائد: (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ) [آل عمران: 141]. ليميز الله، ليكفر عنهم أسوأ الذي عملوا. عباد الله: وإن اللجوء إلى الله في وقت الأزمات والملمات، وإنزال الحاجة به، وهو سبحانه كريم وعلى كل شيء قدير، سريع المفعول. والله عندما نرى كثرة ما يصيب الناس من الأزمات النفسية، والاكتئاب، والإحباط، والانهيارات العصبية، وأحياناً ما يؤدي إلى الانتحار، والذهاب إلى الأطباء النفسانيين، والتكلفة الباهظة والمئات والآلاف، وجلسات المعالجات النفسية عند الأخصائي النفسي، والجلسة بكذا، وماذا تقول؟! استرخ! عبر عما في

نفسك! حبوب مهدئة! ماذا لديهم؟! لكن ما عند الله أعظم، ما في الكتاب والسنة أعظم، هذه علاجات -يا جماعة- ما لها أي نتائج سلبية، ولا مضاعفات جانبية، وإذا كانت تلك ظنية الفائدة هذه قطعية الفائدة، والمفعول أقوى، والنتائج أسرع. العلاء الحضرمي -رضي الله عنه- رجل عجيب، من الصحابة من أولياء الله، لما صارت ردة العرب، أرسله أبو بكر -رضي الله عنه- على رأس جيش من المسلمين؛ لقتال المرتدين في شرق الجزيرة، فساروا وساروا ثم نزلوا منزلاً أول ما نزلوا قالوا: نفرت الإبل التي عليها خيامهم، وطعامهم، وزادهم، وشرابهم، وكل شيء، نفرت، وهربت وشردت، وحاولوا اللحاق بها ما استطاعوا فركب الناس هم عظيم، وقعدوا حتى جعل بعضهم يوصي بعضاً؛ لأنهم شعروا بقرب الهلاك، والموت في هذه المفازة، وهذه الصحراء، فقال لهم العلاء -رضي الله عنه-: أستم أنصار الله؟ ألم تخرجوا في سبيله؟ أليس هو على كل شيء قدير؟ قوموا فادعوه، وجعل يرفع يديه ويدعو وهم يؤمنون، وألح بالدعاء وألح، قال: فأنبع الله بجانبهم ماءً فلما شربوا منه رجعت إليهم إبلهم كلها لم يفقدوا منها واحداً، الدعاء مفعوله عظيم، والله يجب دعوة المضطر. العلاجات في الكتاب والسنة -أيها الإخوة- لموضوع الهموم والغموم، والآلام والأحزان، موضوع واسع، وفي علاجات كثيرة، وحتى الأشياء المادية، فمثلاً أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عن التلبينة: تجم الفؤاد: "إنه ليرتو فؤاد الحزين، ويسرو عن فؤاد السقيم" [رواه ابن ماجه 3445]. يعني: المريض المرض الحسي، وكذلك

المعلول العلة المعنوية "التلبينة مجمة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن" [رواه البخاري 5417]. وقد وصف العلماء التلبينة: بأنها حساء الشعير، وقال بعضهم: حساء الدقيق. وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: "والأليق بالمريض المرض الحسي أن تطبخ له حبوباً غير مطحونة، والمريض أو المعلول بالآلام النفسية أن يكون ذلك الشعير مطحوناً" - الحساء - وقال بعضهم: يجعل معه العسل. وكانت عائشة - رضي الله عنها -: إذا أصاب أحداً من أهلها مصيبة أمرت له بالتلبينة، هذا الحساء يجم، والله خالق الأطعمة، ويجعل ما شاء من الخصاص فيها. الشاهد - أيها الإخوة -: أن الشرع هذا كامل وعظيم وما في شيء تركه: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) [الأنعام: 38]. وكم يحتاج الناس إلى هذه الأشياء في الدنيا التي نعيشها الآن، في هذا العصر، وهذا الأوان، الذي كثرت فيه المصائب، وكثرت فيه الآلام والأحزان، كثر فيه الظلم، عم فيه الطغيان، صار بعض الناس يأكل بعضاً. وظلم ذوي القربى أشد مضاضة. وهكذا، وهكذا. نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يغفر لنا أجمعين، وأن يتوب علينا ويلحقنا بالصالحين. اللهم اقض ديوننا، واكشف غمومنا، اللهم اغفر ذنوبنا، واهد ضالنا، واشف مريضنا، وارحم ميتنا، واجمع على الحق كلمتنا. اللهم إنا نسألك الأمن والإيمان يا رحمن أخرجنا من ذنوبنا كيوم ولدتنا أمهاتنا، أدخلنا الجنة مع الأبرار، أعتقنا بفضلك من النار. اللهم إنا نسألك في ساعتنا هذه وأنت على كل شيء قدير، وأنت الكريم الرحيم الحليم العلي العظيم، اللهم إنا نسألك أن تعجل الفرج لإخواننا المستضعفين

يا رب العالمين، اللهم اجعل لهم من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ومن كل بلاء عافية، نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا، آمنا في الأوطان والدور، وأصلح الأئمة وولاة الأمور، واغفر لنا يا عزيز يا غفور، واجعل بلدنا هذا آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، يا رحمن يا رحيم. لا تخرجنا من هذا البيت من بيوتك إلا وقد غفرت لنا، وكتبتنا من عتقائك من النار، يا رب العالمين يا أرحم الراحمين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

مؤسسة ملتقى الخطباء

INSTITUTION FORUM OF SPEAKERS

بيئة تفاعلية عالمية لخطب مؤثرة



عنوان الخطبة	مساندة المسلمين لإخوانهم بالدعاء
عناصر الخطبة	1/ مواصلة المسلم لإخوانه المسلمين 2/ الدعاء من أعظم ما يقدمه المسلم لإخوانه 3/ حال الأنبياء في مقام الدعاء لأقوامهم 4/ حال السلف في الدعاء لإخوانهم 5/ آداب الدعاء 6/ أوقات الدعاء المستحبة
الشيخ	الشيخ/ محمد صالح المنجد
عدد الصفحات	13
رقم الخطبة في الموقع	2780

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: قد جعل الله المؤمنين إخوة، وعقد بينهم هذا العقد العظيم في كتابه، ووصفهم بذلك: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [الحجرات: 10]، (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً

وَاحِدَةً [الأنبياء:92]، وقال نبيُّه -عليه الصلاة والسلام-: "وكونوا عباد الله إخواناً" رواه البخاري.

ولا يحب الإنسان لنفسه إلا الخير، ولذلك فهو يحبه لإخوانه، في مشارق الأرض ومغاربها، وإن من عقد الإخوة أن تفرح لفرح إخوانك المسلمين في العالم، وأن تحزن لما أصابهم من الكرب والشدة، كما قال نبيك -صلى الله عليه وسلم-: "يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس" رواه أحمد وحسنه الألباني؛ فهم جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد.

إنها الولاية بين المؤمنين التي عقدها الله بقوله: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) [التوبة:71]؛ ولذلك فإن المؤمن لا يكتفي بسلامة نفسه، وأهله، وماله هو؛ وإنما يريد أن تسلم أيضاً لإخوانه المسلمين أنفسهم، وأمواهم، وأعراضهم.

ولذلك يتساءل المسلم إذا رأى إخوانه المسلمين في مكان في العالم في لأواء، أو شدة، أو ضنك، ماذا أقدم لهم؟ ماذا عساي أن أفعل لهم؟ (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ) [هود:80]، ولكن هناك أمر سهل عظيم، "الدعاء هو العبادة" رواه الترمذي وصححه الألباني؛ (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر:60]، وهكذا يجد المؤمن في المتناول ما يفعله لإخوانه. وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ

وَالْأَمْرُ ضَيِّقٌ *** عَلَيَّ فَمَا يَنْفَكُ أَنْ يَتَفَرَّجَا

وَكَمْ مِنْ فِتْيٍ ضَاقَتْ عَلَيْهِ وُجُوهُهُ *** أَصَابَ لَهَا مِنْ دَعْوَةِ اللَّهِ مَخْرَجًا
ومن أسرع الأدعية استجابة دعاء الغائب للغائب، فإذا غاب عنك أخوك،
أو إخوانك في مكان ما من العالم، فإنك تدعو لهم؛ ودعوة الأخ في الله
تستجاب، وإخوان العشرة لوقت العسرة، والعاطفة والمحبة بين المؤمنين تقتضي
أن لا ننساهم من دعائنا.

وتشتد حاجة المسلمين بعضهم لبعض عندما تكثر الفتن، والمحن،
والابتلاءات، والمصائب، فيتضرع بعضهم من أجل بعض، (ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ
الضُّرُّ فَلْيَالِيهِ تَجَارُونُ) [النحل: 53]، وهكذا ليس شيء أكرم على الله من
الدعاء، وإذا أصاب إخواننا في الأرض شيء من الشدة فزعنا إلى الله من
أجلهم، وامثلنا قول الله: (فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا) [الأنعام: 43].
فإذا جاءهم كأنه جاءنا، فنحن وهم شيء واحد، إنه بنيان الإيمان، "المؤمن
للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضاً" رواه البخاري، هو أخوه لا يخذله، ولا
يسلمه، كيف يتركه؟! كيف يتخلى عنه؟! ولو لم يملك إلا هذا اللسان لكي
يجأ إلى الله به؛ جأ وتضرع.

رأى حبيب أبو محمد -من السلف الصالح- ظالماً يضرب امرأة عجوزاً
بالسوط فقال: اللهم اقطع يده. فما لبث إلا ثلاثة أيام حتى قطعت يد ذلك
الظالم في سرقة. ارفعْ أَكْفَكَ بِالْدُعَاءِ تَضَرُّعاً *** مَا حَابَ مَنْ يَرْجُو الْكَرِيمَ
وَيَطْلُبُ

اسأله ذُلًّا لِلَّذِينَ تَجَبَّرُوا *** فَاللَّهُ يَفْصِمُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْطِبُ

ولما علم الأنبياء هذا المقام، قاموا بالدعاء لغيرهم، فهذا إبراهيم أبونا يقول:
(رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) [إبراهيم: 40-41]، فلم يكتف بالدعاء
لنفسه، بل شمل ذريته، وإخوانه المؤمنين إلى قيام الساعة.

وكذلك (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ
لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [المائدة: 114]،
ومن قبل نوح أبونا -عليه السلام-، أبو البشرية الثاني، الذي قال في دعائه:
(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ) [نوح: 28].

بل حتى ملائكة الرحمن تدعو للمؤمنين، أليسوا إخواناً لهم في الإيمان؟! (الَّذِينَ
يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ
آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ
وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ
مِنْ آبَائِهِمْ وَازْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [غافر: 7-8]،
وهكذا يستغفرون لمن في الأرض.

وإذا نظرنا في أدعية نبينا -صلى الله عليه وسلم- لإخوانه، فإننا نجد في دعائه
في بدر لما التقى الصفان: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه
العصابة من أهل الإسلام"، يعني: هذه المجموعة "لا تعبد في الأرض" رواه
مسلم.

ولما رأى عدد أصحابه ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً، والكفار ثلاثة أضعافهم، فلما رأى قلة العدد والعدة عند المؤمنين، وكثرة ذلك عند الكافرين، قال داعياً لإخوانه وأصحابه: "اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم"، ففتح الله له يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين، واكتسوا، وشبعوا. رواه أبو داود وحسنه الحافظ ابن حجر.

وكان -عليه الصلاة والسلام- يدعو لأصحابه إذا خرجوا في غزوة، أو سرية فيقول: "اللهم سلِّمُهُمْ وَعَزِّمُهُمْ" رواه ابن حبان وصححه الألباني؛ فكانوا يسلمون ويغنمون.

ولما كان من أصحابه في مكة تحت الظلم، والقهر، والتعذيب، كان يقول في قنوته: "اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين" متفق عليه.

ولما قدم المدينة ورأى أصحابه المكَّيين قد أصابتهم الحمى، واشتاقوا إلى مكة، قال: "اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم صَحِّحْهَا"، يعني: اجعل جوها صحيحاً، واجعل هواءها وماءها صحيحاً، "وبارك لنا في صاعها ومُدِّها، وانقل حُمَّها إلى الجحفة" متفق عليه.

ولما انقطع المطر دعا للمسلمين: "اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا" رواه البخاري، وهكذا لما كثُر المطر، وتهدمت البيوت، وتقطعت السبل، وهلك المواشي من كثرة المطر، رفع يديه وقال: "اللهم حوالينا ولا علينا،

اللهم على الآكام والجبال والآجام والضراب والأودية ومنابت الشجر، فانقطع المطر" رواه البخاري، وهذا يسمى دعاء الاستصحاء إذا خيف من كثرة المطر والضرر.

نظر النبي -عليه الصلاة والسلام- قِبَلَ الْيَمَنِ فَقَالَ: "اللهم أقبل بقلوبهم، وبارك لنا في صاعنا ومدنا" رواه الترمذي وهو حديث حسن صحيح؛ ولما أبت دوس وعصت قال: "اللهم اهْدِ دَوْسًا وَأَتِ بِهِمْ" متفق عليه؛ وهكذا ذهب يدعو لأهل البقيع. يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ *** أَنْتَ الْمَعْدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ

يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا *** يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمَشْتَكَى وَالْمُفْزَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ *** أَمْنُنْ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ *** فَبِالْفِتْقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَذْفَعُ
مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ *** فَلَنْ رُدِّدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ؟

وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- يدعو لأصحابه حتى في صلاته، ولما سمع صوت عباد بن بشر قال: "اللهم ارحم عباداً" رواه البخاري، ودعا لشاب أن يعافيه الله من الزنا، وقال: "اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه" رواه أحمد وصححه محققو المسند.

وكان يدعو حتى للأطفال، كما قال أبو موسى -رضي الله عنه-: ولد لي غلام، فأتيت به النبي -صلى الله عليه وسلم- فسماه إبراهيم، فحنكه

بتمرة، ودعا له بالبركة. رواه مسلم. فهكذا الدعاء للمسلمين كباراً وصغاراً، ذكوراً وإناثاً، سواء كانوا قرييين أو بعيدين.

اللهم إنا نسألك الفرج العاجل لإخواننا المسلمين يا أرحم الراحمين، اللهم أنزل علينا وعليهم السكينة والطمأنينة، وارزقنا وارزقهم من حيث لا يحتسبون، اللهم إنا نسألك الأمن في البلاد، والنجاة يوم المعاد. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله أحمدته وأشكره، وأثني عليه ولا أكفره، وأخلع كل من يكفره؛ وأشهد أن لا إله إلا هو الحي القيوم، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، لا إله إلا هو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله يفعل ما يشاء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليته، محمد بن عبد الله، صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه، وأزواجه، وذريته، وخلفائه الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين؛ أشهد أنه رسول الله حقاً، والداعي إلى سبيل ربه صدقاً، فصلوات الله وسلامه عليه.

عباد الله: لقد جرى السلف على هذا المنوال في الدعاء لإخوانهم، قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) [الحشر: 10]، يعني: من بعد المهاجرين والأنصار.

قال الأصمعي: لما صاف قتيبة بن مسلم لقتال الترك، وهاله أمرهم، سأل عن محمد بن واسع؟ -ونحسبه من أولياء الله-، ف قيل: هو ذاك في الميمنة، جامع بقوسه، يصبص بأصبغه نحو السماء يدعو بها. فقال: تلك الأصبع أحب إليّ من مائة ألف سيف شهير، وشاب طير.

ومن عباد الله من لو أقسم على الله لأبره، أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، لا يؤبه له، لكن دعاءه مستجاب؛ ولذلك قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: "أبغوني الضعفاء، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم" رواه أبو داود وصححه

الألباني. وهذا يدل على فساد قول القائل: **إِسْلَامُنَا لَا يَسْتَقِيمُ عَمُودُهُ *****

بَدْعَاءِ شَيْخٍ فِي زَوَايَا الْمَسْجِدِ

بل يستقيم وزيادة! ودعاء الشيخ في زوايا المسجد قد يكون فيه خير عظيم للأمة أجمعين.

ولما استفحل أمر التتر واجتمعت الجيوش الشامية والمصرية لقتالهم، وتضرع الناس في سائر الأمصار إلى الله أن ينصرهم، وأن يكسر شوكة التتر، فكانت الأخبار تأتي بنصر المسلمين، وأن السيف يعمل في رقاب التتر ليل نهار، وأنهم هربوا، وفروا، واعتصموا بالجبال، والتلال، ولم يسلم منهم إلا القليل، فاستقرت خواطر الناس، وتباشروا لهذا الفتح العظيم، والنصر المبارك، كما قال ابن كثير رحمه الله يروي أخبار المعركة.

ولما غزا المسلمون بقيادة قتيبة بلدة بيكند أدنى مدائن بخارى إلى النهار، وأبطأ خبره على المسلمين، اشتد الناس بالدعاء لهم بالمساجد والأمصار، فمنح الله المسلمين أكتافهم، يعني: أكتاف الكفار.

قال بقية: كنا مع إبراهيم في البحر وهبت ريح، وهاجت الأمواج، واضطربت السفينة، وبكى الناس، فقلنا يا أبا إسحاق ما ترى الناس فيه؟ فرفع رأسه وقد أشرفنا على الهلاك، فقال: يا حي حين لا حي، ويا حي قبل كل حي، ويا حي بعد كل حي، يا حي يا قيوم، قد أريتنا قدرتك، فأرنا عفوك. فهذأت السفينة من تلك الساعة.

والقائد كان يدعو لجنده، فلما غزا عبد الله بن قيس -رحمه الله- خمسين غزاة ما بين شاتية وصائف في البحر، لم يغرق فيه أحد، ولم ينكب من عسكره، وكان دائماً يسأل الله أن يرزقهم العافية، يقول: ارزقني العافية في جندي، وأن لا يتليهم بمصاب.

وكان صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- إذا اشتد الأمر يقول: إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية من نصرة دينك، ولم يبق إلا الإخلاص إليك، والاعتصام بمحبلك، والاعتماد على فضلك، أنت حسبي ونعم الوكيل. ويشتد في البكاء والدعاء؛ فيستجيب الله، ويجعل أمر الصليبيين في اضطراب، ويعودون إلى بلادهم بشرّ مآب.

وحُبس رجل كان يجلس في مجلس عطاء السُلَيمي، فلما علم بحبسه، رفع يديه وبكى، وألح في الدعاء. قال الراوي: فوالله ما برحنا من البيت حتى دخل الرجل! أي: أنه أُخرج.

وحبس الحجاج الظالم مورقاً العجلي -من علماء السلف- فحاول الناس في إطلاقه فأعياهم، فقال بعضهم لبعض: تعالوا ندعو الله، فدعوا مطرف بن عبد الله بن الشخير -من علماء السلف وصالحيه-، فأمرهم ودعوا الله، فلما كان من العشي، أذن الحجاج للناس بالدخول عليه، فدخل أبو مورق فيمن دخل، فلما رآه الحجاج قال لحرسه: اذهبوا مع هذا الشيخ إلى السجن فادفعوا إليه ابنه، دون مطالبة!.

عباد الله: إن شأن الدعاء عظيم، والدعاء للآخرين قد يكون منفعة لك أنت يا عبد الله يوماً ما، وفي لحظة ما، وإذا تحرى المسلم أوقات الإجابة: كآخر ساعة من يوم الجمعة، وبدأ بحمد الله، والثناء عليه، ولم ينس نبيه -صلى الله عليه وسلم- من الصلاة عليه في الدعاء، وكان على طهارة، واستقبل القبلة، ورفع اليدين، وأخلص، وانكسر قلبه، ونادى بالأسماء الحسنى، وألح وكرر، وتضرع وانكسر، (وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً) [الأعراف: 205]، فإن هذا الدعاء لا يكاد يُرد.

فالتوسل إلى الكريم باسمه، وخفض الصوت في دعائه، رغبة ورهبة، مع الاعتراف بالذنب كما يدل عليه دعاء سيد الاستغفار، وإذا أطلق لسانك بالدعاء، فاعلم أنه يريد بك خيراً سبحانه، (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: 186].

وإذا دعوت، ودعوت، ودعوت على هذا المنهاج، ولم تر استجابة فورية؛ فاعلم أنه قد حصلت أمور: إما أنه يؤخر لتزداد دعاءً فتزداد خيراً، وتزداد قرباً فتزداد منزلة عنده، ثم يجيبك؛ أو أنه قد دفع عنك شراً لا تعرفه كمثله ما دعوت أو أكثر؛ أو أنه ادخر لك مثوبة في الآخرة ستحمد عليها يوم القيامة. قال -عليه الصلاة والسلام-: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد" رواه مسلم، ويكون الدعاء بجوامع الأدعية، ومنها: "اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا" رواه الترمذي وحسنه

الألباني، يعني: لا تنزل بنا ما ينقص الدين من اعتقاد سوء، أو بدعة، أو أكل حرام.

والإنسان لا ينسى إخوانه حضراً وسفراً، قال ابن عباس: قال عمر: أخرجوا بنا إلى أرض قومنا، فكنت في مؤخر الناس مع أبي بن كعب فهاجت سحابة، فقال: اللهم اصرف عنا آذاها؛ لأن هؤلاء الآن منقطعين في أرض سفر، يلجؤون إلى أين إذا صار المطر الشديد؟ قال: فلاحقناهم، وقد ابتلت رحالهم، وحصل بهم شيء من الأذى، ولم يحصل لهؤلاء، فقال عمر: ما أصابكم الذي أصابنا! قلت: إن أبا المنذر قال: اللهم اصرف عنا آذاها، قال: فهلا دعوتم لنا معكم. ورجاله ثقات.

وأعجز الناس من عجز عن الدعاء، وخصوصاً عندما يرى إخوانه في البلاء. كَمْ يَسْتَعِثُّ بِنَا الْمُسْتَعِثُّونَ وَهُمْ *** قَتَلَى وَأَسْرَى فَمَا يَهْتَرُ إِنْسَانُ
مَاذَا التَّقَاطُعُ فِي الْإِسْلَامِ بَيْنَكُمْ؟ *** وَأَنْتُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانُ
أَلَا نُفُوسٌ أَيْيَاتُهَا هَمَمٌ؟ *** أَمَا عَلَى الْحَقِّ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ

اللهم اغفر لنا أجمعين، وتب علينا يا أرحم الراحمين، لا تفرق جمعنا هذا إلا بذنب مغفور، وعمل مبرور، وسعي مشكور؛ اللهم ارحمنا وآباءنا وأمهاتنا يا أرحم الراحمين، أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أدخلنا الجنة مع الأبرار، ارزقنا الفردوس الأعلى، اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً.

اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، أحسن وقوفنا بين يديك، ولا تعذبنا يوم العرض

عليك، واجعلنا في ظل عرشك يا كريم؛ اللهم اشف مرضانا، وارحم موتانا،
واهْد ضالنا، واستر عيوبنا، واقض ديوننا، وفرج كربنا، يا أرحم الراحمين.
اللهم إنه قد نزل بإخواننا المسلمين في الأرض ما لا يعلمه إلا أنت من
اللاءاء، والشدة، والضنك، اللهم إنا فزعنا إليك، اللهم إنا توكلنا عليك،
اللهم إنا التجأنا إليك، اللهم فاكشف ما نزل بإخواننا من ضر يا رب العالمين،
اللهم اكشف ما نزل بهم من ضر يا أرحم الراحمين، اللهم عجل فرجنا وفرجهم
إنك أنت الكريم، يا ذا العرش العظيم، آمنا في الأوطان والدور، وأصلح
الأئمة، وولاة الأمور، واغفر لنا يا عزيز يا غفور.
سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب
العالمين.



عنوان الخطبة	من حصار الشَّعب إلى حصار الشَّعب
عناصر الخطبة	1/ عداوة قريش للنبي - صلى الله عليه وسلم - 2/ حصار الشَّعب 3/ حصار الشَّعب 4/ ماذا عمل المسلمون لإخوانهم؟! 5/ موسم الاختبارات
الشيخ	محمد بن صالح المنجد
عدد الصفحات	16
رقم الخطبة في الموقع	5712

الخطبة الأولى: إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم -، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. عباد الله: أنتم تعلمون ما أصاب إخواننا المسلمين بغزة، فقد فني الغذاء، وقل الكساء، وذهب الدواء، وقصف البناء، وهذا خبث اليهود ومكرهم، وهذه عداوتهم وبغيهم، والله تعالى بالمرصاد وإليه المرجع والمآب، ونتذكر بهذا الحدث ما أصاب نبينا - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه بمكة. إن الأحداث تتوالى، وإن هذه الحلقات في تاريخ الإسلام

يذكر آخرها بأولها، ويتتابع البلاء على هذه الأمة وما يجب عليها تجاه ذلك. لقد قامت قريش بعداوة النبي -صلى الله عليه وسلم- منذ أن أظهر لهم الحق، قال عبد الله بن عمرو بن العاص فيما رواه أحمد بسند صحيح: "حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يومًا في الحجر، فذكروا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سقّه أحلامنا، وشتّم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفًا بالبيت، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول، أشاروا إليه بأعينهم وحواجبهم استهزاءً بكلامه، قال: فعرفت ذلك في وجهه، وكان الغضب يعرف في وجه النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فقال: "تسمعون يا معشر قريش!! أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح". يعني: بالهلاك، فإنه من أسرع أسبابه. فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة -يعني: أكثرهم وصية بإيذائه- قبل ذلك ليرفأه بأحسن ما يجد من القول -أي: يسكنه ويرفق به- حتى إنه ليقول: انصرف -يا أبا القاسم- انصرف راشدًا، فوالله ما كنت جهولاً، فانصرف رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكهون تركتموه، فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "نعم أنا الذي أقول ذلك"، قال: فلقد رأيت رجلاً منهم - وهو عقبة بن أبي معيط - أخذ بمجمع رداءه، وقام أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - دونه يقول وهو يبكي: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟! ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغت منه قط، وقال أبو جهل - لعنه الله -: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟! فقيل: نعم، قال: واللات والعزى لئن رأيت يفعَل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقيل له: ما لك؟! فقال: إن بينه وبينه لخنقاً من نار، وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً". رواه مسلم.

وفي رواية عن ابن عباس: "كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يصلي عند المقام، فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟! ألم أنهك عن هذا؟! ألم أنهك عن هذا؟! فانصرف النبي - صلى الله عليه وسلم - أي: عن صلاته، فزبره - أي: نهر النبي صلى الله عليه وسلم أبا جهل - وأغلظ له في القول،

فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني، فأنزل الله - عز وجل -: (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَدَّغُ الزَّبَانِيَةِ) [العلق 17-18]، فقال ابن عباس: "فوالله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله". والنادي مجتمع القوم وأهل المجلس؛ لأنهم يتنادون إليه للاجتماع. وهكذا رأينا من ثبات نبينا - صلى الله عليه وسلم - وقوته في الحق وجهره به وتمسكه ما أربع الكفار، وألقى الله الهيبه في قلوبهم، ولقد كان من أقرب الناس إليه عمه يؤذيه وهو أبو لهب - لعنه الله -، فيقول ربيعة بن عباد الديلي - وكان جاهلياً أسلم - : "رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بصر عيني يقول: يا أيها الناس: قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، ويدخل في فجاجها، والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً وهو لا يسكت يقول: "أيها الناس: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"، إلا أن وراءه رجل أحول وضياء الوجه ذو غديرتين - أي: في الشعر - يقول: إنه صابئ كاذب، فقلت: من هذا؟! قالوا: محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة، قلت: من هذا الذي يكذبه؟! قالوا: عمه أبو لهب. وكانت زوجته حمالة الحطب - لعنها الله - تضع الشوك أمام باب النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلاً وفي طريقه إذا أراد الخروج، فنزلت سورة المسد. وروى البخاري - رحمه الله - في صحيحه: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس؛ إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم - فجاء بأمعاء البعير - فجاء به فنظر حتى سجد النبي - صلى الله عليه وسلم - ووضعته على

ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني شيئاً، لو كان لي منعة -يقول ابن مسعود- فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض -أي: يتمايل بعضهم على بعض فرحاً وبطراً بما فعلوا من المنكر-، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة -وقد ذهب إليها إنسان فأخبرها- ، فطرحت عن ظهره فرفع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رأسه ثم قال: "اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش"، ونحن نقول: اللهم عليك بيهود، اللهم عليك بيهود، اللهم عليك بيهود. قال ابن مسعود: "فشقّ عليهم إذ دعا عليهم، وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى: "اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمّية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط"، وعد السابع، قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صرعى في القلب -قلب بدر- واجتمعوا عليه". كما جاء في حديث أنس: "لقد ضربوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مرة حتى غشي عليه، فقام أبو بكر فجعل ينادي: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، فتركوه وأقبلوا على أبي بكر". وعن ابن عباس قال: "إن الملائكة من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف -تعاهدوا بأسماء أصنامهم- لو قد رأينا محمداً لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة -رضي الله عنها- تبكي حتى دخلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالت: هؤلاء الملائكة من قريش قد تعاقدوا عليك

لو قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك، فقال: يا بنية: أربي وضوءاً، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: ها هو ذا، وخطبوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم وعقروا في مجالسهم، فلم يرفعوا إليه بصراً، ولم يقم إليه منهم رجل، فأقبل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى قام على رؤوسهم فأخذ قبضة من التراب فقال: "شاهت الوجوه"، ثم حصبهم بها، فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً". رواه الإمام أحمد ورجال إسناده رجال الصحيح. وهكذا عانى -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنون معه، وخصوصاً المستضعفين؛ فقد عانى آل ياسر، وبلال، وعمار، وخباب، وكانت المعاناة حتى بلغت حجم المؤامرة الخطيرة، فقال الله تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال: 30]، ليثبتوك أي: يقيدوك ويحبسوك ويوثقوك. وقد جاء في كتب السيرة: أن قريشاً اشتد إيذاؤها لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن معه من المؤمنين حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ واشتد عليهم البلاء، وأجمعت قريش على أن يقتلوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- علانية، فذهب من ذهب من المسلمين بإذن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى الحبشة، فرأت قريش أن الإسلام يفشو ويتشر، فزادت حيرتهم حتى كادت الحيل أن تنفذ، ووجدوا أن بني هاشم وبني عبد المطلب قد أصروا على حماية النبي -صلى الله عليه وسلم- والقيام دونه، فاجتمعوا -أي: رؤوس الكفر- في خيف

بني كنانة من وادي المحصب، فتحالفوا وتعاهدوا على بني هاشم، وأدخلوا معهم بني عبد المطلب، ما هي بنود هذا التحالف؟! أن لا يكلموهم، ولا يجالسوهم، ولا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، واجتمع ملؤهم على ذلك حتى كتبوا تلك الصحيفة، بنود الاتفاق والمكر والمؤامرة وعلقوها في الكعبة، وحصروهم في شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من حين النبوة، فانحاز بنو هاشم وبنو عبد المطلب مؤمنهم وكافرهم، فأما مؤمنهم فقد انحاز إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن معه إيمانًا و يقينًا، وأما كافرهم فقد انحاز حمية وعصية، حتى صاروا في شعب أبي طالب محصورين مبعدين حاشا أبا لهب وولده؛ فإنهم صاروا مع قريش على قومهم، وأجمعت قريش على أن لا يدخلوا إليهم شيئًا، لا غذاء، ولا كساء، ولا دواء، وقطعوا عنهم الأسواق، ولم يتركوا طعامًا، ولا إدامًا، ولا بيعًا إلا بادروا إليه واشتروه دونهم، ولا يقبلوا منهم صلحًا أبدًا، ولا تأخذهم بهم رافة، حتى يسلموا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى القتل، هذا كان إذًا الهدف من وراء الحصار، فاشتد البلاء على بني هاشم في شعبهم، وعلى كل من معهم، وكان أبو طالب في طول مدتهم في الشعب يأمر أحد بنيه، أو أحد إخوانه، أو بني عمه أن يضطجع على فراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ويأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها حماية للنبي - عليه الصلاة والسلام - أثناء نومه، واشتد الحصار وقطعت عنهم الميرة والطعام حتى بلغهم الجهد، وأكلوا الجلود، وأوراق الشجر حتى يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم

وصبيانهم يصيحون، ويستغيثون من الجوع، وعدت قريش على من أسلم فأوثقوهم، وآذوهم، واشتد البلاء، وعظمت الفتنة، وزلزل المسلمون زلزالاً شديداً، وكان لا يصل إليهم شيء إلا سرّاً كهذه الأنفاق، وكانوا لا يخرجون من الشعب لشراء الحوائج إلا في الأشهر الحرم، وكانوا يشترون من العير التي ترد مكة من خارجها ولكن كانت قريش تتسابق إليها وتشتريها وتزيد الأسعار في السلعة حتى لا يستطيع أحد من المسلمين الشراء، وكانوا إذا قدمت العير مكة وجاء أحدهم السوق ليشتري شيئاً من الطعام لعياله قام عدو الله أبو لهب فقال: يا معشر التجار: غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئاً، فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي؛ فأنا ضامن أن لا خسارة عليكم، أغنياء المشركين ودورهم في الحصار والكفار الكبار يغطون على من دونهم، فيزيدون عليهم في قيمة السلعة أضعافاً فيرجع الهاشمي لأطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يديه شيء يطعمهم به، ويغدو التجار على أبي لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس، حتى جهد المسلمون ومن معهم جوعاً وعرياً، حتى قال أبو طالب: جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً*** عقوبة شر عاجلاً غير آجل فلما مضى على الحصار الظالم ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن قصي ورجال من قريش، وأظهروا كراهيتهم للصحيفة الظالمة، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم، واستخفوا بالحق، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه، ولكن بعث الله قبلهم على صحيفتهم الأربعة فلهست كل ما كان فيها من عهد وميثاق على الكفر والظلم. فلما

أفسد الله صحيفتهم خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن معه فعاشوا وخالطوا الناس، خرج عليه الصلاة والسلام من الحصار وله تسع وأربعون سنة، وبعد ذلك بأشهر مات عمه أبو طالب فنال الكفار منه، ثم ماتت خديجة بعد ذلك بيسير، فاشتد الأذى، فخرج إلى الطائف هو وزيد بن حارثة يدعو إلى الله وأقام به أيامًا فلم يجيبوه، وآذوه، وأخرجوه، وقاموا له فريقيين فرجموه بالحجارة، وهو مع كل ذلك قائم بأمر الله، صابر على قضاء الله، يجيب دعوة الله، وينادي بها في الناس. وهكذا لا تنال الإمامة إلا بالصبر: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) [السجدة: 24]. ولما حج النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد الفتح نزل يوم النحر بخيف بني كنانة، في المكان الذي تقاسمت فيه قريش وأقسمت وحلفت، وكنانة على الكفر وتحالفوا على بني هاشم وبني عبد المطلب أن لا يناكحوهم، ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي -صلى الله عليه وسلم-، فنزل هنالك -عليه الصلاة والسلام- شكرًا لله تعالى على الظهور بعد الاختفاء، وعلى إظهار الدين ودحض الكفر، وإعلاء كلمة الله، وإتمام نعمته على المسلمين، وهكذا فك الله الحصر، ثم نصر نبيه -صلى الله عليه وسلم- بالهجرة. واليوم عندما يقوم هذا الحصار لا غذاء، ولا كساء، ولا دواء، ولا وقود، ولا ماء، ولا كهرباء، ويقصف البناء، ويغرق المسلمون في الظلام الدامس، تنفذ المخزونات، وثلاثة آلاف من الجرحى يخرجون مع نسائهم من

المستشفيات لأنه لا فائدة من البقاء فيها فلماذا يبقون، وقد نفذ الدواء، والأجهزة لا تعمل؟!!

والناس يبيتون على ضوء الشموع، والمرضى يموتون واحداً تلو الآخر، وهكذا تبيع امرأة دواء زوجها لتشتري طعاماً لأطفالها، يتكرر المشهد، ودائماً الطرف كفار والطرف الآخر مسلمون، إنها العداوة التاريخية لهذا الدين، ليست القضية عداءً سياسياً كما يصوره البعض، إذًا حُلِّلْ كما حُلَّتْ عداوات كثيرة بين الكفار المتعادين شرقاً وغرباً، ليست القضية إلا أنهم يقولون: ربنا الله. في الشعب كان نبينا *** واليوم إخوان بغزة

يا ليت شعري من يحرك *** في ضمير القوم هزة

يا رب فابعث في نفوس *** المسلمين مزيد عزة عباد الله: إنا لنسأل الله - عز وجل - الفرج العاجل لإخواننا، اللهم فَرِّجْ همهم، ونفس كربهم، وكن معهم، وانصرهم ولا تنصر عليهم، وأعنهم ولا تعن عليهم. اللهم إنهم جياع فأطعمهم، وإنهم عراة فاكسهم، وإنهم حفاة فاحملهم، اللهم انصرهم على من ظلمهم. اللهم عليك يهود، اللهم عليك يهود، اللهم عليك يهود، اللهم اقطع دابرهم وفرق شملهم وشتت جمعهم. اللهم ردهم على أعقابهم صاغرين، واجعل ما تأمروا به كيداً عليهم وتباً ودماراً يا رب العالمين. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، والشافع المشفع يوم الدين، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. صبروا فأحسنوا الصبر، وقاموا بأمر الله فأحسنوا القيام، فاجزههم اللهم خيراً عن الإسلام والمسلمين. عباد الله: نشهد أن لا إله إلا الله ربنا وخالقنا لا يضيع أحداً من خلقه: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) [هود:11]، وقد قال سبحانه: (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) [فاطر:43]، ولا بد أن يحيق مكر اليهود السيئ بهم، (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ). ولكن يبقى السؤال الكبير: ماذا عمل المسلمون لإخوانهم؟! فإنه لا غرابة أن يقوم الكفار بما قاموا به، ولكن العجيب أن يبقى بعض المسلمين في سكرتهم يعمهون ما بين متابعة للألعاب، وانشغال بالذات، وانهماك بالمعاصي، وأهل الإيمان يقومون لله تعالى، يجتهدون على الأقل بالدعاء لإخوانهم، ويتعلم المسلم طبيعة هذا الدين: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [التوبة:16]. أحسبتم -أيها المؤمنون- أن يترككم الله بغير محنة واختبار حتى يعرف الصادق منكم في دينه من الكاذب فيه، ويعرف الذين يجاهدون من المضيعين والمفرطين، ويعرف الذين لم يتخذوا بطانة من المشركين من دون الله ورسوله والمؤمنين: (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

وَيَمَحَقُ الْكَافِرِينَ) [آل عمران: 141]. ومن حصار الشَّعْب إلى حصار الشَّعْب مسلسل يسير، وأمة واحدة، والله - سبحانه وتعالى - لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، والمؤمنون جسد واحد، ولا بد من الدعاء والدعاء والدعاء: (وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [البقرة: 250]، فكانت النتيجة: (فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ) [البقرة: 251]، وقال تعالى عن نوح - عليه السلام - يدعوه: (لا تَدْرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيْرًا) [نوح: 26]. إن الشعور بالأخوة بين المسلمين أمر عظيم. أخي أنا أنت وأنت أنا *** رباط العقيدة قد ضمنا

فإما أصبت بسهم هناك *** تلمست جرحًا بقلبي هنا

وإما انتصرت على من بغاك *** فرحت وكان انتصاري أنا

"المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه"، يعني: لا يتركه في مصيبة نزلت به، "ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته"، ولن يعدم المسلمون وسيلة يعينون بها إخوانهم، "ومن فرج عن مسلم كربة"، صغيرة أو كبيرة "فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة"، والتنفيس أن يرخي الحناق ليتنفس، والتفريج أن يزيلها بالكلية؛ ولذلك كان التفريج مرتبة أعلى من التنفيس، وكلاهما فيه أجر، التنفيس والتفريج. رأى نور الدين - رحمه الله - نزول الفرنج على دمياط وماذا فعلوا فيها من المذابح ورجل عنده يتبسم، فقال نور الدين - رحمه الله -: "إني لأستحي من الله تعالى أن يراني مبتسمًا والمسلمون

محاصرون بالفرنجة". وهؤلاء الكفرة لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ولقد قال الله: (وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ) [الأنفال: 72]، ولا بد من النصر بما يستطيع المسلم لأخيه المسلم، (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ) [آل عمران: 139]. ولا بد أن تكون هذه القضية في صالح الإسلام والمسلمين في النهاية، صالح الإسلام والمسلمين في النهاية، لا بد أن تنعكس ضد اليهود في النهاية: (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) [فاطر: 43]، (إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ) [النساء: 104]، من وجوه أخرى، وتتكشف حقائقهم أمام العالم، وهكذا يحدث بهم من المصائب ما ينتقم الله به لعباده. أيها المسلمون: إن الصبر لا بد أن يعقبه الفرج: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [آل عمران: 173]، إنه الدعاء العظيم، ولا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله وما عليه خطيئة؛ ولذلك فإن هذه الشدائد لا تذهب سدى عند الله، بل يخفف الله بها عن أصحابها ويكفر عنهم أسوأ الذي عملوا. ثم يتذكر المسلم ما هو فيه من العافية في الأقطار الأخرى من الأرض. لا تأس من دنيا على فائت *** وعندك الإسلام والعافية

إن فات شيء كنت تسعى له *** ففيهما من خلف كافية وليتأمل المسلم في حال هذه الدنيا وزوالها وفنائها، وليرج الفرج من الله تعالى، ولا ينشغل بالخطام الفاني عن الاستعداد لليوم الباقي، والنبي - صلى الله عليه وسلم - كان يؤمل

المسلمين في أشد أوقات الشدة: (إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) [يوسف: 87]. ولذلك فإنه لا يمكن أن نياس من رحمة الله أبداً، (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) [البقرة: 155-156]، والفرج من الله آتٍ آتٍ ولا بد. وترسخ في النفوس عقيدة البراء من هؤلاء المشركين التي يحاولون طمسها: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) [البقرة: 120]، وهكذا فإن الله - سبحانه وتعالى - يتتلى ويعين، وهو منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب. ونسأله سبحانه أن يهزم اليهود وأعوانهم، وأن ينصر المسلمين عليهم، وأن يرحم إخواننا المستضعفين، وأن يجبر كسرهم، ويقلل عثرتهم، وأن يتولاهم برحمته، وأن يشفي مرضاهم، ويبرئ جراحهم، ويرحم موتاهم، ويطعم جائعهم، إنه سميع مجيب. وأبناءؤنا وبناتنا الطلاب والطالبات على مطلع موسم الاختبارات، هذا الامتحان الصغير الذي يذكر بذلك الامتحان الكبير؛ ولذلك فإن هذه العبرة والعظة أهم من كل ما يكون، ومع ذلك فإن المسلم حريص على الفائدة والمصلحة، وأن يأخذ بالحكمة أُنَى كانت، وتنظيمك لوقتك - يا أيها الطالب - وتحقيق سنة الله في النوم ليلاً والاستيقاظ نهاراً، هذا هو الأهدأ للبال، والأسكن للقلب، وكثرة ذكر الله تعالى هي الوسيلة للتغلب على القلق النفسي، والتوتر الذي يكون في مثل هذه الأيام، وأيضاً فإن ذكر الله تعالى يذكر: (وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) [الكهف: 24]، ولذلك فإذا صار له نسيان لهج لسانه بذكر الله - عز وجل -، ولا للاستعانة

بالمنشطات ولا بهذه الحبوب والأدوية الضارة فإنها وبال، وكذلك فإن جلساء الخير ممن تثق بهم يثبتونك، وأما أهل الإرجاف الذين يغشونك ويكذبونك ويمكرون بك ويحسدونك حتى في الاختبارات، ويجب وجوبًا، مؤكدًا على أولياء أمور البنات المحافظة على أعراضهم بتفقد بناتهم والإسراع بأخذهن من أمام المدارس، فإنه والله يحدث من المنكر ما يدمي القلب من المنكرات العظيمة والعدوان على الأعراض والمواعيدات الآتية في هذه الأيام، فلا بد من الحرص على الأبناء والبنات، إنها مسؤولية عند الله وأمانة في الأعناق، فطوبى لمن حفظ الأمانة وويل لمن ضيعها. اللهم أحيينا مسلمين، وتوفنا مؤمنين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم أصلح نياتنا وذرياتنا، اللهم اجعل ما آتيتنا عونًا لنا على طاعتك، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم إنا نسألك الأمن في البلد، والعافية في الجسد، والصلاح في الذرية والولد.



عنوان الخطبة	نظرات في سورة آل عمران (النكبة الكبرى)
عناصر الخطبة	1/ تنبيه المسلمين لوسائل الحرب الباردة مع الأعداء 2/ التشديد على وحدة المسلمين 2/ مآسي المسلمين في العالم اليوم بعد ضياع الخلافة وتفرقهم
الشيخ	محمد الغزالي
عدد الصفحات	17
رقم الخطبة في الموقع	4089

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين. أما بعد: فإن المسلمين يعلمون أن القرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة، وإنما نزل مُجْزَأً، وقد أفادت تجزئته هذه في معالجة قضايا متجددة، ورد شبهات مثارة، ومواجهة أحداث تكثر لها الأمة.

ولعل سورة آل عمران مثل لنزول القرآن مجزأ يناسب ما تواجهه الأمة من أحداث، وما يلابسها من حرب أو سلام؛ وقد قلنا: إن النصف الأول من

السورة تعرض لأهل الكتاب، أو تواجه الحرب الباردة التي شنوها على الإسلام، والتي لَمَّا تتحول بعدُ إلى حرب دامية.

أما النصف الأخير من السورة فإنه واجه المشركين الذين لم يكفهم أن أخرجوا الإسلام من وطنه الأول في مكة حتى أرادوا متابعتها حيث استقر كي ينالوا منه، ويجهزوا عليه، فتحوّلت حربهم الباردة الأولى إلى حرب ساخنة مدمرة. كان المسلمون يواجهون هذه القوى المعتدية الباغية التي انتشرت على جبهات عريضة تريد أن تنال من الإسلام، وأن تضع العقبات في طريقه، بل تريد أن تجتث جذوره، وأن تطفئ نوره.

فكانت العلاقة بين أول السورة وآخرها هي أن المسلمين ينبغي أن يواجهوا تلك القوى كلها في لحظات واحدة، ومفتاح هذا من قوله تعالى: (لَتُبْلَوَنَّ فِي أََمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) [آل عمران: 186].

كان الأمر بالنسبة لأهل الكتاب أمر مناقشات عقلية كان للإسلام فيها الفوز، وله الغلب؛ لأن ديننا يعتمد في حوارهِ على المنطق السديد، والفكر الناضج، والعلم الصادق، وما يبارى في هذه المجالات جمعاء.

إلا أنه فيما يتصل بأهل الكتاب فقد أمرنا الله أن نعامل أهل الكتاب معاملة معتدلة، وألا نجادلهم في شئون الدين إلا إذا بدؤوا ذلك، فليكن جدالنا لهم حسناً، وقد زاد النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى هذا أنه أوصى المسلمين

ألا يفضّلوه على موسى أو عيسى أو أحد من الأنبياء السابقين، ومع أنه - يقينا - أعلى الرسل قدرا؛ لأنه أوسعهم رسالة، وأعلاهم درجة، إلا أنه أبي أن يُذكر بهذا الفضل، وقال: " لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى، ويونس هو النبي الذي ترك بلده ضائقا بمواقف الكفار فيها، سأمان من المواقف الرديئة التي شعر بها، فكان أن التقمه الحوت وهو مولّد عن بلده ما يؤدي واجبه، قال تعالى لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَوْلَا أَن تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ) [القلم: 48-49].

إن النبي - صلى الله عليه وسلم - كره أن يفضل على يونس بن متى، وهذا تواضع منه لله، أولا وثانيا رغبة في إطفاء الفتن، ومنعا للمسلمين أن يخرجوا اليهود أو النصارى بتفضيله على أنبيائهم. فهل ارعوى أهل الكتاب لهذا المسلك، وتأدبوا مع المسلمين، وقدّروا هذه المواقف النبيلة؟! لم يقع هذا!.

والسبب أن المسلمين يؤمنون بأنبيائهم، ويصدقون برسالتهم، وهؤلاء لا يؤمنون بنبينا، ولا يصدقون برسالته، والمسلمون لا يرون حرجا في أن يبقى أهل الكتاب على عقائدهم، وأن يجمع الكلّ وطنٌ مشترك، أما أهل الكتاب فكانوا يرون حرجا في أن يبقى المسلمون على توحيدهم، وقرآنهم، ونبوتهم، ورسالتهم الجديدة.

هذا المعنى جعل موقف المسلمين - كما لا بد أن يكون - دقيقا؛ ولذلك أمرهم الله بأن يكونوا من أهل الكتاب على حذر، فليحسنوا إليهم، ولكن

لا ينبغي أن يستعينوا بهم في شؤون السياسة الإسلامية، أو أن يطلعوهم على خباياها، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْمِنُوا بِعَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) [آل عمران: 118-119].

هذه التعاليم قُصد بها أن تستطيع الأمة الإسلامية السير دون عائق، ودون مؤامرات داخلية، ودون أن تشعر بغش يتخلل كيائها ويسئ إليها؛ وبدأ المسلمون فعلاً يتجمعون على هذا الأساس، وبينون وحدتهم على ذلك الهدف الواضح؛ بيد أن أهل الكتاب يبتوا أمراً هو أن يبذلوا الجهود مستميتة لجعل الفُرقة تدب بين المسلمين، فهم يشعرون بأن المسلمين إذا قامت لهم وحدة فإن وحدتهم ستُنجح رسالتهم، وتوصل مبادئهم، وتجعلهم يدا واحدة على من سواهم، فلا يمكن أن يغلبوا.

حاول اليهود ذلك في "المدينة" عندما نظروا فوجدوا أن المهاجرين من "مكة"، وأن رجال "الأوس" ورجال "الخرزج" الذين أكلت العداوات قلوبهم قديماً قد أصبحوا أنصار الله، ثم أصبح الأنصار والمهاجرون جميعاً إخوة.

كان اليهود يشتغلون بالربا بينهم، وبيع السلاح لهم، كانوا ينتفعون بالعداوات المهتاجة التي تثير هؤلاء على أولئك، وتجعل الدم لا يجف من بيوتهم! إذن،

لابد من تمزيق هذه الوحدة، وحاولوها- فعلا- وكادوا ينجحون لولا أن تدخل النبي -صلى الله عليه وسلم- وأطفأ الفتنة في مهدها، ونزل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [100-101].

فعرف المسلمون أنها نزغة شيطان كادت تحطم كيانهم، وتضيع يومهم وغدهم، وتغضب عليهم ربهم، وتردهم إلى الجاهلية التي خلصوا من شرورها؛ وعرفوا أن الله شرفهم بهذا الدين ليكونوا به أمة خير، وليكونوا حراسا على تعاليمه، وليكونوا أساتذة للإنسانية كلها، بما أودع الله في هذه التعاليم من حق وبر؛ ولذلك حددت وظيفة هذه الأمة في سورة آل عمران بقول الله جل شأنه: (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [آل عمران: 104].

وأشار إلى أن أهل الكتاب الأولين قد فسدت تعاليم السماء بين أيديهم؛ فأصبح القبيح لديهم حسنا، والحسن لديهم قبيحا، والتوحيد شركا، وفهم الألوهية غلطا، فنبههم إلى أنه ما يجوز للأمة الإسلامية أن تقع في ما وقع فيه أهل الكتاب. قال تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [آل عمران: 105]، وأكد رسالة الأمة الإسلامية فقال: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ
الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ [آل عمران: 110].

لكن أهل الكتاب ما نسوا أن كيانهم أو نجاحهم ضد الإسلام إنما يتم بتمزيق
الوحدة الإسلامية؛ فدأبوا على ذلك، واستطاعوا على مر الزمن أن يحدثوا
فتوقا بيننا، لكن هذه الفتوق سرعان ما تندمل جراحاتها، وتعود الأمة إلى
وعيتها، وتستأنف باسم الله مسيرتها؛ إلا أن النكبة الكبرى التي أصابت الأمة
الإسلامية في القرن الرابع عشر للهجرة كانت فوق الظنون، كانت نكبة
جائحة تركت آثارا سوداً إلى يوم الناس هذا في مستقبل الأمة الإسلامية؛
ذلك أن الدسائس الصليبية واليهودية تلاقت في هذا القرن الحزين الجريح
على أمتنا.

كانت الأمة موحدة في ظل خلافة مريضة معتلة، لكنها خلافة شَبَّحْ، والشبح
-أحيانا- في الحقول ربما منع الطير المتلصص! كانت الخلافة شبحا، ولكن
هذه الخلافة وقفت دهرا ضد الاستعمار العالمي، وبوسائلها الضعيفة قدرت
على أن تصنع شيئا، فكان هدف الصليبية والصهيونية معا ضرب دولة
الخلافة ضربا يحى إلى صميمها فينال منه شر منال، واتصل الإنكليز -فعلا-
بالعرب عن طريق "الشريف حسين"، والإنكليز ما كانوا مخلصين للقرآن أو
السنة، ما كانوا -ولن يكونوا- مخلصين لأهل البيت، ما كانوا -ولن يكونوا-
رحماء بالإسلام وأمته، لكن الرجل الطامع الأناني اتفق مع الإنكليز على
ضرب الأتراك.

كان الأتراك ظلمةً فعلا، وكان العرب خونةً فعلا، وكانت النتيجة أن ذبح العرب الأتراك في الحرمين! وهُزم الأتراك هزيمة منكرة بسبب خيانة العرب لهم، والعرب يقولون: حُناهم لأنهم ظلمونا! على كل حال، الذي كسب المعركة الكفرُ والإلحاد؛ وكانت النتيجة أن الأمة العربية سقطت خلافتها الشبح، وانقسم بعضها بعد ذلك كما ينقطع جبل السبعة فتتشر مائة حبة أو ثلاثين حبة حسب ما فيها من حبات!.

انتشرت -فعلا- الخيوط التي تجمع الأمة الإسلامية، وأصبحت هذه الأمة لا يعرف بعضها الآخر! ولو سألت أي مثقف في الجامعة الآن: أتعرف أن في "توجو" مسلمين يمثلون أكثر الدولة؟ لقال لك: ما "توجو"؟ ما "ملاوي"؟. دول إسلامية، لكنه لا يدري، ما يدري أحد عن الإسلام في "أفريقيا" شيئا، ما يدري أحد عن الإسلام في "آسيا" شيئا، ما يدري أحد أن المسلمين الآن يبلغون ثمانمائة مليون في العالم، وحرب الإحصاءات -وهي حرب خبيثة- جعلت المسلمين أنفسهم ما يعرفون عددهم!.

وقد قلت -بناءً عن إحصاءات دقيقة من مصادر أمريكية-: إن المسلمين الآن في "الحبشة" نحو 70%، ولكن الكثرة المسلمة مسحوقة، والمسجد في "أديس أبابا" تحيط به بيوت البغايا! هذا التمزيق جعل الأمة مُجَهَّلَةً في كيانها، ولكن على رأس مَنْ يقع وزر هذا الجهل؟ الحقُّ يقال: إنه يقع على الأمة العربية. لماذا؟ لأن "العرب هم دماغ الإسلام وقلبه"، احفظوا هذا التعبير.

ما دام القرآن عربيا، وما دامت السنة عربية، وما دامت الثقافة الإسلامية عربية، وما دامت الكعبة -قبلة المسلمين- في بلاد عربية، فمعنى ذلك أن الجنس العربي - بلغته ودينه - هو المسؤول عن العالم الإسلامي كله!.

وعرف الاستعمار هذا، وأدرك أن العرب إذا استيقظوا باسم الإسلام تجمع الثمانمائة مليون مسلم في وحدة كبرى، فماذا يصنع؟ اجتهد في أن يُبعد العرب عن الإسلام، ونجحت جهوده، وأذكر لكم مثالا وحيدا من عشرات الأمثلة التي أعرفها، وربما كتبها يوما: "قبرص" بلد إسلامي، فتحه المسلمون بعد أن فتحوا "مصر"، فعُمر الإسلام في "قبرص" يقل عشر سنين عن عمر الإسلام في "مصر"؛ لأن "مصر" حررت من الاستعمار الروماني في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وحررت "قبرص" من الاستعمار الروماني في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله عنه. ولرواة السنة الشريفة قصة لـ "قبرص" هذه، أحب أن تعرف: عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأطعمته، وجعلت تفلي رأسه، فنام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم استيقظ وهو يضحك. قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عُرضوا عليّ عُزاةً في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر، ملوكا على الأسرة -أو مثل الملوك على الأسرة-. قالت: فقلت: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. فدعا

لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم-. ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك. فقلت: وما يضحكك يا رسول الله، قال ناس من أمتي عرضوا على غزاة في سبيل الله - كما قال في الأول-. قالت: فقلت يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. قال: أنت من الأولين. فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت".

فلننظر كيف حَقَّقَت الأيام رؤيا نبينا - صلى الله عليه وسلم-؟ وَمَن الملوك الذين يركبون أمواج البحر؟ وماذا صنعوا؟ قال التاريخ: كان المسلمون في حربٍ مع دولة الرومان، ودولة الرومان هي السبب في هذه المعارك، لأنها قتلت رسل النبي - صلى الله عليه وسلم-، واشتبكت مع المسلمين على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم- نفسه في حروب كانت تريد بها القضاء على الإسلام.

دولة الرومان دولة استعمارية عجوز هزمت المسلمين في "مؤتة"، وانسحبت دون قتال في "تبوك"، فكان على المسلمين أن يواجهوا الموقف، وواجهوه واحتلوا "الشام" بعد أن حرروها من الرومان، واحتلوا "مصر" بعد أن حرروها، وكانت مستعمرة ذليلة وضعيفة داخل النطاق الروماني الذي أكلها ماديا ومعنويا، فكان دخول الإسلام في "مصر" إحياء لها، ومضى القتال في طريقه بعد وفاة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه-، وشرع عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه- يؤدي دوره، وكان يعلم أن رأس الأفعى في "القسطنطينية".

يقول التاريخ: ذهب عبادة بن الصامت - رضي الله عنه -، وذهبت معه زوجته أم حرام بنت ملحان، وقاتلوا في "قبرص"، إلا أن المرأة أدركتها الوفاة في "قبرص" فماتت فيها، ويعرف قبرها - إلى الآن - بقبر المرأة الصالحة! فماذا حدث لقبرص بعد ثلاثة عشر قرناً من امتلائها بالإسلام؟ عندما هاجم الإنكليز "مصر" واحتلوها احتلوا "قبرص"، كيف؟ كانت "تركيا" موجودة، ودولة الخلافة قائمة، لكنها دولة ضعيفة، فاتفق الإنكليز مع الأتراك الذين يحكمون "قبرص"، وكانوا يحكمون "قبرص" لأنها كانت تتبع "الشام"، والمحافظ في "الإسكندرونة" أو "أنطاكية" - وكانت هذه ولاية شامية - هو الذي يتولى شؤون "قبرص"؛ لأنها قريبة من الساحل السوري، ففرض الإنكليز على الدولة العثمانية أن يقيموا قاعدة لهم في "قبرص"، وأقاموا القاعدة، ورفض السكان المسلمون أن يعاونوا الإنكليز، فماذا صنع الإنكليز؟.

بدؤوا يستأجرون عمالاً يونانيين، فكان مجيء العمال اليونانيين أول الوجود اليوناني في "قبرص"، وبدؤوا يكثرون، فماذا حدث؟ قرر اليونانيون أن يأخذوا "قبرص" من الإسلام ودولته! أكانت "قبرص" في تاريخها الماضي السحيق تتبع اليونان يوماً؟ لا. يقول التاريخ: ما كانت "قبرص" تتبع اليونان يوماً من الأيام، فماذا حدث؟ المؤامرات العالمية التي أرادت أن تضرب الإسلام جعلت العرب يؤيدون "قبرص" اليونانية ضد "قبرص" الإسلامية!.

هذا ما حدث! أنا -مُضَيِّاً منا في محاربة الأتراك المسلمين- قررنا أن ننضم إلى "مكاربوس" واليونان ضد الأتراك المسلمين! ما هذا؟ بلغت الوقاحة

بالسياسة الاستعمارية العالمية أن أوعزت لمنفذيها أن يستقدموا "مكاربوس" إلى "القاهرة"، وأن يزور إدارة "الأزهر"، ليُقال إن الأزهر مع اليونانيين القبارصة ضد المسلمين القبارصة!.

العرب، إذا قرروا محاربة الإسلام، فإن الله عز وجل لا بد أن يذلهم، وأن يخزيهم، وأن يُسوّد باهزائم وجوههم، وأن يجعل الدنيا تسخر منهم؛ لقد قلت: إن العداوات التي تعمل ضد الإسلام كثيرة.

العالم الإسلامي يمتد على رقعة بين المحيط الأطلسي والمحيط الهادي، أكبر رقعة في تجمعات البشرية، ثمانمائة مليون مسلم يملكون أحشاء العالم بين أصابعهم، يملكون ممراته الكبرى، يملكون طاقاته الموجهة، ما يشكو العرب أو المسلمون فقرا! لكن الذي حدث أن الهجوم على الإسلام بدأ بعد تدويخ الفكر العربي، فإذا المسلمون في آسيا يؤخذون أخذا في ظل "روسيا القيصرية"، ثم في ظل "روسيا الشيوعية"!

البلاد التي أنجبت الإمام "البخاري" والإمام "مسلم"، وأنجبت "فخر الدين الرازي"، وأنجبت "جار الله الزمخشري"، وأنجبت خدم القرآن في باب الإعجاز واللغة: "سيبويه" و "الجرجاني" و "السكاكي" وغيرهم وغيرهم من علماء الدين واللغة، البلاد التي أنجبت أولئك العمالقة ليست عليها الآن راية تقول: لا إله إلا الله! الولاية التي عليها راية كافرة ملحدة تنكر الألوهية أصلا!.

أما المسلمون في " الهند" فيعلم الله كم يعانون! المسلمون في "باكستان"، المسلمون في بقية الأرض الأفريقية والآسيوية ممزقون! أتدرون من يجمعهم

كلهم؟ العرب! العرب إذا رجعوا إلى الإسلام؛ أتدرون من يجمع شمل العرب؟
"مصر"، إذا تمسكت بالإسلام.

نحن أثناء قراءة سورة آل عمران عندما نتأمل قوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [آل عمران:104]، وعندما نتأمل قوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) [آل عمران:110]، ندرك أن المكلف بهذا الكلام ابتداءً الذين يعرفون اللسان العربي!.

المسلم الهندي مسكين ما يعرف العربية، المسلم الزنجي مسكين ما يعرف العربية، المسلم التركي مسكين ما يعرف العربية؛ فإذا جاء حكم عربي وقرر أن يحارب التجمعات الإسلامية، أو يقف لها بالمرصاد، أو أن يطعن في نيات أصحابها؛ فإن هذا إنما يخدم الذين يريدون الإجهاز على الإسلام، والنيل منه.

إن أشياء كثيرة يجب أن تعرف، وأن تُنقد؛ من أسوأ ما أصاب الأمة الإسلامية في القاهرة - والقاهرة هي العاصمة الثقافية للعالم الإسلامي - أن الجهاز الذي كلف برعاية العقيدة واللغة وحراسة الآداب العربية أصابه عطب! إنه لَمِنْ المحزن أن أعلم أنه في يوم الأربعاء الماضي أقامت كلية اللغة العربية في الأزهر

حفلا مثلت فيه رواية "الصديقين"، والرواية فيلم هندي! ولا أدري ما الذي يجعل كلية من كليات الأزهر تشغل نفسها بتمثيل فيلم هندي؟ لا أدري السبب، ولكن الذي أدريه أن اللغة العربية منكوبة، وأنها مهددة في يومها ومستقبلها، وأن من عجائب الزمن أن كلية دار العلوم أرسلت مبعوثا لها إلى "لندن" كي يدرس فقه اللغة في "لندن"! في هذه السنة يقع هذا، سبحان الله! أين كلية اللغة العربية؟ مشغولة بتمثيل فيلم هندي! أين فقه اللغة؟ لا تدري عنه شيئا.

لو كان لفقه اللغة أساتذة ما أرسلت "دار العلوم" إلى "لندن" مبعوثا يتعلم فقه اللغة هنالك، وهل "لندن" تُعلم فقه اللغة؟ هذا عجب! والأعجب من هذا أن "الأزهر" - في كلية البنات - أرسل فتاة لتتعلّم الفلسفة الإسلامية في "لندن"! إننا ورثنا مجتمعا ظل جباناً في نقد الحكومات وأجهزة الحكومة، ظل جباناً؛ لأن الناقد كان يُعتقل أو يُسجن أو يُضرب أو يُهان! وجنت الأمة العربية في مصر ثمرات هذا الجبن أن أذّلّها الله، ومكّن العدو منها، ثم بدأنا نتوب ونتراجع ونأخذ طريقنا إلى ربنا صحيحا.

فلنعلم أن العقلية الخربة التي ظلت عشرين سنة تعبت لا تزال موجودة، وأن هذه التصرفات يجب أن تطارد، وإلا فلسنا أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

ما معنى أن يرسل "الأزهر" فتاة تتعلم الفلسفة الإسلامية في "لندن"؟ أو ترسل "دار العلوم" شخصا يتعلم فقه اللغة في "لندن"؟ إننا بدل أن نحس

العار والخزي جئنا برواية فيلم هندي تمثله في كلية اللغة العربية! هؤلاء الناس يظنون أن التقدم في محاصمة الإسلام، وأن المدنية في محاصمة اللغة العربية والقرآن الكريم والسنة النبوية.

إنني أعلم أن بعض الذين حملوا الدكتوراه من العواصم الأجنبية لا يساوون شيئاً! وأن الورق الذي يؤخذ من "لندن" أو "باريس" ورق مزور! إنني أقول هذا لأدأوى عقدة الوضاعة في نفوس المثقفين عندنا.

لنعد في "مصر" إلى كتاب ربنا، وسنة نبينا -صلى الله عليه وسلم-، ومناصرة الإسلام، وتصحيح الأجهزة المسئولة عنه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله (الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ
 * وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ هُمْ
 عَذَابٌ شَدِيدٌ) [الشورى: 25-26].

وأشهد أن لا إله إلا الله، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً رسول الله، إمام
 الأنبياء وسيد المصلحين. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله
 وأصحابه والتابعين.

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، ومن باب إحقاق الحق،
 وتقدير الناس، أذكر لكم أن الأخ الجليل مدير مكتب الأستاذ الأكبر شيخ
 الجامع الأزهر اتصل بي، وقال لي: إن الإمام الأكبر اعترض الرواية أو الحفلة
 المأجنة التي ندَّدْتُ بها في الأسبوع الماضي، وأنه طلب معاقبة المسؤولين عن
 وضع برامجها.

إنني أريد أن أقرر هذا، وأقرر معه -أيضاً- أن الإمام الأكبر رجل فيه خير
 كثير؛ لأنه هو الذي أوقفني هذا الموقف، وهو الذي جاء بي إلى هذا المسجد،
 وهو الذي رأى أن يعمر بعد خراب، وهو الذي تفاعل خيراً في أن المسلمين
 سوف يحتشدون هنا -لا حول شخص- حول فكرة أن الإسلام يجب أن
 تعلق رايته، وأن تنتصر جبهته، وأن يثوب إليه الذين ابتعدوا عنه، وخافوا من
 الانتساب إليه.

جزاه الله خيرا على هذا كله؛ هذه واحدة. وواحدة أخرى أرى نفسي ملزما بها: إن هذا المسجد بذل من أجله وعانى في تعميره السيد الكريم محافظ القاهرة، والرجل الآن مريض، نقل من مكتبه مريضا، أظن أن واجب الوفاء يفرض على المسلمين في هذا المسجد أن يسألوا الله له العافية، نحن نسأل الله من قلوبنا أن يصحح له بدنه وروحه، وأن يسبغ عليه ثوب العافية، وأن يرده إلى عمله في خدمة هذا المسجد، وخدمة الإسلام، وأن يجعله مثلاً صالحاً لإخوانه المحافظين؛ كي يؤدوا واجبهم لخدمة هذا الدين العزيز.

"اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر".

(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [الحشر: 10].

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [النحل: 90].

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نعمة انشراح الصدور.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ سورة الشرح: 1. هذا الاستفهام للتقرير، أي قد فعلنا ذلك، فيذكره بنعمته عليه، أَلَمْ نَشْرَحْ الشرح هو سعة في الصدر وانفساح وارتياح وطمانية لنور يقذفه الله في الصدر، لك، من أجلك، ولمصلحتك وإزالة همك وغمك وحزنك، أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ سورة الشرح: 1. ولم يقل: قلبك؛ لأن الشيطان في الوسوسة والحزن والتضييق يشتد على الصدر؛ ولأن القلب في الصدر، شرح الصدور يا عباد الله: نعمة عظيمة، هذا الانشراح والانفساح مهم اليوم في عالم الخلافات، في عالم الأزمات، في عالم المديونات، في عالم المصادمات، في عالم المصائب التي تصيب المسلمين، فإن الصدر يضيق اليوم لأسباب، ومن أعظمها البعد عن الله، وارتكاب المعاصي والذنوب، والتقصير في حق الله من ترك واجب أو فعل محرم، أو من مصيبة تنزل من فقد عزيز، أو خسارة مال، أو من نكد يجره عقوق ابن، أو تمرّد زوجة، أو خلاف شريك، أو مشاكسة جار، ونحو ذلك مما تجره مصاعب الحياة ومصائبها من الضوائق النفسية على صدور الناس، ومن أجل ذلك يكتسب بعد الموضوع سعة كبيرة؛ لأن هذا الانشراح ضروري جداً لأمر، منها: انشراح الصدر لتلقي حكم الله، فإن بعض الناس إذا سأل عن الحلال والحرام، فجاءه الجواب على غير ما يشتهي ضاقت نفسه، وليس هذا من علامات الإيمان، فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا سورة النساء: 65. فجعل معقد الإيمان على تحكيم شرع الله، وعند الخلافات التي تظهر فيها التطلعات لي أو علي، ولم يكتفِ تعالى بذلك حتى قال: يَبْتَئِثُ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ، فإذا انشרכת صدورهم للأحكام الشرعية علم بذلك إيمانهم، ولم يكتفِ تعالى بذلك حتى أضاف إليه: وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا، الاتقياد التام المطلق لحكم الله، انشراح الصدر أيضاً عند المؤمنين في باب المصائب، إذا نزل بالعبد مصيبة فلجأ إلى الله، وقال: إنا لله، فذكر نفسه بملكه، أن الله تعالى يملكه، بملك الله، إنا لله، لام الملك، وإنا إليه راجعون، ذكر نفسه بالمرجع والمآب؛ لأنك إذا ذكرت نفسك بيوم القيامة، وأن النهاية الرحيل عن الدنيا، هان عليك كل مصيبة.

صور من حياة الصحابة والسلف في انشراح الصدر لأمر الدين.

انشراح الصدر مهم جداً عند المصائب، وكذلك انشراح الصدر للمهمات الثقيلة في أمور الدين، ولذلك لما ارتد المرتدون ومنع مانعو الزكاة زكاتهم قرر الصديق بفقهه وعلمه مقاتلتهم، وتخرج بعض الصحابة فقال عمر: كيف نقاتلهم وقد قالوا: لا إله إلا الله، فبين له الصديق أن لا إله إلا الله لها شروط، فإذا لم يؤت بالشروط فكأنها غير موجودة، هل رأيت المفتاح إذا لم يكن له أسنان لم يفتح، فكذلك لا إله إلا الله لها شروط إذا لم يقر بها لم تنفع، لها شروط، لها نواقض، لا بد من تحقيق شروطها واجتنب نواقضها، يقول عمر: فما هو إلا أن رأيت صدر أبي بكر قد شرح للقتال فعلمت أنه الحق، وتابعه الصحابة على ذلك، وفهموا لما قال: إن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه.

شرح الصدر عندما تباحث الصديق مع عمر بعد مقتل أكثر حفاظ القرآن في معركة اليمامة، وغيرها في حروب المرتدين، واتفقت كلمتهما على جمع القرآن فاستدعيا زيد ابن ثابت، وكان شاباً ثَقَفًا لَقْنًا فطناً، وكلفاه برئاسة لجنة لهذه القضية، لجنة جمع القرآن، فتهيب زيد في البداية، وقال: تفعّلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يفعله لأن المقتضي والداعي لم يكن موجوداً العهد النبوي، لكن الآن خشية من ذهاب القرآن بمقتل الحفاظ، يقول زيد: فلما رأيت الله شرح صدر أبي بكر وعمر علمت أنه الحق، انشراح الصدر للقيام بالمهمات العظيمة لخدمة الدين، وكذلك شرح الصدر عظيم عندما تضيق بالإنسان الضوائق، وتحصل كتمة في الصدر، نتيجة هم، غم، وسوسة، الغم من شيء مضى، والهم لشيء يأتي، فعندنا ذلك يأتيك الدعاء: (اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، عدلٌ في قضاؤك، ماضٍ في حكمك، أسألك بكل اسم هو لك)، وكذلك قال في ذلك الدعاء: (سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من

خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري)[رواه أحمد4318]؛ لأن القرآن إذا صار نور الصدر حصل الانشراح، القرآن، الذكر، الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، أسباب عظمة لانشراح الصدر.

يُحصل انشراح الصدر أيضاً عند بعض الناس نتيجة صدقهم في صلاة الاستخارة، فيستخير على أمر فينشرح صدره له، ينشرح صدره له، فيقدم عليه، ومن هنا ذكر العلماء أنه بعد صلاة الاستخارة يمضي لما انشرح إليه صدره.

لكن هذا الانشراح يكون لأهل الإيمان، لأهل الذكر، لأهل الارتباط بالله سبحانه وتعالى، لأهل العبادة، لأهل الإقبال على الله، لأهل اللجوء إلى الله، لأهل التضرع إلى الله سبحانه وتعالى، لأهل دعائه وذكره والإقبال عليه، هنا الانشراح له معنى، شرح الله صدري لهذا الخاطب، شرح الله صدري لهذه الصفة، شرح الله صدري لهذا الشريك، شرح الله صدري لهذا البيت، شرح الله صدري لهذه المرأة، فيرزق الله أهل الإيمان نوراً يقذفه في قلوبهم، فتتشرح صدورهم لقرارات عند اتخاذها، ومن أعظم ما يعين على ذلك صلاة الاستخارة.

هذا الشرح، شرح الصدر يكون حتى في المسائل العلمية، ولذلك كان العلماء يقول الواحد منهم عندما يصادف اختلافاً في مسألة ولا يدري ما الراجح أنه أقبل على الله، استغفره، ودعاه: يا معلم إبراهيم علمني، يا مفهم سليمان فهمني، وينطرح بين يديه، ويتذلل، ويقبل عليه، ويلج، ويدعو حتى يشرح الله صدره.

أيها المسلمون، يا عباد الله:

هذه مسألة شرح الصدر من أعظم المسائل، وكل ما مر بك ضائقة تذكر أهميتها، في ضوء قوله تعالى: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَسورة الشرح1. وتأمل النعمة العظيمة على من يدخل في الإسلام، فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِسورة الأنعام125. فيقبل عليه.

رأى بليونيراً كافراً عامل نظافة في شركته، كل يوم يراه مبتسماً، هادئاً، وقوراً، منشرح الصدر، فأمسك به مرة وقال له: أنا في المليارات التي عندي ما دقت هذا الذي أجد علامته على وجهك، لماذا؟ قال: هذا الإسلام، من دخل فيه، وصلى لله، وصار على علاقة بالله، وأقبل على الله أعطاه هذه النعمة، السعادة النفسية، فكان ذلك سبباً في إسلامه، فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَثَمًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِسورة الأنعام125. هل تريد يا عبد الله: سبباً لشرح الصدر عظيم؟ دل عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم في مثل المتصدق والبخل، رجل لايس جبة حديد ضيقة عليه قد كتفت يديه، وانقبضت إلى عنقه، يقول: (كلما تصدق الكريم انفسحت واتسعت، حتى عفت أثره) يعني: غطت بدنه كله، فضفاضة وسابغة، (وأما البخل كلما أراد أن يتصدق ضاقت عليه حلقاتها)[رواه البخاري بمعناه5299]. لأن البخل يمنعه من ذلك، ولذلك قال العلماء: إن الصدقة من أعظم ما يشرح الصدر.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، وسبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، دعا إلى الله ولم يشرك به أحداً، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وذريته، وأزواجه الطاهرات، وخلفائه الميامين، وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك الأمين، صاحب اللواء والحوض والمقام، أوردنا حوضه، واجعلنا في زمرته، وارزقنا شفاعته، اللهم احشرنا معه يوم الدين.

أهمية شهر شعبان.

عباد الله:

أنتم في شهر عظيم، النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يغفل الناس عنه)[رواه النسائي2357]. شعبان سمي بذلك قيل: لأنهم كانوا يتشعبون فيه لطلب المياه، وقيل غير ذلك، وقيل: لأنه انشعب بين هذين الشهرين وظهر، شعبان بين رجب

ورمضان، النبي صلى الله عليه وسلم بين سبب الغفلة عنه، قال: (يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان)[رواه النسائي2357]. رجب شهر محرم عظيم، ورمضان شهر الصيام عظيم، فإذا أتى بينهما نسيه كثير من الناس، والعبادة في وقت الغفلة دليل على حياة القلب، فلذلك إذا نزلت إلى السوق المول، فرأيت نفسك تذكر الله، ورأيت لسانك يتحرك بذكره في ذلك الموطن فاعلم أن هذا من حياة قلبك؛ لأن هذا موطن ليس من العادة أن يذكر الله فيه، مما فيه من الفتنة، والتبرج، والأيمان، والانشغال بالبيع والشراء وأمور الدنيا، فإذا صار الواحد في وقت انشغال الناس بالدنيا هو يذكر الله هذا دليل على حياة قلبه، ولذلك كان بعض السلف يصلي كثيراً بين المغرب والعشاء، قال: لأنها ساعة يغفل الناس عنها.

شعبان يغفل الناس عنه، بين رجب ورمضان، وبعض الناس أيضاً يقول: جاي رمضان. كلما جاءت نفسه ببادرة خير الآن قال: جاي رمضان، فلا يفعلون في شعبان، مع أن شعبان عند السلف كان شهر القراء، فإذا أقبل فتحو المصاحف، وراجعوا أشياء لرمضان شهر الصدقات؛ لأنهم كانوا لا يريدون أن يدخل رمضان على الفقير ولا يجد إبطاراً أو سحوراً، ولذلك كانوا يخرجون الصدقات في شعبان لرمضان، ويخطئ بعض الناس عندما يؤخر إخراج الزكاة إلى رمضان مع أنها وجبت في شعبان أو قبل شعبان، ويظنون أن الأجر الأكثر في تأخيرها، مع أنه بالعكس تماماً هو إثم؛ لأن الله لما حدد الحول ليس هذا التحديد اعتباطياً ولا عبثياً، لا بد أن نلتزم به، وإلا فما فائدة الحول إذا كان الواحد يؤخر كما يشاء، فتأخير الزكاة عن الحول إثم، فيه ظلم للفقراء، وتأخير زكاة عنهم، ولكن لو كانت الزكاة تحول أصلاً في رمضان لا حرج أن يخرج، وكذلك لو احتاج المسلمون كما بالشام إلى تقديم الزكاة في رمضان مع أنها تجب في شوال أو يحول الحول في ذي الحجة أو محرم فلا مانع من ذلك، لكن التأخير لا، هذا الشهر النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أحب أن يرفع عملي وأنا صائم)[رواه النسائي2357]؛ لأن الصيام عندما يرفع العمل أرجى لقبول العلم، عندما يرفع العمل والإنسان صائم، ولذلك كان أكثر الصيام في شعبان ليس فقط تهيئاً لرمضان أو استعداداً، وحتى لا يفاجأ الواحد بقدوم الصيام، ولم يجربه قبل ذلك بمدة قصيرة، بل لأن الأعمال ترفع في شعبان، فهناك ثلاثة أنواع من الرفع، الرفع اليومي، في الفجر والعصر، ترفع الملائكة أعمال العباد إلى الله، فهنيئاً لمن صلى الفجر في جماعة والعصر في جماعة، ورفع أسبوعي أيضاً مرتين: الاثنين والخميس، يومان ترفع فيهما الأعمال إلى الله، فكان يستحب أن يصوم في هذين اليومين، الرفع السنوي في شعبان، لا في رمضان ولا في ذي الحجة، في شعبان، ترفع فيه أعمال العباد إلى الله، هذا رفع سنوي، وعندما يموت الإنسان تطوى صحيفته ويعرج بها إلى الله، تنتظر صاحبها يوم القيامة.

شعبان يا عباد الله: حفل بأحداث متعددة في تاريخ المسلمين، منها عقديّة، ومنها عباديّة، ومنها اجتماعيّة، ومنها جهاديّة، ومنها مناسبات متعددة، فمن ذلك:

أن انفلاق القمر وانشقاق القمر كان في شعبان، فطلبوا من النبي عليه الصلاة والسلام آية، وما أكثر ما يطلب الكفار آية وهم يكذبون، ولو أتيتنا اتبعناك، فأشار إلى القمر فانشق أمامهم، وبينهما حراء، فأرأهم القمر شقين، فقالوا: سحرنا محمد.

كذلك فرض صيام رمضان في شعبان، في السنة الثانية للهجرة، شعبان هذا كان وقت فرضية رمضان.

من المناسبات الاجتماعية أن النبي عليه الصلاة والسلام بنى بحفصة في شعبان، أم المؤمنين.

كذلك من المناسبات في الجهاد أن النبي عليه الصلاة والسلام خرج إلى تبوك في شعبان، وكانت غزوة لها معاني وأثر، وخرج من الجزيرة إلى الشام إيماءً لأهمية فتح الشام، مع أنه لم يفتحها في تلك الغزوة، ولم يلق العدو، فأكمل المهمة خلفاؤه من بعده.

وفي شعبان حصلت للمسلمين أيضاً غزوات عظيمة، ومن ذلك قيام محمود الغزنوي رحمه الله الفاتح العظيم لفتح الهند، بتحطيم صنم سومنات المقدس عندهم، الذي كانوا يأتون إليه من كل فج عميق، ولقد بذلوا لمحمود الأموال الطائلة ليترك لهم صنمهم، فأبى وقال: أن آتي يوم القيامة ويقال: محمود الذي كسر الصنم، خير من أن آتي يوم القيامة ويقال: محمود الذي ترك الصنم لأجل المال، فكسره، فوجدوا تحته من الغنائم العظيمة، والكنوز والذهب والجواهر ما زاد أضعافاً مضاعفة عما بذلوه له، وهذا مثال لقوله: من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

في شهر شعبان يا عباد الله: دخل الفرنجة الصليبيون بيت المقدس، في شعبان أربع مائة واثنين وثمانين، وعاثوا فيه فساداً، وقتلوا أكثر من تسعين ألفاً من المسلمين، وقيل: لم يبق بها بكر مما فعلوه من الإجرام بأهلها، كم بقي في احتلالهم؟ تسعين عاماً، في أربعة شعبان خمسمائة واثنين وسبعين للهجرة كانت أول جمعة في بيت المقدس بعد الاحتلال الصليبي، وطرد صلاح الدين والمسلمون الصليبيين منها شر طرده.

اللهم إنا نسألك أن تطرد هؤلاء الغزاة عن الشام طرداً شديداً، وأخذاً أليماً يا رب العالمين، اللهم حرره للمسلمين، اللهم فرج عن إخواننا، اللهم إنا نسألك في ساعتنا هذه الفرج لإخواننا يا رب العالمين، عجل فرجهم، وأنزل النصر عليهم، واجمع على الحق كلمتهم، اللهم أنزل عليهم صبراً، وثبت أقدامهم، أطعم جانعهم، واكس عاريهم، وداو جريحهم وأبرئ مريضهم، وارحم ميتهم، اللهم احمل حافيتهم، اللهم إنا نسألك في ساعتنا هذه الرحمة لا كاشف لها إلا أنت، لا كاشف للضر والبلوى إلا أنت، نسألك الرحمة لإخواننا، اللهم عليكم بهؤلاء المجرمين، اللهم إنهم قد اجتمعوا على حرب إخواننا، اللهم إنهم قد غزوا بلاد الشام فامكر بهم، اللهم أخرجهم منها أدلة صاغرين، واجعلهم وأموالهم غنيمة للمسلمين، عجل الفرج وعجل النصر، أنزل النصر يا رب العالمين، أنت نعم المولى ونعم النصير، آمنا في الأوطان والدور، وأصلح الأئمة وولاة الأمور، واغفر لنا يا عزيز يا غفور، اللهم اجمع على الحق كلمتنا، وأصلح ذات بيننا، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، اللهم اقض ديوننا، واستر عيوبنا، وأصلح نياتنا، واهد ذرياتنا، ووسع لنا في أرزاقنا، ووسع لنا في دورنا، واجعل ما آتيتنا عوناً على طاعتك، ارزقنا الأمن والإيمان لنا ولسائر المسلمين في الأرض يا رب العالمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

الجسد نعمة يجب العناية بها

الحمد لله الذي جعل لنا السمع والأبصار والأفئدة، وأنعم علينا بنعمة الأجساد التي هي نعمة من نعم الله تعالى، وقد قال نبينا -صلى الله عليه وسلم-: "وإن لجسدك عليك حقاً"، لذلك كان ينبغي صيانة الجسد ورعايته، وتقويته وإعداده لطاعة الله -عز وجل-.

ولما كانت الحياة الدنيا دار اللأواء والنصب والتعب، وكان الإنسان تعرض له الأعراض ومنها هذه الأمراض؛ كان علاجها من حق الجسد.

العلاج نفقاته مرهقة.. فمن للمحتاجين؟

وقد شرع الله لنا أنواع العلاجات، وقد صار العلاج اليوم من الأمور المكلفة الباهظة الثمن، التي تؤخذ فيها الأموال الطائلة، وكثير من الناس لا يقوون على العلاج، فلو رأيت هذا المسكين ساعة حملت امرأته، والمفترض فيه الفرح، إذا بالغم يعكّر على فرحه، إذ كيف سيدفع فاتورة الولادة، ولو كانت تتطلب عملية قيصرية فماذا سيكون الحال؟

وإذا كان الطفل خديجاً يحتاج إلى حاضنة صناعية فالويل ثم الويل من تلك الفاتورة.

وقل مثل ذلك عن الذين يصابون بأمراض الفشل الكلوي وغيره من الأمراض التي تستلزم نفقات باهظة في العلاج، لذلك كان ينبغي على أغنياء المسلمين المساهمة في إقامة أنواع الدور الصحية العلاجية لمثل هذه الأمراض التي تتطلب نفقات كثيرة، فتقام من صدقات المسلمين، أما الزكاة فإنها تُدفع للإنسان إذا صار عليه دين من العلاج؛ لأنه يكون غارماً إذا كان لا يستطيع أن يوفي بنفقات هذا العلاج.

والمساهمة ولا شك في هذه الأمور التي تعالج الأجساد، أو تخفف عن الإنسان المعاناة ليقوم بطاعة الله " اشف عبدك ينكأ لك عدواً، أو يمشي لك إلى صلاة " لا شك من أبواب الطاعات.

الرياضة في الإسلام

ولما كان العلاج بالوقاية أمراً مهماً كان من حق الجسد أن يُعتنى به في أمور متعددة من الغذاء والرياضية والحمية ونحو ذلك.

والرياضة في الإسلام من الأمور المباحة التي فيها القيام بشأن هذا الجسد من جهة حقه "إن لجسدك عليك حقاً"، ومن جهة الأخذ بأسباب القوة، ومحبة الله تعالى لصاحب ذلك كما قال -عليه الصلاة والسلام-: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" فإذا صلحت نية من راض نفسه بهذه الرياضة، وجسده ليصلحه، واحتسب في ذلك الأجر؛ فإنه يناله ما دام قد تعاطى سبباً مباحاً يحقق مصلحة شرعية.

ومجيء السنة بالحث على أنواع الرياضة والمسابقة فيها مما يدل على ذلك، وحث الصحابة على الرماية والسباحة وركوب الخيل والعدو من ذلك أيضاً، وكان عمر يغطس مع ابن عباس -رضي الله عنهما- ويقول: "تعال أباقيك أينما أطول نفساً" (أي تحت الماء).

الرياضة والصحة

وهذه الرياضة مما يحمي من أمراض القلب، وارتفاع ضغط الدم والسكر، ويعين على خفض أمور من الرواسب الضارة والدهون والفضلات، وكما ذكر

ابن القيم -رحمه الله- في فوائد الرياضة أنها تعود البدن الخفة والنشاط، وتجعله قابلاً للغذاء، وتصلب المفاصل - أي تجعل المفاصل صلبة قوية- وتقوي الأوتار والعضلات والرباطات.

وقال -رحمه الله-: "كل عضو له رياضة خاصة يقوى بها، وأما ركوب الخيل، والصراع (أي المصارعة مثل الذي كانت عليه العرب في هذا)، والمسابقة على الأقدام؛ فرياضة للبدن كله، وهذه قالعة للأمراض مزمنة، والتخلي عنها وعدمها من أسباب الخمول والكسل، ويزيد القلق والتوتر والأرق، ويؤدي إلى أنواع من هشاشة العظام، وتيبس المفاصل، والآلام المزمنة، ويجعل الجسم في حال ارتخاء وضعف، وتتعرثر أعمال للأعضاء ووظائف إذا لم تكن هنالك حركة، وفي الحركة بركة".

وقد صار من أمراض عصور الترف المتأخرة مرض السكري، وتصلب الشرايين ونحو ذلك.

رياضة العصر وهوسها

ولا شك أن الرياضة هي حركة لبدن الرياضي، وهذه الحركة والقوة هي سبب الفائدة، وليس التسمر في المشاهدة، والإغراق في التعصب وما يسمى بالتشجيع؛ من الرياضة في شيء.

ولا شك أننا نعيش في هذه الأيام هوساً عالمياً يتمثل فيما يحصل من التأهب في هذه المقالات الورقية، والكتّاب والمعلقين، والمقاهي والفنادق، والشاشات المتطورة، وتقنية ثلاثية الأبعاد، وكثير من الخلق على أحر من الجمر، وازدياد في مبيعات المطبوعات المخصصة بهذا، واستكتابات وتعبيرات، وعناوين برّاقة، وألفاظ خلابة، وتشويق ودفع، وحشد وتحميس، واستعمال الألفاظ من جنس النصر، والفوز، والفلاح التي لو رأيتها في الكتاب والسنة لعلمت ما هو النصر الحقيقي، والفوز الحقيقي، والفلاح الحقيقي قال تعالى: (فَمَنْ رُخِّجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) [آل عمران:185]

فالجنة ونيلها هو الفوز العظيم، ونصر الله -عز وجل- هو النعمة الكبيرة، إذ ينصر الله عباده من أهل الإيمان في الدنيا والآخرة (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) [غافر:51]، وطاقة التشجيع يجب أن تنصرف إلى الحث على الفضائل، والتمسك بها، ورفع الإيمان واللاحق

بركاب أهله، فينبغي أن يكون التشجيع للكبار والصغار على التمسك بالدين.

عباد الله: وتحتاج الحمى الآن الشبكات والقنوات والمجالس، ولا شك أن هذا مما يريب، وليست القضية بريئة إطلاقاً، وقد قال الله - سبحانه وتعالى -:
(وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)
[الأنعام:32]

وعندما يرى الإنسان ما يوجد في المنتديات وغرف الحوار وغير ذلك من مجامع الناس حتى تأثرت الاختبارات والامتحانات الدراسية بجدول المباريات، وأنواع الدوام والأشغال، بل إن بعض الأطباء قد يعتذرون عن المناوبات في المستشفيات لأجل المتابعات الرياضية ناهيك عن هو دونهم من الطلاب والموظفين.

وانتقال الهوس إلى النساء -أيضاً- حتى أضحي العامل والبطال، والمتقشف والعامي، والطالب والأستاذ كلهم في هذا الهم سواء، هذا يطالب بتصرف حيال الاختبارات، وإذا يرهن داره وسيارته لتوفير تذكرة سفر لحضور تلك المباريات، بل تجارة الأصباغ والأدهنة على السيارات والوجوه، وإعداد الرسائل

والمنتديات لحال فوز وخسارة ونحو ذلك لا شك أن هذه الحمى ليست حمى بريئة.

فالمسلم يتحمس -ولا شك- لأمر كثيرة من الطاعة والدين، والمباح له حجم معين في حياة المؤمن، فهو ينال منه ما يعينه على الطاعة، وكان الهدف من الترويح في الإسلام هو الإعانة على الطاعة، وإجمام النفس حتى لا تمل من الطاعة.

أما أن يكون الترويح في حد ذاته هو التعب والنصب وخسارة المال والأعصاب وضرر العين وما يعتري النفس من أنواع الشد والجذب.. فأى عاقل هذا الذي سيضيع ما فيه مصلحة دنياه من اختبار ونحوه من أجل هذه الجلدة المنفوخة؟!

الرياضة لا تكون بارتكاب المحظورات وترك الواجبات

عباد الله: إن الدين قد حث على رعاية الجسد في تلك الحركة لا في ذلك التسمر، وارتفاع الضغط، وثوران الأعصاب، وأن يصبح للناس عقيدة ودين، وربما يغار بعضهم من أجلها ما لا يغار مثله على دينه، ولا تسل عن صلبان

ترفع - لأنها أصلاً في أعلام وشعارات-، ولا عما ينفق من المليارات الطائلة، وصفقات القمار، وتعويدات وشعارات تُباع بالأموال، والتشفير يغضب، وثن بطاقة الاشتراك في هذه القنوات المخصصة لأجل ذلك بالملايين المملينة، والإنسان مسؤول عما سينفق، ومن العجب السؤال عن حكم فك التشفير من أجل مثل هذا!

هذه الأموال سيُسأل العباد عنها من أين اكتسبوها، وفيَم أنفقوها، وإنفاق المال لبناء الأجساد، وصيانتها من الرياضة، والعلاج؛ أمر محمود حسن، لكن عندما تنفق ثلاثة مليارات لحقوق نقل، وستمائة مليون من الدولارات من شركات الإعلان والرعايات في خزينة الفيفا، ونحو ذلك مما سيكون فيه دفع وخسارة على قوم ليصبّ في جيوب آخرين.

والعجب من بعض الأمم التي يزعمون فيها التقدم أن خمسة وعشرين بالمائة من أبنائهم سيتغيّبون عن العمل، وطلب الإجازات الخاصة لمثل هذا، والناس في أزمة مالية.

اضرب برجلك كي تحوز قبولاً *** هذا زمان الرجل لا زمن النُّهى
هذا زمان الرجل لا زمن الحجا *** ذبلت زهور ذوي العقول ذبولاً
أنفق حياتك في الملاعب حاضناً *** كرة تكون إلى مُنالك سبيلاً

ودع العلوم لمن أراد خصاصة *** وأحبّ فقراً أو أساغ خمولا
فلأنت من قوم تسوّد فيهم *** اللاعبون رياضة والضاربون طبولا
والراقصات الكاشفات بطونها *** والصادحون العازفون طويلا
وبنو التفكير والتعلم ضيّع *** ذاقوا المرارة بكرة وأصيلا
كسدت بضاعتهم وجف رواؤها *** لم تشف من ظمأ العطاش غليلا
حتى غدا جني القرائح سلعة *** لم تجد في ساح الفخار فتिला
يا صاح قد دال الزمان فداست *** الأقدام أفهاماً لنا وعقولا
وتكون في هذا الزمان جليلا *** فاضرب برجلك كي تكون جليلا

الرياضة والإعلام الفاسد

ودخلت تجارة البغاء على الخط، وعصابات الرقيق الذي يسمى بالرقيق
الأبيض يزحفون نحو الجنوب في تلك القارة السوداء، ولا شك أنه عمل كبير،
وموسم للمومسات، والأمراض من بعد ذلك.

كانت بيوت سليمة من تلك الأطباق التي تنقل ما تنقل؛ فإذا بالضغوط
على الأبوين أحدهما أو كلاهما من أجل إدخال ما ترى به هذه المناسبات
بالساعات الطويلة، والاحتشاء الدماغى، والتأزم النفسى، وتداول الكلام في

المجامع، وحصول مشاجرات ومضاربات، وبذاءات وطلاقات، كل ذلك حاصل ووارد، كراهية وبغضاء، وعداوة وشحناء، وأيضاً صد عن ذكر الله وعن الصلاة.

يقوم ولو في نصف الليل لأجل مناسبة كهذه، ولو كان عنده اختبار وامتحان لأجل ذلك، فأيهما أهم؟ وعلى أيهما تعول المنفعة والفائدة يا عاقل: في هذا أو في هذا؟! لماذا الجنون؟ ولماذا كل هذا الحماس والركض؟ وإذا كانت القضية أيضاً فيها شعارات وطقوس دينية حتى رَسَمَ الصبيان الصغار الصلبان عند إحراز الأهداف! وهكذا يقتبسون ويلتقطون من الشاشات بعد إحراز الأهداف وغيرها، بل وتأتي الكاميرات على العواري العاريات في تلك الساحات والمدرجات، ولم تسلم الرياضة التي لا يمكن أن تكون بريئة أبداً من السحر والتنجيم، والكهان والدجالين والمشعوذين وهكذا.

دخل العالم في ثقافة من التغيير، ولو كانت رياضة مباحة بريئة، وحركة جسد مهم للجسد؛ لقلنا بأن هذا هو العقل، لو كانت فرجة مباحة يسيرة على قوم ليس لديهم منكر يحضرهم فيتابعهم لقلنا: لا حرج، ولكن -يا عبد الله- لو تجردت عن الهوى، ونظرت النظرة الفاحصة؛ لعلمت بأن هذه القضية

بهذا الطرح ليست بريئة، وأن إدخال العالم في هذا الموضوع بهذه الأسلوب ليس بريئاً.

أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟

عباد الله: (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ) [محمد:36]، وقال ربنا - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) [الحديد:20]

أيهما فيه الفائدة: مشاهدة ومتابعة الرياضة، أم لحاق صلاة الجماعة في المسجد -وبالمناسبة سيكون افتتاح كأس العالم في وقت صلاة الجمعة-؟
وأيهما الذي فيه الفائدة الحقيقية: أن يستيقظ المرء لقيام الليل، أم لمشاهدة هذه المناسبة التي لو حصلت وجاء وقتها في ليل لكان حريصاً للغاية على الاستيقاظ كما حصل في موندiales سابقة؟!

يحرص على الاستيقاظ ليلاً ولو في الساعة الثانية لا لقيام الليل، ولا لمناجاة الرب، ولا لأن الله ينزل إلى السماء الدنيا، ويقول: هل من سائل؟ هل من تائب؟ هل من مستغفر؟ ولكن لأجل هذه المنفوخة بين الأقدام.

كل عاقل يعلم أن كل هذا لا يمكن أن يكون شيئاً بريئاً، وبعض العقلاء يقولون: احترنا، ولا نكاد نستطيع أن نفعل شيئاً؛ لأن كل الجو هكذا، ولكن سدّدوا وقاربوا، وبشروا بالخير والأجر وشجعوا عليه.

لا بد أن يكون عند المسلم عقل يحرص به على ما ينفعه في الدنيا والآخرة قال تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ هَذَا فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) [القصص: 77]، من رياضة جسد، ومحافظة عليه، وترويح مباح، وتفريح وإدخال سرور على الأهل، والمسلمين، ومداعبة مباحة ليس فيها كذب، ولا سخرية، ولا محذور، ومزاح مباح يؤجر به الإنسان إذا قصد إدخال السرور على إخوانه المسلمين.

اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الإخلاص في الغضب والرضا، ونسألك نعيماً لا ينفذ، وقرة عين لا تنقطع، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة.

اللهم زيننا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا الله، وسبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله،
سبحان الله بكرة وأصيلاً، والحمد لله حمداً كثيراً، وأصلي وأسلم على محمد
بن عبد الله، أشهد أنه رسول الله حقاً، اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك
ونبيك محمد وعلى آله الطيبين، وذريته وأزواجه، وخلفائه والتابعين، والتابعين
لهم بإحسان إلى يوم الدين.

تخدير الشعوب من عمل يهود

عباد الله: لقد جاءت بروتوكولات يهود بأنهم وراء هذا الإشغال، والتخدير،
والغشيان الذي يُعشي عقول أناس وأعينهم، قالوا بأنهم سيلهون الأميين حتى
لا يعودوا يعرفون ماذا يُراد بهم، وقد ذكر علماءنا -رحمهم الله- أن اليهود هم
أخبث الأمم طوية، وأرداهم سجية، وأبعدهم عن الرحمة، وأقربهم إلى النقمة،
امتلأت قلوبهم بالحسد لأهل الإيمان والحق عليهم حتى قال الله تعالى:
(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) [المائدة: 82]،
وعندما كثرت جرائمهم في البر حتى ضاق بها البر؛ رحّلوا الجرائم إلى البحر
حتى يكون له نصيب من جرائمهم.

اعتراض سفينة الحرية ليست الجريمة الأولى ولا الأخيرة

وهذه الجريمة التي فعلوها من قتل المسلمين الذين جاؤوا لإسعاف إخوانهم في عرض البحر ليست بأول جرائمهم، ومن الخطأ أن تُعزل هذه الجريمة عن مسلسل الجرائم السابقة للأمة الغضبية عبر التاريخ، وعلمنا أن نتذكر جيداً أن ربنا حشر عدداً من جرائمهم في سورة النساء في تسع آيات متوالية قال تعالى: (فَبِمَا نَقُضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ) [النساء:155]، وهذا قالوه لبنينا -عليه الصلاة والسلام- حتى يُيَسَّسوه.

(وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً) [النساء:156] حين رموها بالزنا في الحيض، وهذه دناسة ونجاسة عقول ونفوس اليهود، إذ رموا مريم أعبد أهل زمانها بالزنا في الحيض مع رجل هو من أولياء الله الصالحين!! (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ) [النساء:157]، يتفاخرون بذلك، ويعتبرونه إنجازاً، وما قتلوه وما صلبوه وإنما ألقى الله شبهه على آخر، ورفع عيسى إلى السماء، وسينزل آخر الزمان ليقتل قائد اليهود الأكبر الدجال. وقال سبحانه: (وَبَصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً) [النساء:160]، وهذا الإلهاء والإشغال والتخدير هو من صدهم عن سبيل الله.

قال تعالى: (وَبَصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا* وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَهْوَ عَنْهُمْ وَأَكْلِهِمْ
أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) [النساء: 160-161]، وهكذا هي الجرائم الكثيرة
التي قصَّها الله علينا.

إذاً: فهذه حلقة ضمن سلسلة لهذه الأمة الملعونة يرتكبوها عبر التاريخ، فهم
لا يرقبون في أحد إلا ولا ذمة، ولا عهداً ولا ميثاقاً، ووحشيتهم ظاهرة، وهم
جنباء؛ لأن بطشهم على العزل كما رأى العالم، واليهود قوم بهت، فالكذب
عندهم من أسهل الأمور، فقد زعموا كذباً وجود سلاح لدى هؤلاء الذين
جاءوا للنصرة والإغاثة، وتحججوا وزوَّروا أفلاماً، وحاولوا أن يظهروا بمظهر
المدافع عن نفسه، وكانت رسالتهم إلى المسلمين وإلى العالم هي: "هكذا
نفعل، فمن يتجرأ سينال المصير".

بين حصار الشعب وحصار غزة تشابه ولعل الفرج قريب

وقد حصل -والله الحمد- في هذه الحادثة من أنواع المكاسب للمسلمين
الشيء الكثير، وكانت فضيحة لأولئك اليهود، وكان رباطاً بين المسلمين،
فعندما يأتي هؤلاء النفر في السفن من بلاد إسلامية متنوعة، ويتضامن معهم
بعض غير المسلمين من عقلاء العالم الذين لم يرضوا بالظلم الذي هو مكروه
لدى النفوس عموماً في العالم، وكان واضحاً من هذه الهبة العالمية ما أخفق

به اليهود من الترويج لأنفسهم كما حصل في المدة السابقة، فقد بدأت العورات تتكشف، والأقنعة تتساقط أمام الكفار الآخرين.

وصحيح أن الغضب والشجب والتنديد لا يفيد كثيراً، لكنه بداية لإزاحة الغطاء عن هؤلاء السفهاء، (لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) [النور: 11]

وقد مضى من الشهداء من المسلمين إلى الله من مضى برصاص هؤلاء اليهود، وكان هذا الانكشاف للعالم أمراً مهماً، وكان هذا الترابط بين المسلمين أمراً أهم، وإظهار التعاطف من المسلمين لإخوانهم كذلك، ولم تقتصر القضية الآن على عرب يعيشون عرباً؛ بل دخل من المسلمين من غير العرب من دخل على الخط في هذه المرة فسالت دماؤهم، وسبق إلى الأذهان تلك العثمانيات التي مضت وأيقظت في عقول المسلمين إيقاظات مهمة تذكرهم بحماية الخلافة للمسلمين في العالم.

ومن المهم جداً في بلد قامت فيه العلمانية بسوقها أن يحدث مثل هذا الحدث الذي يستعيد به كثير من الشعب المسلم هناك شخصيته الإسلامية، وتاريخه وامتداداته مع السنين.

لا يأس مع الدعاء فهو سلاح المؤمن، والحصار في شعب أبي طالب وصل فيه الأمر إلى أن بعض الكفار قام يريد أن ينقض الصحيفة التي كُتب عليها ذلك الحصار الظالم، فرأوا الأرضة قد أكلتها، فخرق الحصار قام به بعض الكفار في العهد النبوي.

وقد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت، فقد رأينا أموراً مما تسر الخاطر، فهذه سفينة وقف شريت بأموال لتوقف لهذه الإسعافات والإغااثات، صورة من الوقف جديدة، وكذلك ذلك الرجل الذي بلغ الثالثة والستين من عمره يعلن إسلامه على ظهر سفينة مرمرة عندما تأثر بهذا الجو المحيط.

اليهود في حقيقتهم جناء

عباد الله: إن لله في خلقه شؤوناً، وحكماً ربانية، وقد ظهر جبن اليهود عندما استطاع هؤلاء المسلمون العزل أن يمسكوا بثلاثة منهم بال أحدهم على نفسه؛ فكان في ذلك فضيحة لهذه الشجاعات الكومندوزية المزعومة، وهؤلاء كما قال الله: (لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) [الحشر: 14]

رحيل العلماء مصيبة عظيمة على الأمة

عباد الله: في زمن الانحرافات المنهجية، يرحل عالم من أهل التأصيل وهو الشيخ عبد الله بن غديان -رحمه الله-، وفي زمن فوضى الفتوى، يرحل رجل من أهل الانضباط الفقهي، وفي عالم الطيش والعجلة، يرحل رجل من أهل التروي والتأمل والأناة، وفي عالم الماديات يرحل رجل من أهل الزهد، وفي عالم الروييضات يرحل رجل عظيم، وقامة علمية كبيرة، وفي عالم التخلي عن الواجبات، يرحل هذا القدوة والمعلم، فما أعظم المصيبة نسأل الله أن يأجرنا فيها، وأن يخلفنا فيها بخير.

لعمرك ما الزرية فقد مال *** ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر *** يموت بموته خلق كثير

نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يتغمد موتى المسلمين برحمته، وأن يدخلهم جناته، وأن يرفع درجاتهم، ويكفر عنهم سيئاتهم.
ونسأله - سبحانه وتعالى - أن يدخلنا الجنة مع الأبرار، وأن يعافينا ويعفو عنا، وأن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وأن يجعلنا في أوطاننا آمنين مطمئنين، ويرفع عنا الغلاء والوباء والبلاء ، وأن يختم لنا بخير، ويرزقنا الجنة ويباعد عنا عذاب النار، إنه سميع الدعاء.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.



عنوان الخطبة	ولا يخله
عناصر الخطبة	1/ الشريعة تحت على مراعاة مشاعر الناس 2/ مراعاة يوسف عليه السلام لمشاعر إخوته 3/ نصوص من الشريعة تحت على هذه الخصلة 4/ مراعاة المقامات والأحوال 5/ مراعاة مشاعر أصحاب العاهات 6 /مواقف تبين مراعاة النبي الكريم لمشاعر الناس 7/ مراعاة مشاعر المستخدمين
الشيخ	الشيخ/ محمد صالح المنجد
عدد الصفحات	13
رقم الخطبة في الموقع	2786

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا،
ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله
عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،
وكل ضلالة في النار.

عباد الله: لقد شرع الله لنا ديناً قيماً، قيماً في العقيدة؛ عقيدة التوحيد، وفي العبادة التي نعبد الله -تعالى- بها، وفي المعاملات والأخلاق التي يخالق بها بعضنا بعضاً.

وتجد نصوص القرآن والسنة متضافرة في الأمر بالتلطف للآخرين، وحسن المعاملة، ولين الجانب؛ يقول -سبحانه- آمراً عباده بانتقاء الألفاظ عند الكلام مع الناس: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) [البقرة: 83]، وفي موضع آخر يحثهم -سبحانه- على اختيار الأحسن من الكلام فيقول: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [الإسراء: 53]، فلم يأمر بالحسن فقط، وإنما قال الأحسن، وهي مرتبة أسمى من الحسن، وهذا الأمر بالإحسان في المعاملة يشمل الأقوال والأفعال، ولا يختلف اثنان في أثر هذه المعاملة الحميدة على الآخرين، فهي تجمع القلوب على الإنسان، وتجذب إليه نفوس الناس.

ويوسف -عليه السلام- لما جاءه إخوته بعد أن ولاه الله -تعالى- الأمور، وصاروا في قبضته وبين يديه، وجلب أبويه إليه، قال: (أَخْرِجْنِي مِنَ السِّجْنِ) [يوسف: 100]، ولم يقل: من الحب؛ لئلا يخرج إخوته الذين ألقوه فيه، مع أن إلقاءه في الحب أخطر من وضعه في السجن؛ وذلك لأن الإلقاء في الحب تعريض للموت والهلاك.

وقال: (مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) [يوسف: 100]، ولم يقل: من بعد أن فعلوا بي كذا وكذا، فألقى الملامة على الشيطان ونسبها

إليه، ولم ينسبها لإخوته، وإن كانوا هم من باشر ذلك الأمر؛ كل ذلك مراعاة لهم.

وقال: (وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) [يوسف:100]، يعني: من البادية، ولم يقل: وجاء بكم من المجاعة والنصب ونحو ذلك؛ لئلا يظهر منته عليهم في وجوههم، وكل ذلك من أخلاق الأنبياء في انتقاء الكلام، فهي ثمرات وأطياب تنتقى. وكذلك فإن الشرع قد نھانا أن يتناجى اثنان دون الثالث، "إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث؛ من أجل أن ذلك يحزنه" متفق عليه؛ فقد يظن أنهما يتآمران عليه، أو يكون في هذا شيء من الاحتقار له كونه دون مستوى الكلام؛ ولذلك لم يشركانه فيه ونحو هذا.

وهذا الحكم يشمل خمسة دون السادس، وتسعة دون العاشر، بل كلما زاد عدد المنفردين بالكلام عن واحد في المجلس كان ذلك أشد في الحكم والإيذاء وبالتالي النهي، ويدخل في هذا أن يتكلم اثنان بلغة أجنبية لا يفهمها الثالث، وليس في المجلس أحد آخر، فهذا في حكم التناجى وهو من الشيطان (لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا) [المجادلة:10]، فمراعاة لشعور هذا الثالث لا يتناجى اثنان دونه.

وهكذا جاء النهي عن إقامة الرجل للرجل من مجلسه ثم يجلس فيه، كما جاء من حديث ابن عمر أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: "لا يُقيم الرجل الرجل الرجل من مجلسه، ثم يجلس فيه" متفق عليه؛ مراعاة لشعور من سبق إلى المكان، لكونه صاحب حق بسبقه، ولذلك فإن في إقامته إيذاء.

وهذا يشمل إن قام من مكانه لحاجة يسيرة كما إذا ترك مكانه مثلاً يوم الجمعة ليتوضأ أو ليقضي غرضاً يسيراً فإنه لا يجوز أخذ مكانه، فإن طال الغياب سقط الحق، والسابق بعد ذلك إلى المكان أحق به، والمشروع في مثل هذه الحالة التفاسح في المجلس أو المكان عملاً بقوله -صلى الله عليه وسلم- : "ولكن أفسحوا" رواه أحمد وقال الأرنبوط: إسناده حسن.

وأيضاً: فقد جاء النهي عن الدخول بين اثنين إلا بإذنهما، قال -صلى الله عليه وسلم-: "لا يحل للرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما" رواه الترمذي وصححه الألباني؛ مراعاة لمشاعرهما، فقد يكون بينهما من الخصوصية ما يؤذيهما إذا دخل أحد بينهما.

عباد الله: إن إكرام ذي الشبهة المسلم من الإسلام، وفي هذا مراعاة لمشاعر هذا المسن، وأن ضعفه مجبور من إخوانه بتوقيره واحترامه ممن هو دونه، قال -صلى الله عليه وسلم-: "ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا" رواه الترمذي وصححه الألباني؛ ومن مظاهر هذا التوقير ما ورد في السنة: "كَبِّرْ، كَبِّرْ" متفق عليه؛ ففي الكلام يقدم الكبير، وفي المناولة يقدم الكبير، وهكذا، ولذلك إذا استوت المزاي بين المتقدمين للإمامة، فإنهم في النهاية يلجؤون إلى فاصل السن: "فأكبرهم سناً" رواه الترمذي وصححه الألباني.

عباد الله: جاء رجل من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بصيد صاده له، والنبي -عليه الصلاة والسلام- محرم، فلم يأخذه منه ورده عليه، فوجد الرجل في نفسه، فقال -عليه الصلاة

والسلام:- "إننا لم نرده عليك، إلا أنا حُرْمٌ متفق عليه؛ فالحرم لا يجوز له أن يصيد، ولا يجوز له أن يأكل ما صيد لأجله. فالشاهد من القصة: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما رد الهدية، ولم يكن من عادته ردها، بين السبب؛ كل ذلك جبراً لنفسية الشخص، ومراعاة لشعوره.

مراعاة المقامات والأحوال من الدين، ومن هذا الباب: (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) [الأحزاب: 53]؛ حتى لا يؤذى أصحاب البيت بطول مكث الضيوف عندهم، وهذا الآية نزلت في بناء النبي -صلى الله عليه وسلم- بزینب، وذلك أنه لما أطعمهم جلس بعض القوم بعد العشاء، فتهياً النبي -صلى الله عليه وسلم- للقيام؛ ليشعرهم بإرادته مغادرتهم، فلم يفتنوا ولم يقوموا، فتهياً للقيام مرة أخرى فلم يفتنوا ولم يقوموا، فنزل قول الله -عز وجل-: (إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) [الأحزاب: 53].

ومن مراعاة حال صاحب المنزل ومقامه أن الإنسان لا يتصدر في مجلسه إلا بإذنه، ولا يتقدمه في الإمامة أيضاً إلا بإذنه، كما قال -عليه الصلاة والسلام-: "لا يقعد على تكمرته إلا بإذنه، ولا يؤم الرجل في سلطانه إلا بإذنه" رواه مسلم؛ فهو الذي يكون إماماً إذا كان أهلاً للإمامة، ولو كان بعض الزوار أفضل أو أحفظ، إلا إذا أذن لهم.

وكذلك فقد جاء في حق الضيافة أنها ثلاثة أيام، فما كان بعد ذلك فهو صدقة، قال في الحديث: "ولا يحل له أن يتوي عنده حتى يخرجه" رواه البخاري؛ فلا يجوز أن يبقى بعد الثلاثة ويضيّق على أخيه.

ونجد أن هذه المراعاة للنفوس حتى في حال إنكار المنكر، كما إذا كان الرجل من أهل الجفاء والجهل فإنه يراعى في حال نصحه جهله، ولكن لا يترك تعليمه، فلما جاء ذلك الأعرابي فبال في طرف المسجد، فقام الصحابة يوبخونه، أمرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بتركه.

فماذا قال له بعد ذلك؟: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، وإنما هي لذكر الله -عز وجل-، والصلاة، وقراءة القرآن" رواه مسلم؛ ولما فقه الأعرابي بعد ذلك وتعلم، وجلس بين الصحابة وروى القصة قال في القصة: "فلم يؤنب ولم يسب" رواه ابن ماجه وقال الألباني: حسن صحيح.

الأمر في الظاهر منكر عظيم، لكنه -عليه الصلاة والسلام- لم يترك المنكر، بل تعامل معه بالحكمة فوعظ الرجل وعلمه ونبهه بالأسلوب المناسب له، ولك أن تتصور لو هاجم الصحابة هذا الأعرابي حال بوله، لأدى ذلك إلى منكر أكبر، بانتشار البول في مكان أوسع إذا هرب وترك مكانه، فالمقصود أن المنكر لا يترك، ولكن يعالج بالأسلوب الأمثل الذي لا يؤدي إلى إحداث منكر أكبر منه.

ومن اللطائف التي كانت لسلفنا في مراعاة الناس عندما يتركون أمراً واجباً أو مستحباً أن رجلاً عطس في مجلس ابن المبارك -رحمه الله-، وابن المبارك من أئمة العلم والزهد والفقه والجهاد والصدقات والفقه، فلم يحمد الله، فقال له

عبد الله بن المبارك: ماذا يقول الرجل إذا عطس؟ فقال: الحمد لله. قال: يرحمك الله " حلية الأولياء 170/8.

وقد جاء في الحديث: "لا تحذوا النظر إلى المجذومين" رواه ابن ماجه وصححه الألباني؛ مراعاة لحاله ونفسيته، فقد يتأذى من إحداد النظر إليه، فينبغي صرف النظر وعدم تكراره؛ وعندما شرح العلماء الذكر الذي يقال في رؤية المبتلى: "الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً" رواه الترمذي وصححه الألباني، قالوا: إنه لا يجهر به، ويخفيه عن المبتلى؛ لئلا يتأذى من ذلك. وذكروا حالة يجهر فيها وهي: إذا مر بمبتلى في الدين - مجاهر بالمعصية -، فإنه يجهر به أمامه؛ زجراً له وردعاً وتأثيراً.

وقد نهانا النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الضحك مما يخرج من الإنسان، يعني: من هذه الريح، وأرشد من حدث له في صلاته شيء أن يأخذ بأنفه ثم لينصرف، جاء في الحديث: "إذا أحدث أحدكم في صلاته فليأخذ بأنفه، ثم لينصرف" رواه أبو داود وصححه الألباني؛ كل ذلك مراعاة للنفوس.

ومن عجائب المراعاة للأطفال ونفسياتهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سجد مرة في الصلاة سجدة أطال فيها، فقلق بعض الصحابة فرفع رأسه فإذا النبي - صلى الله عليه وسلم - ساجد وفوقه حفيده، فلما انصرفوا من الصلاة قال بعض الصحابة للنبي - صلى الله عليه وسلم -: حدث شيء، أوحى إليك؟ قال: "كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله؛ حتى يقضي حاجته" رواه النسائي وصححه الألباني.

وتتعدى مراعاته لمشاعر الطفل إلى أمه أيضاً، وذلك قوله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه: "إني لأدخل في الصلاة وأريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجاوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه عليه" متفق عليه؛ فهو يريد أن يطيل الصلاة، فيسمع صراخ طفل باكياً، فيقصّر النبي -صلى الله عليه وسلم- من صلاته؛ مما يعلم من وجد أمه عليه، وعاطفتها، ورحمتها له، وهذا من مراعاته -عليه الصلاة والسلام- للأم وطفلها.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا في شريعتك من المتفقيين، وبسنة نبيك من الآخذين، أحيينا عليها يا أرحم الراحمين، وأميتنا عليها يا رب العالمين.
أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظمته، وأشهد أن لا إله إلا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله، وذريته الطيبين، وخلفائه الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أشهد أنه رسول الله حقاً، والداعي إلى سبيله صدقاً، فصلوات الله عليه وسلامه التامين الأكملين.

أما بعد: إن من المراعاة المطلوبة مراعاة مشاعر أصحاب المهن النازلة، ومنهم المستخدمون، قال عليه الصلاة والسلام: "إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه، فليناول له لقمة أو لقمتين، فإنه ولي علاجه" رواه البخاري؛ يعني: علاج الطعام في الطبخ، وفي رواية: "فإنه ولي حره ودخانه" رواه البخاري؛ فهذا الطباخ وهذا الخادم الذي تولى صنع الطعام، وعالج إصلاحه، ربما تحفو نفسه إلى الأكل منه، وتتوق إلى ذلك، فإن أمكن أن يجلسه معه على مائدة واحدة فذاك، وإلا فيقدم له منه مراعاة لحاله.

وحتى الذي يقام عليه الحد يراعى حاله، فقد جيء للنبي -صلى الله عليه وسلم- برجل سكر فأمر بجلده، -وهذا حد الله لا بد منه، ومعلوم ما في إقامة حدود الله من بركة عظيمة، ومجلبة للخير، وإن رغم أنف الحاقدين من الغربيين والشرقيين- قال -صلى الله عليه وسلم-: "حد يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمحطوا أربعين صباحاً" رواه ابن ماجه وقال الألباني: حسن غيره.

لكن هذا الرجل الذي جيء به لما قام بعض الصحابة لجلده قال: "أخزاه الله" رواه البخاري، وفي حديث آخر: "لعنه الله، ما أكثر ما يؤتى به" رواه البخاري؛ فنهاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك، وأخبر أن الحدود كفارة لأهلها، فإذا كان الحد تطهيراً، فلماذا يسب الحدود ويشتم؟ وحتى في حديث جلد الأمة الزانية، أمر بجلدها يعني: سيدها يجلدها، ولكن قال: "ولا يثرب" متفق عليه، يعني: لا يقرع ويوبخ.

ومن اللطائف التي ذكرها أهل العلم في قضية تعليل النهي في حديث: "لا تسبوا الأموات"، ما أورده في علة النهي من تكملة الرواية التي جاءت: "فتؤذوا الأحياء" رواه الترمذي وصححه الألباني؛ فرمما يكون الميت يستحق السب، لما فيه من البلايا والطامات، لكن ينبغي السكوت عن ذكر مساوئه والنيل منه، وذلك لأنه قد أفضى إلى ربه، والله حسيبه ويتولاه هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ لأجل قربه الحي: "لا تسبوا الأموات، فتؤذوا الأحياء".

وانظر إلى مراعاة الشرع لمشاعر البنت أو المرأة عند الزواج، قال: "لا تُنكح الأيم حتى تُستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن". قالوا: يا رسول الله، كيف إذنها؟ متفق عليه. كانت البكر لها خدر في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- وحتى في زمن العرب، وهذا الخدر داخل الغرفة، داخل البيت، فهي لا تخرج أصلاً، أو يقل خروجها، فلما قال لهم: "لا تنكح البكر حتى تستأذن". قالوا: يا رسول الله كيف أذنها؟ هي غير متعودة على الكلام أبداً أمام الأجانب،

قال: "أن تسكت"، فراعى حيائها، واكتفى بالسكوت في الموافقة، ولو أرادت الاعتراض لتكلمت، هذا من تربيتهم للبكر في ذلك الوقت.

وقد يتألم المسلم وهو يرى ما يحدث اليوم في مدارس البنات وفي الكليات من الجراءة على الله، وقلة الحياء! وهذا بسبب الانفتاح الذي أضر بالدين والخلق، وأتى على الحشمة والعفاف فجرّد بعض بناتنا منه، ولذلك لا بد من العودة بتربية البنات إلى نهج السلف الأول، وأن تكون هنالك صيانة بالغة للحياء، ومحافظه على عفاف بنات المسلمين، قبل أن ينفرط العقد، ويصعب الردم، ويتسع الخرق على الرافق.

وأيضاً فإن من المراعاة للمشاعر ما يكون من مراعاة المأمومين لحال إمامهم في عدم الاعتراض عليه إذا طبق بهم السنة، وقد لا يكون عند بعضهم علم بها، وهو عليه أن يراعي أحوالهم عند قيامه بأعمال الصلاة، وأحياناً تكون الموازنة فيها صعوبة، فمثلاً: يراعي حال الداخل وقت ركوعه فهو يطيل شيئاً ما ليدرك الداخل الركعة؛ مراعاة له، ولا يزيد في الإطالة؛ مراعاة لحال المأمومين.

وينبغي للإمام أيضاً أن يراعي في تطبيقه للسنة المأمومين؛ والبعض قد يطيل في موضع ليس من السنة الإطالة فيه أصلاً، مثل أن يستمر في دعاء التراويح أكثر من أربعين دقيقة، ومعلوم أن هذا ليس من السنة في شيء، فلم يرد في السنة دعاء التراويح بهذا الطول، بل إن بعض أهل العلم لا يرى أصلاً الدعاء

في كل ركعة وتر، وربما أرشد بعض أهل العلم إلى تركه أحياناً؛ قالوا: ليعلم الناس أن الدعاء في ركعة الوتر ليس واجباً.

قالت عجوز: صليت وراء إمام أطل في الدعاء جداً، فصار يدعو، وأنا أدعو أن يفرغ، بسبب المشقة الحاصلة. فالمهم والخلاصة أن هذا الباب -وهو مراعاة أحوال الناس بعضهم لبعض- من الدين، ومن الخلق العظيم، فينبغي المحافظة على ذلك، وهو من كمال شريعتنا.

نسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا أجمعين من المغفور لهم، اللهم لا تفرق جمعنا هذا إلا بذنب مغفور، وعمل مبرور، وسعي مشكور، وتجارة لا تبور؛ اللهم آمنا في الأوطان والدور، وأصلح الأئمة وولاة الأمور، واغفر لنا يا عزيز يا غفور.

اللهم إنا نسألك رحمة تلم بها شعثننا، وتجمع بها على الحق كلمتنا، وتقضي بها ديوننا، وترحم بها موتانا، وتبرئ بها مرضانا، وتهدي بها ضالنا، وترد بها غائبنا؛ اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، ونسألك القصد في الغنى والفقر، ونسألك نعيماً لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة.

اللهم زَيْنًا بزينَةِ الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، اغفر لنا ولوالدينا ولإخواننا
وأخواتنا من المسلمين والمسلمات يا أرحم الراحمين.
سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب
العالمين.



عنوان الخطبة	ولتستبين سبيل المجرمين
عناصر الخطبة	1/ ابتلاء الله لعباده دروس وعبر 2/ التاريخ لا يعيد نفسه 3/ ضرورة الاتعاظ والاعتبار بالمثلثات التي خلت 4/ دور العبادة في الضراء في تربية النفس 5/ درجة من يموت بالصواريخ والقنابل 6/ البلاء واستخراج أدواء النفوس 7/ كيف ينظر المؤمنون إلى الابتلاء؟ 8/ فضل العبادة في زمن الفتن 9/ سنن الله سبحانه في إهلاك الظالمين والذهاب بالمجرمين 10/ ضرورة رفع مستوى الوعي عند الناس
الشيخ	محمد بن صالح المنجد
عدد الصفحات	12
رقم الخطبة في الموقع	4224

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

الحمد لله الذي خلق كل شيء وقدره تقديرًا فأحسن تقديره سبحانه وتعالى، وكلفنا بالإيمان بقضائه وقدره، خلق السرور والأفراح والمصائب والآلام، وقد شاء الله عز وجل أن يوقظ عباده من غفلاتهم بما يقدره عليهم، وشاء الله سبحانه وتعالى أن يتلي عباده بما شاء ابتلاءً هو من مصلحتهم؛ يزيد به في حسناتهم، ويرفع بسببه درجاتهم، ويكفر عنهم به خطيئتهم.

عباد الله: أمتنا أمة مرحومة جُعِلَتْ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا وَسَيَصِيبُ آخِرُهَا بَلَاءٌ وَفَتْنٌ، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الابتلاء لمصلحة هذه الأمة ولا شك.

والله عز وجل عليم ببواطن الأمور وهو خير سبحانه وتعالى، والناس خلقوا من عدم وكثيرًا ما يرون جانب الخير في قدر ظاهره شر عليهم، ولذلك قال الله: (لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) [النور: 11]، وقال الله: (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) [البقرة: 216].

والله تعالى يذكر عباده بحقيقة الدنيا؛ لأنهم يغفلون في غمرة ما يدخلون فيه من فتنها وشهواتها ويتلبسون به من مشغلاتها وما فيها (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ) يعني الزرع. [آل عمران: 14].

فقد يصيبهم سبحانه وتعالى في أمور، في أولادهم أو نسائهم أو زرعهم أو مواشيهم أو أموالهم من الذهب والفضة وغيرها؛ ليفيقوا من زهرة الدنيا وفتنتها ويعلم حقيقتها..

وكذلك فإنه عز وجل يتليهم بما يتليهم به؛ كي يعرفوا عدوهم الذي يسومهم سوء العذاب ويربط أهل العلم والإيمان بين الحادث الواقع وبين السنن الإلهية. والتاريخ يعيده الله عز وجل لا يعيد نفسه فهو مخلوق، وقد جعل الله في هذا التاريخ عبراً، ولما أخبر عن فرعون أنه كان يسوم المستضعفين عنده سوء العذاب يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم فإن ترى هذا مكرراً اليوم فيما يفعله المجرمون بالشام مثلاً فإنه يقتلون أبناءهم أبناء هؤلاء المستضعفين ويستحيون نساءهم..

وفي الآية الأخرى (يُذَبِّحُونَ) لم يقل: يذبحون وإنما يذبحون مبالغة في وصف ذلك لما يحصل من هؤلاء المجرمين من الإفراط في الذبح وكثرته وشناعته، ولذلك تسلط الباطنية على مسلمي الشام اليوم يذبحون أبناءهم بالسيوف والسكاكين، ويستحيون نساءهم ويسمونهم سوء العذاب..

وعندما يذكر ربنا نموذجاً من النماذج بلا اسم يرتبط به لكي يرى المسلمون هذا النموذج في الواقع إذا حصل فيعرفون ما المقصود بهذه الآية كقوله عز وجل: (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ) [البقرة: 205].

عباد الله: عندما يأتي الأمة مثل من المثالات التي خلت: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْزِئِينَ وَالضَّرَّاءُ

وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ [البقرة: 214].

ولله الحكمة البالغة (وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ) [محمد: 4] ولقضى عليهم بلمح البصر ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، والله جنود السماوات والأرض، ولكن يريد ربنا عز وجل أن يتعبد عباده إليه في الشدائد كما يتعبدونه في السراء.

وعبادة الضراء لها شأن عظيم من تربية النفس، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال في شأن المبتلى: "ما من شيء يصيب المؤمن حتى الشوكة تصيبه إلا كتب الله له بها حسنة أو حُطت عنه بها خطيئة" رواه مسلم، فما بالك بمن يصيبه قذيفة أو قنبلة أو صاروخ؟! فكيف سيكون الأجر إذا وتكفير السيئات؟

إذا كانت هذه هي الشوكة فما بالك بما هو أكبر من الشوكة مما يقع الآن من البلاء، والله يحب أن يسمع تضرع عباده ودعاءهم له وإقبالهم عليه وإلحاحهم (فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا) [الأنعام: 43] ومثل هذا التضرع لا يقع إلا في مثل هذا الحال من البلاء.

والله تعالى يمحّص العباد ليعلم أي يظهر علمه في الواقع، وإلا فهو يعلم من قبل سبحانه، ليعلم الذين ينصرونه ولينصرون الله من ينصره، فيكون لله أنصار عند لقاء الحق بالباطل وتسلط أهل الباطل فيجبن من يجبن ويتقدم من يتقدم، ييذل من ييذل ويتخاذل من يتخاذل..

والله عز وجل له سنن يأتي باليسر بعد العسر، فيجعل الله من بعد عسر يسراً، وهكذا يأتي العسر ويشتد الأمر ويعظم الخطب ليأتي بعده اليسر وينزل الفرج..

نفوس الناس فيها التواءات كثيرة وأخلاق رديئة، وكثير منها لا يقومها خطبة ولا موعظة ولا دعوة داعية، ولكن يقومها البلاء فيستخرج الله بالبلاء من النفوس أدوائها، وهكذا يذهب البخل وينزل الكرم والبذل، وهكذا يذهب الجبن، وتأتي الشجاعة والإقدام، وهكذا يذهب الافتتان بالدنيا ويحل محل ذلك العمل للآخرة فلم تعد الدنيا قائمة في ظل هذا البلاء..

فأي دنيا وقد مات من مات من الأهل، وأي دنيا وقد خرب ما خرب من البيت والمسكن، وأي دنيا ولا عمل ولا وظائف ولا رواتب..

ولذلك يرى الناس حقارتها حينئذ ويرون أنه لا يبقى إلا وجه الله (كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا فَإِنْ) [الرحمن: 26] فيرون الصورة المصغرة لذلك الفناء بهذا الابتلاء..

وعندما يتبخر الخوف ويقوم الإقدام في النفوس تتغير كثيراً ويحصل من البطولات ما يحصل، ويكون في هذا تربية من الله سبحانه وتعالى لعباده.

في حالات الرخاء يكون اللجوء إلى الله قليلاً، في حالات الرخاء يكون هنالك كثيراً من الارتخاء والتعب والكسل، وفي حالة المحنة يكون سوق النشاط والعمل، وكذلك يضاعف الناس جهودهم أضعافاً مضاعفة لرفع البلاء والخروج من المحنة وجهاد العدو.

عباد الله: عندما يبتلى المسلمون بأمرٍ لا يعينهم عليه فيه إلا الله، ومن قل من إخوانهم الصادقين، كيف يكون التوحيد حينئذ إنه يتجرد لله؛ لأنه ليس معهم حينئذ إلا الله، فيكون معنى قوله عليه الصلاة والسلام لأبي بكر "لا تحزن إن الله معنا" له طعم خاص.

ويكون معنى قوله تعالى حينئذ: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [آل عمران: 173] فعند ذلك تنطلق ألسن المؤمنين بعبارات التسليم (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [التوبة: 51].

ويقولون تحت التمديد والوعيد (لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ) [الشعراء: 50]، وينظرون إلى أبواب السماء ملتسمين قوله: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [الروم: 47].

وهكذا تتعلق القلوب بالله ويتجرد التوحيد لله، ويرى المسلمون من أنواع الزيادة في الطاعات وتلاحم إخوانهم معهم وذوبان الفوارق وزوال الحواجز، فيقوم سوق الجسد الواحد في الأمة الذي غُيب كثيراً بفعل مؤامرات أعدائها وللمؤمن للمؤمن والمؤمن مع المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً..

في هذه الأثناء من المحنة والشدة والقصف والحصار تكون العبادة ذات أجر مضاعف، كما قال عليه الصلاة والسلام: "العبادة في الهرج كهجرة إلي" لماذا؟ لما يكتنفها من الفتن والمشقة، ولما تحتاجه من التركيز حينئذ في غمرة هذه النوازل.

في ظل هذه المحن يرتبط التاريخ آخر الأمة بأولها، وتنبعث قصص البطولات فتسمع منها ما تكاد لا تراه إلا في كتب التاريخ؛ لأن مثل هذه البطولات لا تقع في أيام الرخاء ولا في أيام السراء، وإنما هي في أيام حرب العدو وشدة اللقاء، فينظر المسلمون إلى تاريخ متواصل من العطاء والبذل والتضحية والفداء.

وعودة روح الأخوة إلى المسلمين ويعين بعضهم بعضًا بالمال، والمساندة النفسية والإعلامية وأنواع الإمدادات عند ذلك يتحقق في الأرض من الإيمان ما لم يكن قائمًا، ويكون في أجر البذل والصدقة في وقت الشدة ما لا يكون من أجر الصدقة في وقت الرخاء.

أفلا ترون ربنا تعالى قال: (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) [البلد: 11-14] يعني جوع شديد، مسغبة حاجة ملحة، مسغبة ملهوفون ينتظرون، مسغبة مجاعة عطش حاجة وشدة (يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) [البلد: 15-16] قد التصق بالتراب ويمر بالأطفال من مدينة إلى مدينة أخرى يلتمس لهم عائل أو عوائل؛ لأن أسرهم قد ذهب..

فيكون في المسلمين من أهل النجدة والمروءة والشهامة والإيواء، ويكون فيهم من أهل كفالة اليتيم والإحسان إلى المحتاج فيأوي الناس بعضهم بعضًا؛ لأن بيوت أولئك قد قُصفت فتهدمت فمن ذا الذي يؤويهم بعد الله؟

إنها بيوت إخوانهم التي إذا ازدحمت بنيانا فإن انفساح الصدور يوسعها،
أفسحوا يفسح الله لكم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر
الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو البر الرءوف
الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، أشهد أن لا إله إلا هو ولي المتقين وناصر المستضعفين سبحانه وتعالى هو القوي العزيز، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين نبي الملحمة، جاءنا بكتاب من الله سبحانه وتعالى، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة فصولات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته الطيبين وخلفائه الميامين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله: اقتضت سنة الله ألا يترك الناس ولا حتى المؤمنين منهم (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) [آل عمران: 179]، فتنقية الصدر هذه إرادة إلهية وأن يبلوا بعضكم ببعض هذه إرادة إلهية ومقصد رباني، وأن يدفع بعض الناس ببعض سنة إلهية (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) [آل عمران: 140].

أيضاً وهكذا: (فَأَمَّا الرِّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) [الرعد: 17] وهكذا من سننه (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ) [محمد: 7] وهكذا من سننه سبحانه وتعالى إهلاك الظالمين والذهاب بالمجرمين فيجرمون حتى يصلوا إلى المقدار الذي كتب الله أن يأخذهم عنده فيأخذهم حينئذ.

ويكون قد اتخذ تعالى شهداء من هؤلاء المؤمنين، واصطفى من اصطفى من عباده الأخيار ووفق لعمل الصالحات من وفق.

وقام سوق الإيمان والإخوة (سَسَشْدُ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ) [القصص: 35]، وصار بين الناس صلة، صلة الدين والإيمان يعينون إخوانهم فلا يخذلونهم.. والله يريد أن تستبين سبيل المجرمين أي تظهر طريقتهم وتنكشف أحوالهم، وتبين حقيقتهم هذا مقصد إلهي (وَلَتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) [الأنعام: 55] يدفع من أجل تحقيقه دماء وأموال، أرواح، هذه مقاصد ربانية عظيمة لا تتحقق إلا ببذل وعطاء وتضحية وفداء.

فعند ذلك تظهر الحقائق التي كان بعض الناس قد عميت أبصارهم عن إدراكها ولم تستطع قلوبهم أن تفهمها (وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَلْتَمِسُونَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ) [الأنعام: 55] فيسقط القناع عن علماء السوء، وكذلك تبين حقيقة أعداء الإسلام وخصوصاً من الباطنية المنافقين الذين تلبسوا بلباس مسلمي الأمة، فغرؤوا كثيراً منها فهنا تظهر أحوالهم وتدور الأيام لتبدو العورات ويعرف المسلمون حقيقة من هم أهل الإسلام الصادق من المنافقين والأدعياء والملتصقين المستترين بأشياء من الدين تظهر الحقائق حينئذ تظهر بهذا الإجرام، تظهر بهذه المواقف الدنيئة..

يظهر بهذا التمالى لأهل الباطل وإعانة بعضهم بعضاً ومؤازرة بعضهم بعضاً ودخول بعضهم لاحتلال بلاد المسلمين هكذا إذاً هو احتلال باطني قد تحول بسببه كثير من المسلمين إلى نازحين داخل بلدانهم، وقام سوق الإجرام وتفنن هؤلاء أهل الحقد والبغض للدين وأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فكان

في ذلك شاهدًا تلو شاهد، ودليلاً على إثر دليل ليبين للناس حقائق هذه المذاهب..

ليبين للناس من هم حقاً أهل الإسلام، ومن هم أهل الكفر والنفاق ولو تلبسوا بما تلبسوا به من فضائل ادعوها كالممانعة أو محبة آل البيت أو المقاومة، ونحو ذلك من الادعاءات..

عباد الله: ويكون مستوى الوعي عند الناس مرتفعاً حينئذ ويخرج من الكفاءات ما يخرج من المسلمين في هذه المناسبات، وما يدخل فيها من ميادين الإعلام والشبكات.

وعندما يتساءل الناس إلى متى وحتى متى هذه المذابح فلا بد أن يقال: (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) [الأنبياء: 23] (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) [إبراهيم: 42].

فله الحكمة البالغة وهو سبحانه وتعالى لا يفعل شيئاً عبثاً ولا يقدر أمراً سدى، وإنما من وراء ذلك حِكمٌ بالغة، فيكسر من عدوه من يكسر (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) [إبراهيم: 42]، ويأتي النصر بطعم مختلف بعد توضحيات كبيرة وإن طال وقت المدافعة.

اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اكسر أعداء الدين يا رب العالمين، ودمر الظالمين، وأنزل بأسك بالمجرمين، وخذهم من حيث لا يحتسبون..

اللهم زلزلهم وخذهم أخذًا وبيلاً، وأنزل بهم بأسك الذي لا يُرد عن القوم
المجرمين، خالف بين كلمتهم، وألق الرعب في قلوبهم، واجعلها عليهم نارًا
ودمارًا وعارًا وشنارًا، واجعلهم وأموالهم غنيمة للمسلمين.



عنوان الخطبة	يوم الخروج وما بعده
عناصر الخطبة	1/ اليوم الآخر والإيمان به 2/ أهمية الاستعداد له 3/ بعض مشاهد القيامة
الشيخ	الشيخ/ محمد صالح المنجد
عدد الصفحات	12
رقم الخطبة في الموقع	3797

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: إن ربنا - سبحانه وتعالى - لم يخلقنا عبثاً، ولا يتركنا سدىً، بل لا بد أن نرد إليه في يوم يحاسبنا فيه، هذا اليوم الذي يجمع الله فيه الخلق، هذا اليوم لا ريب فيه، (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) [النساء: 87]؟.

يوم القيامة يقوم الناس فيه لرب العالمين، وأيضا يقوم الناس من قبورهم صرعى، وأيضا يقوم الروح والملائكة صفا، هذا اليوم الآخر الذي سمي باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده.

هذا اليوم الذي تقوم فيه الساعة، هذا اليوم الذي يبعث الناس فيه من القبور بعد أن صاروا ترابا، (وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) [الشورى:29].

سمي بيوم الخروج لأن الناس يخرجون فيه من قبورهم، (يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا) □، هذا اليوم يوم الفصل؛ لأن الله تعالى يفصل فيه بين الخلائق، فينتصر للمظلوم ولصاحب الحق، (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ) [الدخان:40]، (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا) [النبأ:17].

هذا يوم الخلود؛ لأنه لا موت بعده، وتعلق الأرواح بالأجساد في أربع مراحل في بطن الأم عندما يكون الإنسان جنينا فينفخ الروح في ذلك الجنين، ثم يولد في هذه الحياة الدنيا فيكون تعلق الروح بالجسد أشد، ثم تخرج الروح من الجسد عند الموت؛ لكن الروح لا تفتنى.

ولا يزال لها تعلق بالجسد فتردّ فيه -يعني في القبر- في الجسد الذي في القبر، ولكنه تعلق دون التعلق الذي قبله، فإذا نفخ في الصور طارت الأرواح فدخلت في الأجساد دخولا لا تعلق عند ذلك أشد منه، وهذا هو التعلق الرابع للأرواح بالأجساد، هذه الحالة التي تكون يوم القيامة أشد أنواع التعلق للأرواح بالأجساد.

هذا يوم الخلود، هذا يوم الحساب الذي يحاسب فيه الخلائق، كل ما هو آت قريب، ولذلك قال الله تعالى: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ) [غافر:18]، وأزف يعني اقترب.

إنه يوم التلاق، يلتقي فيه المخلوقون بخالقهم، وتلتقي فيه الأرواح بالأجساد، ويلتقي فيه آدم بأخر ولد من أولاده، هذا اليوم لا تنفع فيه وساطات فيه ولا شفاعات ولا علاقات تنفع، قال الله: (مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَنْجِي فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ) [البقرة:254].

وكلما تعدد الشيء في اللغة دل على عظم ذلك الشيء؛ ولذلك كان ليوم القيامة أسماء كثيرة: يوم البعث، ويوم التغابن، ويوم التناد، ويوم الجمع، والحاقة، والصاخة، ويوم الحساب، ويوم الحسرة، ويوم الخروج، ويوم الدين، والساعة، والطامة الكبرى، والغاشية، والفرع الأكبر، ويوم الفصل، والقارعة، والمعاد، واليوم الموعود، والواقعة، والوعد الحق، ويوم الوعيد، والوقت المعلوم، واليوم الآخر، وغيرها من الأسماء الدالة على أن ذلك اليوم يوم عظيم؛ ولذلك تعددت اسماءه: يوم عقيم، يوم عسير، يوم ثقيل، يوم كبير...

عباد الله: المؤمن يؤمن بالغيب، والكافر لا يؤمن بذلك، فهنيئاً للمؤمنين الذين يؤمنون فيستعدون، هذا اليوم الآخر، هذا اليوم الذي يوقن به المؤمنون، (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) [البقرة:4]، هذه من صفاتهم، يكفر به الكفار، لا يؤمنون بالآخرة: (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ) [الأعراف:147].

ولذلك هم معرضون لا يستعدون لذلك اليوم، فعندما يفاجئون به يقولون: (يَا حَسْرَتَنَا) [الأنعام: 31]! وتكون الصدمة كبيرة جدا؛ ولذلك تكون الإفاقة شنيعة عليهم: (وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) [يس: 51-52]، (وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ) [الصفات: 20]، تردُّ عليهم الملائكة: (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) [الصفات: 21]، ولذلك الذي يكذب بالآخرة جزاؤه شنيع: (وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا) [الفرقان: 11].

عباد الله: هذا اليوم طويل، عبوسٌ قَمَطَرِيٌّ: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) [المعارج: 4]، على المؤمنين مثل ما بين الظهر والعصر ينقضي، وعلى الكافرين: (فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ) [المدثر: 9-10]، فأهل المعاصي والفُجَّار وأهل الكبائر عليهم من طول ذلك اليوم صعوبة شديدة بالغة.

عباد الله: سمي الموت بالقيامة الصغرى تمهيدا للقيامة الكبرى: (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) [القيامة: 26-30]، فالله - عز وجل - لم يقصر في إخبارنا عنه، وحذرنا: (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ) [البقرة: 281].

والله - سبحانه وتعالى - في كتابه قد أتانا بأوصاف وأخبار في آيات وسور كثيرة جدا عن ذلك اليوم الذي يكون فيه البعث والنشور، فينتشر الناس من قبورهم ويخرجون: (وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) [الزمر: 68]، إذا؛ فهذا اليوم يبدأ بنفخة، نفخة البعث التي تكون بعد نفخة الصعق، وبينهما البشر في البرزخ.

تحدث في ذلك اليوم رجفة عظيمة: (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ) [النازعات: 6-7]، النفخة الأولى والنفخة الثانية، فيعيد الله الخلق كما بدأه، (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [الأنبياء: 104]، بعد الفناء وبعد الموت وبعد ما صارت العظام رميما، هذا اليوم يضطرب فيه الناس: (وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا) [الكهف: 99].

هذا اليوم يأتي الناس فيه إلى الله أفواجا: (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا) [النبأ: 18]، يكون المجرمون في ذلك اليوم مميزين بلون في عيونهم، قال تعالى: (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) [طه: 102]، (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) [المؤمنون: 101]، يسمعون صيحة تفجعهم فجיעة وتفرعهم فزعا عظيما، (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ) [ق: 42].

هذه النفخة التي تقيمهم من أجسادهم، هذه النفخة العظيمة التي تزلزلهم زلزلة، يحشرون بعدها: (يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ

يُوفِضُونَ) [المعارج:43]، مُهْطِعِينَ كأَنهم جراد منتشر، ثم يجتمعون فتحاصرهم الملائكة أطواقا، كل أهل السماء طوق، سبعة أطواق من الملائكة تحاصر الناس في أرض المحشر، فلا مناص ولا مهرب.

(يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ) [النبا:38]، يفر الناس بعضهم إلى بعض، الأقارب يحاول الاستجداد بعضهم ببعض، لكن هيهات، (يُبْصِرُوكُمْ يَُوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنِيهِ * وَصَاحِبَتِيهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ) [المعارج:11-14]، ولكن هيهات!.

هذا الفرع الذي يكون في ذلك اليوم يفر فيه الأقارب من بعضهم، الأقارب الذين بينهم حميمة وعلاقة، (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِيهِ وَبَنِيهِ) [عبس:34-36]، لماذا؟ قال تعالى (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) [عبس:37].

حساب وعرض الأعمال، وصحائف، وقربت النار، وصار هنالك من الكرب بدنو الشمس من الخلائق والزحام فيجتمع على الناس أربعة أسباب للعرق والحر، التحام بعضهم مع بعض، وتقريب جهنم، وكذلك دنو الشمس من الخلائق، وهكذا الكرب النفسي، الإنسان يعرق إذا يصيبه كرب نفسي؛ فكيف إذا التصقت الأجساد ببعض؟ فكيف إذا قربت الشمس من رؤوس الخلائق؟ وكيف إذا أدنيت جهنم؟ (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) [الفجر:23]، لها سبعون ألف زمام، على كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها.

(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) [آل عمران:106]، تبيض وجوه أهل الطاعة، أهل الدين، أهل الخير، أهل المعروف، أهل الإيمان، أهل التقوى، أهل الصبر، وتسود وجوه أهل الكفر، أهل البدعة، أهل المعاصي والكبائر. (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ) [المائدة:109]؛ ليشهد كل رسول أنه بلغ قومه، (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّعَابِنِ) [التغابن:9]، مسكين مغبون من لم يعمل الصالحات، مغبون الذي سيأخذ صحيفته يذهب إلى النار وغيره يذهب إلى الجنة، كم سيحس بالغبن في ذلك اليوم؟.

اللهم نجنا من كربات يوم القيامة يا كريم، واغفر لنا ذنوبنا يا أرحم الراحمين، وأظِلَّنَا فِي ظِلِّ عَرْشِكَ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ، إِنَّكَ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا هو، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا؛ وأشهد أن محمداً عبداً لله، عبد الله فلم يشرك به أحد، أشهد أنه رسول الله حقاً، والداعي إلى سبيله صدقاً، صلى الله عليه وعلى آله وذريته الطيبين، وصحابته الغر الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله: لا أحد يقول: ما كنت أدري! أقام الله الحجة علينا، أنزل كتابه، وأرسل رسوله، وبَيَّنْ وَفَصَّلْ؛ ولذلك، فالسعيد مَنْ اتعظ وعمل لذلك اليوم، للحياة الأبدية، وأما مَنْ أَعْرَضَ (فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ) [الطور:45].

صعقة عظيمة جداً: (فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) [الزخرف:83، المعارج:42]، يوم تتجلى الحقائق، يوفيهم الله دينهم الحق حساب، الحساب بدقة يوفونه.

تأتي الساعة بغتة على أولئك المكذبين، لا يغرنك طول ناطحات السحاب، ولا يغرنك كثرة مصانعهم وتقنياتهم، لا يغرنك ما حصلوه في الدنيا، فلهم في الآخرة عذاب عظيم.

وقد أخبرنا -سبحانه- أن عمر الدنيا قصير، وإن الناس إذا جاءوا يوم القيامة كأن لم يلبثوا إلا ساعة من نهار.

أخبرنا أن السماء تمور مورا، وأنها تتشقق، وأنه تصبح كالمهل، كالزيت، كأنها تقطر وتطش عليها طشا، (وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) [الحاقة:16].

حتى الجبال هذه الصم الصلاب يسيرها الله - عز وجل -، وتكون لها أحوال: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) [النمل:88]، هل تخيلنا أن الجبال هذه ستسير يوم القيامة بين السماء والأرض كما ذكر الله - سبحانه -؟ (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ).

هذه الجبال تقلع من أماكنها المرحلة الأولى، ترفع ثم تسير أمام الناس، تمر مَرَّ السحاب بين السماء والأرض ثم تبدأ بتحولات عظيمة، (وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا) [النبا:20]، (وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) [الطور:10]، قال (وَبُئِستَ الْجِبَالُ بَسًا) [الواقعة:5]، يعني صارت كالبسيسة، الدقيق الملتوت بالسمن، قال: (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) [الحاقة:14]، فتنحول بعد ما تصبح كالعهن وكالقطن المنفوش، تصبح كالرمل المتهايل، المرحلة الأخيرة: (يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلاً) [المزمل:14].

والأرض تتشقق: (يَوْمَ نَشَقُّ الْأَرْضَ عَنْهُمْ سِرَاعًا) [ق:44]، الهول شديد، (يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ) [الحج:2]، ليس كل مرضعة ترضع ولد غيرها ولا ترضع أولاد الآخرين، المرضعة التي ترضع ولدها بالذات، (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) [المزمل:17]؟.

ما الذي يجعل المؤمنين في ذلك اليوم في أمن؟ (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) [النمل:89]، الذين عملوا الحسنات في أمان، (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) [الطارق:5]، وتنقطع الأنساب يومئذ فلا ينفع مال ولا بنون.

الملك يومئذ لله تعالى وحده: (الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَقُّ لِلرَّحْمَنِ) [الفرقان:26]، الملائكة تقول للمجرمين: لا بشرى! الأعداء لا تنفع: (لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [التحریم:7]، الندامة لأولئك الكافرين والعصاة، الكافر يتمنى أن يكون ترابا.

أسوأ مشاركة المشاركة في العذاب: (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) [الصفات:33]، ما تنفع العلاقات الحميمة والصدقات: (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)، إلا الصحبة الطيبة يا عبد الله: (إِلَّا الْمُتَّقِينَ) [الزخرف:67].

الخسارة عظمت على المبطلين، كل شيء مكشوف، (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) [الطارق:9]، لا مفر ولا مناص، (يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَأَيْنَ الْمَفَرُّ) [القيامة:10]، هناك وجوه ناضرة ناعمة مسفرة ضاحكة مستبشرة، وهناك وجوه عابسة ذليلة كادحة (عَلَيْهَا غَبَرَةٌ) [عبس:40]، ووجوه مسودة.

يحتجب الله عن الكفار ، والسعيد من رأى ربه في جنات النعيم، اللهم اجعلنا ممن يرونه في جنات النعيم، اجعلنا ممن هم على الأرائك ينظرون إليك يا أرحم الراحمين.

عباد الله: هل تصورنا أنه تكون للإنسان ذاكرة حديدية يوم القيامة، بحيث يتذكر كل الأعمال التي عملها في الدنيا لحظة بلحظة؟ (يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى) [الفجر:23].

والشهيد عليه من نفسه: (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) [الإسراء:14]؛ ولذلك يختم الله على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم وتشهد جلودهم أيضا، ويحصل التمايز، ويحصل العرض على الله، ويأتي الله في ظلل من الغمام، وينصب الكرسي لفصل القضاء، وتنخلع قلوب المجرمين والعصاة لرب العالمين، ويحصل التوبيخ من الملائكة وشدة العذاب، وهذا العذاب المحيط الذي لا يُفّر منه.

وتشخص الأبصار والقلوب لدى الحناجر كاظمين، ويكون الناس كالفراش المبتوث، وبعض الظالم على يديه، وهذا يوم انتقام، فيغضب الله فيه غضبا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، فتكون النجاة للصادقين أصحاب الجنة يوم القيامة، ما يأتي عليهم بعد الظهر إلا هم في الجنة، والدليل: (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) [الفرقان:44]، والقيولة وقتها معروف، فما يأتي عليهم بعض الظهر بعد هذا اليوم الطويل إلا وهم في الجنة.

اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين، اجعلنا ممن يلقون يوم القيامة سلاما يا ارحم الراحمين، أدخلنا الجنة بلا عذاب ولا حساب، أدخلنا الجنة مع الأبرار

يا رحيم يا ودود يا غفار، اللهم اجمعنا بأحبابنا يوم الدين مع حبيبك محمد -صلى الله عليه وسلم- في جنات النعيم.

عباد الله تأتي أعياد على العالم، فيها أعياد ليست لنا، فلا مشاركة لنا فيها؛ بل التبرؤ من كل دين غير دين الإسلام، ومن كل أعياد غير أعياد الإسلام.

اللهم انصر إخواننا المستضعفين في الشام وسائر الأرض يا رب العالمين...